# تارسخ المصريين مع

# الحروبالصليبية

تألیف ولسیم الصوری ترصة د. حسن حبشی

الجزء الأول







رئيس مطسالإدارة د .سميرسرحان

رئيس التحرير د - عبد العظيم وُمضان

مديرالتحرير:

اهداءات ١٩٩٨

مؤسسة الاسراء النشر والتوزيع القاسرة onverted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

# الحروب الصليبية

الجزء الأوال

تأليف ولسيسم الصسورى

رجة وتقيم د. حسن حيشي



Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

# هذه ترجمة لكتاب:

A

HISTORY OF DEEDS DONE BEYOND THE SEA

 $\mathbf{B}\mathbf{Y}$ 

WILLIAM OF TYRE TRANSLATED BY

EMILY ATWATER BABCOK

&

A C. KREY

Columbia University Press 1943 erted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version

# تقسديم

يسرنى أن أولم للقارىء هذا العمل العلمى العظيم ، لمؤلف عظيم ، ومترجم عظيم ، أما العمل فهو تاريخ الحروب الصليبية لوليم الصورى ، الذى يعرفه طلاب الدراسات التاريخية كأحد أعظم المصادر في تاريخ هذه الحروب الخالدة ، وكأقدمها أيضا ، فقد رأى النور في صورته الأصلية في القرن السادس عشر الملادى وهو يعالج الفترة التي امندت من عام ١٠٩٤ الى عام ١١٨٤ ، أي على مدى نسعين عاما من عمر مصر والشام ، فضلا عن بعص أقالم أعالى العراق وآسيا الصغرى ، وهذه الفنره والتي بلنها على مدى قرن وقصف آخر من الزمان ، هي التي أخذت بعدفق فيها من عرب أوربا تلك الهجرات الشعبية المسلحة المتسربلة بمسدوح الدين والمتمسحة بالصلبب وهي التي عرفت باسم الحملات الصلبيه ،

أما مؤلف الكتاب فهو وليم الصورى ، الذى وله فى ١١٣٠ م، والدى بعسه بعض المؤرخين الأوروبين واحدا من أعظم مؤرخي العصبور الوسطى قاطبة ، وقد توفرت له من أدوات الكتابة التاريخية ما لم يتوفر لغيره ، فالى جانب اتقانه للغة اللاسبية والفرنسية واليونائية ، والمامه بالعربية ، فقد كان تحت يده من الوثائق ما جعله مبرزا في الكتابة التاريخية وحجة في عصره ، وقد شغل من المناصب ما جعله جزءا من الأحداث التي يؤرخ لها ، فقد كان مشرفا على ديوان الرسدائل في ببلاط مملكة ببت المقدس ،

verted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وسسميرا للملك عمورى في بلاط امانوبل امبراطور بيزنطة ، الى جاسب شغله لمراكر دينمة تدرح فيها حتى بلغ الذروه في سلك الكهنوت ، وصار رئيس أساففة صور ، ومعنى ذلك أنه وصل الى أسمى المناصب غير الحربية في الدوله بعد الملك .

أما المرجم فهو الأسباذ الدكبور حسن حبشي ، أسماذ تاريخ العصور الوسطى ، الدى حصل على درجة الدكتوراه من جامعة لىدى . واخنير للتدريس مى كلية « ساوث ايلىج ، بلىدن ، وىدرج في سلك المدريس الجامعي في جامعة عين سمس ، مدرسا فأسنادا مساعدا ، فأسناذا لكرسى الباريخ بكليه الآداب ، ولمعرفسه باللعه اللامينية والفرسيه الفديمة ، فقد مرجم العديد من الكبب الى اللغه العربية ، فسرجم عن اللانيسية أول وثيقة عن الحروب الصليبيه ، التي سماها بالعربيـ « ماريخ الفرنجـة وحجاج بيب المهدس » ، ثم أتبعها بترجمة حباء الملك لويس الىاسع وحمسلامه على مصر والشام للمؤرح العرسى جوانفيل ، كما ترجم عن الفرنسمة القديمة كناب «فسح القسطنطينية» على يد الصليبيين لروبرب كلاري٠ كما شر مخطوطة « مضمار الحمائق وسر الخلائق » لنقى الدين الحموى ، ابن أحى صلاح الدين الأيوبي ، وفيســــــ حزء ينعلن بمعركته مى سبيل استوداد بيّت المقدس . ثم ترجم مذكرات « حودفرى فلهـــاردوان ، الفرنسي عن الحمــلة الصليبيــة الراسة

ونعد برجمة الأسباذ الدكنور حسن حبشى لكتاب " الحروب الصليبية ، لوليم الصورى ، التى سوف نصدرها فى أربعة مجلدات ، من أهم الأعمال العلمية التى ينبت بها الأسماذ الدكنور حسن حبشى مكانته العلمية الربعة فى بلدنا وفى العالم العربى ، وهى دليل على عظمة هذا الأسناذ الكبر الذى كرس حباته لخدمة علم التاريخ ، وتفرد الى حد كبير بقدر عظيم من الدقة العلمية النى

nverted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ترسم للجيل الجديد من مؤرحينا الشبان الطربق السلبم والوحد لاوصول الى الأستاذبة بمعناها الصحيح ·

لذلك لا يسعى الا أن أعرب عن بشرف هذه السلسلة من مربح المصريين ، بشر هـذا العمل العلمى العظم ، الذي يهم المنقف والعالم المخصص ويصعه في أكرم مكان من المكتبة العربية ،

والله الموفق ٢٠

رثيس التحرير ادد، عبد العظيم رمضان



verted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version

#### بسبم الله الرحون الرحيم

# مقدمة المترجم

يتعلى هذا الكناب الذي ببن بدى القارى، بحفبه من الزمن المتدت من ١٠٩٤ حتى ١١٨٤ أي على طول نسعين عاما من عمر مركزى التفل في الشرف الاسلامي وهما مصر والشام ، وينسحب ذلك \_ الى حد ما \_ على بعض أفاليم أعالى العراق وآسيا الصغرى ، وقد شهدت هذه الفنرة والتي تليها \_ للدة قرن آخر ونصف قرن من الزمان \_ جموعا كثيفة وجيوشا حرارة هي في الواقع هجرات شعوبية أخدب تتدفق \_ على وجه الخصوص \_ من غرب أوربا ، متسريلة بمسوح الدين ، ومتخذة لها شعارا زائفا هو « انقاذ بيت المقدس من أبدى المارقين » ، ولو صدقت لقالت امتلاكه لنفسها واحتلالها مطقة النيرة الأدنى تأكملها بعد نفر بعها من أصحابها الحقيقين أبا كان دينهم ومذهبهم •

والوافع أنه كانت هناك دوافع أعمق من هذه السعارات الخادعة ، ذات الرنين الدينى المحرك للسعور الغربى لا سبما بين العامة ، وكانت هذه الدوافع بكمن وراء الزحوف الني عرفت بالحملات الصليبية .

verted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أما مؤلف هذا الكتاب فيعرف المؤرجون منذ عصره حتى النوم باسم « ولم » ، فان رادوا في النعريف به فالوا ه الصورى » ، وإذا رحيا سئله من يكون أبوه فلا يحظى منه ولا ممن نرجموا له وكتبوا عنه ـ وهم كبيرون ـ باجابه ما ، اذ يمسكون عن الرد ولو بسيء يكون مثار حوار وجدل ، وما نعبه بالصورى الا نسبه الى المدينة المعروفة باسم صور بالساحل الشامي والتي لها باريخ ـ وأى تاريح ـ في العصور المحتلفة قديمها وحديثها ، فقيد صار مؤرخيا « وليم » رئيس أساقفنها سنة ١١٧٥ أي بعد دخول الصلبيين بلاد الشام بأكثر من ثلاثة أرباع القرن وبعد بضع سنوات فلائل من فنح الصليبين للمدينة ،



#### اصله ونساته:

اذا كان الناس لم يعرفوا سلسلة نسب « ولبم » فانهم لم يعرفوا أيصا سنة مولده بل اختلفوا فيها اختلافا بنا ، فمنهم من علوها سنة ١٩٢٧ وعلى رأس هؤلاء المؤرخ الانجليزى « بيورى » ودلك حين قام نسر كتاب « ادوارد حيبون » عن « تدهور وسقوط الامتراطورية الرومانية » ، وهو الكتاب العظيم المعدود من عسون التراب الكلاستكى في الادب والناريج على السواء ،

وأخر عيرهم سنة مولده فجعلوها سبه ١١٣٠ دون أن يجزموا جزما باتا بتلك السنة ، وذلك أنهم حين يشيرون النها يبرددون في كلامهم عنها ويسبقونها بفولهم « حوالي سنة ١١٣٠ » ، وأيا كان عام مولده فالمتتبع لأحداث عمره التي نعرف حزءا كدرا منها لا سسما منذ أن قارب سن التسباب يرى أنه عاش في هذه الدنبا أكثر من نصف قرن من الزمان صرف الشطر الأخير منه طالبا للعلم سواء في

verted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered versio

مملكه بيت المقدس اللابيية أو في فريسا وايطاليا . ومكبا على الدراسات الدينية ومسرفا على ديوان الرسائل في بلاط مملكة بين المقدس اللابينية وسفيرا للملك عموري الى بلاط « اما ويل » امبراطور بيزنطة ، الى جاب شغله لمراكر دينية ندرج فيها حنى بلغ الذروه في سلك الكهنوب المسيحي اذ صار رئيس أساقفة صور ومات وهو يبطلع في حسره لأن يكون بطرك بيت المقدس ، ولكن ما كل ما يتمى المرابخ يدركه ، فاذا عرفا دلك كله عنه بملكنا العجب من حهل الداريخ لأسرية جهلا حمل بعض المؤرخين المحدثين على القول بأنه كان من أسرة من عامة الباس في العدس ، ويريد هذا العريق أن يقول أنها لبسب من الفرسان ولا النبلاء ولا الأشراف ، بيد أن دلك كله لم يمنعة أن يكون في القمة من المؤرجين اد كب ما كب ، وأن يشغل أسمى المناصب غير الحربية في الدولة اللاتينية بعد الملك . وأن يسبق أقرابه في العلم والذكاء والمعرفة وسعه الاطلاع ودراسة أعماق النفس الانسانة سبغا لم يجاره فيه أحدد من أيداده ومعاصريه ،

على أية حال فقد أدى حهل المؤرخين بأسريه الى التضارب البين في أين كان مسورة والاختلاف الكبير فيه فقال بعضهم أنه ولد بالقدس بعد أن صارت مملكة ضلبية ، ودرج على ثراها فأحبها خبا تمثل في أن حعلها مركز كتابانه التاريخية التي اتسعب مساحتها القلمية ولكمها كانت تصدر عن تلك المدينة المبجلة في الناريخ والموقرة عند جميع الأديان السماوية ، والتي هي عنده واسطة العفد ، لذلك نراه يطيل في دراستها ويجعلها مسنهل كتابته الماريخية منيذ أن فنحها المسلمون زمن الخليفة الراشد عمر بن الحطاب وان كان قد أوحز ايجازا شديدا في عرضه للفترة الممتدة منذ الفنع العربي لها عام ١٠٤٤ م حنى اغتصبها الصليبون سنة ١٩٩٩ م ٠

verted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فاذا أخذما بالرأى الفائل بمولده في المملكة جار لنا أن تقول أنه كان من أبناء فلسطين بعد الغزو الصليبي ، وهو فول غير بعبد عن الصحة ، لكن هذا يدفعنا للساؤل : آكان أبوه هو أيضا من أهلها ؟ ، أم أنه كان وافدا عليها ؟ ٠٠ فان كان وافدا ومتى كان دلك ؟ وكيف كانت هيئة حضوره ؟ وهل كان مجيؤه اليها صحبة الجماعات الطارئة عليها من بلاد العرب الأوربي ؟ ٠

وفد ثارت هذه الساؤلات فى أذهان كتيرين ممن برجموا له وذهبوا فى دلك الموضوع مذاهب شتى ، فمنهم من رد أباه الى أصل فرسى ، ومنهم من قال انه ايطالى ، وزعم آخرون أنه الجليزى ، وقال عير هؤلاء وهؤلاء أنه ألمالى ، دون أن يبين أى واحد من هؤلاء علام كان اعتماده فى تقرير نسبه الى هذا القطر أو ذاك ،

هذا النصارب الكبير في نحديد مسفط رأس الأب يرجع الى سكوت الابن « وليم » عن هذا الجانب سكوتا مطلقا ، مما حمل مؤرخيه على أن يخلفوا في أصله حيث لم يشر هو اليه من قريب أو بعيد ، هذا على الرغم من أنه هو نفسه كان شديد الحرص على أن يود أكتر القادة والزعماء ورجال الدين وأصحاب الأمر الذين وردت الاشارة اليهم في كتابه الى مواطنهم الأولى حتى ولو كانوا شرقيين ، مع ذكر أنسابهم في معظم الأحوال ، لكنه لم يفعل ذلك بأصله هو دامه ، مما وسح باب الاجبهاد والبكهن واسعا أمام من لمبوا عنه فكان اجتهادهم أورب الى الحدس والتخمين منه لأن يصل الى أمر مقرر ، وصار هؤلاء المجمهدون شيعا وأحزابا يذهب كل منها في هذا الموضوع مذهما يخالف ما يذهب البه الآحرون ، وردته كل طائعة الى بلد أوربي غير البلد الذي ردنه المه الأخرى ، هذا الى حانب من جعلوا القدس مهبط رأسه ،

فاذا استعرضنا آراء هؤلاء الدين يردونه الى اصل أوربي عجرنا معهم عن تحديد ذلك الأصل تماما ، وأول من نطالعهم هم من قالوا أنه الماني الأصل ، غير أن المطالعة الدقيقة لكتاب « وليم » التاريخي هذا تحملنا على استبعاد هذا الرأى ، لأنه حين يعرض لبعض من اشتركوا في التجريدان الصليبية من التنونون « الألمان » تراه يندد بهم تنديدا بالعا بسبب سوء مسلكهم وهمجبتهم التي يميط عنها اللئام دون تحرج من جانبه أو رعايه لهم وهم على دينه ومدهبة ، كما أنه يشير الى أن بعضهم كانوا لا يتورغون عن الافساد في بلاد « احوانهم » المسيحيين الأوربيين ، مدمرين للأرض وهاتكين للعرض وهم في طريقهم لانقاذ احوانهم « المسيحيين الشرقيين » ٠٠٠ فلو وهم في طريقهم لانقاذ احوانهم « المسيحيين الشرقيين » ٠٠٠ فلو بعض مخازيهم أو قلل من حدته عليهم ٠٠٠

ومما يؤكد عدم سريان الدم الألماني في عروفه أنه حيى بعرص لمن ساهموا من الألمان في الحملة البانيه فانه يقدم الدلبل ـ عن عبر قصد ـ على جهله بأكبر المقدمين من وجوههم •

#### \*\*\*

ادا كما قد استبعدنا أن يكون ألمانها فهل يمكن أن يكون المجليزيا ؟

هماك لفيف من الناس يعتقدون أنه من هذه الجريره ، وهم معذورون في اعتقادهم هذا اذ خلطوا بينه وبين شخص آخر انجلري كان يحمل نفس الاسم ، كما أنه صار رئيس أساقفه صور ويعت أيصا لذلك « بوليم » الصورى ، ولكنه كان عير صاحبا مؤلف هدا الكتاب ، ويحق لنا ـ بناء على ما سنقدمه حالا ـ أن نسميه « بولبم » الصورى « الأول » على حن نسمى مؤلف كنابنا هذا يولم الصورى

«المانى »، ولهد كان هذا الوليم الصورى الأول انجليريا فيحا وكان يسغل وظيفه حارس القبر المهدس فى بنت المهدس والقيم عليه ، وكان مؤلفنا يعرفه ويكنب عنه فى باريخه (١) ويسى على أحلاقه ومهجه فى الحياه ثناء عاطرا ، ويقول عنه بصريح العبارة أنه والجليزى المولد »، ثم يبابع بعد قليل كلامه عنه فينعنه « بسلهنا وسلف جميعنا بحن الدين جئنا من بعده »، أى فى رياسة أسفقيه صور الني كان وليم الأول رئيس أسافقها سنه ١١٧٠ ، لذلك يؤرخ له مؤرجنا ويبعته « بسلفنا العطيم صاحب الذكر المجمد » ، ثم يشير الى ذهابه الى دوما لبسلم عصا الرعويه من النابا بعد أن مسحه بطرك القدس بالزيت •

هدا هو بعض الحبر عن وليم الأول الصورى ·

ثم ان مؤلفنا وليم الصورى المانى (صاحب الكتاب الذى بين يدى العارى، برجمنه العربية الآن) يتابع كلامه عنه مع ايراده لكامل الوثيقة الى كنبها أدريان بابا روما حينذاك لتأييد وليم الصورى الأول والتى يقول فيها المجالس على كرسى بطرس برومة موجها الخطاب الى بطاركة المشرق وأساففنه ومطاريه: « ١٠٠٠ ابنا بؤس ايمانا جازما بأن كنيستكم الأم فى صور ستجنى منه (أى من وليم الايجليزى) أحسن الثمار ٢٠٠٠ » .

ويكتب بعس البابا خطابا الى « جورموند » بطرك القدس يقول له فيه سَأن هذا الاسقف « ۱۰۰ ايماء الى خطاب محبتكم الأخوية فقد رحبا بأحيا وليم ( الأول ) الذى اخترتموه رئيسا لاساففة الكنسة في صور » (٢) ٠

<sup>(</sup>١) الكتاب ١٣ ، العصل ٢٣ •

<sup>(</sup>٢) نفس الكتاب والعصل ٠

لعد كان هذا الاسم و وليم ، و نعته و برئيس أساقفة صوو ، ثم باريح هذا الحدث ووقوعه في السبعينات من القرن الثاني عشر دافعا الكثيرين على أن يرلوا زلة تاريحية كبرى ، اد خلطوا بين الاسين حلطا يدحصه المنتبع لباريح كل منهما ، ولعد رعموا أن وليم الأول , الانجلبرى ، هو نفسه وليم مؤلف باريحيا هذا ، فعالوا أن الباني و انجليزى » الأصل وما هو بانجليزيه .

وبداء على هذا التصحيح الذي سقناه فان هذه النسبة سعط على صاحبا ولم ، كما أن هذا النصحيح يحملنا على أن بول دم القائلين بعفي هذا الأصل الانجلس ، كما أنه يؤيدنا في هذا اللهي ما براه في كتابه هذا الذي بين يدى القارىء الآن من بنديده بالانجلير مملين في شخص البابا أدريان الرابع – وهو انجليزى – حيث يصعه وليم بالمرشى ويتهمه بالمحاباة في الانتخابات الكنسبة مما يبلم كرامنه كرجل دين يفترض فيه أن يكون الحق منهاجه (٣)، وكان هسدا الهجوم العنب من صاحبا وليم حين آتر هذا البابا ولين من حقه فيقره سبة ١٩٥٦ أسقف لبيت لحم ، ويرى وليم أن يجاح رالف هذا في « تولى شئون هذه الكنبسة العظمة راجع الى عطف مواطنه البابا أدريان الرابع ( الانجليزى ) » (٤) ،

ولا بعسا هنا قول وليم في رالف ، الأسقف » ولكن يهمنا يهجمه على رالف « الانجليري » ، وهذا ما نسبته أيضا من تسايا كلامه عن هنري الأول ملك الجليرا ، ووصفه اياه « بمغنصب العرش المستحوذ عليه بالخديعة » ويشير الى أنه في سبيل الاحتفاط بهذا

<sup>(</sup>۳) ك ۱۸ ، د ۸ .

<sup>(</sup>٤) ك ، ف ١٧ ،

العرس حسس كل قوى المملكة لدفع أحمة صاحب الحق السرعى (٥)

بحلص من هدا ومن كنير غيره مما ورد في الكناب الدي بس أيدينا الى بهجم مؤلفه على الانجلس أو على الأفل نقده اللاذع لهم مما بباعد بينه وبين أن بكون له عرق فيهم ، والا كان أخف نقدا في محومه عليهم .

#### \*\*\*

ودهب آخرون للعول بأنه « فرسى » الأصل ، معمدين في دلك على أنه فلما يرد دكر فرسا الا ويكون لسان ثناء عليها وبمحد لها (٦) ، وسبرى المطالع لهذه الترجمة العربيه دلك المدبح في مواصع متعددة منها · وفي رأينا أن هذا المديح هو الذي حمل دائره المعارف الأمريكية (٧) لأن نذكر في نبذة قصيرة أنه من أبوين فرنسيين ، على أنه يندو أن هذا الأصل الفرنسي لم يجد استجابه من دائره المعارف البريطانية (٨) فلم نقل به وآثرت السكوت عنه نماما ، ولعليسا خافت أن ننزلق في هوة لبس لها قرار ، إن هي دكرت بالنحديد ما يمكن أن يكون موطنه الأصلى ، ومن قال لا أدرى فقد أفتى ، كما أن الدائرة لم تعتبر فرنسا الا موطن ثقافة له ، وهو قول حق ،



<sup>(°)</sup> ك ° ، ف ١٢ ، واطر ·

Privite Orton · The Shorter Cambridge Medieval History vol 1, pp 591 et Seq.

<sup>(</sup>٦) وسيرى في مقدمتا هذه أن هذا كان موقفه أيضا ازاء انطالها ٠

American Ency Art William of Tyre (V)

Ency Brit. Art William of Tyre (A)

على أن دهابه الى فرنسا كان به كما نعرف للنابعة دراسته للقانون ، غير أن هذا لا ينهص دليلا على آنه ذو غرق فرسى والا صبح أن نقول أنه ايطالى ، اذ المعروف أنه دهب الى ايطالنا هى الأخرى آكثر من مرة ، ولكن كان ذهابه البها هى الأخرى من أجل دراسه المفانون أيصا ، كذلك دهب الى رومة لحضور مجمع كان منعقدا بها في أكتوبر ١١٧٨ على رأس وقد كهنوتى يضم طائفه من كبار رجال الدين منهم هرقل رئيس أساقفة قيصرية ، الى جانب أساقفة بيت لحم وسميساط وعكا وطرابلس وغيرهم (٩) ،

حميقة أن مطالعة ما كبه وليم عن ايطاليا يبين معرفه العمقة بها ويرسم لها صورة طيبة في ذهن القارى، ثم أنه كان لا يدع فرصة تمر الا ويسير اليها حتى لو لم يكن الموضع موضع حديث مباشر عنها ، وتستدل على ذلك مما قاله حين عرض لهجوم المسلمين على أحد موانى، صقلمة ، اذ وجد الفرصة مناسبة للاشارة الى ايطالبا وذكر أنها ملجأ الأمان (١٠) لقوات دوجن كونت صفلمه ، كما أنه كان كنير النساء على الجالبات الايطالية ومساعى المدن التجارية الايطالية الحمدة في خدمة الصالح المستحى ، فبذكر أن طائفة منهم وهم الأمالعبون كانوا قد قدموا النماسا للخلفة القاطمي بسألونه السماح لهم بقطعة من الأرض في القدس ــ وقت أن كانت القدس نابعة لمصر \_ لمقموا لهم كسسة قبها ، ولما كان هؤلاء الأمالفيون بابعة لمصر ويحملون اليها المواد المفيدة » فقد أجابهم الخليفة لا سألوه وكان عطفه عليهم جميلا تمثل في ضخامة ما منحهم اياه ، قسيدوا ديرا عرف بدير مريم المجدلية مما جعل مؤرخنا وليم بثني

<sup>(</sup>٩) ك ٢١ ، ص ٢٦ ٠

<sup>(</sup>۱۰) ك ۱۲ ، ق ۲۲ .

على الأمالفيين ثناء مستطابا ، وانسحب هذا النناء بالنالى عنده على الطاليا (١١) ·

لكن هدا كله لا يمكن أن يحملنا على نسبه عائلته الى ايطاليا -

#### $\star\star\star$

اذا كنا فد رفضنا أن يكون فرنسيا ، ونفينا عبه أن يكون ألمانيا ، وأنكرنا عليه أصلا انجليزيا ودحضنا الرأى القائل بأنه كان ايطاليا ، فلا يسعنا الا أن تقول \_ على الترجيح \_ أنه كان من مواطبي مملكة بيب المقدس بل ومن مواليد القدس ، بل ونضيف الى دلك أن أباه كان واحدا من اثنين اما أنه ولد هو الآخر بفلسطين ونسا بها فكانت القدس وطنا له ولولده وليم ، واما أنه كان من آلاف الناس من طبعة العامة الذين وفدوا مع الجيوش الصلبية وساهم في حروب الفنح ثم شاء القدر أن يتخطاه القتل فيمن قبلوا في معاركها فصار مواطنا عاديا ثم تزوج فأنجب \_ فيمن أنجب \_ مؤرخا وليم في سنة ١١٢٧ ، وإن قال البعض أنه ولد سنة ١١٢٧ .

وسواء آكان مولد وليم الصورى فى هذه السنة أو تلك \_ وان كما نرجح سنة ١١٣٠ \_ فقد تفتحت عيناه على القدس التى كانت أول أرض مس حلده ترابها ، حتى انه لينعنها فى كثير من المواضع « بوطنى » وقل أن يسير اليها الا فى اجلال وحب .

وحبب أوطان الرحال اليهمو مآرب قضاها الشماب هنالكا

وحسبنا أن نقرأ فى تمهيده لتاريخه فى هذا الجزء الأول لنرى كسف سيطر علمه حد القدس ، كما يعزو تأليفه كتابه هذا الى ذلك

<sup>(</sup>۱۱) ك ۱۸ ، ف ه ۰

الحب « وأنه اسنجابة لاراده هذا الوطن ونداءه شرع في مهمة يأبي الشرف التنحي عنها » (١٢) ويقصد بها وضع تاريحه ·

#### \*\*\*

ادا لم يكن قد وصلنا الى رأى فاطع في أبيه: هل كان واقدا على القدس أم انه من أهلها قان رأينا حيال الابن أنه كان من مواليد القدس ، لان سنة ١١٣٠ ( وحتى ١١٢٧ ) متأخرة نسبيا في ناريخ البجريدات الصليبية ، اد كان قد انسلخ من عبر الزمان منذ مقدم أولاها ثلث قرن ، تضاءلت فيه أعداد الجماعات الأوربية الواقدة ، كما أن المسيحي الأوربي الذي عاش في فلسطين منذ أول الحملات الصليبية عد نفسه فلسطينيا ، وكان يرفض في سريرته في بادىء الأمر بفاء الواقدين الأوربيين ولا يعتبرهم الاحجاجا ، فأما من أقاموا والحدوها سكنا لهم بدلا من دبارهم في أوربا فقد عدم دخلاء منطقلين ، لنس لهم حق في الاقامة الدائمة بها ، وأن واجبهم الاحجاجا وزوارا ، فاذا انتهوا من أداء سعائرهم ومناسكهم وحب عليهم العودة الى ديارهم .

ان ذلك الحب الذى فى نفس مؤرخنا ولبم لهذا البلد يجعلما مرحح أن العدس كانت مهبط رأسه فى أحد عامى ١١٢٧ أو ١١٣٠، أو فيما بينهما وان نشأنه بالقدس جعلته يعرف كل نواحيها الطوبوغرافية والتاريخية ، فهو يذكر وقوعها فى منطقة جدباء شحيحة بالماء (١٣) كما يعرف أماكنها الأثرية وما ننضح به مى

<sup>(</sup>۱۲) ونظر التمهيد الدي قدمه وليم مين يدي كتابه هذا ٠

<sup>(</sup>۱۳) ك ۸ ، ف ۱ ، ك ، ٧ ٠

دكريات فديمه قد ترجع إلى رمن النبي توح (١٤) ، كما أنه قل ان يسير إلى القدس \_ كما فلا \_ الا يكلمة ه وطني » ، ثم اله يحصص مواصع كسيره من صفحات كتابه هدا لذكر بطاركنها وما أحاط بكل واحد منهم من ظروف كانت تؤيده أو تعارضه (١٥) .

هدا هو مجمل الفول في وليم من حيت نسبنه الى الفدس·

#### \*\*\*

أظهر ولبم مند نعومه أظهاره مثلا كبيرا للدرس والتحصيل ، ولابد أنه النحق ببعض مدارس عصره التي كانت ملحقة بالأديره والكنائس ، وبعضها بقصر الملك ، وكان بلاميذها بطبيعه الحال وفي الغالب من أبناء الطبقة العلبا في المجنمع اللاتيني الغربي في المسرق ، ثم نسني له أن يتم تعليمه في فرنسنا .

ويبدو أنه أظهر ولعا متزايدا بدراسة الفقه المسبحى مما جدب الله أنطار الكبرين من رحال الكنيسة ورجال الدين ، الذين كان أكثرهم اهتماما به بطرس من أهل برشلونة باسبانبا وسنسمبه هما نظرس الاسماني أو البرسلوني وكان قبما على الآناز المسبحة والفسر تكسسه السامه ، ثم النهى المطاف أخبرا به لتكمين رئيس أساقفه صور (١٦) وكان نظرس هذا حصا بوليم راعما له ، محيطا اناه مند وقد متكر برعابيه ، مسبغا عليه عطفه ، كما أنه فربه الله ادراكا منه يمكن أن تكون لهذا الساب من عد مرموق ان وجد من

<sup>(</sup>١٤) ك ١ م د ١ ٠

<sup>(</sup>۱۰) ك ۹، ف ، ۱۰، ك ۱۱، ف ٤، ۱۰، ك ١٢، مى ٦، ك ١٣، ك ٢٦، ك ١٦، م ١٧٠

بأخد بده . و بدلنا هذه العنابة من حانب بطرس الاسمائي على أنه رأى فنه بنوعا \_ في حفل الدراسات الدينة \_ لم يلحظه بمسل هذه الصور عبد عبره ، لذلك اعتزم أن بكون هو راعبة والآخه سده نبده في طريق العدم ، فكان له ما اعترم ، وحفظ رئيم له هذه البد البيضاء عليه وأشاد بيلك المكرمة التي اختصه الها ، ومن عما تعددت اشاراته الله بالإجلال في صفحات عده من باريحة ، ثم ان ولم كان برى نسبة الله في مبدان العمل الكنسي شرفا كبرا له ، وراد من فدره \_ بعد حبن \_ أنه كان أحد من بولوا فيله أستقفية صور ولذلك كان كبرا ما يسير الله بقولة « سيله اله ويرى في دلك معجرة له -

وهكذا وجد وليم في بطرس الرجل العالم الذي يساعده على ريادة حظه من المعلم والبروز في مجال اللاهون ، هذا الى جالب أمه كان عونا له في الاطلاع على أمور كانت من خيايا السياسة في المملكة •

#### \*\*\*

كذلك وجد ولم مد منذ فجر شبابه مدبا من رجل آحر من رجال الدين العقت نظرته اليه مع نظرة بطرس الاسبانى ، ذلك عو «فولشرز » بطرك القدس ورئيس أساقفة صور أيضا الذى يكثر مؤرخنا من الاشارة اليه والاشادة بفضله عليه (١٧) وقد ساعده فولشرز هذا على أن يكون من بين رجال الكهنوت الذين بعث بهم الى ايطالما لبنهلوا مزيدا من الثقافة الدينية ، فذهب الى بعض معاهدها الكبرى فى بعنة طالت مدتها حتى بلغت عامين وذلك من عبد فصح الكبرى من سنة ١١٦٣ ، حيث انكب مؤرخنا فى هذين العامين على

<sup>(</sup>۱۷) انظر على سيسبل المثال الكتاب ، ١٦ العصول ١٧ و ١٨ و ١٩ ، والكتاب ١٨ ، الغصل الثالث ،

دراسه القانون والآداب ، ثم رجع الى المملكة ليعاود سناطه مى استقية صور « رئيس شمامسة لها » (۱۸) .

#### \*\*\*

ولقد السع مجال ثقافته بفضل الصاله المباشر بأماكى بعد من مصادر المعافه، رادت من اطلاعه التسخصى، ذلك أنه نسنى له الدعاب الى بيريطه ١١٦٧ موفدا من الملك عمورى سيفيرا له لدى الامبراطور ه مابويل » حبى يضمن الضمام الفسطنطينية اليه فى مسروعه الضحم لمهاجمه مصر ، وعهد اليه بأن يغريه بنوفيع اتعافيه بين بيريطه وبين بحب المقدس ، وانطلق ولم الى وجهمه (١٩) ليجد امبراطورها مسغولا فى الصرب من بواحى البلقان ، ولكنه أبجر ما عهد به اليه على أحسن صورة ، وعاد فى خريف ١١٦٨ بمعاهده بين المملكة اللاتسيه والامبراطورية الاغريقية حسب نسمية أهل ذلك بين المملكة اللاتسيه والامبراطورية الاغريقية حسب نسمية أهل ذلك موقعا كريما بجلى فيما أبداه له من ود وما أعدقه عليه من البسدايا •

لم يكن لرحل من وليم أن يمصى وقعه في بنونطه دون عمل لا سيما أن هذه الاقامة طالب حتى بلغب \_ كما يقال \_ سنة أشهر فقضى حزءا منها في الانصال برجال الكنيسة اليونانية وان كانوا على غير مدهبه وزاده هذا الاتصال انقانا للغة البونانية .

ومن هذا نستطيع القول بأنه كان واحدا ممن يمكن أن يعال

<sup>(</sup>۱۸) الكتاب العشرون العصيل الثاني .

<sup>(</sup>۱۹) وليام الكتاب الثاني عشر •

<sup>(</sup>۲۰) الكياب ۲۰ ، ف ٤ ٠

فيهم أنهم من علماء عصره وأعرفهم بالسياسة المحليه والدوليه . كما يمكن أن يقال ان ذهابه الى القسطنطينية كان كسبا علمبا الى حانب نجاحه الدبلوماسي •

ویتجلی لنا ما کان علیه من علم ومعرفة و ثفافه من آنه استطاع ان یبری، ساحته عند البابا مما رماه به فردریك رئیس الاساففه من نهم ظالمة ، كما استطاع بقوه حجته ودلاقه لسانه ، ووضوح بیانه آن یعود من عند حلیقه نظرس منصورا منزا من كل مذمة و نقیصه .



وأدرك من حول وليم كفاء له التي لم نغب عن عمورى فعهد الله سمه ١١٦٩ بأن يؤلف كبابا عنه يباول فيره حكمه ، فعبل دلك عن طيب خاطر ، وحين سرع في بدوين هذا الناريح الذي سماه Gesta Amalrici regis رأى فجوة لا يعرف عنها سبئا الا البافه البسير والنادر الذي تلقفه سماعا من أفواه الباس دون أن يكون واثقا منه تمام النقة ، أما هذه الفجوة فكانب خلال عبيه هو دانه في بيزنطة ثم انشغال الملك في حملته على مصر التي بادر الى القيام بها غير منظر عودة سفيره من القسطنطنية (٢١) لذلك رأى وليم مناقعا اياها من مصادرها الأولى وفي معدمها عموري كساهد العبان مناقع وهو الذي شارك في رسمها على حين غاب هو عنها ، فلم يبخل عليه مولاه بما أداده لا سيما وقد توثقت بينهما مودة عميقة رفعت

<sup>(</sup>٢٩) لم يخف على مؤرخى العبرة المسلمين الدوامع والصعوط البي كان يعرس لها عمورى حتى تعجل الرحف على مصر ، مباولها ابن الأثير مى كباسه الكامل وأتانكة الموصل ، وأبو شامة في الروصتين .

سهما كل حجاب وحملت عمورى على أن يصرح له فى ذات مرة عن مسأله خطيرة حدا كزعسم للنصرانية وحام للصليبية ألا وهى ما يصطرب فى صدره من حالجه البسكك فى أمر أجمعت عليسه حميم الأديان السماوية ويكون أساسا من أسس الإيمان ، ألا وهو

وكانب نفه الملك في مؤرحنا عظيمه حتى أنه عهد البه \_ حين كلفه بوضع كناب عن حكمه ـ أن يقوم على تربيه ولده وولى عهده بولدوب الرابع الدى لم يجاوز حينداك التاسعة من عمره ، فأفيل ولم على هذه المهمة سفس راضية وظل يرعى الغلام فكريا وخلفنا وحسماسا أربع سنواب مساليات لم بقصر فنها على بدل ما ينبغي علمه بذله للصبح الغللم مؤهلا لحكم المملكة ، بل راد فكان من سن ما درسه له الآداب الكلاسبكيه القديمة ، وعلمه هو وعلمان في ميل عمره من أولاد النبـــلاء والأشراف ما ينبغي أن ينعلمه هــؤلاء من الفروسية وركوب الحبل وألعاب القوى الىي تفوى فيهم الصبر على احتمال الآلام ، واله لنفول عن هذه الفيره « لقد كرسيب نفسي طول مدة اشرافي على تليمذي الملكي على رعايمه وبذلت من أحله عالة جهدی وحاولت تربیته خلقیا وادبیا ، ثم یصف حادثا نجم للصبی ذات يوم وهو بلعب مع أنرابه تكشف له عن اصابيه بمرض خطير استلزم من أبيه علاحه بسنى الأدوية والمراهم فما أحدت بعما ثم بعث في كل ناحية في طلب أحسن المطببين لكنهم لم يسعفوه فى وقف هذا الداء الذى كان قد استشرى ببلدوين الصغير ، « فقد عرفنا بعدئد أنه سبكو من ذلك الداء الحطير الذي لا رحاء منه ، (٢٢) على حد قوله ويعنى بذلك الجذام •

هكذا تولى ولم تربية الصبي بلدوين ٠

البعب والبسور بعد الموب

<sup>(</sup>۲۲) الکتاب ۲۱ ی ۱ ۰

على أن الدى يهما من فره فيامه بسفيف الغلام أنها أناحب له الفرصة لأن يكون أكبر انصالا بالعديد من رحال البلاط وبلاء المملكة ، وساعده هذا الانصال على ريادة الوقوف على ما بنطلع الله من المعلومات التي تساعده في نآلبقة التي سنعرض لها حالا وكان الجزء الهام من بعضها يتعلى بأحداب وقته لذلك كان عمله ينطلب منه الاطلاع على الونائق والمعاهدات والمراسيم التي صدرت ابان بلك المحبة ، وكذلك المراسلات التي وردت الى المملكة أو صدرت عها وكان عند هؤلاء الرحال الذبن أتبح له زياده الاتصال بهم ما يساعده على أكمل وجه •



وشغل وليم وظبفة المستشار الملكي التي كان يسغلها فبله « رالف » رئسس أساقفة بنت لحم الذي كانت وقاته في ابريل ١١٧٤ (٢٣) ، واد داك وقع الاحسار على مؤرخنا لنحل مكانه ، وأنه لبقول في دلك « ولكي يكون هناك من يحل موضعه في وظبفة المراسلات الملكنة ، فقد استحاب عموري لمسورة نارونانه وعيني في هذا المكان وخلع على وظبفه المستشار » (٢٤) .



<sup>(</sup>۲۲) الکتاب ۲۰ ، ف ۳۰ و ۳۱ .

<sup>(</sup>۲٤) الكتاب ۲۱ . ف ه

### مؤلفاته

لعد خلدت وليم مؤلفاته التي فقد منها ما فقد وبقى منها ما نقى ، ولولا كتابه الحالى لما عرفناه الا واحدا من كبار رجال الدين لا تذكرهم الاحين نقرأ عنهم في ثنايا الكتب ، أما هو فقد بقى اسمه على ألسنة طلاب الدراسات التاريخية لا سيما في تاريخ الحروب الصليبة نفصل هذا الكتاب الذي تترجمه الآن الى العربية ، والذي رأى النور لأول مرة في صورته الأصلية في القرن السادس عسر أي بعد أكبر من ثلاثة فرون من وفاة مؤلفه ٠

ولقد نوفرت أدوات التأليف عبد وليم من سعة اطلاعه على ما وصل الى يده من كنب نعدها اليسوم المصدر الأول للحروب الصليبية خاصة باللغة اللاتيبية وما بوفر لديه من الوثائق مما هبأ له الفرصه لأن يكون بارزا في الكنابة التاريخية وحجة موبوفا به فيما ألف ، حتى لقد عده العالم رسيمان « واحدا من أعظم مؤرخي العصور الوسطى » على الاطلاق (٢٥) ، هذا الى جانب القاله لكبير من اللغات الغربية والشرقية وفي مقدمتها اللاتينية وفرنسية العصور الوسطى والونانية كذلك المامه باللغة العربية الماما ساعده على الاطلاع على بعض ما كنب فيها ، كما يدكر هو وكما سنسير الله في موضعه ، ولن نقول مع بعض القائلين بأنه كان عارفا بالعبرية والفارسية فذلك قول لا نستطيع أن نؤكده ، وزيادة على ذلك كله فقد كان

Runciman A History Of The Crusades, vol., 2, p 437 (70)

verted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كبير النظر فى الآداب والمؤلفات القديمة لا سيما اللابيبه على كنابات كبار رجالها أمنال « أوفيه » و « شيشيرون » الدى يسميه أحيانا بصاحبا مما ساعد على أن يكون له فلم سيال ولغه مطواعة وقدرة على التعبير فى غير عسر على ما يريد أن يوصله الى قارئه •

#### \*\*\*

والمعروف أن وليم وضع ثلاثة كنب تاريخية ذان سمه معينه ، سعدل المال منها على فرب بالحروب الصلبية ، هذا الى جانب كماب آخر سنجل فيه أعمال المجمع الكنسى المنعقد في روما في نهايه سنة ١١٧٨ ، وحضره مؤرخنا على رأس وقد من كبار الأساقفه والمطاربة ، الى حاسب ممنال لبطرك ببب المقدس الذي عال مرضه اد ذاك بينه وبين حضوره هذا المجمع الذي يعبير أكبر المجامع اللي سهدتها المسبحية الغربية ، وشارك وليم فيما دار فيه من منافسان حطيرة ، وقدم نفربرا عن وضع الكنيسة والدولة في مملكة بيب المقدس اللاتمنية ، وقال البعص من مؤرخي هذا المجمع ـ وهم صادقون فيما فالوا ـ ان المجمع أعجبوا بوليم وعرفوا فيه رجلا فقنها ، وحجه في الملذ ، وملما ما ينتغي أن يلم به من يهنم بدراسة أحوال اللاتين في الشرق دينا ووضعا ، كما رأوا فيه معدثا لبقا ومجادلا يحسن في الشرق دينا ووضعا ، كما رأوا فيه معدثا لبقا ومجادلا يحسن الحدل ويفحم معارضيه ان احتاج الموقف الى الافحام ،

وعاد وليم من هذا المؤتمر الدينى وقد سبقته أخباره ، فسأله رفاقه كما سأله رجال من البلاط البابوى والكنائس اللاتبنية أن يضع كبابا عن أعمال المجمع ، فنهض بما التمسوه منه ، وجمع فى ذلك سفرا قبل انه أودع نسخة منه فى أرشيفات صور لكن الباحثين فى تاريخه وأعماله أجمعوا على ضياع هذه النسخة للأسف، كما ضاع اثنان من مؤلفاته الأخرى .

وعلى الرغم من عدم وجرد نسخه من هذا النفرير في الأيدى الا أن الأمر الدى لا يرفى النه السك هو أن « بعض » جلسات المؤمر نصمت بعص ما في نفرير وليم ، والعكس صحبح ، حصوصا وآن وليم كان أحد مفررى المؤنمر (٢٦) .

#### \*\*\*

اذا كان رفاق وليم قد التمسوا منه وضع هذا النفرير الذي صار كبابا من كب تاريخ المجامع الكنسية فان الفضل فيما ألفه من كب أخرى في منذان الناريخ يرجع الى الملك عمورى الذي كان حريصا على أن يبقى اسمه حيا على السنة الملأ من أهل عصره والأحبال التي بلهم ، لذلك فانه سأل صاحبنا وليم أن يضع كبابا عنه هو ذاته حاكما لمملكة بنت المقدس اللاتينية ، وترك بعظم هذا الكباب لمؤرخنا واثقا من أنه بفضل كفاءته وألمعننه \_ سوف نظاع على الناسي برضبه وكباب يرضبه و

واستجاب ولم لرعبة الملك لما رأى فى تحقيق هذه الرغبة من حفظ لباريخ مملكه بيب المقدس فى فيره كان هو نفسه ماهدها وعرض لما قد بقوم به عمورى من حروب برفع رايه المستحمه اذ كان الأمل معقودا على أن بسصر الملك على القوة الاسلامية مميلة فى مصر فيحلص له يستوطها وحه السرق الاسلامي بأجمعه .

وأقبل ولبم يخطط للكتاب الذى كلف بوضعه والدى سماه د انجازات الملك عمورى » Gesta Amalrici regis ، ثم حاء يوم, بدا للملك أن يمهد لعهده بعرض شامل لناريخ ملوك مملكة بيد.

<sup>(</sup>٢٦) أدين بالعصل في معظم هذه المعلومات الى مقدمة الدرجمة الانحليزية لهذا الكتاب الذي اشتمل الى حائب مادنه التي كتيها وليم ما أصافه المرحمان من حواش وتعليقات لو برحمت لكانت وحدها كتابا كبيرا في حد دانه .

verted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المهدس مند « جودفروى دى بويون ، الذى رأى عاية معاحره أن يعال له حامى الفبر المفدس فكان له وحده ما أراد ولم يساركه فى هدا اللقب غيره ، اد نعت الذين جاءوا من بعده بالملوك حتى يم لهم نطسو النظام الافطاعى على الصورة المعروف بها فى أوربا العربه .

صارح عموری مؤرخه برأیه فیما سنکون علیه صوره الکاب الذی یریده ۰

وفى رأينا أن عمورى كان يعتفد اعنهادا جازما \_ ويساركه وليم الى حد ما \_ بأن مصر لابد واقعة فى يده \_ بعد العهد أو فرب \_ وكان يرى أن فيحه اباها واستبلاءه عليها سبكونان بهطه انتقال كرى في باريح الهوى الصلبية وأنه بعادل فيح اللابين لبيت المهدس ان لم يرد عليه ، وبدلك بكنمل حلهات الحصار حول العالم الاسلامى ، ولعله كان برى أن استبلاءه على مصر يبسر له الطربي الى مكه والمدينة ، ولعن هدا كان فى سريرة الامير الصليبي \* « رينو دى شاتيون » الذى نعرفه المراجع الاسلامية باسم « أرناط » ، والذى كانت نهايته وبأديبه على يد صلاح الدين بعد قليل \*



و سرف أن سروع ولم في وصع ناريخ الملك عموري كان سمه المراد ، ونمثلت الخطوة الأولى منه في اتصال مؤلفه بالقادة وكبار الشخصيات التي ساهمت في الحملة على مصر ، وأما الخطوة النائية فكانب حمعه كل ما سسر له أن بجمعه ممن صحبوا الحملة وشاهدوا أحداثها وكان لهم نصيب فيها ، ولم يقصر اهتمامه على الأحداث السياسه والحربيسة بل حاورها الى وصيف الحكومة في مصر والبلاط الفاطمي و سرض لأولى الأمر من محططي السياسة المصرية اد داك ، و بلاحط أنضيا أن نساط الاسكندرية الحجاري استلفت التياهه .

على أنه ادا كان صدا الكتاب أصبح الآن فى عداد الكسد المفودة فلابد أن بعصه لا سيما ما ينعلق بمصر وارد فى الأقسسام الأخيرة من تاريخه الكبير الذى توجد الآن مرجمته العربية بين يدى فارئى هده الصفحات •

#### $\star\star\star$

ثم افىرح عمورى على وليم أن يكتب ىاريخا للمملكة منذ قيامها على أيدى اللابين ، وصادف هذا الاقسراح فبولا عند المؤرخ ، وصفق له قلبه اذ لبس أحب الى نفسه من تأليف كتاب عن القدس ، يحلد اسمه هو ويسرف قدره ويكون باريخا لأحب بلد الى فؤاده .

وهـكذا نلاحط ما لعمورى من فضل على طلاب الساديح والناطرين فيه حتى الآن اذ فكر في أن يكون هناك كناب عن المملكة ، وأن بقوم بوصعه الرجل الذي رآى فيه الملك كل ما يحببه اليه سمتا وخلقا ودينا وكفاءة وقدرة تساعده على انجاز هذا العمل الذي أدرك عمورى انه يجمع بن بلاية أمور كبيره ، أولها روعه الموضوع اذ هو عن بنت المقدس ، وثانيها بنان عظمة عمورى ذاته ، وثالنها دقة جامعه ولبم .

على أن عبول وليم اقسراح مولاه كان معناه ارجاء ما شرع عنه وما آنجزه منه عن عهد الملك عمورى ، كذلك كان لابد له من أن ينصرف الى تدوين ما قبل هذا العهد جاعلا نقطة الابتداء هى قسام بطرس الناسك بالحج الى الأحرام المسيحية فى بيت المقدس ثم رجوعه الى أوربا حاثا أمراءها وشعوبها والبابا اربان الثانى لمساعدة مسيحبى الشرق وارسال الحملات الى أرض فلسطين وبلاد النسام .

كان عمورى هو الدافع لوليم لكتابة كل ما كتب من كتب مى التاريخ ، فقد اقترح عليه القمام بوضع تاريخ لعهده ثم زاد فطلب الله أن يكسب له محلدا عن ماريخ ملوك المسرق ، ولكى يبسر علمه

المهمه فقد روده تكتاب في هذا الموضوع الأسحف مسرى ، يعرف العربه هو أوتوسيوس سعيد بن بطريق استعرص فيه العالم الاسلامي مند طهور النبي علبه الصيلاه والسلام حتى السية الحامسية من حلافة الراصي العباسي ، وهي سيامه ٢٢٦ هـ الحامسية من حلافة الراصي العباسي ، وهي سيامه ٢٢٦ هـ الذي سيماه كما قال \_ أو قال من وقفوا عليه اذ ذاك \_ « بأعمال الذي سيماه كما قال \_ أو قال من وقفوا عليه اذ ذاك \_ « بأعمال أمراء المسرق » "Gesta Orientalium Principum" ولنيا أن يتوقع أن حزءا كبيرا منه لم يكن سوى ترجمه لكتاب ابن بطريق ، وان لم سيطع الجرء بما تصميه كتاب وليم هذا لعيدم وصول نسخة منه الينا ٠٠٠ لكن ١٠٠ أين يوجد هذا الكتاب الآن ؟! ٠٠٠ دلك ما لا نعرفه مما يدفعنا لاعتباره في عداد الكتاب المفقودة بساء على خلو فهارس دور الكتب العامة من أية اشارة اليه أو الي صفحات يرجح أنها منه (٢٧)، هذا على الرعم من أن معدمة الترحمة الأمريكية لناريخ وليم نسير الى أن « ماتيو بارى » ذكر في «مختصره التاريخي» وجود كتابي وليم : التاريخ الكبير وتاريخ أمراء المشرق في مكتبة

#### \*\*\*

ومنا هدا ٠

سانب البانز البي حاو، بها ما حاق بمعظم المكسات الديرية في القوق السادس عشر ، وتمضى هـنه الاشارة فنبين أن نسحة من تاريخه الكبير، وحدة \_ التي ننرجمها الآن \_ هي التي قدر لها النحاة فانتقلت الى مكبة المبحف البريطاني ولا تزال محفوظة به حتى اليوم ، أما محطوطة أمراء المسرق فقـد فقـد ولم يوقف لهـا على أثر حتى .

<sup>(</sup>۲۷)ولم شر ولم الى عنوان كتاب سعيد بن نظريق الذى هو الناريح المحبوغ على التحقيق والمعروف بنظم الجوهر ، وكان في مكتبة الملك وهو الكتاب الذى نشره المستشرق الانحليرى « ادوارد توكوك » في اكسفورد سنة ١٦٥٩ وأرفقه بترجبة لاتينية ، كما طبع مرتبي بعد دلك بفرين وبصف قرن من الرمان في مطبعة الآناء السنوعيين بندوت الأولى منهما بنية ١٩٠٥ والثابية سنة ١٩٠٩ .

## تاريغه الكبير

على أنه بدا للملك في سنه ١١٧٠ ــ أى فبل وفائه بأربع سنوات ــ أن يبهد لحكمه بكباب يؤرخ للمملكة اللاتبنبه مند بدء الدعوة الصلبية حيى مستهل حكمه سنة ١١٦٢ .

وان اسمفراء ما حرى \_ وما بين أيدينا \_ ليفصح في حلاء عن أن هذا الافتراح قد وقع موقع الرضا من نفس وليم الصورى لأنه رأى أنه حين يقرغ من هذا الكتاب فانه يكون قد أرخ \_ كرجل دبن أولا \_ لما يعتبره جهادا دينيا مستحيا من وجهة نظره ، فيرصى بدلك مهوله ودراساته الني بوأنه مكانة كبيرة في عالم الكنيسة في القرن الثاني عسر ، كما أنه يكون قد أرخ لخمسة من حكام وملوك المملكة اللابيبة فيل عمورى(٢٨) ، كما يكون قد أرخ للنشاط الصليبي بعد استقرار اللاتين في الشرق ، وما كان بينهم وبين الجماعات المستحنة الأخرى من غير مذهبهم كالأرمن والسريان والبعاقبة والأرثوذكس ، ثم ما بين هؤلاء حميعا وبين المستلمين من صليات سلمة أحيانا أخرى .

لذلك مما المفر عن تأليفه للذلك مما أسفر عن تأليفه للماريخه الكبير "Gesta Hierosolymitorum regus" الذي لم يقف به عند سنة ١١٦٦ ( وهي بداية حكم عموري ) بل حاوزها

<sup>(</sup>٢٨) وحتى بهم حودفرى دى بويون وان لم يلعب بالملك ، ثم بولدوين الأول فالتائى ، ثم فولك دابحو فولدوين الثالث ٠

فسمل كل عهده ، ثم طالت حتى وقفت عبد سبة ١١٨٤ ، أى بعد موت الملك بعسر سنوات بناول فيها حكم ولده بولدوين الرابم

والواقع أنه اعتبه في الهسم الأول الذي يمند حتى سنة ١٠٢٧ على مصادر لابينية عاصر أصحابها أحداث الهبرة من ١٠٩٥ حتى ذلك التاريح ، ويمكن أن نقول انهم كابوا ثلاثة أو أربعة ، في مقدميهم من نسميه بالمؤرخ المجهول الذي كان من غير شك من أهل انطاليا ، والذي رافق حملة بوهيمند بن روبرت حسكارد وكان بوهيمند هذا مؤسس أول امارة صيلبينة هي انطياكة منتزعا اياها من أبدى المسلمن .

وقد نبعثرت أوراق كتاب هذا المؤرخ المجهول ولم يبق منها الا القلبل الذي جمعه الباحنون وسموه باسم Gesta Francorum" وقد ترحمناه الى العربية بعنوان « أعمال العربجة وحجاج بيت المقدس » (٢٩) •

والى جانب هذا فقد نظر وليم فيما كتبه روبرت داجيل الذى يرجمه الدكتور حسين محمد عطية باسم « تاريخ الفرنجة غزاة بيت المدس » (٣٠) •

كذلك نرى ولبم يعتمد على ما سبقه اليه فولسر دى شارىرر ويعرف كتابه باسم

'Fulcheri Carnotensis historia Hierosolymitana 'Fulcheri Carnotensis historia Hierosolymitana '1095-1127)' وهو آخر ما لديما من باريح ساهـد عبان لفنره

<sup>(</sup>٣٩) فيما ينعلن نصاحب هذه المذكرات قانا تعيل القادى، الى ما فلناه عنه والى دراسينا لمذكراته فى مقدميا للبرحية المربية المشار النها وقد شرتها دار العكر العربي ، الطبعة الثانية سبة ١٩٦٢ ·

<sup>(</sup>٣٠) نشر به دار المعرفة بالاسكندرية سنة ١٩٨٩ ٠

امندت ما يقرب من ثلاث وثلاثين سنة تقريبا مند أن حطب البابا ايربان النساني حطبه الباريحية المسهوره في كلبر مونت بجنوب قرنسا فأشعل نيران حروب استمرت عدة قرون ·

ویتبین لما \_ من سرد هؤلاء المؤلفین \_ ان المادة التی تضمیمها مدکرانهم أو أورافهم وقفت عبد سنة ۱۱۲۷ م ، وکانت ماده وفیره راح یقارن بعضها ببعض ، فما صح منها فی بفسه أبعاه ، وما أنكره نحلی عنه ولم یأخذ به ٠

#### \*\*\*

ولعل السمة البارزة في كتابات ولم عن هذه الفرة بالذات مي أحذه بوحية النظر الغربية في سرده ويعليقه على الأحداث ، وذلك راجع كما قليا الى وجهة نظره في الأصول التي خلفها كتاب مسيحيون وقساوسة ورهبان صحبوا المجبوش الصلبية المكرة على اختلاف حنسيات زعمائها وقوادها ، ونرى هذا الطابع واضحا في نقده المر للامبراطورية البيزييطية ولا سيما امبراطورها الكسيوس كومنين (٣٥) ، وهو نقله أميل للهجو المقدع أكبر فيه من نعتها « بالحيانة » حتى فضل عليها المسلمين في بعص الأحيان وقد ترسبت هذه النهمة القطعة في نقوس الأوربين حيلا بعد حيل لمدة قرن من الرمان حتى العجرب في سية ١٢٠٢ م فيها عرف بالحملة الصليبة الرابعة التي توجهت الى القسطيطينية وأذالت امبراطوريتها

<sup>(</sup>٣٥) شير هنا الى اعترامنا بادن الله شر ترجبتنا العربية لكناب والكسياد » للمؤرجة أنا كرمين Anna Comnena بعد فراغنا من شر كتاب وليم الصوري هذا •

لىعود \_ رعم أنف الصليبين العربين \_ للوجود بعد ما يبيف على نصف فرن (٣٦) .

وقد غيرت هـذه الحمله الصليبية الرابعة المهـوم الصليبى وبدلت معالم الوضع عامة والخريطة الجغرافية لبلاد اليونان وحاولت بديل الناحية الديموجرافية بصورة ملحوظة ·

كانب هده في الواقع هي صفه المرحلة الأولى من باريح ولم الكبير أما المرحلة السابية فنبدأ من بكوين مملكه بيب المصدس واستكمال البسه اللائينيسة بناسيس الرها وأنطاكه وطراباس كامارات لاتينية استبعدت كلها القاعدة الأساسية التي كان يجب أن ترنكز عليها لتضمن بقاءها لأننيا نراها أهملت بصاما أهل البلاد الأصلين حتى من كان منهم مسبحيا ، اذ عدهم المحيلون طبقة ثانية في المجتمع الجديد وربما وضعوهم في مرببة أدبى من هده أبضا علم بيطروا اليهم الا كعملاء أو فعلة أو صياع بدلون الجهة أبضا علم بيطروا اليهم الا كعملاء أو فعلة أو صياع بدلون الجهة للتحقيق مآرب السيادة الواقدين الذين لم يسمحوا لأهل هذه الطبقة الكانية بأن يكون لهم رأى في توجيه السياسة بل صيروها أوربية اقط عنه ، وظنوا أنهم فادرون بذلك على الاحتفاظ بها الى الأبد ، باسين أن هناك أجبالا من بين اللاتين ما سنظهر على مر السين ويخمد في نفسها الكراهية لإهل البلاد ، كما يعلى عليها الزمن والبطور أن تبنعد الرابطة ببنها وبين اللانين ، على حين تزداد هذه الرابطة ببن هذه الأحيال وبين الأهالى الأصلين .

على أن وليم يشمر في أكثر من موضع من تاريخه الكبير الى اطلاعه على وثائق ومراجع عربية دون أن يذكر موضعها وسكت عن

<sup>(</sup>٣٦) انظر فنح القسطنطينية لروبرت كلارى ، برحمة حسن حشى وشر مكتبة الشرق الأوسط ، وانظر أيضا مذكرات فلهاردوان ترجمة حسن حشى ، وقد شرته حامعة الملك عبد العزيز بحدة سنة ١٤٠٥هـ .

verted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version

سسمسها كما عو سابه في مراجعه بعير عده اللعه لا سدما اللابيسية .
وما تحسب عده الوثائق الا أنها كانت موجودة في أرشيفات القصر
الملكي بالقدس وكذلك ربما استعان بما في مكتبة الملك عموري التي
لابد وأنها كانت حافلة \_ الى حد ما \_ بكتب عربية وقد أشار أحد
المؤرخين (٣٧) الى أن سفينه كانت تحمل قيما تحمل كتبا لاسامة
ابن منفذ جمعت قرب صور فاستولى عليها بولدوين النالث وأضافها
الى مكتبة القصر .



أما الفترة الثالثة من كتابه فهى التى تميزت بظهور المنارعات بين الصليبين أنفسهم وبعكيرهم تفكيرا بوسعيا لم يقف عند حدود بلاد الشام وشمال العراق بل جاوز هذه الحدود الى ما وراءها من فوى اسلامه صعره ، وبلعت هذه العكرة دروبها عند الملك عمورى في تخطيطه لتوسيع رقعة مملكة بيت المقدس الى خارج حدودها الحدوبية عند مصر الفاطمية فالأيوبية بل ان بعض هؤلاء الأمراء اللاس كابوا من المحاطرين الدين ذهب أحدهم مذهبا حدوبيا بعبدا مطلع الى مكه والمدينه ،

وكان رجال هذه الفترة النالبة يرون أن فتح القدس والاسبيلاء عليها سينة ١١٠١ هو الخطوة الأولى على طريق دعم الصلبية في السرق الاسلامي وأن هذا الفتح قد أدى مهمية وأنجر عايبة بالاستبلاء على بعض الامارات في الشيام، وأن الخطوة البائية لهذا الدعم الصلبي هي فنح مصر، وساروا في هذا الطريق خطوة عملية ملحوظة في هجوم عموري أكثر من مرة على مصر، وهو هجوم أطال

راجع . Hitti A Syrian Gentleman, p 61 ميث أشارت اليه مقسدمة الترحمة الانحبيرية لكتاب ولم .

ولم فى عرضه وان عاد منه الغزاة مفلمى الأظفار ، منهوكى القوى ، وقدر لولتم أن بستاهد أولبات هذا الانهاك منصلا فى ظهور صلاح الدين الأيوبى بعد أن استقر فى مصر وحمل راية الحهاد النى ورثها عن نور (٣٨) الدين محمود بن ذنكى صاحب حلب والموصل وتمنز هذه الأحداب بعكس ما كان يرجوه دعاة الغزو اذ أدب الى نفكك الهبكل الصلبى ، ولقد واكب وليم فى أحريات أيامه هذه الفنرة بل وكان فى ركب بولدوبن الرابع فى محاربه الصلاح ببلاد السنام ولم نفته الإشارة الى ذلك كله مما يشكل الجزء الأكبر من الكنب البلانه التى خنم بها مؤلفه حتى دحرجت ما عداها ، مما يخيل الى قارئه أنه يكتب باريخ مصر \_ من وجهة نظره \_ أكثر مما بكتب باريح القدس .

#### \*\*\*

ان ما معة الكلام عن هذا الماريخ الكبر الذى سرجمه الآن الى العربية هى فى الوقت ذاته كلام عن سيرة مؤلفه الذى لو كان قد وقف فبه عمد سنة ١١٧٤ اللى مات فبها عمورى وهو فى النامنة والملاثب مى عمره لما لامه أحد ، اذ يكون بما كمه حتى ذلك العام عد أوفى معهده للملك الراحل فى ادراج عهده عى هـــذا الكتاب الماريخى وألحقه تاريخ المملكة منذ تأسيسها .

لكن كانت هناك ثلاثة أمور تحمله على متابعة الكتابة عن الملك الصعر أولها أنه هو ابن مولاه الراحل ، وثانبها الوفاء لدكرى أبيه ، وثالنها أنه هو نفسه كان ولا يزال معلم الملك الجديد ومثقفه ، وهكذا كان وليم يعيش في جو يعبق بكل ما يذكره بعمورى ، وهل هناك

<sup>(</sup>٣٨) اطر حسن حشى · ثور الدين والصلبيون أو حركة الافاقة الاسلامة في القرن السادس الهجري ·

أكثر من أن يكون ولده بولدوين الصبى قد حل مكانه يوم ١٥ يولنو الكر من أن يكون ولاء بولدوين الصبى قد حل مكانه يوم ١٥ يولنو

#### \*\*\*

وعاش وليم بعد موت عمورى ليكسب عن بولدوي الرابع ثلامه أبواب أو «كسب» كما يسميها (2) ، ولا يحسبن العارى أنه أطال في الكمايه عن عهد بلميده الملك ، بل لفد خالف كل ظن اد أوجز حين كان الاسهاب معوفعا منه ، وكان ظن الدين لا يدرون نسيئا عن بواطن الأمور ولا يعرفون منها عير ظاهرها أن له دالة على بولدوين لعربه منه ، وأنها سبح له فرصه أكبر مما قد ساح لعيره في الوقوف على كل أسرار الدولة ، لكن الوضع الجديد في المملكه كان مهيئا العرصة لقوم حاولوا جهدهم ابعاده عن الملك أو فرص رفابة علمه حيى لا بعمد الى تكوين حزب موال لبولدوين يفسد نظلعان الطامعين في الوصاية على الملك .

ورأى وليم سماء المملكة تتلبد بالغيوم والعواصف السماسيه . كما هاله اسمعال القوة المصرية استفحالا شجع آهل دمشق على أن يسلموا بلدهم وما حوله الى صلاح الدين مما جعل المملكة نوشك أن نقع بين سفى الرحى من السمال والجنوب ، ورأى من الخير أن يسعل نفسه بالاهمام بالأمور الكنسية والانصراف الى معاودة الاهمام نكمابة تاريحه الكبير وكان يجد بين هذا وذاك ساعات يعاود فها هوايه العديم الغربي ، ونعى نها مطالعه كنب البراب العديم الغربي .

وقد أحس وليم بالحزن الشديد يسيطر عليه وزاد ألمه أن يضبع أمله في أن يصبح بطركا لبيت المقدس في أعقاب وفاه بطركها

. ".,

<sup>(</sup>٣٩) الكتاب ٢١ ، العصل الثاني ،

<sup>(</sup>٤٠) هي الكتب ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ٠

أمالريك فقه سكن منافسه هرفل يوم ٦ أكبوبر ١١٨٠ من أن سلبها منه نفصل الملكة الأم « أحنس » وحربها • ومما بطهر ألمه الشديد لصياع أمله هذا أنه سكت سكونا سبه مطبق عن ابداء رأيه في هذا الانتخاب لما بسره في نفسه من آلام وأحزان فكل ما قاله في هذا الصدد « • • • مات أمالريك بطرك ببت المقدس بعد عسرين سنة من توليه بطركه الفدس ، واد ذاك أخير مكانه هرفل رئيس أساقفة قيصرية » (٤١) •



#### منهحــه:

سار ولبم على نهم القدامى فى نقسىمه لمؤلفه هذا الى ما سماه به « الكتب » البى هى فى مصطلحنا البوم «الفصول» أو «الأبواب» ، كما فسم كل كتاب الى ما سماه «بالفصول» ، و بعنى بها «الفقرات» التى تضمنها هذا « الكتاب » •

وقسم ولبم تاریخه الکبیر هذا الی ثلاثة وعشرین « کتابا » تکاد تکون منساویة فی الطول الا الأخیر منها ، کما یدو أنه خص کل ملك من ملوکها « بکتابین » لم بستثن من ذلك سوى « جودفروى » فعد آفرد له کتابا واحدا ، وطبیعی آن بکون ما خصه به قاصرا علی کتاب واحد لأن فترة حکمه لم تجاوز سنة واحدة ولم یکن معدودا بین من تولوا حکم مملکة بیت المقدس وسمی کل واحد منهم بالملك ، اذ انفرد هو عنهم جمیعا بلقت حامی القیر المقدس •

كذلك خص بولدوبن الرابع بنلاثة كتب ، أما الفصول التي يشتمل عليها كل كتاب فكانت فقرات بسيطة قد لا بتجاوز الفصل

<sup>, (</sup>٤١) الكتاب الثاني والعشرون ، الفصل الرابع ٠٠

verted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مىها ـ حسب سىمبىه ـ صفحه واحده قال راد كال صفحين ، وكال كل كناب يسلمل على ما يقرب من ثلاثين « فصلا » الا الأخير قلم يسلمل على أى فصل بل كال ملخصا شاملا برجم فيه عما يشعر به من احباط .

#### \*\*\*

وقد مهد لذلك كله بسمانية كنب قبل أن يبدأ بكنابه عن جودفروى أسار في أولها الى ما أسماه بصحوة المسيحية لتخليص القدس وبين فيه نساط بطرس الناسك وطلائع الحملة الأولى عير البطامية ثم ثنى بتحمعات الصلبيين في المسطيطينة بالاستيلاء على بيقية والزحف على آسيا الصغرى ، فاذا كان الكتاب الرابع قد تباول احساح الصليبيين لسمال الشام وبدء حصار أنطاكية التي استغرق حصارها عنده والاسنيلاء عليها الكباب الخامس أما السادس فيتعلق يما لاقاه الصليبون من حصار وانتصارهم الدى مهد اللاستقاف في صعوفهم لولا أنهم تابعوا زحفهم الى بيت المقدس وهو ما اسنغرف بأحمعه العصيل السابع . أما النامن فهو بهاية رحلة الحج والاستبلاء على القدس ثم يلى دلك ما كسبه عن حودفروى فالملك بولدوين الأول وبوسع المملكه في عهده واتساع رقعة أنطاكية ثم بولدوين النساني والاصطرابات في سمال الشام وهده استغرفت منه أربعة كنب هي الماسم والعاسر والحادي عسر والناني عشر وهما يمنهي الجزء الأول من هذا الباريح كما ربيه وليم لبيدأ الحرء الساني والاستستيلاء على صور وامداد النفوذ الملكى على الامارات اللابينية أما الكتاب الدلى لدلك وهو الرابع عسر فمن عهد فولك دانجو ويلسمه الحامس عشر عن محسالاوت الامبراطور البيزنطى حنا لبسيط نعوده على الامارات الصللينة ثم يجيء عهد تولدوين الشلك والملكة الأم « ملسرىه » وحبر الحمـــلة الصــــلبية النانية ويرتبط بدلك مباسره الاستبلاء على عسمهلان وفسمل الحملة المذكورة

nverted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

حالا بم البطلع الى مصر وكل دلك بيضمية الكتب السيادس عشر والسياع عشر والثامن عشر فاذا كان الكتابان الباسع عسر والعسرون فهما امتداد لنرجمة هذا التطلع الصليبي الى صراع مع مصر حول مصر ومحاولة عقد بحالف صليبي بيزنطى لفيحها وذلك في عهد الملك عموري ، ثم يبدأ الكتاب الحادي والعشرون ببولدوين الرابع الأبرص وننازع المسالح النسخصية بين الجماعات الصليبة ثم ختام ذلك كله في الكتاب الثالث والعسرين وفيه نرى وليم ينساءل : أمن المكن أن يتم انقاذ القدس على يد ريموند صاحب طرابلس ؟ وبدل هذا الاستفهام من جانبه على أنه كنبه في أثناء الصراع بين الأمراء الصليبين في محاولة كل منهم السيطرة على ببت المقدس ، وكانت الأحوال لا سيما ظهور القوة المصربة الصلاحة يمئل خطرا على الصليبين أدركه وليم وصرح به ثم أثبت سير الأحداث صحة توقعاته ،

#### \*\*\*

وبعد فهذا نعريف عاحل بولم الصحورى وكتابه الذي كان الحافر لى على برحمه هو صامى بتدريس الحروب الصليبة في كلية الآداب ( جامعة عن سمس ) بعد عودتى من انجلترا ، نم شامت الظروف أن أقوم بالمحاضرة في نفس المادة في قسمى المكالوريوس والدراسات العليا بكلبة الآداب والعلوم الانسانية بجامعة الملك عبد العزيز بجدة ، واعتبرت هذا الكتاب وهو وثيفة تاريخصة معاصرة لبعض الأحداب والنجريدات الحربية على العالم الاسلامي من منطلبات محاضراني هناك ، ثم طرأت فكرة تقديمه للنسر بالكلبة بجدة ، فرآى زميلي وصديقي الدكتور حمد محمد العرينان أن تكون بدئرات فلهاردوان » عن الحرب الصليبية الرابعة هي باكورة ما تنشره لجنة البحت العلمي بها ، وحظى الكتاب بموافقه المجلس العلمي للجامعة هياك .

verted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version

وان كناب رئيم الصورى هذا لهو واحد من مجمرعة الكيب والوثائق المعلقة بده الحروب والمكبوبة بأفلام معاصر بن لها من غير العرب والمسلمين ، وحمدا لله ان مكبني من نسر خمسه مصادر منها حبى الآن ، وفي الطريق ـ ان شاء الله ـ اثنان ، أحد عمل هو « الاستنيلاء على دمياط » لبادربورن ، والآجر هو « ألكسسياد » أو باريخ الامراطور البيزنطى ألكسيوس كومين بغيلم ابسته « أنا كومنين » .

ولعد اعتمد في ترحمن العربية هذه على السيخة الانجليرية الني اضطلع تترجيها والتعليق عليها المؤرخان السيدة اميلي اتوانر بالكوك ، و أ كراى سنة ١٩٤٣ وهي في مجلدين ضحمن ، وقد تعصيلت مكية جامعة العاهره فأدنت لي بتصويرها .

ولفد عنت من جانبى بالمحافطة على معهوم النص وروحه بقدر الامكان ، مع مراءاة الجانب العربى من حنب اللغة والأسلوب ، عير أننى أبحت لنفسى أن أستعمل لفط « الصلبين » في مواصع حاصة حين رأيت سباق الموضوع ينطلب ذلك حتى لا يختلط الأمر على العارى، ، فلا يعرف أي الجماعات المستحمة بقصدها المؤلف •

أما ما أصفه الى الرحمة العربية \_ وهو فلبل \_ فعد وضعته بين حاصرين على هذه الصورة [ · · · ] ، لكن حذفت من الترجمة العربية بضعة أسطر أمليها على المؤلف طبيعة العصر والأحداث ومركزه الديني ، وهي سطور قد تكون لحمتها المعصب وسداها الحمل بالاسلام وعدم ادراك كنهه ، ولم يؤد هذا الحذف الى فراغ في سباق الموضوع أو الحلال به ·

noverted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وسنصدر هذه البرحمة باذن الله في أربعية أحزاء بدلا من النس كما في الانحليزية وأرحو من الله النوفيق والهداية •

الفاهره في :

د، حسن حیشی

الناسع عن المحرم سنه ١٤١١ ع.

الحادي والبلاين من بولبو ١٩٩٠ م



verted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version

## كلمة شسكر

أرى لراما على أن أنعدم بالسكر الحالص للصديق الكريم الاسماد الدكور عبد العطم رمصان اد نفضل فجعل هذه النرجمة من سلسلة مطبوعات « تاريح المصريين » التي يشرف على اصدارها •

كما أشكر الصديق العالم الأب جورج قنوابي بدير الآباء الدومنيكان بالعباسيه فقد أعاسى بكير مما يعرفه هو وأجهله أنا من ارسادات العهدين القديم والحديد وأدن لى في الرحوع الى مكتب الدر .

والمنه في عنفي لمكننه جامعه الفاهرة اد أدنت لى تنصيبور السرحمه الانجليزية كاملة وبدلك يسرب لى العكوف على نفيله الى العربية أنى كن ، وشيكرا للقوامين على مكتبات جامعات القاهره واسكندريه وعين سنمس والملك عبد العزيز بجده ، ولزملائي وتلامبذي وأصيب قائمي في مصر والخارج ، وليلميذي القديم نبركي هزاع الدركاني من السعودية فقد طالع معى مخطوطة هده الترجمية ويغضل بسخها ثم كتابتها على الآلة الكانية .

,C, E



العروب الصليبية ( ۱۰۹٤ - ۱۱۸۶ )



من وليم ـ الذى لولا رحمة الرب ما استحق ان يكون خادما للكنيسة المقدسة فى صور ـ الى الاخوة السيحيين الموفرين الذين قد يصلهم هذا الكتاب ٠٠٠٠ لكم الحلاص الأبدى من أجل السيد ٠

لا يسك اسان عامل في أن تدوين أعمال الملوك مهمة محفوفة بالصعاب والمخاطر ، وإذا نحينا جانبا ذكر الجهد الذي لا يسهى والمعاناة التي لا ينفضي ، وما ينطلبه عمل من هذا البوع من النحلي بالبفظة الدائمة ، فإن هوة سحيقة تفتح فاها أمام كاب التاريخ الذي يلقى المسقه العظمى في محاولته نجنب هذا الأمر أو ذاك ، دلك لأنه في الوفت الذي يحاول فبه النجاه من « خاريبديس » ، فالأرجح أنه سوف يقع في براثن « سكيلا » التي تعرف كيف بدمره الدمار السامل وهي محاطة بكلابها ، ذلك لأن الكاتب اما أن يؤحج غضب الكثيرين ضده وأثناء جريه وراء حقيقة ما وقع ، وإما أن بلتزم الصمت ازاء مسيرة الأحداث أملا منه في أن يقلل ما أمكن من

verted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version

الامعاص منه ، حتى ببدو بلا أحطاء ، ودلك لأن بعمد مجاوزة الصدق واخفاء الحفائق عن قصد يعبر أمرا مخالفا نمام المخالفة للواجب الملقى على عانق المؤرخ ، ومما لا شك فيه أن فسل الفرد في أداء الواجب المفروض عليه انما هو خطأ ، اذا كان مفهوم الواجب في الواجم هو ، مطابقة سلوك كل فرد لما ينفق وعادات بلده ونظمه » •

ومن ناحمه آحرى قال الحرى وراء سلسله من الأحداث دون الحال بعير عليها أو بحريفها عن محجة الصدق انما هو مسلك ينير الغصب على الدوام ، اذ يقول المل العديم « ان النغاضي عن الحق يكسب المرء الأصدقاء ، أما التصريح به فبورث الكراهية » وينرتب على دلك أمران :

اما أن يتراخى المؤرخون فى أداء الواجب الذى تقتضيه مهمنهم فيبالغون فى اظهار النوقير الذى يجاوز كل حد ، واما أنهم فى بحمهم الجاد عن حقيقة مسألة من المسائل يجلبون على أنفسهم الكراهبة الى ننجم عن قول الصدق ، ومن ثم فان السائد هو آن من سمة هذين السبيلين أن يخالف كل منهما الآخر ، وأن يصبحا مصدر بعب لما بعرصانه من مسئلرمات لا مناص منها .

لقد عال كاتبنا شيشيرون « لئن كان الحق مضنيا لما ينجم عنه فى الواقع من كراهنة مطبعة للصدق فان الاستسلام أشد رزية » ، وذلك لأن تعامل المرء بلين مع الصديق يحمله على الاندفاع فى التهور المؤدى للخراب » وهذا احساس يتعكس على المرء الذى يجور على مقتضيات الواجب فيكتم الحقائق الثابتة رجاء أن يكون اريحيا •

ان الكناب الذين تدفعهم الرغبة في المداهنة الى أن يُضَمَّنوا عن قصد في ثباياً مؤلفاتهم التاريخية ما ليس بحق انما يسلكون مسلكا شائبا ، والأحرى أن لا يُدرجوا في عداد المؤرخين ، وإذا كان

verted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

اخفاء الحقائق النابتة المتعلقة بأمر من الأمور يعنبر أمرا شبيعا ينافص مهمة الكاتب نمام المنافضة ، فالأنبد سناعه منه هو أن يخلط الحق بما ليس بحق ، فيقدم للأجيال القادمة التي نعنفد فننا قول الحق ما هو كذب صراح على أنه حقيقة ثابتة .

وزيادة على هده المحاطر فال كالب الباريخ كبرا مذ يفابل منل هذه الصعوبة \_ بل وما هو أشد منها \_ مما يحنم علمه أن يبدل قصارى جهده لتجببها بقدر الامكان ، وأعنى بذلك أن كرامة الأحداث التاريخية الشامخة قد تنهار بسبب ضعف العرض ونقصان البلاعة ، لذلك ينبغى أن يكون أسلوب الكانب في عرضه للأحداث على نفس المسبوى العالى للأحبار التي يروبها ، ولا يسعى أن تكول لعه الكالب وطريقة عرضه للموضوع دون المستوى الرائح الدى يجب أن ينوفر للموضوع ، ومن ثم فان أكبر ما يخساه المرء هو أن يؤدى العرص السقم الى افساد عظمة الفكرة ، فتبدو الأعمال الحوهرية وكأنها نافهة عديمة القيمة بسبب الضعف الذي بعتور سردها ، وقديما لاحظ الخطب المصقع ( شبسرون ) في القسم الأول من كتابه والحوار التوسكاني » أن تدوين المرء الأفكاره \_ بدون أن تكون عده والقدرة على حسن ترتيبها أو ابرازها في جلاء تام ، أو حعلها شبقة تجذب القارىء اليها انما هو عمل رجل يسيء الى الأدب بجهالة وبعد وقته هباء » \*

#### \*\*\*

ويبدو أننا في كتابنا الحالى هذا قد وقعنا في محاذير منعددة وسببهات حمة ، دلك لأن سرد الأحداب بطلب منا أن ندرج في هذه الدراسه الني نعوم بكنابتها الآن كنرا من النفاصبل عن أخلاف الملوك السخصية وحياتهم وطباعهم الذاتية ، غير ملقين بالا عما اذا كانت هذه الحقائق حميدة في حد ذاتها ، أم أنها خليقة بالنقد الذي

تستحقه ، ومن المحنمل أن نجد الأجيال التالية لهؤلاء الملوك \_ حين مما بعيهم هذا الكباب \_ صعوبة في قبول ما احبواه بين دفتيه ، أو فد نغصب هده الأجبال من المؤلف غصما لا يستحقه • وحيمذاك سوف يعبرونه أحد رجلين: اما أنه كذاب أشر ، أو حاسد كفور •

ويعلم الله أننا بذلنا جهدنا كى سجنب النهمنين نجنب المرء للطاعون •

أما ما سوى دلك فمما لا شك فبه أنه كان اندفاعا منا أن نحاول القيام بعمل هو فرق طافيا · كان فبه لعينا لا برقى بحال من الأحوال الى روعة الموضوع وحلالة قدره ، ومع دلك فقد نسنى ليا أن نبجز شيئا ما ، شأنيا في ذلك شأن الذين لا دراية لهم بالرسم ولم يققوا على أسرار هذا القل حين يسمح لهم في العادة برسم الحطوط الأولى لصوره ما فبضعون الألوان غير المناسبة ، ثم بجيء بعد ذلك يد الفنان الصباع العارف بالألوان فبضيف لمسات جمالية أحسن من هذه اللمسات ، ولذلك فنحن مع شدة تمسكنا بالصدق أحسن من هذه اللمسات ، ولذلك فنحن مع شدة تمسكنا بالصدق الدى لم بحد عنه قط في فد قمنا بمحاولات كبيرة لوضع الأسس التي يمكن للباني الذي يبزنا بمقدرته الرائعة في أن يقيم عليها صرحا متكاملا ،

وربما كان الأحدى أن أنوذ بالصمت بسبب القصور الخطير والعثرات الجمة الني تننظر هذا المجهود ، وكان الأحرى بي أن أصمت وأرغم على الكف عن الكتابة ، غير أن ما تملكني من حب دائم لوطنى قد دفعنى لولوج هذا السبيل ، اذ كانت احباجات الوقب تبطلب رجلا مطبوعا على الاخلاص ، مستعدا لبذل حباته في هذا السببل .

وأعود فأكرر أنه من حق الوطن ألا تظل نلك الأعسال التى أنجزها هذا الوطن مطمورة في زوايا الجهل وطيات الاهمال على مدى قرن من الزمان ، وأن يسمح للسيان أن يسحب علمها ذيوله من عير حق بل ان عدا الوطن بأمرى بعكس ذلك اد يأمرنى بالحفاط عليها عن طريق علمي من أجل نفع الأجيال الفادمة ·

لذلك فقد استجبت لاراديه ، وشرعت في مهمه يأبي الشرف التبحي عنها ، ونهضت غير عابى، بعد الأجيال التاليه ، ولا مكرت بأي حكم يحكم به على أسلوبي الصعيف في معرض يناول مثل هذا الموضوع الجليل •

وليس من شك في أننى لبيت بداء الوطن بنفس الحماسة التي بذلها هذا الوطن ، عسى أن يكون العمل جديرا بالثماء الذي يتفق مع الاخلاص .

لقد انجذبنا بروعة تراب وطننا ، ولم نعباً بضآلة امكانياتنا ، ولا الجهد الذي يبذل ، من عير اتكال على مساعدة ما ، ولكننا فما بهذا العمل مدفوعين بالود الصادق والحب الخالص .

يضاف الى هذه الحوافز ما أمر به الملك عمورى الأول عدس الله روحه وصاحب السجل الباهر في الجهاد من أجل السيد •

ولقد حفزنى هذا الأمر \_ وأسباب هامة أخرى \_ على أن آخذ على عامقى القمام بهدا العمل ، أضف الى ذلك أنبى ومت بوضع باريخ آخر غير هذا التاريخ استجابة لأمر الملك الذي أمدنى بالوبائى العربية الضرورية ، وكان المصدر الرئيسي الذي اتخذناه لذلك هو استعمالنا كتاب تاريخ بطرك اسكندرية الموقر سعيد بن البطريق الذي يبدأ من زمن [ النبي ] محمد [ صلعم ] متضمنا أحداث خمسمائة وسبعين سنة ، أي حتى عامنا الحالى هذا الذي هو عام ١٩٨٤ من مولد المسيح ، ومع ذلك فلبس بين أيدينا لهذا الكتاب الحالى مصادر مكتوبة سواء في اليونانية أو العربية للاسترشاد بها ،

والما كان اعتمادنا على الرواية السفهية وحدها ، الا في ايراد فليل من الاحداب التي ساهدناها بنفسنا ، وسبعنا سير الحوادب ، فيبدة الكتاب بسفر أولئك الرجال والرعماء المعناوير الدين أحبهم الله فحرجوا استجابة لبداء السيد من ممالك الغرب ، واستولوا بيد فوية بعلى أرص الميعاد ومعظم بلاد السام ، ولقد تابعنا باخلاص عظيم الباريخ ابيداء من هذه النقطة لفنرة تجاوزت آربعة وثمانين عاما ، انتهت بعهد بلدوين الرابع بهم وهو السابع في ثبت الملوك ، عاما ، انتهت بعهد بلدوين الرابع بوهو السابع في ثبت الملوك ، منا في أن يرداد ويكمل علم أي راغب في مزيد من النفاصيل بأحوال البلاد السرفة فعذ وصفنا أولا في ايجار واحتصار منى كان الحدلال هذه البلاد وكم كانت المآسي التي نحملتها كثيرة ، كما ألمما أيضا بوصف حال المؤمنين من أهل تلك الحقبة الوسطى الذين كانوا يعيشون بين مارقي هذه الأرض ،

ثم ذكرنا كيف نهض أمراء ممالك الغرب لتحمل مسئولية الحج بهدف بحرير احوانهم بعد طول الاسر الذي عانوه •

#### \*\*\*

مادا فدر العارى المهام المعددة المنباينة السي نقع على كاهلما فانه سوف يكون على يقين من أننا قد قاسيما مشقة كبرى ازاء نوع هذه المهام ، السي كان أولها المسئولية الضخمة المتعلقة بأمور نتصل بأسقفية صور الشهيرة الداخلة تحت حماية الرب ، والتي تم اختمارها لنوليها ، لا لميزة خصصنا بها دون سوانا ، ولكن فضلا من الله وحده •

. وأما ثانيها فقد وكل الى القيام بأعمال خاصة بجلالة الملك حبث نيطت بى ـ فى قصره الشريف ـ وظيفة المستشار ، هذا بالإضافة الى ما كان هنساك بين آونة وأخسرى من شتى الأمور التى تتطلب اهتمامنا ، فاذا أخذ القارىء هده الأمور بعين الاعبار فانه سوف يكون أكثر تسامحا معنا ال هو وجد في الكتاب الذي هو الآل بين بديه شيئا لا بعبله ، دلك لأنه حين يكون المرء مسعولا بمساعل منباينة فانه من المستحيل على الذاكرة أن تنسط على الوجه الأكمل ، كما يشق عليها أن تولى كل موضوع ما هو قمين به من العنايه ، كما أنه من المستحيل على الانسان أن يصرف عنايته الكلبه الى شسى المواصبع، وأن يوزع اهمامه عليها جميعا ، ثم يطلب منه أن يكون له من النشاط الذهني ممل الذي يفرض أن يكون له لو أنه كان قد صرف همنه الى أمر واحد فقط •

ومن ثم فان المرء اراء هذه الطروف يكون أهلا لتسامح أكبر ·
ان هذا العمل في مجموعه يحتوى على ثلاثة وعسرين كبابا ،
وينفسم كل منها الى عدد معين من القصول حتى يبيسر للقارىء أن
يجد ما يبحث عنه في الأجزاء المختلفة من الرواية واني أعتزم — ان
مدت لى الحياة — أن أضيف من وقت لآخر الى ما كنب أحداث وقنا
التي قد تتمخض عنها نطورات المستقبل وأن أزيد عدد الكتب بقدر
ما يسمح به الموضوع ·

#### \*\*\*

واننى أعتقد ولست مخطئا فى هذا الاعتقاد \_ أن هذا الكتاب يقدم بنة واضحة عن تجربتنا ، كما أننا وقد كتبناه استجابة لتجربتنا \_ قد أمطنا اللثام عن سلبيات كان لابد لها أن تطل مخفية لو أننا لذنا بالصمت ، غير أننا نؤثر أن لا نجد ما يزدهينا على أن نكون فى حاجة الى ما يهذب النفس (١) .

<sup>(</sup>۱) أشار وليم في النص صا الى قصة لا يدرك مناها الا من يعرأ الاصبحاح الثاني والعشرين من انحمل متى ( 1 - 1 ) من أن ملكا صنع عرسا لابنه وأرسل =

verted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وأدعو الرب القسادر وحده على كل ذلك أن يكلأنا برحمته فلا يحيق بنا هدا المصر ، كما نعرف معرفة تامة أن للخطأ في العادة ألفاظا كدره « وأن يخفى النعص فسفناه كادبنان ومستبع المذمة جاهل وكبرة الكلام لا تخلو من معصية ، •

ومن ثم فاننا بروح من المحبة الأخوية ندعو مطالع هذا الكماب في الله ، اذا وجد ما يسمحق اللهد ألا يتردد في نبيامه في رحمسة صادقة وأن يعوم ما اعوج منا فيكسب لمفسه نعمة الحماة الأبدية .

كذلك نرجو مطالع هذا الكماب أن يذكرنا في صلواته فكسب عطف الرب عليما ، فان وقعما في ثمايا هذ الكناب في خطأ فنرجوه ألا يتمنى لما الموت ، عسى أن ينفضل مخلص العالم ... بفضل طيبنه الوفيرة ورحمته التي لا تفشل أبدا فيتغمدنا بغفرانه ، ذلك لانسا نحن التعساء والخدم الذين لا جدوى منهم في بيته مخطئون كل الحطأ أمام ضميرنا ، وبحشى يوم الدينونة خسمة عطمى •

#### منا ينتهى التمهيد

<sup>=</sup>عبيده لبدعو المدعوين الى العرس علم يريدوا أن يأتوا ، فارسل عيرهم الى آحرين يدعوهم للوليمة و لكنهم تهاونوا » فقد مهى منهم الى حقله من مهى ، والى بحارته من كان يتاحر ، أما الدين بقوا فقد و أمسكوا عبيده وشتموهم وقتلوهم » ، علما مسمع الملك عصب وأرسل حوده وأهلك أولئك القاتلين ، وأحرق مديدهم ، ثم قال لعبيده « أما المدين عنه المرس ومستحقى » وأما المدعوون علم يكونوا مستحقين » ثم أرسلهم آمرا إياهم ليدعوا كل من وحدوه الى الحرس ، فحمصوا له « كل من وحدوهم \* أشرارا وصالحين ، فامتلا العرس من المتكنين ، فلما دحل الملك لينظر راى هناك السائل لم يكن لاسا لباس العرس فقسال له • « با صاحبي كيف دخلت الى هنا وليس عليك لباس العرس ؟ » ، ثم يكمل وليم الصورة بالإشارة الى ما حاء في الاصحاح العاشر من سعر الأمثال (١٩) في « أن من يحفي النعصة فشفتاه ما حاء في الاصحاح العاشر من سعر الأمثال (١٩) في « أن من يحفي النعصة فشفتاه كاذبتان ، ومشيع المدمة حاهل وكثره الكلام لا تخلو من معصية » • كما جاء في النص • وقد ساق وليم هذا كله في استشهاد قصير لينزر موقفه ، وكان قصر الاستشهاد حاملا ايانا على هذه المشية في هذه الترجمة المربة •

# المسيحية تهب لاستخلاص بيت القدس ، وبطرس الناسك يبدأ في الزحف مع جماعات أخرى •

#### فصول الكتاب الأول:

- ۱ ـ ذكر قيام عنر بن الخطاب ثانى خلفاه محمـ د ( صلعم ) بالاسـنبلاء عـلى بيب المقـدس زمن الامبراطور هرقل ۰
- ۲ \_ الظروف الني مكنت عمر بن الخطياب من.
   الاستيلاء على الشرق ولم تكن في الحسبان ،
   وكيف أنه لما جاء إلى بيت المقدس أمر باعادة بناء
   هيكل السيد .
- ٣ ـ كيف تحملت سيورية طويلا أسر الرق تحت
   حكم الولاة المختلفين ، وكيف أحدت صداقة
   الامبراطور شارلمان العظيم مع هرون الرشيد ملك

فارس(\*) على المسبحيين الذين كانوا يعيشنون في كنف المسلمين •

- كيف انتملت المدينة المقدسة الى نفوذ خليفة مصر ، وكيف أن نير عبودية المؤمنين صار غير محتمل زمن الخليفة الحاكم [ بأمر الله ) ، كذلك ما يبعلق بهدم كنيسة القيامة بالقدس .
- عرض للطروف التي كانت نسانده حينذاك بين
   الصادفين الذين كانوا يعبشون بين غير المنالهين٠
- الخليفة الطاهر يخلف أباه الكريه كحاكم لمملكة مصر ويعيد تسييد الكنيسة بناء على النماس رومانوس امبراطور القسطىطينية وبجهود جون كاريانين » و « وسطىطين مونوماحوس » و يهدهما بالمواد اللازمة •
- ٧ العول في أصل الجس البركي وباريخه العديم .
- ٨ ـ دكر أنواع الأهوال الكبيرة الني خضع لها العالم
   يومذاك
  - ٩ \_ كيف مكن الفرس من احتلال كل البلاد ٠
- ۱۰ ـ دكر ذهاب كل جيوش المؤمنين معا الى المدينة المقدسة ، وما لقيته من المعاملة داخل القدس وخارجها ، وكيف وقعت المدينة مرة ثانية في أيدى النوك .

<sup>(</sup>大) هكذا يمعته مؤرحما ، والمقصود حليقة المسلمين وبعداد ・

- ۱۱ \_ دكر مجىء رحل الرب بطرس الماسك واللقاء بيمه وبين سمون الموقر بطرك ببب المعدس .
- ۱۲ \_ الوحى الذى جاء لنطرس الناسك هذا فى كنبسة القيامة الماركة •
- ۱۳ \_ السماف بين الامبراطور هنرى والبابا جريجورى السابع ، وكيف كان استقبال اربان السانى \_ خليفة جريجورى \_ لبطرس العائد من القدس استقبالا كريما ٠
- ١٤ مجىء البابا اربان الى مناطق ما وراء الجمال وعقده
   المؤتمر فى كلىرمونت •
- ١٥ \_ عظة البابا [ أيربان الثاني ] للناس بسأن الحم الى بنت المقدس •
- ۱٦ \_ الزعماء الذين خرجوا للحج وكانوا حاضرى الاجتماع ، وذكر علامة الصليب التى وضعها من أزمعوا السعر \_ على ملابسهم \_ رمرا لايمانهم وحجهم المفبل .
- ۱۷ \_ أسماء أمراء مملكتى الفرنجة والتبويون الذين قاموا بالحج ٠
  - ١٨ ـ وولتر المفلس يصل الى الفسطىطىنية •
- ١٩ ــ محىء بطرس الىاسك بعــــدثذ ، ومعرفه ــ أثناء اجتيازه المجر ــ بخيانة أهلها .
- ۲۰ \_ نشوب شغب خطیر بین الحجاج والبلغار فی
   د نیش ، احدی مدن بلغاریا .

- ۲۱ ـ بطرس الماسك يسندعى قوامه الهاربة ويحاول الوصول من جديد الى مفاهم سلمى مع البلغار ،
   ولكن يحدد شعب جديد ـ أنكى من سالفه ـ ودفرق كمائب بطرس •
- ۲۲ بطرس يجمع سرادم جيشه المهروم ويمضى الى القسططنية ، ثم يعبر البسفور ويعسكر في
- ٢٣ جيش بطرس يسنولى في غيابه على الماشية من
   الاقليم الواقع حول مدينة نيفبة ويحمل احدى
   القلاع القريبة منها •
- ۲۶ ـ على أرسلان ـ أحد أمراء البرك ـ يسسرد المكان المذكور آنفا ويقتل بالسيف كل من وجده فبه ٠
- ۲۰ ـ الجیش الصلیبی یسحرك بكافة عساكره ضد قلج
   أرسلان لقنله اخوانهم التوبون ، ولكنه یلقی
   الهزیمة وهو یحاربه .
- ٢٦ ــ فلج أرسلان المسصر على شعبا يدمر المعسكر ويأخذ من وجده فنه ما بين قنبل وأسير، ثم يمضى لمحاصرة مدينة سيفسوت، عير أنه يرند على أعقابه حين يسمم برسالة الامبراطور .
- ۲۷ ـ القسيس الميونونى حوتسوك يصل الى المجر وهو يقود جبسا ثانيا ولا يبردد فى ارتكاب أعسال فاضبحة فى حق المحريين يعف اللسان عن ووانها •
- ۲۸ ــ رساله ملك المجر الى المدعو جوتشوك وجيشـــه
   والقضاء على هذا الجبس قضاء مبرما .

onverted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٢٩ ـ كنف أن حمعا كبيرا من العوم المفونين الذين خرجوا في أعقاب الجماعات الأولى راحوا يفلون اليهود ويسيرون في غير نظام •

٣٠ ــ فلعة فيزىنبرج ومصرع سـبعمائة محرى ، ثم
 بيان كيف هلكوا أخيرا بارادة الهية وفتلوا جميعا
 تقريبا على يد العدو .



### هنا يبدأ الكتاب الأول

المسيحية تهب لاستخلاص بيت القدس وبطرس الناسك يبدأ الزحف مع جماعات أخرى

#### - 1 -

تذهب التواريخ الفديمه والرواية السرفبة للقول بأنه في زمن الامبراطور الروماني هرفل بدأب نعالم محمد [ صلعم ] تببت أقدامها نبيتا فويا في السرف •

ولما عاد هرقل من فارس متوجا بأكالبل النصر عاد أيضا بصليب المسيح ، وأفام فترة من الزمن فى بلاد السام رسم خلالها ه موديستوس ، المبجل أسقفا لمدينة القدس التى كان خسرو \_ كسرى فارس الطاعية \_ قد خرب كنائسها ، فعهد الامبراطور الى « موديسنوس ، هذا باعادة ترميمها ، آخذا العهد على نفسه أن ينفق من ماله الخاص كل ما يتكلفه هذا الترميم .

فى هذا الوقت بالذات كان عمر بن الخطاب ــ ثانى خلفاء محمه [صلعم] في مملكته وملمه ــ فد اسمولى على عزه ــ احدى مدن فلسطين الشهيرة ــ بجيش لجب من العرب لا يحصيه العد ، ثم ما لبث أن

verted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version

نمكن بما بحد يده ، من الكنائب والحسود التي جمعها أثناء زحفه أن يفتح بلاد الدماشفة ويستولى على دمشق ، كل دلك والامبراطور هرقل في فيليقية « لا يعمل شيئا سوى مرافبة الأحداث في بطورها، فلما جناه الخبر بأن العرب قد دفعهم اعتدادهم الكبير بجموعهم الضخمة الى عرو الأراضي الرومانية ولم ينرددوا في صم مدنها النهم أدرك أن قوبه ليست كافية لصد منل هذا الجبش وقمع غلوائه ، قائر السلامة بالرجوع الى بلده ، بدلا من أن يقاتل قوال لا تكافئها قوائه ، وكان فوائه ، وألا يغامر صدها في حرب لا نعرف ما سمخض عنه ، وكان الأهالي المغلوبون لا يطمعون الا في حميايته اياهم ، لكنه غادرهم فازداد بأس العرب شدة مما ساعدهم في رمن وجير على الاستيلاء على جميع البلاد المهندة من اللادفية بالسام حتى مصر ،

ولعد شرحا في كتاب آخر ، وفي دفة بالعة ، ما كان من شأن محمد [ صلعم ] ومبي كان طهوره ، كما ألمما بالأحداث الى البهب الى أن يعلن أنه النبي المرسل من الله ، كما وصفا هناك أسلوب حياله ودعونه والأراضي الى بسط عليها سلطانه ، وكم عاش من السين وذكرنا حلعاءه وكنف البعوا طربعنه في شر هذه المبادئ في أرجاء الدنيا .

#### - Y -

لفد كانب هماك ظروف حاصه سهلت فيح الشرى ، دلك أنه قبل سنوات قلائل من هذا الفتح فام خسرو \_ الذى أشرنا اليه حالا \_ بغزو بلاد الشام بالسيف ، فدمر المدن ، وأحرق ما حولها من البقاع، وهدم الكنائس ، وزج بالناس فى السجون ، ثم استولى على المدينة

المعدسية ، وقبل بحد السبيف سنة وبلايس القا من اهريا ، بم

المهدسه ، وقبل بحد السبف سنه وبلايين القا من اه يسا ، بم رجع الى فارس حاملا معه الصليب الأعظم ، هذا الى جانب استصحابه ايضا « ردره » استف بنت المندس استرا و تدلك من بقى على فند الحدة من سكانها ومن اهالى النواحي المجورة .

کان هذا الحاکم الهارسی الجبار قد نزوج من ماریه احدی بنات الامبراطور [ البیزنطی ] موریس الذی کانب بربطه روابط الصداقة القویه بالبابا المبارك جریجوری [ العظیم ] الدی عمد أحد أطفال الامبراطور عند حوض المعمودیة ، کما أن خسروا عنم هو الآخر ارصاء لحاطر روحنه وطل محقطا علی ما ببسته وبیز الروم من العلاقات الودیة طیله حیاه موریس الدی مان فحلفه علی العرس العیصر فوکاس بعد أن غدر بموریس فاعتاله ، واد داك أعار الملك حسرو علی الامبراطور به ورحف علیها بجنس حرب الاراضی المابعه لها ، وذلك بسبب تفرزه من خیانه أولئك الذین ارتضوا آن یولزا أمورهم رجلا دبیئا قد لطخت یداه بدم مولاه ، فعدهم خسرو شركاء لفوكاس فی انفاف سری واعبرهم حلفاء فی الجرم دانه ، کما آن روجنه ماریة راحت هی الأخری نزید ما بصدره من غضب من أجل زوجنه ماریة راحت هی الأخری نزید ما بصدره من غضب من أجل النار لأبنها ، فلما فرغ کسری من فتح بقیة الاراضی النی کانت بلاد النام هی آخر ما اسنولی علیه کما قلیا ، فقتل من أهلها من قتل ، وأسر منهم من أسر وساقهم معه الی فارس ،

لدلك لما دخل العرب بلاد [ السام ] وجدوها خالبة قد غادرها أهله المنام ، فبادروا لاغسام العرصية الني لم يكونوا سوفعونها لبسط سلطانهم ، وفرضوا نفس المصير على مدينة القدس الحبببه الى الرب وان منوا بالحباة على سكانها القلائل ممن لا زالوا مقسمن بها عساهم ينفعونهم في حمع الجزية التي فرضوها عليهم ، غير أنهم سمحوا للمغلوبين أن يعسدوا ترميم ما دمر من الكنائس وأداء

سعائرهم الديسة ، كما أبقوا لهم أسقفهم ، وآذبوا لهم بممارسه الديانة المسيحية بلا قيد •

#### $\star\star\star$

وفي أثناء اقامة عمر [ بن الخطاب ] ببيت المقدس راح يستعصى على دفة عن موضع هيكل (١) السلد ويسأل عنه الأهالي لا سلما الأسعف المور « سفرونبوس » حليفه « موديسلوس » الطلب الذكر ، ويقال ان الأمير الروماني « تبتس » هو الذي دمر هلف الهلكل أثناء بخريبه المدينة ذاتها ، فدل القوم [ عمر ] على موضعه وأشاروا الى ما بنفي من أطلال ضئيلة نشير الى هذا الأبر القديم ، واذ ذاك أمر [ عمر ] باعادة بنائه ، ورصد قدرا كبيرا من المال للنفقة على ذلك الفرض ، كما حلب لبنائه العمال ، وحمل اليه للنفقة على ذلك الغرض ، كما حلب لبنائه العمال ، وحمل اليه في طيب خاطر لا شمى مواد البناء اللازمة له من الرخام والخشب ، فما لبن الهيكل أن كمل في زمن قصير ، واستوى على الصورة التي رسمها عمر له في دهنه ، والني يراها اليوم زائر القدس ،

ثم أوقف [ الخليفة ] على الهيكل كثيرا من الأملاك الفسيحة الغية التى كان دخلها كافيا للحفاظ عليه سليما ، وللصرف على تجديد أجزائه القديمة ، وزوده بمصابيح لا تنطفى أنوارها أبدا بفصل أولئك الذين يقومون بالخدمة فيه .

لكن لما كان كل واحد يعرف تمسام المعرفة شكل هذا البناء و فاسة صنعه فان تفصيل ذلك ليس من شأن هذا الكياب الحالي ·

على أنه توجه داخل هذا البناء وخارجه آثار قديمة قيمة ، ونقوش عرببة محلاة بالفسيفساء الى يعتقد أنها راجعة الى هذا العهد ، وهى توضيح اسم بانيه ، وما أنفقه عليه وتواريخ ذلك كله منذ البداية حتى كمل البناء ٠

<sup>(</sup>١) يقصد بذلك كبيسة القيامة •

لفد دانت المدينه المفدسه \_ حبيبه الرب \_ لحكم الأعداء بسبب حطايانا و يحملت على مدى أربعمائه و سعين سنه فيدا لا سنحقه وعانت المشقة على الدوام رغم اختلاف ظروف هذا الاسر بعضها عن بعض ، وكان تغير الأحداث المسنمر يتمثل في ببدل ولايها وحكامها الواحد بعد الآخر ، كما مرت عليها فيراب وضاءة وأخرى كالحه بعا لطبيعة كل حاكم تؤول اليه معاليد الأمور بها ، وكان حالها أشبه بحال مريض نتحسن صحنه تارة ، ويسوء أخرى بعير الأيام ، ولكن السفاء كان أميرا مستحيلا ما دامت في فبضة حكام طغاة وشعب لا يدين بدينها ، بيد أن السلام رفرف بجناحيه على شعب الله ابان عهد ذلك الحاكم الجدير بكل باء ، وأعنى به هرون الملفب بالرشيد الذي دان له الشرق ، والذي لا ذال تسامحه وعطفه النادري المنال وطبيعته الرائعة محل نقدير عميق وثناء لا ينقطع في السرق حي

ولف قامت العلاقات الطيبة بين هرون وبين المسيحيين على أساس من التفاهم الرائع الذي أرسى دعائمه الامبراطور الورع الخالد الذكر « شارلمان » عن طريق السفراء المستمرين جيئة وذهابا ، وكان الود العظيم من جانب ذلك المخليفة مصدر راحة كبرى للمؤمنين ، حتى لكأنهم يعيشون في ظل حكم الامبراطور شارل وليس نحن حكم هرون ، ونطالع في سيرة ذلك المخليفة الشهير قول القائل « ان علاقات شارلمان مع ملك الفارسيين (١) هرون صاحب السلطان على كافة أنحاء العالم ب باستناء الهند بكانت علاقات كريمة حتى ان الأمير [شارلمان] كان بؤنره بمودته على سائر ملوك الدنبا وحكامها، وكان يرى أنه لا ينبغى أن يكون التعظم والاجلال الاله وحده دونهم حميعا ، ولما وفد على هرون الرسل الذين بعنهم شارلمان لزيارة القسر حميعا ، ولما وفد على هرون الرسل الذين بعنهم شارلمان لزيارة القسر

<sup>(</sup>١) مصد بدلك المسلمين •

erted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered ver

المعدس وكيسه العيامه ودحلوا عليه بالهدايا والنحف ، واعلموه بما جاءوا من اجله ، واقصحوا له عن رعبه مولاهم لم يدعف هرون باجابهم الى كل ما سألوه اياه بل راد فمكنهم من ملكيه هذا المدان واعتباره من امدك سارلمان ، عدما حن موعد اوبه الرسل الى مولاهم أوقد الرشيد سفراء من قبله الى شارلمان ، حاملين اليه هذاياه النمينة من النباب الحريرية والنوابل وغير ذلك من منتجاب الافطار السرقية كما كان قد أرسل قبل بضع سنوات من ذلك الناريح الى سارلمان ـ بناء على رجائه \_ قيلا كان الوحيد عنده اد ذاك :

وكان سارلمان يمد يد العون السحى على الدوام لمن يعبس فى المدس من المؤمس الموجودين بحب حكم المارفين ، كما سمل بره من كان منهم يسكن مصر وافريقيا التى يحكمها الشرفيون المعنصبون ، ونفرا فى برجمه حيانه « انه لما كان سديد النفوى فقد جرب عادنه على بسبط يده بالمال للفقراء فى سحاء بالع ، سماه الاعريق بالركاه ، آحدا نفسه بهذا العمل عطفا منه عليهم لسند حاجنهم ، ولم يقتصر فعله هذا على من هم فى مملكته ، بل تعداهم الى كافه المسيحين الدين يعسون فى منزية حتى ولو كانوا وزاء البحار فى بلاد السام ودصر وبن المقدس واسكندرية وقرطبة .

أما الدافع الخاص الدى حمله على عقد أواصر الصدافة مع الملوك فهو طمعه فى أن يسكن من مد يد الغوب والمساعده لمن بعسون بحد رحمة هؤلاء الحكام •

وادا أراد العارى الوقوف على ماكات تكابده العدس: مدنية الله وما حولها من شده بسبب كترة البغيرات للظروف والأحوال خلال هده الفيره الانتقالية ، فلبفرأ كيابي المسمى « باريخ أعمال أمراء المسرق » فقد أجهدت نفسى في أن يكون سبجلا شاملا لأحداث حوليات خرسمائة وسبعين من السنين ، أعنى منذ زمن محمد [صلعم] حتى الوقت الحاصر . وهو سنه ١١٨٢ من مولد المسيح .

كان هماك في دلك الوقت صراع موصول الحلقات بين المصريين والقرس أشعلت جنوته المنافسة الضارية بينهما حول الزعامة ، على أن الامر الذي لا يبكره احد هو أن كل واحده من هانين الامنين كرنت تعلق مذهبا يخالف المذهب الذي تعليفة الأخرى تمام المحالفة ، مما أدى الى حد كبير الى ابارة سعور البعضاء بينهما ، ولا يرال احسلاف المذهبين الدينيين بينهما حتى اليوم هو موضوع الجدال الناشب بين هانين الأمنين تسوبا أفضى للقصاء على كل تراحم بينهما، وقد دهب هذا السعور مدهبا بعيدا أدى برعبة كل منهما في محالفة الأخرى حتى في الاسم ، فيطلى أنباع المذهب السرقى على أنفسهم اسم «أهل السنة » على حين أن الذين يؤثرون ابناع المذهب السرقى المصرئ في اقرب ما تكون الينا له يظلفون على أنفسهم اسم «السنعة» عير أن سرح الاختلاف في الخطأ بينهما لا يدخل في نظاق هذا الكناب .

وقد أخذت مملكة مصر برداد قوة يوما بعد يوم اد استولت على الولايات والأقطار الممدة حتى أنطاكية ، كما وقعت في يدها مدينة القدس وغيرها من المدن الني خضعت لقس القوانين ، وبرب على ذلك أن خفت بعص الشيء متاعب المسيحيين الذين دخلوا تحت سيطرتها ، شأنهم في ذلك شأن سجناء يسمح لهم بالنميم بقلل من الاستجمام ، وأخبرا أصبح الحاكم [ بأمر الله ] خليفة لهذه المملكة حزاء وفاقا للؤم الانسان ، فجاوزت خطايا هذا الخليفة خطايا جميع سابقيه ولاحقيه على السواء ، حتى غدا اسمه مضرب الأمثال عند الأجيال التالمة التي تطالع خبر جنونه ، وكان هذا الرجل مشهورا بششي ضروب الاثم والاجتراء على ارتكاب المعاصي مما جعل حمائه بشمئي كربهة عند الله والحلق معا ـ سنحق رسالة خاصة فائمة

nverted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version

بدانها ، فكان من الأفعال الذميمة التي اجترحها قيامه بهدم كنيسه القيامة التي شيدها في الأصل « ماكسيموس » الموقر أسقف بيت المعدس بأمر الامبراطور فسنطبطين بم أعيد ترميمها – ذمن هرقل – على بد « موديسنوس » الموفر .

وكان والى الرملة واسمه « ياروق » وهو أحد رجال الحاكم بأمر الله ... فد أخد على عاتقه بنفيذ أمر الحليفة ، وسرعان ما أعمل معول الهدم فى البناء حبى سواه بالارض ، وكان رئيس الكنيسه يومداك هو «أوريسيوس» المعطم حال من هذا الحليفه السعبه ، وتقول الرواية ان الخليفة اتخذ هذا الاجراء البعيد المدى ليبرهن لأهل مله على مدى اخلاصه للمله ، اد كانوا ينعتونه بالنصراني قدحا فيه ونبلا منه لانه ولد من أم نصرانية ، ومن ثم حملته الرغبة فى محو هده التهمة منه على أن يقترف تلك الجريمة ، ولما كان يعتقد أن لن يكون هناك بعدئذ اتهامات بوجه الى شخصه وان خصومه لن نواسهم الفرصة بعد ذلك لشن حملات ضارية عليه فقد هدم مهد الايمان الكاثوليكي الذي تصدر عنه الديانة المسيحية ،

-0-

أخذت أحوال مسيحيى بيت المقدس منذ ذلك الرفت تزداد سوءا، ولايرحع دلك فحسب الى ما يشعرون به من حزن دقيم بسبب هدم كنيسة القيامة المباركة، بل وأيضا الى الأعباء المنزايدة التي يفاسونها من جراء مخلف الخدمات المفروضة عليهم، ففد وجدوا أنفسهم مطالبين بدفع اتاوات وضرائب باهظة ينوء بها كاهلهم، ويرفضها العرف وتشجبها الامتيازات التي منهم اياها حكامهم السابقون، هذا بالاضافة الى منعهم من أداء شعائرهم الدينية الني

verted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كانوا يمارسونها سرا وحهرا نحت حكم الولاه المحتلفين ، وكانوا كلما ران عليهم ظلام الآيام ألزموا بالبقاء داخل بنونهم فلا بجرؤون على الحروج بين الناس ، بل انهم لم يعودوا يرون بيونهم ملجأ آمنا لهم ، فقد كان خصومهم يحصبونهم بالحجاره ، ويرمونهم بالفنادورات ويسنون عليهم هجمان وحسية ويلافون هم من الازعاج أشده لاسيما في أعنادهم الحاصة ، وكانت النهمة العابره يرمنهم بها أي فرد كافية لجرهم بالعنف وتوقيع القصاص عليهم ونعديبهم من غير محاكمه ، كما تصادر بضائعهم وبجاراتهم ، ونهب أملاكهم ، ويتخطف الناس أبناءهم وبناتهم أمام أعينهم ويرغمون بالجلد تارة والكلمات المعسولة والوعود الكادبة نارة أخرى على جب دينهم ، قان لم يفعلوا دلك صب خصومهم عليهم حام غضبهم ، وأذاقوهم العذات الوانا ونصبوا لهم المشانق ،

وكان بطركهم الموجود آنذاك هو الذي يتحمل في بادى الأمر هذه البلايا وتلك الاهانات ، ثم أخذ بعدئذ يحض أهل مله \_ سرا وجهرا \_ على النمسك بالصبر ، ويعدهم بأكاليل الشهادة \_ في العالم الآخر \_ ننعقد على رءوسهم حزاء ما تحملوه من الشرور الدنيوية ، فكانت كلمانه الهاما لهم وبلسما لجراحهم فاقتدوا به ، وراح كل منهم يواسى الآخر ويشيد من عزمه ، يفعلون ذلك في حب منبادل ، فاستهانوا بالأهوال الدنيوية بلقوها في سبيل المسيح ،

وان الأمر لبطول بنا جدا لو تكلمنا عن الحالات الفرديه ، أو تحدثنا عن ضروب التعليب الجثمانى الذى تحمله خدام المسلح هؤلاء بصبر يرجون منه أن تزلف لهم الجنة ، لكننى أسوق مشلا واحدا من أمثلة جمة لتدرك جلالتكم لماذا كانت أتفه الأسباب تؤدى بهم الى ورود حوض الردى ، ذلك أنه كان يعيش بين ظهرانى قومنا فى مدينة القدس واحد من الأشرار الفجرة الذين انطوت نفسه على كراهمة سوداء لأهلنا كانت تحمله على الدوام لاضطهادهم ، فدد

refreed by THI Combine - (no stamps are applied by registered version)

هدا الرجل مكيده فيها هلاكهم ، اد انسل حلسه دات ليله حاملا حيمة كلب م ألفاها في ساحة الجامع الذي كان الهوامون عليه و كدلك أهل الدينة كلهم و حريصين أشد الحرص على بطافه النامة ، فلما أهل فجر اليوم النالي أفيل المصلون على المسجد لاقامة الصلاه ، فوحدوا حمه الحبوان البجس يتصاعد منها الدين ، فبارت باثرتهم ، وتعالن صرحاتهم حتى صحت المدينة كلها على صماحهم ، وأسرع الناس إلى المسجد ، فأجمعوا الرأى كلهم وون أن يسد عمة أحد و على أن مسئولية الحادث بقع على كاهل المستحيين وحدهم وماذا كان تعديد .

لقد تعرر اعدام جميع المصارى باعببار أن الموت ولا شيء سواه \_ هو وحسده الذى يمكن أن يكفروا به عن هدذا الدس ، فنأهب المؤمنون \_ وكلهم ثقه ببراءه ذيلهم \_ لنحمل الموت من أجل المسلح، وبيما كان المجلادون ينقدمون مسهرين سيوفهم ويوشكون أن يعدوا الأوامر الصادرة اليهم اذا بساب يافع يفيض قلبه بالنحوة يتعدم المجموع جاعلا نفسه الفداء لهم ويقول لهم :

د أيها الاخوة ٠٠ ستكون أكبر نكبة أن بهلك الكسسه كلها بهذه الطريقة ، وانه لأجدى أن يقدم واحد حيانه فداء للماس جمعا فلا يهلك السعب المسيحى حميعه ، فعسدونى أن نكرموا ذكراى سيويا ، وأن توقروا أسرتى الى الأبد ، وتخصوها بالنسريف ، ان خلصتكم بأمر الرب ، فان عاهدتمونى أن نفوا بهذه الشروط خلصمكم حميعا بأمر الرب من هذه المذبحة » ٠

وأنصت المسيحيون الى كلماته في فرح شديد ، وأبدوا استعدادهم للوفاء له عن طبب خاطر بما سألهم ، وقطعوا على أنفسهم العهد أن يخرج في يوم عند الشعانين موكب مهيب ممن هم من ذرينه، يحملون الى المدينة أغصان الزيتون رمزا لسيدنا يسوع المسبج : verted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version

حيداك أسلم الساب نفسه لوجوه آهل بيت المقدس ، معلنا لهم أنه هو الذى افترف دلك الجرم ، فبرأب بدلك ساحة المسبحين الآخرين ، اد ما كاد العضاة يسمعون قصمه حتى صفحوا عن بقيه قومه ، أما هو قفد قبلوه بالسيف ، وهكذا قدم حياته من أجبل اخوته ، وقابل الموت بعرم كريم ، ونام أطبب نومه مباركه وهو وانق كل التقة أنه قد حظى بعطف الرب .

# - 4 -

ولعد يأبي أحيرا أن حلب السففة الالهية والعطف الرباسي على هذا السعب المنكوب حين وافاه العون الكريم بالرحمه بوضعه البائس، اد فارق الأمير الخبيث الدبيا ، ونقلد من بعده ابنه « الطاهر » مقالمد السلطة ، فاجنث الاضطهاد من جذوره ، وجدد الانفاقية البي نفضها أبوه ، وأحكم روابط الصدافة مع رومانوس امبراطور الفسطنطينية الملقب بلهيو بوليس ، الذي استجاب الظاهر لرجائه فأدن للتصاري باعاده وبسيبد الكنيسه ، لكن على الرعم من حصول مؤمى العدس الاتمياء على هــذا الاذن الا أنهم أدركوا أن مواردهم المالية وحدها عاجزة عن اعاده بناء أبر عظيم كهذا الأبر ، ومن تم أرسلوا سماره الى « قنسطنطين مونوماخوس » الذى ولى العرش بعد « رومانوس » وصار اليه الصولجان والناج فتضرع اليه السفراء باكين بين يديه ، ووصفوا له ما تكابده الناس من حزن ممض وسفاء بالع بسبب ىدمىر كىسىبهم. ويضرعوا السه أن بعمهم سيخاؤ الامبراطورى للتمكنوا من اعادة سبب الكنبسة ، وكان القُوم قد عهدوا بهده السفارة الى رجل من أهل القسطنطننية اسمه «جون كارياسس، حمع بين شرف الأصل ونبل الخلق ، قد نبذ وراءه ظهريا حميع مباهج

verted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version

الدسا من أجل حدمة المسيح وصرف همه لرعايه المله ، وكان جون هدا يعيش يومئد في بين المهدس ، عارفا عن الدبيا ، ناهجا بهج المهقراء من أجل المسيح ، فناط القوم به هذه المهمة فأداها صابرا غير مقصر، وأحلص في عرصها بين يدى الامبراطور المبجل حبيب الله و وبجح في مسعاه ، اذ وعده فسطنطين من ماله بالمال اللازم للسير في اجراءات اعادة المناء ، وزاد فجعل هذه النفقة المالية من جيبه المخاص ، فلما أنجز جون مهمه على الوجه الأكمل آب الى بيت المقدس والفرحة نغيره لحصوله على الوعد الذي كان المؤمنون يبلهفون عليه ،

وعلم القاصى والدامى بنجاح رحلته ، وتوفيقه فيما حصل عليه ، فارتفعت معنويات رجال الدين والناس جميعا ، وبدوا وكأنهم قوم أبلوا من مرض خطير ، وكان رئيس تلك الكنبسة في ذلك الوف عو البطرك « نقفور » •

لم يكد الناس يتأكدون من منحهم الاذن بالبناء وحصولهم على المال من الخزانة الامبراطورية حتى شيدوا كنيسة القيامة المجددة التى لا تزال حتى اليوم فى القدس ، وكان ذلك سنة ١٠٤٨ من ميلاد المسيح ، أعنى قبل تحرير المدينة بواحد وخمسين عاما ، وبعد هدم الكنبسة سبع وثلاثين سنة ، فلما كمل البناء واستقام عاليا رأى الناس فعه عزاء لهم عما كابدوه من الأهوال والأخطار القاتلة التى نعرضوا لها من قبل .

بيد أن الشعب المؤمن لم يتخلص تماما من المتاعب والبلايا التي لم تتوقف عن أن تصيبه بين آن وآخر ، فكم تعرض للبصق والصفع، وطالما زح به في السجن وكبل بالقيدود ، ولم يقتصر الأمر في الاضطهاد على من كانوا بالقدس وحدها من المسيحيين بل تعداهم الى من كانوا يسكنون في بيت لحم « وتكوا » أيضا ، ولم يحدث الى من كانوا يسكنون في بيت لحم « وتكوا » أيضا ، ولم يحدث

onverted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أن جاء وال جديد أو أرسل الخليفة نائبا عنه الا تجددت الاهامات ينصب على رأس شعب الرب المتدين الذي لم يقصر أبدا في الوفاء بكل ما هو معروص عليه ، ثم يهدد بعد ذلك مباشرة بهدم الكنيسة ، حتى صارت هذه المعاملة عادة تتجدد كل سنة تقريبا .

واصطنعت شبتى الطرق لابتزاز هذا الشعب ، فاذا أراد مضطهده اغتصاب أى شىء منه أو من البطرك وتلكأ هؤلاء فى الاستجابة هددوا فى الحال بهدم كنبستهم .

وكانوا بعانون كل سنة على وجه البعريب هذه المعاملة ، فيدعى النواب الجدد أن أوامر م ولاهم صريحة بتسوية الكنائس بالأرض في الحال ان تجرأ أصحابها على التأخير في دفع الجزية والضرائب المفروضة عليهم .

لكن على الرغم من ذلك فان المسيحيين نعموا \_ على طول مدى حكم المصريين والفرس \_ بأحوال معيشية أطيب من التى عاشوا فى ظلها بعد أن بسط الترك سلطانهم ومدوا نفوذهم على ممتلكات المصريين والفرس ، اذ أخذت أحوالهم تزداد سوءا مرة أخرى منذ أن أصبحت المدينة المقدسة تحت اشراف الترك ، كما قاسى شعب الله ( على مدى ثمانية وعشربى عاما من الحكم التركى ) مشاقا أعظم هولا من المشاق التى عاناها تحت نعر المصريين والفرس والتى بدت فى نظره أقل فداحة ،

وسوف بنحدث كبيرا عن البرائ في هذا الكتاب وعن عدوابهم على شعبنا كما سنفص أيضا أخبار البطولة المجيدة التي طالما فمنا بها ضدهم ولما كانوا قد دأبوا مند طهورهم حنى الآن على الابدفاع الطائش في مهاجمنا فانه يبدو من الأوفق في الكتاب الحالى أن بقدم موجزا عن نشأة هذا الجنس وتاريخه القديم ، ونتكلم كذلك عي ببوئه مقعد العطمة التي سبهد الأخبار أبهم حافظوا علبها آمادا طويلة .

لقد جاء جنس الترك أو النركمان ( وهما من نبعه واحده ) عى الأصل من المناطق السب له ، وهم قوم مقرطون أي القطاطة ولا يقيمون في مكان واحد ، بل كانوا ينجولون على الدوام هنا وهناك سعيا وراء المرعى النضير لقطعانهم ، ولم تكن نهم مدن أو قرى أو أماكن معينة يستقرون فيها ، فان رأت احدى القبائل أن نعير مكانها شدت بأجمعها رحالها وخرحت تسعى وقد نصبت عليها شيخا يكون أكبر رجالها سنا ، وهو الذي ترفع اليه القبيلة سبى مشاكلها فيقضى فيها بما يرى ، ويلنزم المتحاصمون بطاعه فيما قدر وقرر ، لأنه لم يكن مسموحا لأحد ما أن ينبع هوى ذاته ويحالف ما يقضى به الشيخ ، وكانوا يأخذون معهم أثناء تجوالهم حمس ما يحماجونه من علف الجماد ، ويستصحبون معهم الماشية والسم ما يحماجونه من علف الجماد ، ويستصحبون معهم الماشية والسم وكذلك عبيدهم ونساءهم ، وذلك كله هو حميع ما يملكون .

وهم لا يهتمون بالزراعة ، ولا يعرفون البيع ولا السراء ، ولبس لهم من وسيلة فى الحصول على ضرورات الحباة سوى المقايصة فان أعجبهم موضع معشوشب لطيف وأرادوا النزول به فنرة من الوقت دون اضطراب أرسلوا من قبلهم طائفة من أعقل رجالهم الى صاحب الماحبة يسألونه أن يأذن لهم بضرب خيامهم هناك ، فأذا انبهوا الى

انفاق مرض على دفع قدر معين دفعوه لحاكم هذه الناحية ، بم يقيمون بعد دلك في العابات والمراعى وفق السروط المبرمة ·

#### \*\*\*

وحدث ذات مره أن الفصلت طائفة من هؤلاء الباس عمن سواها ودحلب بلاد فارس ، فوجدت الاقليم ملائما كل الملاءمة لاحياجاتها، فدقعت للحاكم ما الفقوا معة علية في البداية ، وأقاموا هناك ردحا من السبين أطول مما جرب به عاديهم ، وترايد خلال هذه الفترة عندهم رياده هائلة ، والواقع أنه لم يكن هناك حد نقف عسده كريهم ، حتى النهى الأمر أحيرا بملك قارس والأهالي أن يتحوقوا من نزايد عددهم الكبير وتوجسوا حيفة منه ، فراحوا يقلبون الأمر فيما بينهم حتى النهى بهم الى وجوب استعمال القوة في طرد هؤلاء فيما بينهم حتى النهى بهم الى وجوب استعمال القوة في طرد هؤلاء الدخلاء من مملكنهم ، لكنهم ما لبنوا أن رأوا تغيير هذه الحطة ، فأضافوا مطالب حديد، زادت من المصاعب المراكمة دون أن يخف فأضافوا مطالب حديد، زادت من المصاعب المراكمة دون أن يخف الصفط المعناد ، وكانوا يطمعون أن بؤدي هذا الأمر الى ارهافهم المناقوا يحملهم على النزوح من تلقاء أنفسهم ومن غير ضغط عليهم ، وأخيرا نشاوروا ومع دلك فقد ظلوا أعواما طوالا بعبد ذلك متحملين عبئا ثقيلا من فيما ببهم فقر رأبهم على أنه لم تعد لهم طاقة على تحمل ما هم فبه فيما ببهم فقر رأبهم على أنه لم تعد لهم طاقة على تحمل ما هم فبه فيما ببهم فقر رأبهم على أنه لم تعد لهم طاقة على تحمل ما هم فبه فيما

فلما علم الملك بذلك أمر المادى أن ينادى بوجوب رحيلهم جميعاً من أرجاء المملكة في فترة معينة لا يتجاوزونها ، ومن ثم عبروا نهر « كوبار » وهو حد المملكة في تلك الباحبة ، واغتنبوا الفرصه اذ ذاك لاقامة جموعهم الكثيفة ، فلما تهيأت لهم الحياة في فسحة من الأرض وفي رقعة أوسع مما كانت لهم من قبل تأملوا ما هم فيه من الكثرة ، فراعهم أن يستكين جيش كبير لا يحصيه العد كجيشهم هذا لصلف أي أمر ، وعجبوا من أنفسهم أن يتحملوا شنآن الخدمة

nverted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ودفع الجريه وكان من الجلى أنهم يسائلون الفرس وغييرهم من السعوب في العدد والبأس ، وبدا لهم أن العقبة الوحيدة التي تقوم أمام احبلال الأراضي المجاورة بالفوة انما نرجع لعدم وجود ملك نتولى أمرهم ، كما هو الحال في بقية الأمم الأخرى .

لذلك قرروا أن يولوا عليهم ملكا فاستعرضوا قومهم جميعا فوجدوا من بينهم مائة أسرة لها الصدارة على غيرها ، فأمروا أن يخرج رجل من كل أسرة ومعه قوسه ، فتجمعت بين أيديهم حزمة فيها مائة قوس بعدد العائلات ، واذ داك استدعوا صبيا صغيرا وأمروه أن يسحب سهما واحدا بعد أن غطوها ، وكان الاتفاق بينهم على أن يتم اختيار الملك من الأسرة التي منها السهم الذي يسحبه الصبي ، وشاءت الصلحفة أن يكون السهم المسحوب هو سهم السلاحفة فكان الملك الذي يلى أمرهم في المستقبل من هذه الأسرة حسبما جرى عليه اتفاقهم .

ثم أمروا باختيار مائة فرد من السلاجقة اشنرطوا فيهم أن يكون كل واحد منهم أكبر رجال عشيرته سنا وأعظمهم خلقا ، وأحسنهم طبعا ، وأكثرهم اقداما ، ثم يتقدم كل واحد من هؤلاء برمح عليه اسمه وجعلوا من هذه الرماح مرة أخرى حزمة وأحسنوا غطاءها ، ونادوا ثانية على الغلام ذاته ( أو آخر في مثل براءته ) وأمروه أن يسحب رمحا فكان الرمح الذي سحبه الصبي يحمل اسم سلجوق .

وكان سلجوق هـذا رجـلا جميل المنظر من أسرة مرموقة ، قد ذاع أمره وصبته في عشيرته ، وعلى الرغم من كبر سنه الا أنه كان قوى البنبة . قد طال تمرسه نفن الحرب ، وكان كل شيء فيه يشد الى أنه أمير عظم .

iverted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

منصب الرجل باجساعهم كبيرا عليهم ، ووصعوا في يده السلطة الملوكية ، ووفروه التوفير الواجب بحو الملك وافسموا على طاعته وقطعوا له يمين الولاء الصادق بتنفيد كل ما يقصى به فيهم ، فبادر هذا الملك في الحال الى استخدام السلطة الموكلة اليه بلعمل على ما فيه حير المملكة وبعب المنادى في الناس المجمعين أن يعبروا المهر من جديد بكل كتائبهم وأن يحتلوا أرض فارس التي غادروها منسخة قليسل ، كما أمرهم بالاسسيلاء على المملكة المجاورة حتى لا يضطروا في مستقبل أيامهم أن يهيموا على وجوههم في أرض الغير ، وحنى لا يكونوا عرضة لاستبداد غير محتمل من الشعوب الغريبة عنهم .

وتمكنوا في مدى سنوات قلائل من اكنساح بلاد فارس وجميع المالك الشرقية والتغلب على بلاد العرب وعيرهم من أصحاب النفود والسلطة من الأمم الأخرى ، وهكذا أتيع لهذا الشعب البسيط التافه أن يسسم فجأة معارج الذروة ويتبوأ القمة حتى ملك الشرق كله .

وكان حدوث دلك قبل ثلاثين أو أربعين عاما من قمام أمراثنا الغربيين بحمله الحج التي هي موضوع هذا الكتاب ·

ولكى نفرق على الأقل فى الاسم بين هذه القبائل التى نَصبَبت عليها ملكا فنالنها الشهرة العظيمة وذيوع الصيت وبين أولئك الذين لا زالوا محتفظين بأسلوب حياتهم الخشين الفطرى فانا نقول ان الجماعة الأولى تعرف الآن بالترك ، وأما الثانية فتعرف باسمها الأصلى وهو « التركمان » •

ولما ترك للرك عرو جمبع ممالك السرق بطلعوا لفيح مصر القوية فزحفوا على بلاد الشام ، واستولوا على بيت المقدس واحتلوا عدة مدن قريبة منها فزادوا من متاعب المؤمنين الساكسين هناك زيادة أرهقتهم كل الارهاق لما فرضوه علبهم من أعمال يؤدونها لهم ، كما أشرنا الى ذلك حالا .

لم يكن المؤمسون في السرق وحسدهم هم الدين أناح عليهم الطعاه بكلديهم بل لفد صعف الايمان ووهى في العرب وفي نافه الحاء الارص ، لا سيما بين من كانوا يستمون بالمؤمنين فللسب حسية الله من فلوب الناس ، وضاع العدل من الارص . والتدمت الطمأسية اد فسي العنف بين الامم ، وساد العس وعمت الخيانة والحديعة والاحميال كل صفع وماد ، وطويب كل فصمله ، مام يعد وحود لها وصارب عدما واربععب رايه السر مكابها ، والدى لا مراء فيه هو أن الدبيا قد بدن وكأنها متحدره في هوه الطلام ، وأنه قرب الموعد المامي لطهور ابن الانسان « فقد أمسك الكبيرون عن عمل الحير ، وأصبح الايمان في العالم عريبا ، وعمد العوصى ، ولم يعد أحد براعى مكابه صاحب مكابه ، وخيل للناطر أن العالم يريد أن بعود المهمري الى الوراء الى وصعه الأول من العوضى الدى كان عليها ، كما لم يعد الأمراء الكبار الذين كابوا ملرمين بالسير مرعسهم نحو السلام مكترين بالعافيات السلام السي يعقد بين بعصهم والبعص الآخر ، وراح كل منهم يعامل حسى لأنفه الأسباب ، وعادوا في الأرص وسددا يحرفون كل ما يلافونه ، ويسمون على العمائم الني وجدوها ، ومكنوا أنساعهم السفله الأوعاد من اعتصاب ما يملكه العمراء ، ولم يعد وسط الكوارث الجمه طمأسينه على أية ملكيه ، وكان مجرد الشك في حيازة الشخص لسيء ذي فيمة سببا كافيا للقبيده والزج به في السجن حيث يلقى من العذاب الجنماسي ما لا يحسل ، ولم تعد أمنعة الأديرة والكنائس بمنجاة من هذا الشر ، كما لم يعد أحد يراعى ما لممتلكات هذه الأماكن الطاهرة من امتيازات مسحها الأمراء الأنقباء لها ، وانعدم النقدير الذي كانت تضفيه عليها مكانتها الرفيعة السي كانت لها من قبل ، فاقتحمت المعابد وانتهكت حرمانها، وبهبت الأوعية المعدة للخدمة الديسة ، ولم يعرق بد الاتنهاك بين

الطام والدس ، والعام النمييز بينهما وشملت الأسلاب فيما سملت أكسيه المدابح والأردية الكهنونية والأواني المخصصة لحدمة السيد ، وتعقبوا اللائدين بأقصى الأماكن الدينية والمعصمين بالاحرم المقدسة واللاجئين الى ساحات الكنائس فطالبهم ايديهم وساقوهم الى النعديب ، وجرعوهم كأس الردى دهاقا ، هندا الى جانب المصوص الطلمة الدين تسلحوا بالسيوف في الطرق العامة وراحوا بنصبون الكمائن لنصيد المسافرين ، فلم ينج من بطسهم حاج ولم يسلم من شرهم رجل دبن ، ولم تكن القرى هي الأحرى بنمجاة من الأحطار لأن السفاحين المنحلفين أحالوا جميع السوارع والدروب إلى أماكن نبت الحوف في نقوس الأبرياء ، وربما كان أسد

ومورست شنى أبواع العجور حهرا ومن عير حياء كما لو كاس أمرا مشروعا . ولم بعد براعى روابط القربى من الدم والرواح ، ويخلى الناس عن العفة ... وهى غالبه عبد الله وملائكته ... فنبذوها بيد البواه ، وصارت الصدارة للدعارة والانكباب على السراب والبهالك على ألعاب المسر والعمار التى تحتـاح الى سهرات لبلبة طويله ، ومارسوا ذلك كله في ساحات المعايد ، وابعدم البدير والنعف وساوى رحال الدين بقية الباس في ممارسة الحياه عير السريعة وصاروا كمن نقرأ عنهم في الأنباء حيب يقال :

الناس عرصة للوقوع في المهالك هم أبعدهم عن السنهاب ٠

« كما السعب هكذا الكاهن ، وكما العبد هكدا سمده » (١) فقصر الكهنة في أداء واجبانهم « وكلهم كلاب بكم لا تقمدر أن نمسح » (٢) ، فكانوا لابنورعون عن مقابلة أي أحد « ولا نأبي رؤوسهم

<sup>(</sup>۱) هوشنغ ۲ ۹ ، واشعبا ۲۶ ۲ ۰

<sup>(</sup>۲) اشعما ۵۲ ، ۲۰ ،

رر س » (۱) الحد ، وصاروا كالرعاه الدس أهملوا فطعال الماسمه الموكول النهم حراستها وتركوعا عرصة لهجمات الدئات ، وتناسوا كلمات المستح حب بفول (۲) « مجانا أحديم » محانا اعطوا » ، ولم بنورعوا عن حطيته السنمونية ، فيلطحوا تعار حبحري (۳) ،

فهل ثم حاجه لمريد من القول ؟

والخلاصه أن أصبحت الصداره للرذائل « اد كان كل بسر قد أفسد طريقه على الأرص » ، ولم سسطع بهديدات الرب التى تحلت كندير سؤم من السماء ولا الطواهر الأرضية أن تزجر من سلكوا طريق السر ، فانسرت المجاعات وعمت الأوبئة وأرعدت السماء بالبدر (٤) ، وصربت الرلازل كبرا من السلاد المختلفة وطهر غير دلك من الدلائل التى عددها المستح في الانجيل (٥) •

ومع ذلك فلم يرعو الماس عن غمهم بل طلوا برىكبون سمى الموسات (٦) ، سأنهم في ذلك سأن الأعمام ننمخ في روبها (٧) ٠

وأهابوا الرب الرءوف الذي بعدب طويلا فكان منلهم في دلك من الدس فال فيهم السيد (٨) ·

<sup>(</sup>١) المرامير ١٤١ ٠ ٥ ٠

<sup>(</sup>۲) می ۱۰ ۸ ۰

<sup>(</sup>٣) اطر القصة والحر كاملى في اللوك ( بان ) ٥ ٢٠ - ٢٧ .

٤) النكوين " ١٢ ٠

 <sup>(</sup>٥) اساره الى ما ورد فى منى ٢٤ ٧ من قوله « لأنه بقوم أمة على أمة ،
 وممنكة على مملكة وبكون محاعات وأويئة ورلازل فى اماكن » •

<sup>(</sup>٦) راحع قول السند المستح في لوقا ٢١ ٠ ١١ ٠

 <sup>(</sup>۷) راحع رساله نظرس الباسة ۲ ۲۲ حيث قال ه کانهم کلت قد عاد الى
 قيئه ، وحيزيره معسلة في مراعة الحماه » •

<sup>(</sup>٨) راحع أرميا ٥ ٣ ، ٥١ ٩ « صربهم فلم يتوجعوا ٠ أفنيتهم وأبوا قبول الناديب » ٠

iverted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

« يا رب اليسبت عيباك على الحق · صربهم علم ينوجعوا · السينهم وأبوا فبول التأديب · صلبوا وجوههم أكبر من الصحر · أبوا الرجوع ، ، وكدلك قوله « داوينا بابل علم نسف ، ·

# -9-

حيى فاض مرحل العصب بالرب من هده الأمور فصى على المؤمنين الصادفين الموجودين في أرض الميعاد أن يرسفوا في فيد العبودية المسار اليها من قبل ، وأن يقاسوا من السدائد ما يعجر اللسان عن وصفه ، وبالاصافة الى دلك قانه آبار عليهم حصومهم وصب علمهم سوط عداب فابتلى الدين ظلوا حسى هذه اللحطة سادرين في غيهم ومعتقدين أن كل شيء سيظل سائرا وفق هواهم دلك أنه بيسما كان « رومانوس ، الملقب ب « ديوجيموس ، يحكم الاغريق ويدير دفة أمور الملكة في القسطيطينية على أنم صورة من النجاح اذا بواحد من حكام فارس وسورية الأفوياء واسمه ألب أرسلان ينهص من قلب الشرق بعساكر كبيعة حمعهم من سبى الأمم الحاحدة. وكانوا من الكبرة بالصورة التي عطب \_ كما فيل \_ وحه السبيطة ، كما اصطحب معه العربات الحربية والم سان ، ومست حلقه قطعان الماشية والأغيام ، وكان مجهزا بكل شيء نجهيزا رائعا ، وتقدم حتى دحل الامسراطورية [البيزيطية] وأخصعها كلها لسلطانه وسيطر على كل شيء خارح المدن من الحقول والبلدان المسورة والقلاع المنبعة دوں أن يحرح أحد لصده ولم يعيرض زحفه أي معيرض ، ذلك لأن كل واحد من الباس كان لا يعنيه غير سلامة نفسه ، ولا يكبرن حسى بنسائه ولا أطفاله بل ولا بالحرية ذاتها ، وعلم الامبراطور في هذه الأثناء بأن حبشا قويا معاديا له كأنه السيف المسلول يهدد بقطع الرفاب قد, شرع في نخريب الامبراطورية المستحبة ، فدفعنه

شده انسعال باله الى استدعاء قواته من الفرسان وجميع المساه الذين تستطيع الأمة نقديمهم ، استجابة لما يفرصه الموقف الحرج ·

فماذا بعول أكبر من دلك ؟

لقيد رحف الامسراطور بكل ما تجميع لديه من الكنائب ، وما حشده من الفرسان الكثيرين ، ولكن زحفه كان على غير رضا من الشفلاقي الخصم لكن بعد أن كان فد استولى على قلب الامسراطورية وأخذ ينوغل في داخل البلاد .

ثم كاس المعركة التي سُبن بعد ذلك في ملازكرت معركة ضارية ضراوة تناسب مع قوتين تعادل كل منهما الأخرى نقريبا وتحرك كلا منهما كراهية يزيدها عنفا ايمان شديد الصلابة ، وكراهية لمعنقدات بعتبر الواحد منهما أن خصمه يصدر فيها عن دنس •

فماذا نقول أكس من هذا ؟

لقيد باد الحيش البصرائي ، ودارب الدائرة على صيفوف المؤمنين ، وسفك العدو دماء فداها المسيح بدمه ، وكان أسوأ النكبات البي حاقت بهم وقوع الامراطور في الأسر .

وعاد من هذا الجيش من قيضت لهم الحياة لتقصوا نبأ التكسه التي ألمب بهم ، فاستمع الناس في ذهول لما يقولون ، وأدى بهم الحرن الذي استولى على نفوسهم الى الناس من حياتهم وسلامتهم ، فأسلموا أنفسهم للبكاء الممض •

فى هذه الأثناء انتسى العدو العظم ــ وان يكن كافرا ــ بنصره الساحق ، وأخذ بداهى بما أحرز من الظهور ، فأمز [ ألب أرسلان ] باحضار الامبراطور من يديه ، وجلس هو على عرشه الملوكى ، ثم أمر بطرح رومانوس نحت فدميه ، وأراد اظهار احتفاره لكل ما هو مستحى عانجد من جسد الامبراطور موطئا لقدمته ، وراح يدوسه صعودا ويزولا ، حتى ادا رضبت نفسه بما ألحمه به من تحقر واردراء أمر طائفة من كبار رجال الامبراطور الذين أسروا معه أن ترفعوه من على الأرض ، وأذن لهم جميعا بالرحيل .



حين صك نبأ هذه الاهانة سمع أمراء المملكة بادروا الى اخسار رجل آخر ولوه أمرهم ، شعورا منهم بأن رومانوس ــ الذى لفى هده الاهانات الجسدية ــ لم يكن بعد أهلا لحمل الصولجان ، ولا حديرا بهالات السرف الني تلبق بأغسطس ، بعد أن فضح آمبح فصيحة ، ثم سملوا عينيه ، وان نكرموا عليه بالحباة ليعيش ما بقى من أيامه كمواطن عادى .



لم يصادف ملك شاه أية عقبة في ننفنذ آهدافه ، فقد نجح فيما أقدم عليه ، اذ استولى على جميع البلاد المهتدة من لاذقية الشام الى مصيق السيفور الذي بنساب الى حوار القسطنطينية ، وكانت الأرض التي استولى عليها تقدر برحلة ثلاثين يوما طولا ، وعشرة أو خمسة عشر بوما عرضا واسترق جميع سكان المدن والقرى ، وهكذا (١) « غضب الرب على شعبه وكره مبرائه وأسلمهم له الأمم، وتسلط عليهم مبغضوهم •

<sup>(</sup>۱) المزامير ۱۰۳ : ۲۱ ·

ثم كانت مدينة أنظاكية الهامة آخر ما استولى علية ، وكانت لها الصداره بين كبير من الولانات في البيل والروعة ، اد كانت أول مركز لأمير الجوازيين ، ثم أصبحت بدفع الجرية لحصوم ملها ، وهكذا دخل بحث سياده المازفين ـ وفي رمن قصير سبيا ـ بلاد «كوليسيريا» بما استعملت علية من ولايات فيلنفية وايستوريا و «بامعيليا» و «ليكنا» و «كبادوسيا» و «علاطته» وأبصا ولاينا و بوبيوس» و «بسبينا» وقسم من آسيا الصعرى ، وسبهر كلها بكيرة موازدها ، وكان أعلب سكانها من التصاري لكن حرى عليهم بكيرة موازدها ، وكان أعلب سكانها من التصاري لكن حرى عليهم الأسر ، وعليت الكنائس على أمرها وامندت النها يد البدمير ، وانطلق الأعداء بطاردون المله المستحبة لا تأجدهم في هذه المطارده هوادة اد الأعداء بطاردون المله المستحبة لا تأجدهم في هذه المطارده هوادة اد أحمتوا العرم على استئصالها ، ولو كان بحت يد ملكساه فوه بحرية أحمتوا العرم على استئصالها ، ولو كان بحت يد ملكساه فوه بحرية لمن له ما أزاد من عبر حدال فتح المدينة الملوكية (أعنى القسطنطيية)، دلك لانه بن في نقوس الاغريق من الرغب ما جعلهم يستبعدون مناهم أنفسهم حتى داخل أسوار عاصمتهم ، ولم يعودوا يعسرون تعليا البحر في أرضهم كافنا لصمان سلامة منام السلامة .

أدب هذه الأحداب \_ وأخرى مسابهة لها في طبيعها \_ الى سيطرة الفرس التامة على كافة سكان بيت المقدس وما حاورها ، فغمر البأس الباس من قمة رأسهم الى أخمص أقدامهم ذلك أن عزاءهم \_ كما قبل \_ كان نأتيهم في وقت السيدة من القصر الامبراطوري بوم كانت الامبراطورية بيعم بالرخاء ، فكانب سلاميها وسلامة أحوالها وانتعاش حال المدن المحاورة \_ وفي مفدميها حميعا أنطاكية \_ تدعيب في نقوسهم أملا كبيرا في أن ينعموا بالعبش أحرارا في مستقيل أيامهم ،

أما الآن فقد أصمحوا جرعين على أنفسهم وعلى غبرهم فعمتهم الاشاعات المتسئومة حتى أصبحوا يودون الموت أكثر مما برحون

الحماه ، وانهارت عزائمهم اعتفادا منهم أن قد قصى عليهم بالأسر الأبـدى •

### - \ + -

حدى في أنباء هذه الأوقاب العصيبة الخطرة أن وصيل الى مدينة القدس حماعة صبحمة من البونان واللابين بحيوا من سبي صنوف الهلاك في أرض العدو ، وكان محيثهم لأداء مناسك العيادة في الأماكن الطاهرة ولكن حراس أنوابيا لم يأدبوا لهم يدخولها حتى يدفعوا قطعة النفود الدهيبة التي حرب العادة أن يدفعها كل داخل ، عبر أنهم كانوا قد صرفوا في أنباء رحليهم كل دانق كان معهم ، ولم ينق في يدهم شيء من بعد يؤدونه لسداد هذا الرسم المالي ، وان كانوا فد وصلوا \_ بسق النفس \_ الى هدفهم الذي طال شروفهم الله ، فيلغوه سالمن •

و يحمع الحجاج ررافات أمام المديسة بسطرون الاذن لهم للخولها ، وطال انتظارهم حتى مات منهم أكبر من ألف حاح سبب الجوع والعرى ، وكان هؤلاء الساس ( الحجاح ) – الأحساء منهم والأموات – عبئا ثقيلا بنوء به كاهل الأهالي البعساء الذين حاولوا المحافظة على حياة من لا يرال فيه نفس بتردد ، فراحوا بمدونهم بما فدروا عليه من الطعام بمسكون به رمقهم ، كما بذلوا من حاسهم حهدا في دفن الموتى ، رعم أن مشاغلهم الحصوصية كانب فوق طاقيهم .

أما الحجاج الذين دفعوا الرسم النفدى المقرر ، وأدن لهم بدخول بيت المقدس فقد أضافوا الى المواطنين عبئا زاد من أعبائهم overted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وحملهم مسئولية أضحم ، لما كان بسيدد هؤلاء الححاح من الأحطار أثناء بجوالهم الذي كان بسيم بالبعد عن الحذر بلهفا منهم على رباره الأماكن المقدسة ، وكانت هذه الأحطار ببمثل في البصني عليهم ، أو لكميم على آدابهم ، أو ما هو أسلسوا من دلك ألا وهو حقهم مرا ، ومن ثم قابه لما راح الححاح بسرعون في المصى الى الاماكن المقدسة مصى المواطنون بنعونهم في حيان أخوى مؤملين أن ينمكوا بهذه الطريقة من دفع هذه الأخطار عيهم حرصا منهم على حيانهم وسلاميهم وحرعا من أن يقع لهم حادب مؤلم .



وكان في المدينة دير يملكه « الأمالفيون » لا يرال بعرف حتى المدوم باسم دير القديسة مارى وحاصة اللانين» وهو ملاصق لمارسيان به كنيسة صغيرة أقيمت تمجيدا ليطرك الاستكندرية المبارك « جون المنير » وكان يقوم بالعناية بالمارسيان رئيس أساقفة « الدبر المنكور حالا » . كما كانت المعونة يبذل به في أي وقت للحجياح المؤساء الذين يحصرون في ميل هذه الطروف فينفق عليهم مما بأني من الدير أو من الهيات التي يحود بها المؤمنون وكان قل أن وحد بين الألف من الحجاح القادمين واحد يستطيع أن يكفل ذاته ويقيم أود نفسة اد بكون أكبرهم قد فقدوا نفقة سفرهم ، وأرهميهم الصعاب المهلكة ، وما استطاعوا بلوغ غاينهم سالمين الا بعد عسرومنية .

هكذا لم يكن ثم راحة للمواطنين في بلدهم ولا في خارحه ، وما كان من بوم يتقضى عليهم الا ويحمل لهم نذر الموب ، الذي كان هناك ما هو أنكى منه ألا وهو حزعهم مما هو ماثل أمامهم على الدوام من الاسترقاق الفظ الذي لسبت لهم قدرة على احتماله .

وكان هاك شيء آخر أدى بهم الى أقصى آيات الحزن ، ودلك العدو كان يدخل قسرا الكنائس التى أعيدت لأصحابها والتى بدلوا جهدا كبيرا فى الحفاظ عليها في في عليم، فط بما لهده الأماكن الغمارهم فى أداء طقوسهم الدينية غير عابى، فط بما لهده الأماكن الطاهرة من حرمة واحترام ، فينحد من مذابحها مقاعد له ، ويبث الفزع فى قلوب المصلين بصفيره وصياحه الجنونى ، ثم يعلب كئوس القرابين ويطأ بأقدامه الأدوات الخاصة بالمراسم الدينية ، وبحطم التماثيل الرخامية ويكيل اللكمات لرحال الدين ويصب عليهم واللا من اللعنات ، ثم يجذب البطرك المولى الأمر من كرسبه ، ويجذبه من منعره ، ويأخذ بلحته ويطرحه أرضا كأنه مجرم حفير ، وكم من مرة ألقى به الأعداء فى الحسس من غير حريرة ، وعاملوه معاملة لا تجور الا مع أحقر العبيد . . . . كل ذلك تعذيبا لأنباعه الدبن شاركوه الألم باعتبارهم اباه أباهم الروحى .

لعد ظل هدا السعب المؤمن بالرب \_ كما علما \_ عاسى دلك القيد الفظ ، ولكنه أبى الا أن يطل مسنمسكا بديمه رغم بلواه على مدى أربعمائه وسمعن سمة ، وطالما جأر هؤلاء بالسكوى الى الرب في صلواتهم التى لا تنقطع واستغابوا به في أنات باكبة ، وزفرات حرى ، راجين أن يحلصهم من العذاب الذى لاقوه حزاء خطاياهم ، وكم سألوه ، أن تنغمدهم رحمته العظيمة فتبعد عنهم سؤر عصبه عليه م لأنهم وقعوا في هوة السر كما يقول القائل « غمر بادى غمرا (١) ، ٠٠٠ كل نماراله ولجحه طمت عليه » .

وأخيرا بعطف الرب عليهم وتحنن بنظرة منه وهو على كرسيه المجبد ورغب في وضع حد لهذا الشقاء ، فأبى حنانه الأبوى الا أن يمنحهم الراحة التي يلتمسونها •

<sup>(</sup>۱) المزامير ، ٤٣ · ٧ ·

ان اهماما في هدا الكمات منصب على بنان طريقة وتنظيم هذه الحطه الالهنه التي أرادها الله لانفاذ شعبه من بلواه تمجيدا للمحلصين في المستح ،

# - 11 -

فى هذا الوقب بالداب الذى كانب قبة المدينة المحبوبة من الرب نمر بنك المناعب السابق وصفها ، كان هناك بين الحموع الكبيرة التي سافرت الى الأماكن المقدسة من أحل العبادة والصلاة قسيس اسمة « نظرس » من أسقفه « أمين » في مملكة القرنجة ويعرف « بالناسك » ، وهو لقب طابق لقطة واقعة وكان هذا الرجل قد شدته الى بين المقدس نقس الحماسة الروحية ،

أما عن هنئه فكان رحلا فمبئا لنس فنه ما يحذب النظر النه، لكن كانت نسكن هذا الحسد الصئيل شنجاعة عظمى ، هذا الى انه كان امراء خفيف الروح دكيا ، حميل العينين ، ولا تنقصه البلاعة الدكان طبيعة ركيب فيه وخلقة فطر عليها .

وبعد أن دفع المقرر حبايته من كل مسيحى راغب فى دخول المدينة استصافه أحد الأنفياء المؤمين بالمسيح ، ولما كان بطرس رحلا طلعة فقد راح يلفى على مصيفه السؤال نلو السؤال مستفسرا منه عن أحوال النصارى فتحمع لديه منه تفاصيل حمة لا نقف عند حد الأخطار الحالية بل بجاوزتها الى ذكر الاضطهادات التى قاساها أحدادهم من قبل على مدى سيوات طوال غايرة ، آما الأخيار الني فاته سياعها منه فما لاذن فقد أدركها بالملاحظة الدقيقة التى أسعفنه فاته سياعها منه فما لاذن فقد أدركها بالملاحظة الدقيقة التى أسعفنه

بها عيناه ، كما دلنه استقصاءاته الحاصة دلالة حلية على صدق ما سمعه من الآخرين ، ومما تجمع لديه بعد مروزه على الكنائس خلال اقامنه في المدينة ، ثم ترامى الى سمعه ما كان عليه بطرك المدينة من كبرة الورع وعظم الحوف من الله فيمنى لو تكلم معه عن الأحوال السائده اذ داك في المقدس ، كما طمع أنصا في الحصول على صوره كاملة أكبر وصوحا عن أمور معنى أخرى فمصى الى رؤيته ، حتى اذا صار في حصرته كان حوار طيب استمنع به كل من الرحلن وكان هناك مبرحم ما يقوله كل منهما .

أدرك البطرك « سيمون » من كلام بطرس أنه أمام رحل فطي، ملم الماما واسعا بكبير من الأمور ، قادر على الاقباع بالكلمة والعمل فأخذ يشرح له في اسهاب وصدق الأهوال الجمة المبصبة في وحشمة على شعب الرب الساكن بيت المقدس ، فأثرت مساعر بطرس الأخوية عند سماعه هــذه الرواية بأثرا لم بملك معـه دموعه عن الانهمار ، ثم راح يسأل في لهفة عما ادا كان في الامكان ايجاد طريقة ما للحلاص من هذه المصاعب المحدقة بهم ، فأحابه الرجل الصالح « اعلم يا بطرس أن السبد الحبون الرحم يأبي أن تكبرت بأناما وآهاتنا الباكنة سبب الخطايا الني كبلنا بهسا أنفسنا ، ولسبب الآثام التي اربكساها ولم سطهر منها ، ومن ثم فلا محل في حاضرنا لوقف القصاص منا ، ولكن رحمة الرب العطبمة لن سمح بأن يمسنا صر ، وبقوة اخوانك المحلصين في عبادتهم لاسب هذا الى أن مملكتهم \_ التي تفزع أعداءنا \_ تمتد امندادا فسيحا شرقا وعرباً ، فإن هم تعاطفوا معماً في حب أخوى وشاركوباً في موقعاً الحالى وقدموا من العلاج ما يدفع المصائب الى تىثال علبما أو ال هم على الأقل تشبعوا لنا عبد المسبح فقد يراودنا الأمل في الحصول على أي عون من امسراطورية الاغريق على الرغم من أنهم كانوا أكبر

ارباطا بنا برابطة الدم والجوار ، هدا الى ما عدهم من ثرواب صحمه أعطم الصخامة ، ولكنهم أصبحوا اليوم لا يقدرون على الدفاع عن أنفسهم اد بالاشت فويهم بددا ، كما أنهم فقدوا ـ حسبما سمع حتابكم الأخوى ـ أكثر من يصف امبراطورينهم على مدى سنواب فلائل » •

فرد علبه بطرس مائلا: اعلم أيها الأب المبارك أنه ادا موفر الكسسه رومة وأمراء العرب منبلغ ألمعى ثقة يخبرهم بالمصائب السى نكابدونها ، فلا شك أنهم سوف يبادرون الى بذل الجهد للقدم العلاح بأسرع ما يمكنهم قولا وعملا لنخلىصكم من هذه المساق ، وعلمك أن سابر في الكمابة الى قداسة البابا والى الكنسسة في دومة وأن نؤكد الحطاب بخاتم سيادتكم وأما أنا فلن أتراحع من حهى عن حمل هذه الرسالة رحاء خلاص روحى ، كما أنني مستعد عن حمل هذه الرسالة رحاء خلاص روحى ، كما أنني مستعد عن معمديا بالله للمن للمهم ، وسأكون الشاهد عمدهم على محمتهم الني بحاوز كل حد وأدعو الحمدع أفرادا وحماعات عدهم على محمتهم الني بحاوز كل حد وأدعو الحمدع أفرادا وحماعات

نرك هذه الكلمات برول السلوى على نفس البطرك وملابها بالغبطة ، كما نقبلتها قلوب الجميع قبولا حسنا ، وفرت عسون المسبحين فرحا لبطرس وشكروا رحل الرب شكرا حريلا على عاطفته ، وناولوه المكتوب الذي سألهم اياه •

، حما بارت با مولانا ٠٠ كم أنت عطبه ورحمنك بلا حدود

« حما يا عسى السعيق لن يخب قط من ناط أمله سابك ١

« اد من أيل جاءل مبل هذه اللغة لحاج بلا معيل يمل غير سنك كيدا الحاج بطرس وهو ناء عن مسقط رأسله حتى يأخذ نفسله وبحمل على عاتقه مهمة فوق طاقمه ؟ نم هل له أن يطمع بعد ذلك في تحقيق ما بنظلم الله » .

« ان التفسير الوحيد هو أنه وجه أفكاره نحوك با رب وأبت حاديه ، وعاض فلبه بالحب المقد فيعاطف مع اخوانه ، وأحب من حوله حبه لنفسه فسار للوفاء بما فرض علبه ، وعلى الرغم من صعف قوة كمائه الا أن المحبه كانب بسيد أرره ، كما أبه رغم ما ألقاه اخوانه على عاتقه عن مهمه سافه ان لم يكن مستحيلة الا أنها نبسرت عليه وذللت له نفصل ما طبع في قلبه من حب لله ولجيرانه ذلك لان الحب فوي كالموت « وأبه لا ينفع الا الايمان الكامل بالمحبة (١) » ،

« ان خادمت لن يتردد اد أطهرت نفسك له وشبجعته بمرآك ولن تذبذب ، ولكنه ينهض فوبا لكمل عمل الحب » •



<sup>(</sup>١) انظر علاطية ، ٥ . ٠

iverted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وحدث في أحد الأيام أن خادم الرب هذا الدى أنكلم عنه كان مشعول البال على عير العادة بالتفكير في العودة الى وطبه والوفاء بالمهمة الني حملها ، ثم دحل كنيسة القيامة وانجه بقلب خاشم كل الحشوع الى مسع الرحمة ، وأمصى الليل في الصلاة والبهحد ، حتى ادا فارت عاطفيه سقط على الدرج واستعرق في البوم العميق استغرافا لم يحدث له من قبل ، وخيل اليه أنه يرى سيدنا عيسي المسيح واقفا أمامه كالطبف وهو يقول له : « انهص يا نظرس وأسرع وانحر ما عهد به اللك من المهام عير حواف ولا وحل لأنني سأكون معك ٠٠٠ لفد حاء الوقت ليطهر الأماكي المعدسة ولمساعدة حدمي » .

واستقط بطرس مستريحا الى الرؤية التى رآها وصار أكر مملا للطاعة ورأى السبجانة للانذار الربابي ان لا يبرس أكتر من هذا ، فدب الشباط فى أوصاله ونأهب للرحوع ، ولما فرغ من الصلوات المألوفة مضى الى الأب البطرك (سسمون) بستأدنه فى العودة فنفحه ببركانه فاطلق شطر البحر حيت وحد سفسة تحارية على وشك الابحرر عن طريق، أبولنا فاستقلها فيلع « بارى » بعد رحلة موفقة ، وبسما كان على وشك المضى الى رومة اذا به بعلم بوجود النابا ايربان [ النانى ] فى نلك النواحى فرفع الله رسالة البطرك ومستحى القدس ، ووصف له ما بعابونه من الأهوال والمناعب على أبدى الطغاة الموجودين فى الأماكن الطاهرة ويقل الله فى دقة وبراعة ما عهد الله به و

حدد عمل سبوات من هذا الوقت أن سبب صراع عدم بين همرى ملك الألمان وامتراطور الرومان وبن البابا حريحورى السابع سلف اربان السابى ، وقد دار هذا الصراع حول الحاتم وعباءه الأساقفة الراحلين ، وكان العبرف قد حبرى ـ لا سبما في الامتراطورية ـ على ارسال حاتم أسقف الكسسة الراحل ومسوحة الكهنوية الى الامتراطور الذي يقوم بعد ذلك بقليل بارسال واحد من بطائه أو أحد فساوسية وبكل الله مهام الرعوية في ذلك المكان دون انبطار لقيام رحال الدين باسحانه ، لكن البابا إحريجوري دون انبطار لقيام رحال الدين باسحانه ، لكن البابا إحريجوري مدر لحقوق الكيسة ووطئها بالأقدام ، فقيام من حابية ينهي الإمراطور عن عجرفية الكريهة هذه ، بكرر منه مرازا هذا اليهي بالكف عما يقعل فلما رأى أن لا حدوى من هذه البحديرات الهادئة أصدر ضده فرار الحرمان .

غضب الامدراطور من هذا الاحراء أشد العصب ، وسرع فى اضطهاد الكسسة فى روما فعمد الى تنصب جبيرت \_ رئيس أسافقه رافيا \_ مكان اليابا المعظم حريحورى ، وكان حسيرت هذا كبير البراء واسع المعرفة مكسه ثروته الطائلة واعتماده على بطس الامبراطور من خام حريحورى الموقر وتولى هو فسرا الأبرشية الرسولية ، وكم كان غيبا غاية الغياء تنقصه صحه اليفكير حين اعتقد اعتفادا حازما بأنه هو اليابا حقا ليعيه زورا وبهانا بهذا اللقب .



كان العالم السقى الغارق فى الرذيلة يسير - كما فلل فبل هذا \_ فى طريق حطر خاسر فلما سب هذا الراع ازداد بردى العالم

verted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version

فى هوة أشد عمعا لنخلمه عن كل احترام واجب لله وللانسان ، وراح يجرى وراء كل ما دنسنه الحطيئة ، ويباعد ما بينه وبين كل ما ينطوى على الحبر ، فقدت السجون أبوابها للأساقفة ، وكان اذا نجرأ أحد من رحال الكنسسة على معارضة الامبراطور في تسببه هذا زح به الامبراطور في الحسن وصادر كل ما يملك ، كأنه محرم فنل نفسا ، ولم بقف الأمر عند هذا الحد من صب الأهوال الدنيويه على رحال الدن بل صاروا عرضة على الدوام للخلع من أبرشياتهم وبعس سواهم في أماكنهم هذه ،

فقر حريجورى من نقمة الامبراطور الى « ابوليا » حس لقى أعظم الترحس ، وعومل أشرف معاملة من جانب دوقها رورب حيسكارد الذي مد به المساعدة الى البابا ونحاه من الوقوع في يد الامبراطور حتى نمكن أخرا من الوصول الى سالرنو حت وافاه أجله بها ودفن في ثراها ، فخلفه اذ ذاك على كرسى البابوية البابا فيكور الذي لم تحاور بابويه شهرين فقط ، فنلاه البابا ايربان الثاني الذي أشرنا الله من قبل والذي لحا الى قلاع أتباعه النبلا المحلصين لبدراً عن نفسه غضب الامراطور هنرى المذكور من قبل، لكنه لم يكن أبدا بصحاة منه اذ كان ( الامتراطور الحديد ) مصرا في عناد شابه عناد سلفه في سلوك هذا الطريق الخبيث و

وعلى الرغم مما كان فيه البابا من بلاء عظيم الا آنه أحسين لقاء الموقر بطرس الذي شغل نفسه منذ رجوعه من القدس بسفيد المهمة التي ألقيت على عاتفه ، فوعده ايربان وعدا من الرب الذي هو خادمه انه مبادر لمساعدته في مسعاه الذي حاء الله من أجله متى لاحب له المرصية .

حسناك اشتعلت حذوة الحماسة الزكية في نفس نطرس الذي راح يذرع كافة أرحاء ايطاليا وعبر حبال الألب ولم نترك أميرا من

الامراء الا راره ، عير مدخر وسعا في حمهم جميعا و بحد برهم ولومهم. فنجحت تحذيراته \_ بفصل الرب \_ في حمل بعصهم على المبادره الى الحروح لمساعده احوامهم الدبن مسمهم الملوى و بزل مهم الصر . رعبة منهم في ألا يدعوا الأماكن المقدسة \_ وهي البقاع الني بعطف السمد فسرفها بحضوره وصائها عن أن تدنس بالخبائب .

ولم يكنف بطرس بما أثمرته دعوته بين الأمراء وحدهم ، لكنه مطلع الى أن تؤدى تحذيراته القوية الى تحريك معوس العامة وأهل الطبقة الدنيا ، واشعال جذوه حماسهم للقيام بنفس الواجب ·

وبىنما كان يتىق طريقه فى بطء بين الممالك والسعوب داح فى وفاء صادق لرسالته وفى نشوة روحية مقدسة \_ يبشر بنفس الرسالة بين أفقر الباس وأدباهم ، ورعى المسيح مسعاه البار فكان من عطفه علبه انه لا يكاد يدعو الناس حنى بؤتى دعوته آكلها طبة، وأصبح ببشيره هذا صروربا أشد الصرورة للبابا الذى أحمع أمره على أن يتبعه دون ابطاء الى ما وراء الحيال ، ذلك لان كلام بطرس كان يفتح قلوب سامعه لطاعته فلا يجد البابا صعوبة فى دعونهم الى نفس الأمر الذى بؤدى الى بحقيق هدفه تحقيقا يحعله قادرا على التأثير فهم .

-12- . .

الحروب الصليبية جـ١ - ٧٧

الأول بن هبرى الاول ملك الفرنجة العطيم ، ورأى الدانا الربائد وقسيداك يا نخب بني ادم قد حاور كل مدى ، وأن كل سيء بندني الى استقل كما لو كان ينجة الى السر ، ومن ثم عقد مجمعا لكل ايطاليا في د بياشنزا ، فكان هذا المجمع خطوه احتج اليها كل الاحتياج لرد غلو الناس ، فلما انتهى هذا المجمع عادر البابا ايطاليا فرازا من غضب الامبراطور علية ، وعبر جبال الإلب ودخل مملكة فرنسا حيث نسلم تأكيدا بينا عما ستمعة حالا من الأخبار ببين منه أنه لم يعد أحد ما في أية ناحة يكبرت بالدر العلوبة ، الى حالب استحقاف السياس بتعالم الأناجسل وللاشي الايمان ، وبالن كل نعمة وقضيلة مهدده بالحطر وقعرت مملكة الشرودول، الطلام قاهد لبيلع الجميع ،

ونطرا لمكامة المابا ايربان المانى فقد كان شديد الميهة المرفة السبيل الدى يسلكه للقضاء على الرذائل والخطايا الفاحسه المي كانب للأسف تزداد نشاعة حبى لتكاد أن نبتلع الدنما مأحمتها ، لذلك عزم على الدعوه لمجمع عام عقد أولا في « فبربلمه » ،م في « بوى » ، حبى ادا حل سهر بوقمبر احتمع باسم الرب في كالمرمو سد احدى مدن « أوفيرن » مجمع مقدس من الأساقفة ورؤساء الادرو من شمى المواحى والولاياب الوافعة وراء حيال الألب ، بكان هم الرعاية الالهمة ،

وحضر هذا الاحتماع أيضا بعض أمراء تلك الولايات دانها . كما نقررت فيه المنظمسات الني يمكن أن تؤدى الى التحلص مى الطروف غير الملائمة التي تمر بها الكنيسة ، وكان هذا القرار ساء على نصيحة رحال الدبن وأهل التقوى ، كما أذيعت المراسس التي كان برحى منها أن بساعد على تقويم الأخلاق وتصيحيح الأخطياء الجسيمة .

ولما كان بطرس الناسك يسعر بالمسئولية الكبيرة بحاه الرسالة الني حملها ، فقد رأى أن هذه الاجراءات ربما أدت الى عودة السلام الذي بدو وكأنه قد تلاشي من الدنبا .

وأحبرا آلفي ابريان عطمه وهي كما بلي .

#### -10-

" اعلموا أيها الاخوة الأعزاء ، وحق لكم أن تعلموا كيف أن فادى الجنس البسرى قد نزل في نجالت هبكل بسرى لخلاصنا حميما ، وعاش بسيا كانسان ، وكان مجيئة نمجيدا لأرض المبعاد التي وعد بهيا من قبل ، والتي داعب شهريها بأعمال الناموس وبالمعجزات المتكررة التي قام بها ، وهذا ما يشير الله العهدان : القديم والجديد في كل ما نصمناه نفريبا ، وأن الواضح حقا أنه أحب نلك الأرض حيا صادقا منذ أن نعطف على دلك المجرء من الأرض \_ أو بلفط أدق \_ على هذه البفعة الصغيرة فسماها بميراثه ، رغم أن للرب " الأرض (١) وملؤها المسكوية وكل الساكنين فيها » ومن ثم قانه هو القائل أيضا نصوت أشعيا (٢) " ميراثي اسرائيل » والفائل أيضا (٣) « ان كرم رب الحدود هو بيت اسرائيل » .

<sup>(</sup>۱) مرامبر ۲۶ ، ۱۲، ۶۹ ، ۱۲ ،

<sup>(</sup>٢) اشعبا : ١٦ . ٢٥ .

<sup>(</sup>۳) اشعیا ه V

وعلى الرغم من أنه كرس الدنيا بأجمعها منذ البده لنفسته الا أنه النفى المدينة المقدسة على وجه الحصوص لنكون خاصه به ، ودلك بسهادة النبى الفائلة « الرب(۱) أحب ابواب صهيون أكر من جميع مساكن بعقوت » ، وقد تحمل في هذه المدينة أقوال كبرة رائعة فهناك أكد محلصنا بتعاليمه وعدابه وفيامه من بين المونى أن الحلاص انما يكون في أرصها ، لذا ققد اخبيرت نلك المدينة منذ البدء لكون شاهدا على هذه الأمور ، ولنكون هيكل الأسرار ، واختيرت حقا لنكون خاصة لمن اصطفاهم بقوله : « اهتفى يا بنت أورشلبم » هو دا ملكك خاصة لمن أجل أورشليم المدينة الني اخترتها لنفسي لأضبع السمى (٢) فيها ،

لكن على الرغم من أن خطايا أهلها حملت الرب العادل على أن بوقعها مرة بعد أخرى في أيدى السريرين ، ويجعلها بكابد فظاظمهم فنرة من الوقب ، الا أنه لا ينبغى أن يذهب الظن باحد الى أنه بخلى عنها ونبدها نبذ النواه لانه مكبوب (٣) « ان الذي يحبه الربيؤديه ويجلده » .

ولكمه يغضب على من يقول له (٤) « لذلك ٠٠٠ أحل عضبى بك فتسرف عيرى عنك فأسكن ولا أغضب بعد » ومن ثم فانه بحب هده المديمة حما لا تمطعى حذوته وأنه القائل (٥) « ستكونين اكليل

<sup>(</sup>۱) مرامیر ، ۸۷ ۲ ۰

<sup>(</sup>۲) ملوك أول ۱۱ ۲۰ ۳۳ .

<sup>(</sup>۳) عمرانين ، ۱۲ : ۲ .

<sup>(</sup>٤) حرقيال ، ١٦ : ٤٢ .

<sup>(</sup>٥) اشعيا ، ٦٢ . ٣ ، ٤ .

جمال بسد الرب ، و باجا ملكيا بكف الهك ، ولا يقال بعد دلك لهجوره ولا بعل بعد لارصك موحسه بل بدعين حقصمه وأرصك لرعى بعوله لان الرب يسر بك (١) » .

وان مهد ایماننا ، ومهبط رأس مولانا ومسع الحلاص فد تملكها الآن عنوة شعب غير مناله ، هو ابن الجاريه المصريه [هاجر] لدى يفرص على أبناء المرأة الحرة [سارة] ظروفا بالعة السوء حبى قالت : « اطرد هذه الجارية وابنها » •

#### \*\*\*

لهد طل حنس الشرفيين (٢) البغيض عبر سموات طوال مصب يبسط سلطانه على الأراضى الطاهرة التى مشى عليها السند بقدمه ، ثم خضع المؤمنون للقهر ، وراحوا ينخبطون في فيد الأسر ، فدخلت الكلاب الأماكن الطاهرة ودنس الهيكل وضربت المذلة على عباد الرب، واليوم ها هو ذا الشعب المخبار يحمل الأحوال التي لا يستحفها ، وما هم رجال الدين مسترقون ، والكرامة ساقطة في الوحل والطين، وأصبحت مدينة الرب \_ التي هي فوق كل مدينة \_ محكومه لا حاكمة ، فمن ذا الذي لا تنفطر نفسه كمدا ، ولا يذوب قلبه حسرة حيث تخطر بباله هذه الإهانات !!

« أيها الاخوة الأعزاء : من ذا الذى يستطع سماع هدا كله ولا تبكى مقلتاه ؟

« لقد غضب بسبوع فطرد من همكل الرب حميع من اتخذوه

<sup>(</sup>۱) سفر التكوين ، ۲۱ ۲۰ ۰

<sup>(</sup>٢) وقد يمكن ترحمتها بالمسلمين لأن لفط Saracens أصبح في كتمه الغربيين في العصور الوسطى وعند بعض المؤرجين المحدثين مرادفا لكلمة «المسلمي» •

مكاما للبسع والسراء ، حنى لا يصير بب أببه \_ وهو بس الصلاه \_ معاره للصوص ومأوى للشماطين (١) ٠

« لقد كان هذا هو الذى أثار الحماسة الكريب فى نفس المديس ما دوس د السلف العظم للمكابين الطاهر بن كما بشهد نذلك هو نفسه اذ يقول: « لقد أصبح الهبكل سُمه اسان علا سُرف ، وتلاشت كل المآثر الرائعة » •

وان مدينة ملك الملوك التى نقلت الى الآخربن بوامس الايمان السلم قد دانت رغم أيفها الى برهات الخوارج ، كما أن كسسه المعامة المجدة التى هى آخر مكان رقد قله السبيد ،قاسى حكمهم وسلطح بأوساح أقوام لن بكون لهم حط القيامة بل كنت عليهم أن يطلوا في المججم الى الأبد ، كأنهم هسيم الناز لا ينطقىء لهينها أبدا ، كما أن الأماكن الموقرة المخصصة للأسرار الالهية ، والمواصع التي عرف السبد زائرا لها بسخصه ، وشاهدت آيانه ، وبالها حسيانه ، وتحسم فيها كل البراهين الدالة على ذلك في ايمان صادق قد عدت مداود للماسية وحظائر للبهم ، كما أن أحسن الناس الذين ماركيم رب الأرباب قد تعلى أنسهم من حراء عبء المخدمات المفروضة عليه ولا يستطيعون البحلل منها ، ولا يتقدون عليها الا الأحد.

وان أبناء هذه المواضع \_ وهم أغلى مهر للكنسبة الأم \_ ود العي القيص عليهم ، وسبقوا أذلة ، وأرغموا على خدمة الخوارج الدسين ، حبى بنكروا اسم الله الحي القسوم ، ويبطى شفاههم الطاعره بالمجديف فيه ، فإذا امينعوا ذعرا من أوامر الكفار الآثمه

<sup>(</sup>۱) متی ۲۱ - ۱۲ ـ ۱۳ .

دىحوهم بالسبف دبح الأصاحى فيدخلون في عداد السهداء الأبرار ٠

ه ان الدبن المهكوا حرمه المقدسات الديسة لا بقلمون حرمة للمكان ولا للناس ، ولا يسورعون عن قلل القسس واللاوبين ، ويرعمون العدارى على ارتكاب الفحساء والا كان الموت بالعدات من تصيبهن ولم يشفع عندهم للعجائز شبخوخهن .

« الا فالویل لما نحی الدین بعیش فی بعاسه الرمی الخطیر الدی نببا به الملك الطاهر داود المختار من الله ، وشكی ممه اد قال (۱) « یارب ، آن الامم قد دخلوا میرانك و تجسوا هبكل قدسك » ، وقوله (۲) · « الخطاه یستحقون سعتك یا رب ویذلونه ، حتی متی الطعاه یا ربی یشمون ، منی یا رب بغضب كل الغصب و سفد كالمار غیرنك ؟ » ۰۰۰ « همل الی الدهور یرفص الرب ولا یعود للرضا » ۰۰۰ « حتی منی یا رب تخنبی كل الاختناء » « أذكر یا رب مادا صار لما ، آشرف وانظر الی عارنا » ۱۰۰ الوبل لی حین ولدن یاری هذا البؤس المحتی بسعتی و بالبلد المقدس وأن یسام الی آیدی الأعراب (۳) ،

د أنب هو ملكى ، يا الله باسمك ندوس العائمين عاميا » (٤) . فيحبب « لا يطنوا انى جئت لألقى سلاما على الأرض بل سيفا » (٥) . فسلحوا أنفسكم أبها الأحياب بحماسة السيد فيه ينطح مضابقينا ،

<sup>(</sup>۱) مرامیر ، ۷۹

<sup>، ؛ (</sup>۲) مرامیر ، ۹۶ ؛ ۵ •

<sup>(</sup>٣) راحع المكابيين ، ٢ ٧٠

<sup>(</sup>٤) هرامبر ، ٤٤ ٤٠٠

<sup>(</sup>۵) میی ۱۰ . ۳۲ ۰

رادا أحس أحدكم بالحمية لسريعه الرب فلينضم النا ، وهيا بنا نمضى لنحطم الفنود التي تكبلنا وتلقى بعيدا بحبالهم عنا ، فالروح نفسه نسهد أيضا لأرواحنا أننا أولاد الله ، فان كنا أولاده فاننا ورثه أيضا ووارثون مع المسبح » (١) واذهبوا وليكن الرب معكم ، ووحهوا السلاح الذي شحذيموه لفيل بعضكم النعص الى صدور أعداء الله وخصوم المسبع .

" ان مملكة الرب لن تكون لم أحرموا فسرقوا ومن اتهموا باشعال النار عن عمد ، ولا لمن نهبوا النساس وسفكوا الدماء ولا لأصحاب الحراثم الأخرى المسابهة لهذه في طبيعيها • .

فأطيعوا الرب الطاعة التى يرضاها ، عسى أن تتنزل علبكم رحمه سريعا ومكون لكم سفاعة القديسين فيغفر لكم ما اقنرفتم من خطايا أثرتم بها حنق الرب علبكم فاستشاط غضبا ،

« وعلى دلك فدحن محدروكم وموصوكم باسم الرب بالعمل على النطهر من خطاباكم وذلك بمشاطرة اخواننا سكان القدس وما حولهم في مصائبهم وآلامهم ، وكونوا شركاء لهم في ارث ملكوت السموان ، وعليكم أن يكبحوا بكل عضبة ديسة وقاحة الكفار الذين يحاولون اخضاع الممالك والولايات والدول ، وأن يحاربوا ما وسعكم الجهد هؤلاء الذين أحمعوا العزم على ازالة الاسم المسيحي ، فأن لم نعلوا ذلك فأن كيسة الرب التي لم نرتكب اثما سوف تفقد الايمان سريعا وتكون السيادة لجهالة الوثنية ، ولقد رأى بعضكم بعبني رأسه هذه الأمور التي نكلم عنها الآن ، وعرف مدى الأهوال التي يحماها أولئك الأسعاء ، وأن رسالتهم التي أحضرها بعده ذلك الرجل يحماها أولئك الأسعاء ، وأن رسالتهم التي أحضرها بعده ذلك الرجل الموقر ، بطرس » الموحود معنا الآن لتحمل نفس الأمر .

<sup>(</sup>۱) روسية ، ۸ : ۱۷ •

« ومن ثم فنقة منا برحمة الرب ، وبعدرة الحواربين الطوبانس بطرس وبولس لنعفر خطايا المسبحيين الصادف الدبن بحملون السلاح لقنال الكفار ، وينحملون مسقة رحله الحج هده ، ويسع عنهم كل عفاب مفروض عليهم بسبب آثامهم ، ولسق الداهبون الى هماك بنيه صادقه وبيقة نامة بغفران خطاياهم ، وبحصولهم على النعمة الأبدية .

« كما أننا في الوقت دانه سوف نبسط حمايه الكيسه ورعايه الباركين بطرس وبولس على من ينهضون مسلحين بايمانهم الصادق للحمل عبء محارنة الكبار ، وسندرجهم في عداد أندئنا المطيعين المحلصين « ونرسم بأن يطمئنوا ، وألا يخالجهم أدني خوف على أملاكهم وذويهم ، فأن اجترأ أحد ما ب أثناه هذا الحج بعلى أن يسبب لهم ضيقا أصدر أسقف ناحبنه قرار الحرمان ضده ، ويظل فرارا مصلطا علبه عند الجميع حتى ترد المسروقات ، وحنى بقدم النعويص الملائم عن الأشياء المفقودة ، كما أن الأسافقة والعساوسة الذين لا يقمون مهام وظائفهم حتى ينوبوا ، لنالوا رحمة الكسسة الرسوليه » هكذا خيم [ النابا ابربان البائي ] موعظيه ، وأمر حميع الحاصرين اذ ذاك من رجال الكنائس بالعودة الى أبرشسياتهم ليكرسوا أنفسهم لما سمعوه ، وليسعوا سعيا حنبنا لحث أتباعهم على النهوض الى الحج سمعوه ، وليسعوا سعيا حنبنا لحث أتباعهم على النهوض الى الحج

ولما فرع [ اربان ] من هذه الرسالة أمسك عن الدّلام وانفض المجمع الذي راح كل من حضره يودع أخاه ويرجع الى موطئه ، وانصرفوا منصاعين في صدق واخلاص لسفيذ قرارات المؤحر (١) وحب الناس حميعا على النواصي بحفظ السلام الذي ائتلف الناس على تسميته « بسلام الرب » . وصدر الأمر بعدم اعاقة من عزموا

<sup>(</sup>١) أي مؤتمر كلدرموثت ٠

على لرسله ، وألا بهم في وجههم العراقبل أبناء انخذهم الاجراءات اللارمة للسفر ،

#### - 17 -

وزياده على دلك فانه نظرا للخدمات الجليلة التى أداها بطرس للدين ، فان الله انعم علمه \_ وهو الحادم المطبع المبسر ، دو الهمه العالمة الرائعة \_ بالبلاعة والعصاحه ، ووهبه العبول الحسن فى عبون الحصم حسى ان كلمانه كانت بهدو وكأنها وحى من الله ، اد بلفاها القوم \_ صغيرهم وكبيرهم \_ بالرضا والامسال ، غير عابئين بما يسطوى علمه نعدها من مشقة ،

ولم بكن الحماسة الديبية لهذا الحج فاصره على من اسبعوا اليه شخصنا ، بل بجاوزتهم خطبته \_ حين داعت طولا وعرصا \_ الى من لم يكونوا حاصريها ، فبئت فيهم رغبة عارمة للعمام بنفس الرحلة ، كما صدع الأسافقة بما أمروا به ، مطهرين البعاون الكريم فدفعوا أبناعهم للسعر للحج ، ودأبوا على النبقل في ربوع أسعفنانهم ببذرون بدور الحياة بين الناس، وما كأن لحبه منها أن نموت اذ كانت ببذرون بدور الحياة بين الناس، وما كأن لحبه منها أن نمول أنه بحقف لا نفع الا ويؤي آكاها طيبة مباركه ، ومن الحق أن نقول أنه بحقف كلمة السبد (١) اد يقول « ما حثت لالهي سلاما بل سبعا » ، فقد العصل الروح عن روحه والمرأة عن بعلها ، وفارق الآباء أبناءهم والأبناء آباءهم ، ولم يسبطع أي رباط محبه أن يحول دون هذه الحماسة ، كما عادر كبير من الرهبان أديرتهم ، وفعل السماك

<sup>(</sup>۱) مسی ، ۱۰ ۳۲ ۰

فعانهم فيركوا صوامعهم الدي المحدوها طواعية ملحاً يقيم فيه كل واحد منهم على الفراد « حيا في الله » •

لكن الرب لم يكن مع الحمبع في عملهم هذا ، اذ لم بكن الحصافة \_ وهي أم العصائل كلها \_ محركهم الحقيقي ، فقد شارك البعص البعص الآحر حتى لا يفرقوا عن بعصهم ، ونهض آخرون حتى لا يبهموا بالنراخي والكسل ، ومهاهم غير هؤلاء وهؤلاء بدوافع نافهه ، أو عساهم بخروحهم هذا يهربون من دائنهم الدبن أنفلوهم بالدبون العادحة ، وهكذا كانب هماك أسباب محلفة أسرعب بالدون العادحة ، وهكذا كانب هماك أسباب محلفة أسرعب بالحميم الى نفس الهدف ، ولم بكن هناك في بلاد العرب أي اعتراف بالسن أو الجنس أو الوضع أو الطروف • كما لم يسبطع أحد منع بالسن أو الجنس أو الوضع أو الطروف • كما لم يسبطع أحد منع بالسن بين الواحد والآخر فكانوا حميعا يدا واحده ، وأقسموا دون نمييز بين الواحد والآخر فكانوا حميعا يدا واحده ، وأقسموا كلهم المين بقلوبهم وأرواحهم ، وبدا الانجاز الحرفي لما حاء في الكتاب (١) من انه «سيماني أمم كبرة من نعيد تمتدح أورشلهم وسيجد لها ، ويحملون الهدايا في أندبهم » •

لفد بلقى الكبرون ممن حصروا مؤسر « كابرمونب » هذه الكلمة الراسخة بفرح عظيم ، وكان على رأسهم « أديمار » أسعف « بوى » ذلك الرجل الطاهر الذبل العاطر الذكر ، والذى صار بعدئذ النائب للبابا ، فسار بسعب الرب في حمليه هذه سيرة ملؤها الصدق والإخلاص .

كما كان من بسهم أبصا « ولهم أسعف أورنج » الصادق الانمان والذي مخاف الله •

<sup>(</sup>۱) طونیا ، ۱۳ ، ۱۱ ـ ۱۵ ۰

ودبب (١) بفس الحماسة كدلك في نفوس أمراء حميم الممالك الذين لم يحضروا الاجماع ، اذ راح كل واحد منهم يسجع صاحمه ويستعدون للسفر الدى حددوا يوما معينا له يكون بعد انمام جميم ما يلرم من الاستعدادات وبعد ال ينجمع كل رفافهم ، والحق أنه يبدو كأن العباية الألهيه هي التي رببت الحمله التي سكلم عنها . وكأن الأوامر صدرت اليهم من الرب ، ذلك أنه لم يكن يشاع أن أمرا ما من الأمراء قد قطع العهد على نفسه بالحج حتى ينوافد الماس عليه زمرا اثر زمر ، يتوسلون البه أن يسمح لهم بالانضمام الى حماعمه ، وبعترفون بسيادنه عليهم ، ويعطعون العهد على أنفسهم بالطاعة والاخلاص له ، ولما كان الملل (٢) يقول عار على أن أنخلف عن الناس ادا كان الطاعون قد أخدهم حسى آحر واحد فيهم » ، فقد أسرعوا الى تحهيز أنفسهم بكل ما يلزمهم ويحناحون اليه ، وكانوا يتزاحمون ويسابق كل منهم الآخر ، والحق أنه كان تكر سُنا الهيًا لأن نار التطهر هذه كانت لازمة لمحو خطايا الماضي وحب آثامه المي كانت \_ وا أسفاه \_ كبره حدا ، كما كان الانصراف لتدبير السفر مفيدا في منع اربكاب الخطأ بعد ذلك ، بعد أن كانوا قد حادوا عن طريق الرب وأساءوا السير مع غيرهم ٠

وقد اتفقت الآراء حميعا على عبول ما اشترطه البابا من قيام كل من أقسموا على السفر لهذا الحج برسم شارة الخلاص على ثنابهم ، ألا وهي الصلب الزاهي ، وبذلك يحملون على أكنافهم

Man i : واعد في الترجمة الانحليزية التي اعتمدناها ، ربناء على ما دكره . Sacrorum conciliarum nova et implissima collectto, vol xx. col. 923.

أن كل دكر نلم الثانية عشرة أو أكثر كان عليه أن يقطع اليمن كل ثلاث سنواته على حفظ سلام الرب ومراعاته ·

<sup>(</sup>۲) رد المرحمان الامريكيان هذا المئل الى هوراس Ars Poet. 417 المريكيان هذا المئل الى

ذكرى الدى عزموا على رياره الماحيه المى سهد آلامه ، وكانوا فى عملهم هذا معلدين للسيد الذى أسرع الى هناك من أحل حلاصما. لانه : « يولد لما ولد ، ونعطى ابنا وبكون الرياسة على كمه » (١) .

ويبدو كأن الآيه النالبة من سفر أسعنا سبر الى هده الحركة حبب يفول ان السبد (٢) سنوف يرفع رايه للأمم ويجمع منفيى اسرائيل .

وظهر أيضا نمام كلام السيد حرفا بحرف مصداقا لعوله (٣): «ان أراد أحد أن يأبي وراثي فلينكر نفسه ويحمل صليبه ويسعبي» •

## - 17 -

عمد الأمراء النالية أسماؤهم من كلتما المملكتين الى بعوبه عزائمهم بعلامة الصلب ارتباطا منهم بالحج القادم:

السادة المساهر : هنج الكبير شنقيق فعلب الاول ملك الفرنحة ، وروبرت كونت نرمندى ابن وليم الأول ملك الانجليز ، وستيفن كونت شارنرز وبلواوالد كونت تيوبولد الكبير ، وأديمار أسعب بوى ، ووليم أستفف أورنج ، وريموند كونت نولور وسنبل حيل ، مع آخرين غيرهم من الرجال العظماء .

كما دهب أيضا المحارب الباسل لورد جودفروى العظيم دوق اللورين ، ورحل معه كذلك أخسواه اللوردان بلدوين واستاس ،

<sup>(</sup>۱) اشعیا ، ۹ · ۳ ·

۱۳ : ۱۱ : ۱۲ : ۱۲ •

<sup>(</sup>۳) متنی ، ۱٦ ° ۲٤ •

verted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version

وصحبهم كذلك بلدوين الملفب سورج وهو فريب الاحوه الملائه وابن لورد هم كونت ريبيل ، وحاسته دى جراى ، وبلدوين كونت هينولت ، وايزور كونت ديى ، وربدولد كونت أوربج ، ووليم كونت فوريز ، وكونت سينفن دومال ، وروبرو كونت برش ، وهمم كونت سين بول .

وممى صحبهم من على المادوم وان لم يكونوا من وسلم الكونتات : النبلاء اللامعون الذين تقدموا طواعبة من تلقاء أنفسهم وهسم : .

هنری دیس ، ورالف بوحلسی ، وایفرارد دی بویسیه ، وجاستون دی بریسه ، وجاستون دی بریه ، وجاستون دی بریه ، وولیم آمانجو ، وجارارد دی شریزی، وولیم دی مونسلیه ، وجرارد دی روسیا ، وحی دی جارلاند سنکال ملك الفرنجة ، وتوماس دی لافر ، وحالن دی كالفومون .

. كما إسار بطرس الناسك بطائفه كنيفة من الساس حمعهم
 يمشقة كبيرة من مملكة [ فرنسا ] وامبر اطوريه [ آلما ] .

. وحاك من الحانب الآخر من حيال الألب بوهسوند أمير مارنبو ابن فوبرت حسكارد دوق أبولها ، وابن أخمه تانكربد ، وكبيرون غيرهم لا نعى داكرننا أسماءهم ولا نحصمهم عدا .

وظل جميع هؤلاء \_ مع فواب ضحمة من أهل القسال في المنظام السلاعة الملائمة للانضمام للكنائب الحربية المستحمة ، وهم على أثم أهية ليسنال أوواحهم لتحمل العيال حج عظيم كهذا المحيج مرضاة للمسيح .

ومن ثم فما كاد الشناء ينصرم ونبدأ بباشبر الربيع في المهلهور وسكسر شده السرد ويعود الحو اللطيف يغمر الدتيا حيى هيئوا حادهم ، وأعدوا سلاحهم ، وجمعوا ماعهم ، كما طل من أزمعوا الحروج معا على انصال بعضهم ببعض ، وحددوا موعدا دفيها وسما ببنهم والساعة الني رأوها ملائمة لبدء مسيرهم ، والعقوا أين يكون ملنفاهم ، واسمنعرضوا المسالك فاختصاروا أيسرها عليهم وأسرعها في ابلاغهم عاييهم وادلم بكن في قدره أي اقلبم أن ينفرد وحده بوفير المثونه لهذه الآلاف المؤلفه من الباس فعد ربوا برتبا دقيقا أن يقوم كل واحد من الأهراء الكبار بالسير على انفراد بس يبيعه من القواب ، ويسلك طريقا لا يسير فيه سواه ، وانفعوا على الا تليفي هذه الحيوش الا في مدينة « نبقية » .

لهدا \_ كما سسسرح هيما بعد \_ سار الدوق [ حودفردى ] كنائبه من طريق المجر ، واتخذ كونت بولوز وأسقف بوى طريقهما عبر « دلماشما » أما الزعماء الآخرون فاخبرفوا « أبولما » وبذلك وصلوا في النهاية الى الفسطنطسنة ، وان لم يكن بلوغهم حميعاً في وقت واحد بل في أوقات محيلفة ، وأعدوا في الوقت ذانه العماد الذي رأوه كافيا لرحلة طويلة كهذه الرحلة ، وراح كل منهم بعدر المال الذي ينطلمه هذه السفرة بما يتناسب وطول الطريق ، كل دلك وهم ياسون أن الأمور كلها بيد الله ولبس بسد البشر لأن الاسمان في ضعفه لا بعلم ما يأبى به الغد ،

لم نكن بم دار واحدة من دور جمسع ولايات الغرب ساكنة هادئة ، بل كان كل امرى منهمكا حسب امكانياته في ترتيب ما يهمه من أموره الخاصة ، فهنا الأب يدبر شئون أسرته ، وهناك الابن وثم الأسرة كلها منصرفة لاعداد ترتبات السفر •

وحاء رسائل كثيرة بعث بها أولئك الذين أزمعوا الرحيل في وفت واحد ، سنجع كل منهم الآخر وبحدره الناخر في الحروج ، وبسحه بالبكر فيه ، ولما أخذ الذين قلنا انهم قادة الجماعات

المحلفة في دعوة البقية فقد انتزعوا القسهم من أحصان أعزائهم وسط العويل والرفرات، وقد ودع كل منهم الآخر ونبادلوا القبلات فيما بينهم، ثم رحلوا، وكان خروجهم في جرو من الانتحاب والولولة، فيرى الأمهات يصحبن الأبناء ويرى البنات يودعن الأبناء والأخواب والأشقاء، أما الزوجات فانطلقن يودعن أزواجهن حاملاب أطفالهن الرضم على أذرعهن أ

فلما فرغن من الوداع الأخير رحن يناسعن بنظرات حادة من لا يستطعن مصاحبهم أبعد من ذلك ·

## - \ \ -

كان وولنر المعلس التبريف النبعة والمحارب الكمي أول من بهص للحج خبب بدأ رحلب في النوم النامن من سبر مارس عام ١٠٩٦ من مولد المستسح ، واستصحب معه طائفة كبيرة من الجنب المستاه ، أما الفرسال الذين كانوا معه فلم يزيدوا عي شردمة ضئيلة ، فلما عبر بهم مملكة النيوتون دخلوا بلاد مملكة المجر التي كان الوصول اليها أمرا عسيرا لكبرة المستقعات التي تغطى معظم بواحبها وأحداق الأنهار الكبيرة بها ، ومن ثم الم يكن في استطاعة المسافر الوصول الى المملكة أو الخروج منها الا من أماكن معينة شديدة الضيق .

كانت مملكة المجر حينة التحت حكم أشه الملوك نمسكا بالمستحية ، ألا وهو الملك «كولمان» الذي ما كالد يعسم باقتراب «وولير » وكان يعرف خبر رحله ويستصوب هدفه الكريم حتى رحت بدخوله مملكته ، وسمح له أن لسير فيها بحملته ، كما أذن

له بعقد سنوف عامه ، فسار « وولس » في بلاده آمنا ، وبلغ بهر ، ماروس » سالماً ، وهو الحد الفاصل المعنوف به بن المجر والسرف ، ثم عبر النهر ووصل بقوانه إلى أرض البلعسار في أكان يعرف « بناجراد » .

لم يكن يدور بخلد [ وولس ] أن طائفة من جماعمه قد تحلف وراءه على الجانب الآخر من النهر في موضع يعرف باسم « سماس » لسراء الطعام وما لا غسى عنه في الرحلة ، فأمسك المجريون بهؤلاء الرحال وجردوهم مما علبهم من الساب وضربوهم ، ثم أرساوهم بعد ذلك الى أصحابهم خاوى الوفاض، فحزن القوم جميعهم حربا عميقا للمحنة الطامة التي حاقت برفافهم ، ومع ذلك فعد أنقنوا نمام المعين أمه من الصعب علمهم \_ بل من المستحيل \_ أن يعودوا فمعمرور النهر أخذا بالبار لما في ذلك من بأجبل مسيرنهم ، فرأوا \_ في ظروفهم الراهنة هذه \_ أن النغاضي عن المضرة التي أصابتهم أحدى عليهم من المبادرة الى القسام بعمل طائس لا بسيطبعون الحازه فيصمحوا على ما فعلوا نادمن • وإذ كان أملهم في الله الذي بهصوا من أحله عظما فقد انصرفوا عما أرادوه ايمانا منهم بأنه ما من مصمية بافاها حدد المسمح الا والرب غير مهماها بل معاقب عليها بمايا لأنه وعد أنباعه بدلك اد قال (١) : « تكونون منذرضين من الحميع من أجل اسمى ، ولكن سُعرة من رؤوسكم لا نهاك ، وبصبركم افتنوا أنفسكم » · ومن ثم ساروا لطسهم ، ومضوا في طربههم حتى حاءوا \_ كما قلنا \_ الى « بلحراد » فوحدوا « وولنر » فد سأل الدوق حاكم أهلها أن بأذن لهم بعقد سوق بنمايعون فمه ، ولكنه رفض رحاءه ، فلم يجه اذ ذاك بدا من أن يضرب معسكره أمام المديمة ، واذ كان عاحزا عن كبح حماح حسمه الحاثم فقد ففد الكسر

<sup>(</sup>١) لوف ۲۱ ، ۱۸ ـ ۱۹ •

من رجاله ، ذلك لأن عسكره لما وجدوا أنفسهم عاجرين عن الحصول على أى شيء من البلغار الطلقوا للبحث عن الطعام ولم يتحرجوا عن أية وسيلة لالماسه دفعا للجوع الذين عضهم بنابه ، فقدر لهم أن يأتوا الى قطعان من الماشية والأغنام كانت للبلغار فأخذوها قسرا وسافوها الى المعسكر ، فلم يكد أصحاب القطعان يعلمون بما حرى الها من بيب حسى هسوا الى أسلحتهم وكروا على [ اللابين ] كرة ضاريه محمعين العزم على استرجاعها ، وهاجموا اللصوص الدين كانوا يسوقون الدواب أمامهم ، وفتكوا بهم غير جماعه فوامها مائة وخمسون رجلا قدرت لهم النجاة العصلوا عن لقية رفاقهم ولجأوا الى كنبسة صادقوها في فرارهم فأضرم العدو فيها النار ، فمات حرفا من اعتصموا بها الا فلة لاذت بأذيال الفرار .

ولما أدرك « وولتر » أنه يقود جيسا عبيدا لا يعرف النظام ولا يكس بما يفعل فقد انفصل عمن البعوا شهواتهم اتباعا أعجزه عن كبح حماحهم ، وسلك ببقية عسكره مسلكا فيه الحكمة والحرص، فاحماز بهم غابات بلغاريا الكنيفة ، حتى انبهى السير بهم أخيرا الى « سسرالكما » (١) وهي مدبمة حملة من مدن « داكيا الوسطى » ، فصرح لحاكمها بما لحقه من الخسارة وشكى اليه اللكبة التي حاقت طلما بسعب الله على يد البلغار وطلب منه أن يعوضه عن ذلك كله ، فعامله هذا الدوق معاملة كلها عطف علمه ، لانه كان رجلا مستقيما يحاف الله ، وصرح لهم باقامة سوق يستطيع الجمش آن يشسرى يحاف الله ، وراد فوعدهم ما يحتاحونه مما نفرضه نوامس الانسانية ، أنه غير حاجب عنهم ما يحتاحونه مما نفرضه نوامس الانسانية ،

 <sup>(</sup>۱) رحمت الترحمة الاتحليرية لهدا الكسساب أن تكون هذه المدينة هي موفيا ع في الوقت الحالى .

الامبراطوریه ، ولما وصل « وولنر » الى القسططسیة جیء به الی حضرة الامبراطور ، ونجح فی الحصول من جلالته علی ادن یسمح له بانزال جبسه قرب البله وبعقد سوق للتجارة ، علی آن یکوں / دلك الی حین ، حبی یصل بطرس [ الباسك ] الذی کان قد آدن لوولىر أن یسیر بحت قیادته  $\cdot$ 

## -19-

ما كادت سفضي فنرة وجيزة بعد الأحداب التي ذكرناها حيي زحف بطرس عبر « لو تاریجیا » و « فرانکونیا » و « ماهاریا » والاقليم المسمى بالنمسا ، وكان تحت امريه حسد ضحم يكاد يقرب من أربعين ألفا جعل منهم جيسا على اختلاف أممهم وقبائلهم وألسنتهم وشعوبهم ، فلما أشرف بهم على تخوم مملكة المجر بعث برسالة الى ملكها ، فجاءه الاذن في يسر بالدخول ، على أن يسر في المملكة في هدوء ، عبر محدت ارعاحا ولا مسبب شغبا فاستجاب بطرس لما اشــترطه الملك ، وبادر بالانتفاع من هــذا الاذن ، ودخــل المملكة بعسكره ، وأمده أهلها بكميات كبيرة من الطعام قدموها اليه بثمن معقول ووفق شروط طيعة ، فنقهم العسكر في هدوء إلى المدينة « سملين » الني أسرنا اليها ، حنب حاءهم نبأ ما حاق برفادهم الذين سمعوهم بقيادة ، وولس » وما عوملوا به من معاملة دنيئة على أيدى أهل ملك الناحية ، فلما طالعوا ما كان معلقا على أسوار المدينة من أسلاب وسلاح رفاقهم رمزا لانتصار المجريين علىهم أغضبهم ذلك كل الغضب وحمنذاك انتضوا أسلحنهم واقتحموا المدينة عنوة ، فلقى غالب أهلها مصرعهم اما قتلا بالسيف أو غرقا في النهر القريب منها ، ويقال انه هلك في هذه الحركة الهوجاء ما يناهز أربعة آلاف مجرى ، وكان ذلك عفابا يكافى عجرمهم ، وبعول الأحبار أن و بطرس فقد فى هذا اليوم مائة رجل ففط من رجاله ، فلما فرغ الحجاح من الاسمالاء على المدينة بعوة السلاح أقاموا بها خمسة آيام سوبا بسبب ما وحدوه بها من وافر الطعام •

#### \*\*\*

كان دوق البلعار المدعو « بيكيناس » هو المسئول عن رفض السماح لوولر وجيسه بعقد السوق ، فلما برامي الى سمعه خبر انتقام عسكر بطرس من مدينة « سملين » بسبب المعاملة التي كان قد صادفها حنش وولر سرب الحوف الى نفسه من أن ينزل به مؤلاء نفس العقاب لانه لم بكن بريئا من هذا الموضوع ، ولما كان « ننكيناس » غير واثق تماما من وسائل الدفاع عن مدينة بلغراد التي يحكمها فها ما واثنه ما وغادروها في اثره سيكانها حميعا مستصحبين معهم موانسهم ودوابهم ، ولاذوا الى الغابات فرارا الى على بها من المحابى، والأماكن السرية ،

وبينما كان بطرس لا يزال مفيما بالمدينه المغلوبة على أمرها حاء الأخدار بأن ملك المجر وقد هزه نبأ المذبحة الني حرب على شعبه واسدعي اليه فوانه الحربية من شتى أرجاه بلك الناحية واستعد استعدادا جبارا للبأر لهذه الدماء المهراقة ، فبادر بطرس في لحظته الى الاستيلاء على حميع السفن الراسبة على طول البهر ، وأمر حيشه بركوبها والعبور بها على وجه السرعة ، فاستجابوا له وأخذوا معهم ما وحدوه بالمدينة المنهوبة من ماشية ودواب ، وحازوا ما بها من أغلى الأسلاب حتى توفر بين أيديهم من ذلك كرة فوف الوصف ، ولما تم نقل كل شيء الى الشاطئء الآخر ضربوا معسكرهم أمام بلحراد الني وجدوها مهجورة من أهلها ، وسار بطرس من هياك بهن معه ثمانية أيام اجتاز خلالها غابة كنيفة بالغة الاتساع . خرج

منها الى « ينش » ، وسنار من خلفه كل الجيس بما معه من عربات وم كنات وقطعان الماشية والدواب ·

ومدينة «نبش» هذه شديدة الحصانة بفضل سورها وأبراحها الني تحميها فوه كنره من السنجعان والأبطال ، فعنز جنس [بطرس] النهر الذي يجرى الى جواز المدينة من حسر صخرى ، وضرب معسكره على مقربة منه •

كانت المئونة الني معهم في الزحف قد أخدت في النفاذ ، وأصبح العسكر يواجه نقصا بسا في الطعام ، ومن ثم بعنوا برساله الى حاكم المدينة يتوسلون الله في لهجة رفيقة أن يأدن لهم باقامه سيوق بسروط كريمة وأسعار معسدله ، وبكون السيوق حاقلة بمنطلبات الحساة اليومية الضرورية لهؤلاء القوم الحجاح الذبي خرجوا امتثالا للأوامر الألهية ، فأحابهم الوالى بأنه عبر مسطم الاذن لهم بذلك الا اذا بعنوا الله أولا برهائن من رجالهم تأكيدا لعدم قيامهم باحداث أي أذى ، وأنهم لن بقدموا على أي عمل من أعمال العنف بصيبون به الأهالي العاملين بالسوق ، واربضي الطرفان هيذا الشرط ، وأرسل [ اللاين ] الله الرهائن ، واذ ذاك مضي المواطنون من المدينة حاملين معهم بضائعهم .

### - 44 -

توفرت كمات هائلة من الزاد لكل الجسس، وجرى النعامل بين الجانبين ببعا وشراء على أحسن ما يكون النعامل، والصرم اللسل في هدوء تام، والناس من كلا الجانبين يتحدثون بعضا الى بعض في مودة، حسى اذا بدت تباشير الصباح عاد الرهائن الى قومهم وأخذ

الجيس يناهب للمسير ، وبينما كانوا على وشك الرحيل \_ أو بلفظ أدق \_ بينما كان الجانب الأكبر \_ ان لم يكن الجيس كله عد أخد في الرحبل ، ادا بجماعة قليلة من طغام الماس ودعاة الفوضى ممر يستحقون لعنة الله عليهم عد حدثهم نفوسهم باحدات شغب بافه عي اللملة السابقة أثناء شه أنهم بعض ما بلزمهم من رجل بلغارى ، فاستحبوا عليلا من الصفوف الني كانب عد رحلت وأضرموا النار في سبع طواحين كانب موحودة عرب الحسر وفوق المهر المذكور ، فأنت المار عليها كلها حتى صارت رمادا .

كان أبناء الماعون هؤلاء \_ وعددهم قرابة مائه سخص \_ من سعب النوبون الدين لم بكف العمل السرير الذي ارتكبوه في اطفاء غصبهم المجنون ، بل رادوا عليه فراحوا يقذفون بالنار بيوت طائفة معنة من الناس نقع خارج الأسوار فأحرفوها هي الأخرى ،ونعوسهم ملآى بنفس الضغنة ، فلما فرغوا من حريمهم هذه أسرعوا للانضمام الى نفية الحسن البرىء مما فعلوه ، وساروا كأنهم غير شاعرين بما ارتكبوه من الاثم .

كان حاكم المدية قد يلقاهم في الليسيلة السالفة لهاء بالغ اللطف ، فلمساراى نكرانهم لأفضاله عليهم اضيطر ليدبير حطة بعاقبهم بها بدلا من منابعة الاحسان اليهم ، وترمى هذه الخطة للقضاء عليهم قضاء لم يعرف النصفة فيه ، اذ عدهم جميعا لصوصا مخربن ، وأخذ الحسن كله يحريمة سرذم قلين ، ومن ثم اسيدعي الله الأهالي وأمرهم بحمل السلاح ، ولم يتأخر هو ذاته عن قيادتهم بنفسه فكانوا حمعا كبيرا ، وراح يسجعهم بالقول والعمل على مطاردة الصليين كما لو كانوا ماضين للنار من فجرة دنسين ، وأصيبح أهل السلاد كلهم رحلا واحدا ، قد توحدت مشاعرهم ، ويقدموا مهاحمين القوات التي كانت قد سبقت غبرها ، ثم كروا على المؤخرة

كرة عنيفة وراحوا يعملون سيوفهم فيها . ثم جاءوا الى أولئك النعساء الدين لم بكونوا فد انضموا بعد الى الجنس الأصلى فهاجموهم بسدة، وحرءوهم كئوس الموت دهاما ، كما أوقعوا نفس العقساب ، ان قصدا أو عقوا ــ بكنير من الأبرياء ، فأخذوا البرى، بجربره المذب ، واسنولوا على العربات والمركبات المحمنة بسنى أنواع المئونه ، وقبدوا السيوخ والعجزه والسناء والصنان والبنات الذين تم يستطعوا اللحاق بنفنة القوم ، وسناروا بهم ، فسفى غليلهم ما سنفك في المذبحة من دماء العلى ، ثم عادوا الى المدينة محملين بالغيائم ،

## - 71 -

راح بطرس في هذه الأباء بنفدم بطلعة عسكره وكبار رحال الحملة وهم على جهل تام بالكارثة الني أصابب رفافهم حبى طالعهم فحاة رسول يخب به حواده على عجل ، حاملا النهم نبأ الفاحعة ، وأسهب لهم في شرح فصة القيض على رفاقهم اسهابا ما كاد يصافح أذنى بطرس حنى نادى في العسكر أن يوافوه ، واستجاب لنصبحة أهل البحربة منهم ، فكروا راجعن عبر الطريق الذي تقدموا منه طوال البوم كله ، فلما طالعيهم حنب اخوانهم الصرعى \_ وكايت برهانا على المذبحة \_ لم يسبطعوا امساك أنفسهم عن البكاء والعوبل . ثم وفقوا أخيرا للمرة السانية أمام المدينة في النقعة التي كانوا معسكرين فيها الليلة البارحة .

لم مكن عند بطرس ومن معه من زملائه الذمن كانوا أحسن من غيرهم في سبطرنهم على انفعالاتهم الا فكرة واحسدة وغرض واحسد بالسمة لهده المسألة ٠٠٠ لقد عادوا لدكتشسفوا

سبب العاجعة . ولتحاولوا اذالة دواعى البراع حتى سمكسوا من ممانعة رحلة حجيم في أمان آكبر ، وذلك حين يسبب بالسلام استسانا ناما وبعاد على أكمل وجه بين السبعيين ، وتصيفو المقوس من كل سائبة ، فأرسلوا الى حاكم المدينة والى سبوحها من أجل هذه الرغبة رحالا أهل قطبه وادراك للمسئولية ، وعهدوا البهم أن يتقصوا الحفائق والطروف التى أفضت الى ذلك السغب المعائى ، واهراق كبر من الدماء البريئة ،

ولما وفف الرسل على سبب [ هذا الشقاق ] ببن لهم أن الأهالى لم يعمدوا الى حمل السلاح جزافا بلا مبرر يدعوهم للغصب، ولما لم يكن الوقت ملائما للمطالبة بالسار جزاء ما ارتكبوا من الأخطاء ، فقد بذل الرسل غاية حهدهم لمحاوله اعاده السلام الى محراه ، نأن يعاد الى رفاقهم كل ما فقدوه من الغنائم والماع .

وبسما كابوا بسعون سعما حسما للوصول الى هده الحامة والى انفساق يرضى الطرفين ، ادا بهم بسمعون ضبجة هوحاء فى المعسكر سبسها العواطف المناجحة النائرة ، وأدكاها تهور بعص الأشخاص الذين لا يكترثون بسىء ما ، ولكنهم أرادوا سلوك طريق العنف للاننقام لما وقع عليهم من أضرار .

وطمع بطرس فى بهدئة ثائرتهم وازالة ما فد يؤدى الى مذبحة أخرى ، فاخنار رهطا من المسئولين أصحاب النفوذ القوى وأرسلهم الى الرعاع فى محاولة منه لمنعهم ـ وهم فى سورة غضبهم الحدونى ـ من مهاجمة الأهالى ، فما أحدب هذه المحاولة نفعا ، فقد رفضوا أن يسمعوا الى تحذيره المجدى ، واذ ذاك أصدر أوامر صريحة الى المجسى عن طربق المنادين أن يلتزم كل واحد يمين الطاعة التى فى عمه له ، فلا تحاول بأى صورة من الصور أن يساعد أو بعضد الذين

يريدون البحرة بسلوكهم الطائس على سجب السيلام الدى عاد يرفرف الآن من حديد عليهم •

واستجاب الجيس لهذا التوجيه وعده أمرا لا مفر من الحصوع له ، واذ ذاك ركن الجميع الى الهدوء انتظارا لانتهاء النوره الأولى ومعرفة ننائج الأمر كله •

أما الرسل الدين كانوا دهبوا الى الحاكم لعفد الانعاى ولد رأوا العكس من ذلك ، وأن الأهالى لم بمكن بهدئة ثائر بهم ، بل ان غضبهم راح يزداد عنفا بين لحظة وأخرى ، فلما أدركوا الا أمل فى نحاح مهمنهم الى جاءوا من أحلها بنوا هذه المحاولة وراء ظهورهم ، وعادوا الى المعسكر لمساعده رجل الرب بطرس فى احماد نائرة الفنية ، لكن هذا كان ضربا من المسيحيل ، فقد اندفع وراية ألف من الماس فى هذه المحاولة المجنونة ، وكانوا فى عددهم هدا يماثلون عدد من هب من أهل الهلد ، ويمخض الأمر عن معركه شرسة حرت أمام المدينة ،

ورأى من بداخل المدينة أن السعاق قد بن من هم خارجها ، واد كانت الفننة قد وقعت على كره من بطرس وعلى الرغم من أهره الصريح ، فقد راودهم الأمل في وقوف نقسة الجبش بمعزل عنه لا تمد له بد المساعدة ، واد داك قمحوا مزاليج الأبواب ، واندفعت حموعهم هادرة ففتكت بما يقرب من خمسمائة رحل من رحالنا الذي على الحسر ، والذين كانت بقبتهم كلها لا يعرف مواضع المحاضات ، ولا تدرى شبئا ما عن الموقع بأحمعه ، فابتلعها النهر ، فلما رأى العسكر هذا المطر هنوا سراعا الى أسلحنهم لأنهم لم يعودوا فادرين على تحمل الأهوال التي انصبت على رفاقهم ، والتقى الحمسان المتعاديان وجها لوحه في معركة وحشية أسفرت عن مذبحة مروعة .

فكان الحطب فى هده المرة أشد من سابقه ، ولم يستطع العامه ولا الرعاع غير النطاميين أن يصمدوا أمام ضغط البلعار علبهم ، فتخلوا عن موضعهم ولاذوا بأذيال القرار ، فتأثر بهذا الهرب الجنوبي آخرون كانوا يحاربون ببسالة ، فاقدفوا أثرهم وفعلوا فعلهم .

## على هده الصوره هرب الجيس كله ٠

فلما مصدعت الصعوف وانفرط عقدها ، لم يعد يوجد أحد ما يحاول المقاومة ، وفي وسط هذا الاضطراب فعد بطرس كل ما كان الأمراء المخلصون قد أهدوه اياه من الهدايا ، كما ضاع كل ما كان عده من مال كان عد اعتزم بدله في سد حاجاب الفقراء وأهل الفاقة في أثناء الطريق ، وذلك بسبب استبلاء العدو على العربة الني كانب تحمل هذه الروة ، فضاع كل شيء بضياعها .

أما الملعبار فف حدوا في اثرهم بقصونهم والعضب يملأ حوابحهم ، فقارب من قنلوهم منهم عشرة آلاف مسبحى ، واسنولوا على العربات ، ونيموا ما عمدهم من الماع ، وسموا كبرا من النساء ، واسمرقوا العديد من الأطفال •

فأما الذين سلموا من الوقوع في أيديهم فقد التمسوا النجاة في الفراد الى أعماق الأدغال التي لا يمكن الوصول البها ، وكان من أصعب الأمور استدعاءهم للرجوع في الموم النالث ، اذ أخذوا يدقون لهم الطول ، وينفخون الأمهاق ، حتى التفوا حول بطرس هم ومن نجا منهم ، وارتدوا حمعا الى مل صغير يرتفع بعض الشيء عن السهل .

ولما كان اليوم الرابع وقد تجمعت القوات المسردة ، وأقبل الهاربون من الأماكن الخفية التي ظلوا منوارين فيها ثلاثة أيام سويا ، وصار عدد الجيس الذي عاد بعضه الى بعص يقرب من ثلاثين ألها نهيئوا من جديد لمتابعة الزحف ، وعلى الرغم من سلوكهم الطائس الذي أدى الى ضماع ما يقرب من ألفى عربة نقل ومركبه حموله من أليديهم ، الا أنهم استنسعروا العسار ان لم يبجزوا حجهم فعادوا لمواصلة رحلنهم تحت ظروف بالغة المشقة ، اذ بسما كانوا يهمون بالسير رغم حاجنهم الملحة الى المئونة اذا بوافد من الامبراطور يصل الى المعسكر مزودا بالأوامر الامبراطورية الصادرة الى بطرس وغيره من فادة العسكر ، فخاطعهم الرسول علاسة بقوله .

« أيها السادة السلاء العظام: لعد وصلت الى سمع الامراطور شائعة سضمن رميكم بيهمه شبيعة دات طبيعية نكراء ، ونقول ايكم سرتم سيرة خرفاء في امبراطورييه ، وأنكم اريكيتم أمرا ادا في حق سكان السلاد وحق رعاياه ، وأثريم القلافل والاضطرابات ، فاذا طمعيم في أي وقت في نوال عطفه ، وأن يفعوا عبد حلالته موقع الرضا فاننا ينهاكم بيئمره للا يفكروا في البقاء بأي مدينة من مدنه أمدا يحاوز ثلاثة أيام ، وعليكم أن تسدوا رحالكم سريعا الى القسطنطنية في انضيباط ونظيام نامين ، وسيدل الجيس على الطريق ، وتعينكم بها تحياجونه من الطعام بنين مقبول » ن

شد مذه الكلمات من عزيمة القوم ودفعنهم حاحنهم للطعام الى النسرد ، كما أن رأفة الامراطور أنعشت الآمال في نفوسهم ، قراحوا يشرحون للمبعوث الامبراطوري بعض الظروف التي أدب الى الاضطراب الأخير مدافعن عن أنفسهم ، ومعرئين عنده ساحتهم ،

nverted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

و محدثوا عن تذرعهم بالصبر في احتمال البلايا التي أنزلها الملغار بهم طلما وعدوانا ، فلما فرغوا من كل دلك ساروا \_ كما وجههم \_ راسدس حتى بلغوا الفسطيطينة بعد رحله سافه ، فاما بلغوها وجدوا بهيا « وولير المفلس » وقوانه التي كانت معه في اننظار فدومهم ، فانصم المعسكران بعضهما الى بعص ، وخنموا في الموصع الدي حصص لهم ، واستجاب بطرس للاستدعاء الامبراطوري ، فدحل المدينة ووقف في الحضره الملوكية التي سألته عن مقاصده من وراء هذه الحركة الكيرة ودوافعه اليها ، فأسهب بطرس في شرح الأمر اسهانا دل على ما هو عليه من فصياحة اللسان وقوه الحيان ، وأخيره أن أكبر أمراء العرب فادمون في أثره ، وهم رحال مخلصون في خدمه الرب .

ولقد أظهر [ بطرس ] روحا عالمة ، وامنلاكا لماصيه البلاغة ، مما حمل كبار رحال العصر على الاعجاب بعطنته وشجاعنه ، بل ال الامبراطور دانه مال اليه كل الميل وأثنى على هدفه ، ثم صرفه بعد هذا الاستقبال الكريم ، محملا بالهدايا الراثعة ، وأمره بالعودة الى حنده الدبن معه .



كان الحسس قد أفام مى هذا الموضع بضعة أيام أسح لرحاله خلالها أن بعموا بالراحة وبما طاب لهم من المآكل ، ثم صدر الأمر الامراطورى بتزويدهم بالسفن يعبرون بها البسفور الى «بسسا» وهى أول الولايات فى منطقة آسيا ، وبحدها نفس البحر الذى باغوا مكانا بقع عليه اسمه «سيفيتوت» فأفاموا به وضربوا معسكرهم فيه .

كاس البععه التي عسكر فيها الحسن نقع على تحوم بلاد العدو، فظلوا مقيمين بها أمدا فارب السهرين اقامه طيبة ناعمه ، توفرت لهم بها سبى صبوف المئونة . كما أنه في خلال هذه القبره كانت هناك كميات ضخمة من البضائع بعرض علبهم كل يوم للبيع ، كما أنبحت لهم فرصة من الاستجمام الذي كانوا في مسبس الحاحة اليه ، غير أن هذه النعمه العطيمة من الطعام والفراغ الكبر حولت هـؤلاء التعساء والجفاه الى قوم اسببه بهم الطيش، ودفعتهم البلهنة التي يتقلبون في مطارفها الى الصلف ، فكونوا من سبهم جماعات لا تأثير بأمر أحد ، وراحوا يتوغلون في البلاد \_ على غير رضي من رؤسائهم \_ لسافة بلغت عسرة أميال أو أكبر ، فساقوا منها قطعان الماشية والدواب .

وطالما جاءتهم كتب من الامبراطور يحذرهم مغبه ما يعترفون ، وينهاهم عن التجرؤ على الابعاد أو استغزاز العدو، ويأمرهم بالبقاء في الموضع الذي خصص لهم ، وأن ينهجوا النهج القويم الى حبن وصول فوادهم الذين فيل انهم فادمون وراءهم .

وخاف بطرس على من وكلت اليه رعايتهم فذهب الى المدينة الامبراطورية عساه يحصل على تخصض ثمن ما يسنزونه ، وعلى ظروف أحسن فى المتاحرة ، فاغتنم العسكر المساكس الذى لم يألف المنظام فرصة تغبب بطرس ، وساروا سيرة رعناء حين قامت طائفة منهم ، فوامها سبعة آلاف جندى من المساة الذين يمانلون من ذكرنا فى غمهم ، وانفصلوا عن الجيس الأصبلي ، وضموا المهم ثلاثمائة فارس وزحفوا جميعا على نبقية من غير اكنران باعراض رفاقهم الآخرين على مسلكهم هذا ، ورتبسوا صفوفهم للحرب ،

والدفعوا فساقوا من صواحى المدينة عددا كبيرا من العطعان والأعنام ، وعادوا بها سالمين الى المعسكر .

#### \*\*\*

ورأى جماعه من البيونون وعيرهم من يتكلمون لعنهم ما صادفه اللانين من البجاح في غزونهم هذه ، فنملكتهم هم أيضا الرعبة في مجاراتهم في السلب والنهب ، وأجمعوا العزم على القيام بمل هذه المحاولة ، مؤملين أن يحوزوا من المحر لأنفسهم مثل الذي حاره هؤلاء ، وأن يرفهوا عن دواتهم فحمعوا من هذه الأمة [ السونونية ] ما يقرب من ثلاثة آلاف شحص ومائتي فارس ، ورحفوا نهم على نيقية ،

وكان في ذلك الاقليم \_ وعلى بعد أربع أمال من نعمة نفسها \_ مدينة حصينة تقع على سطح أحد النلال ، فدنا منها هؤلاء النيوبون وهاجموها أعنف هجوم ، وأحدقوا بها من شنى النواحى، واسمولوا قسرا على ذلك المكان رغم استبسال أهله في مقاومهم . لكمهم فعكوا بهم وملكوا كل شيء في البلد ، ثم أعجبهم جمال الناحبه وغناها فحصنوها بحصينا قويا ، وأجمعوا العزم على البقاء هناك حتى يصل القواد •

#### - Y2 -

كان [ قلح أرسلان بن ] سليمان [ بن فطامس ] صاحب هذه الأرض وحاكمها قد علم قبيل ذلك بأمد طويل بقيدوم الزعساء الصلبيين ، ومن ثم حشد حيشها كنيفا من السيجعان الذين

nverted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لا يحصيهم العد من نواحى السرق ، نادلا في سبيل دلك كل وسائل الاغراء والمال ، وعاد بهم الى هذه الجهاب ليمد يد المساعدة المنسوده الى أهالى الناحية ابتغاء صد هجمات العدو ، فلما بلغه الحبر أن التيوتون الذين ذكرناهم حالا قد استولوا على احدى قلاعه ، بادر الى الزحف عليهم ، وحاصر القلعة حصارا شديدا ، وحكم السيف في رفاب كل من وجده فيها .

ووصلت أنماء هذه النكبة الى المعسكر [ الصليبي ] ، وسرعان ما تردد الصدى بأن طائعة البيوبون الدبن عادروا المعسكر منه قريب فد هلكوا عن بكرة أبنهم على يد فلح أرسلان ، فاستبد الدعر بنفوس القوم من هدا الببأ ، ولم يستطبعوا أن يكسوا ما اعتملت به صدورهم من الأسى ، فأسلموا أنفسهم للبكاء والأس ، حنى ادا أصبحب الحقيقة في النهاية معروفة لاحقاء فيها عم الاضطراب جمنع الناس في المعسكر ، وارتفعت صيحاتهم عالية تلح الحاحا شديدا الا يسكتوا عن هذه المكبة التي نزلت باخوانهم ، وتنادوا بأن بهب الفرسان والمشاة لحمل السلاح للخروج ثأرا لدم رفاقهم المقبولين. وكان أعظم رحال الجنش وأهل الخبرة في مثل هذه الأمور راعسين في اطاعة أوامر الامبراطور ، فلما أرادوا التغلب على هذا الموضوع وكمح حماح العامة الطائشة ثار الناس ضدهم وتمردوا علمهم ، ورأسوا عليهم واحدا منهم اسمه « حودفروى ، ويلقب « ببوريل » وكان صعلوكا ، وجعلوه قائد هذه العصبة ، وراحوا يصبرون اللعنات على رءوس أصحاب المكانة العلبا ، زاعمين أن عدم اتاحة الفرصـة للانتقام بالسيف ممن قتلوا اخوانهم انما يرجع الى الجبن ، أكس من أن يكون صادرا عن تفكير سليم •

كانت العلبه أحيرا لمسئه العناصر الشربره ، فحلموا وراءهم السماء والأطفال والشميوخ العزل من السملاح ، على حمين مسلم اكباءون . فنحمع منهم رهط كانوا حمسة وعسرين الفا من المساة المدحجين بالسيوف ، ومائس من الفرسان المجهزين أحسن يجهس بما عليهم من الررديات ، وصفوا صفوفهم للقتال ، ورحفوا في الغابات المسار النها ، وكانت وجهتهم ناحية التل في افلهم نيقية ، وما كادبوا ينقدموه ثلاثة أمبال في الغابة حسى كان قد بلغها أيصا قلم أرسلان على رأس جبس من قومه كالدبي كبره ، وراح بعد السير شطر معسكرنا الذي ذكرنا موضعه من قبل ، قاصدا مباعسه بالهجوم ، وترامد الى الأسماع صحات وصمحان غير مألوفة صادره من العابات أنبأته أن الصلبيين قد غادروا مختمهم ، وأنهم في الطربق لمهاحمنه ، فعادر في لحطمه الى مغادرة الغامة والنزول الى السهل العسية ، ففعل رحالنا متلما فعل [ فلح أرسلان ] ، غير شاعر بن بافترات العدو منهم ، فلما اكسيقوا أنه أدنى ما بكون النهم هنوا للانقطاض علمه ، وراح كل واحد منهم بسجع الآخر وسه من عرى الله الماطوا به مسرعين سموفهم لمنتقموا بأبديهم لدم اخوالهم المراف في لكن بسما كان رجالنا مندفعين الى الأمام بعلوب ملوِّها الحميه والغيرة النبين في العدو منلقاهم ، وذلك لأن النوك ـ وقد أنقنوا أَنْهُ طُرُ اللَّهِ حَتَّى الموت \_ فاوموا مقاومة عنىفــة ، يذكنها غضبهم العارم الواقحة الأمم بكنرة جندهم ، واستبسل الجانبان استسالا قويًا والعلج الكن وارت الدائرة أخرا على الصلبين بسبب كره خصومهم ، ولما لم بسنطع رجالنا أن يتحملوا شدة المعركه أكنر مما تحملوا فقد اضطربت صفوفهم ولاذوا بأذيال الفرار ، فانقض علىهم الترك بسيوفهم وتعقبوهم حتى معسكرهم ، وأعملوا فيهم مذبحة شنبعة ٠

را د دیل حی عده المعرکه بصعه رحل من دوی المکانه فی معسکر بطرس ، منهم « وولیر » المعلس ، و « ربسه دی بروس » و « فولنیر دی ارلمانز » وعیرهم •

أما الحمسة وعسرون ألف من الجند المساة ، والخمسمائه وارس الدين كانوا قد حرحوا من المعسكر ، فقد راح معطمهم ما سي وسل وأسعر •

## - 44 -

دبت السوة الكبرى في أعطاف فلج آرسلان ، وهزيه الفرحة الطاغية لهذا النصر الذي حازه ، ولما لم يعلد بافيا أحد فادرا على مقاومته فقد حكم السنف في رفاب الأحناء ، عد مستنق على فند الحماد أحدا مريضا كان أو عجورا ، رحلا كان أو امرأه ، وهلك الرهبان وحميع رحال الدين ، لم يستنن من هؤلاء كلهم سوى دن لم يتلعوا سن الرشد من الصنبان والبنات الصغيرات الدين كان شهديم عده بهاء طلعيهم وصعر سنهم ، ولم يكن استناؤه اياهم الالتضرب عليهم الرق .

#### \*\*\*

وكان على الساحل فرب المعسكر حصن فديم نصف حرب ، لسس له أبواب ولا مزاليح ، وليس من أحيد يقيم به ، فألجأت الضرورة طائفة من الحجاح تقدر ببلاثة آلاف حاح الى الهروب الى هدا الحصن والاعتصام به ، اعتقادا منهم أنهم واجدون فبه الملاد الأمين ، وحاولوا الدفاع عن أنفسهم في موقفهم العصيب هذا لسد

الحروب الصلببة حا - ١٢٩

iverted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version

مداحاله مدروعيم را لاحجار الصحمة بدحرجونها الى هماك. كى يحولوا بين أى أحد من الاصراب منه و لكن البرك شددوا عليهم الحصار فلم نميع هذه السدة المحصورين من الاستنسال دفاعا عنه حتى ردوا مهاجميهم على أعقابهم ، كما أرسلوا في الوقت دانه رسولا على حماح السرعة الى بطرس يحبره بهلاك حماعية ، وأن الفلة النافية منهم على فيد الحياة تكابدون حصارا سديدا ضربة العدو عليم في مقدر بطرس بالمحى من سباعته الى الامبراطور ، واستطاع بوسلاله في دور بطرس بالمحى من سباعته الى الامبراطور ، واستطاع بوسلاله الى هماك . وألفى ليدا العسكر أمره بابعاد الأحماء منهم من الخطر الدى يكتنفهم ، فأنجروا ما كلفهم به على أنم وحة ، اذ ما كاد البرك يسمعون بأمس الإمبراطور حتى كفوا في الحال عن مهاجمة ذلك يسمعون بأمس الإمبراطور حتى كفوا في الحال عن مهاجمة ذلك حملوا بالإصافة الى ذلك أحسن الأسلات والخيم والفساطبط والحماد والنعال وحميع البجهيرات التي بهبوها من الصليبين .

وهكذا فان الطس الجنوبي الذي كان عليه هؤلاء القوم الجفاه عبر البطامين ، المصرفون عن الأحد بمسوره من هم أحكم منهم قد أدى بهم الى الابادة الشاملة ، ولما لم يكونوا معتادين على النظام المحمود فقد سلكوا سبيلا لم يجبوا من ورائه خيرا ، واصبحوا بهنا لسبوف العدو .

بعد فسرة وحسره من وصول بطرس الى « سسبها » قام فسسس بوتونى اسمه « جوسبوك » سار في أبر خطى بطرس يحده السرق لأداء رحله الحج هده • ولما كان حوسبوك قادرا بالطسعة على استماله الناس الله بكلامه فقد استطاع اعراء كبر من الدرون في حميع رحاب تلك المملكة على الاستراك في هذه المهمه ، حتى يحمه لدبه منهم قرابة خمسة عشر الف حاح دخل بهم المحر ، أم «أق كندا ، كما استحاب المجريون من حانبهم الى أوامر ملكهم فقده المنطائع بأثمان معقوله الى رحال جيس « جويسوك » الدين انظريهم وفرة الطعام بين أبديهم ، فأسلموا أنفسهم الى البطالة والكسيل ، وأبحقوا به شرورا كسيرة اذ راحوا ينهسونهم ، وامندت آبديهم بالسرقة الى البضائع المعروضة للبيع في الأسواق العامة ، واحترحوا السيئات فقتلوا الناس غير مراعين أصول الضيافة .

فلما وصلت أخبار ما فعلوا الى الملك استبد به الغصب ، فأهر أن ينادى فى كافة أرحاء مملكه أن يحمل الباس وكبار ملاك الأرض السلاح للقضاء على هذه الأخطار الكبيرة ، لا سبما وقد اربكب فى كبير من البواحى تحاوزات مهلكة ، بلغت من العار حدا يقوق الوصف ويعف اللسان عن ذكرها ، وكان من المستحمل على الملك أن يغض الطرف عن منل هذه الجرائم والا اتهم بالجبن ، وحلب على نفسه كراهية شعبه له ، ومن ثم تحمعت قواب المملكه ، وكروا كرة رحل واحد غاضب على الصلبين ، باعتبارهم أعداء يستحقون الاستئصال اليام ، وأحمعوا العزم على الفتك بهم انتقاما مما احبر حما من الآثام ،

وأحيرا نسبى لعوات الملك أن بعير على طائعه من هؤلاء المجاسي المغوضويين في مكان يعرف « ببلجراد » يقع وسط بلك الممكة . وكان هؤلاء ( السونون ) قد سمعوا بزحف الملك ، وأبهوا بمام السعين من حبقه السديد عليم ، كما أزعجهم شعورهم بما اقترفوا من الحرم ، ورآهم المجريون \_ وقد حملوا سلاحهم \_ عازمين على رد اأتره بالدوه فرادوا درأ الحطر عن أنفسهم ، لكيه مأدركوا إستحالة الاشتباك معهم دون أن يفقدوا الكنيرين من رحالهم ، دلك لأن هؤلاء المستحيين [ السونون ] كانوا في الواقع رحالا دوى بأس وشجاعة ، المستحيين [ السعمال السلاح ، بأنون أن بسلموا أروامهم من عير قبال ، ولدلك فأن المجرين \_ حريا على مألوف عاديه \_ حاولوا أن قبالوا بالحيلة ما يعجزون عن بيله بالعنف ، فأرساوا وفادة الى سالوا بالحياة ما يعجزون عن بيله بالعنف ، فأرساوا وفادة الى بالكلمات المعسولة ،

## - 4¥ -

لتد فالرا لهم .

«أنه برامى الى سمع الملك الشكوى المريرة من فعال جنسكم ، وفعل له انكم أنزلتم برعاياه الخاضعين له كثيرا من الأضرار البالغه والأهوال السي يعجر اللسيان عن ذكرها ، وأنكم سارينم حسل المعاملة التى عومل بها عسكركم بأسوأ ما يكون الجزاء ، ومع دلك فان الملك يدرك بحكمته نمام الادراك آنكم لستم حميعا نحملون ورر هذه الجرائم ، وهو واثق أن فبكم راجالا حكماء ممن بمتلىء فلوبهم بحسية الله لم برضهم فعال الآخرين السريرة ، وأن هذه الجرائم

الى أثارت عن حق الحنق الملكى قد نمت على عير رصى هؤلاء وأنها حدثت رعم استكارهم ، ولما كانت رغبه الملك آلا تؤدى خطايا المعمل الى تأثيم الكل ، وألا يؤخد البرىء بحريره المذب فقد قرر أن يكمح جماح غضت عنى لا يصيب اخوانه في الملة المستحلة فضرر ، ومن بم قانيا نسير عليكم أن تستسلموا وتسلموا كل ما معكم الآن ، بما في ذلك سلاحكم ، دون قيد أو سرط ، واضعين دلك كله في يا الماك حتى بذهب عنه غضبه تماما ، قان لم تفعلوا دلك لم تستطع أحد منكم النجاة من الموت ـ لأنكم ـ توجودكم في وسط مماكيه ـ أسيم أكفاء ليا في الموة الحرية ، كميا أنه لا قدرة لكم على المحاة من بطسه » .

#### \*\*\*

ظهر منذ المداية عدم رضاء « حوسوك » ورؤساء حسه عن السلك الجنونى الذى سلكه شعبهم العنيد ، لكن بساطة قلوبهم دفعتهم للقة فى اعبار رحمة الملك آمرا لا يخالح السك فيه أحدا ، ومن ثم فقد حملوا عسكرهم بالقوة تقريبا على الاذعان لفكره تسلم أنفسهم وسلاحهم وكل ما تملكه أيديهم الى الملك ، وبذلك يكمرون عما ارتكبوه من آثام حرحيه ، وانتهى الأمر أخيرا برضائهم عن بكرة أسهم بما يفرر ، هذا على الرغم من احتجاحهم العنيف ، ومناهم السديد للحرب دفاعا عن أنفسهم ، بيد أنهم ما كادوا يفرغون من تسليم أسلحيهم وجميع مناعهم لقواد الملك ورسله حتى وحدوا الموت فى انتظارهم ، بيدلا من العطف الذى كانوا يتوقعونه ، اذ قام المجريون بمناغتة التيوتون على غرة منهم ، وكروا عليهم فى اأرفت الذى كان فيه هؤلاء عزلا من كل سلاح ، ابمانا منهم برحمة الملك ، وثقة منهم به ، وأعمل المحربون قيهم مذبحة من أنشع المذابح في البعد عن الانسانية ، دون تفرقة بين الصالح والطالح منهم وأسفر والمغر

verted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version

الأمر عن عرف المكان كله في نحر الدم المطلول ، وامثلاثه عدست الفيلي وانتهى الأمر بهلاك هذا الجمع الكنيف الذي لم يبق منه سوى نفر فليل نجوا من الهلاك السامل ، من شملتهم رحمة الرب فلم ناخذهم سنوف المجريين ، فعادوا الى وطنهم يقصون حبر المدبحة ، ويروون نبأ المصير المشتوم الذي لقيه اخوانهم على من ارتبطوا بالعهد من كانوا على وسك الفيام بذلك الحج دانه وأسدوا النصح لهؤلاء المحر الجدد نوحوب اصطاع الحكمة في سنرهم ، وانخاذ أكبر قدر من هذا الشعب الذيء ، لما ارتكنه من خنانة لن نمحى من الأدهان .

## - Y9 -

فى هده الأناء \_ أو بعدها بقليل \_ نجمعت من بلاد العرب رمر كسفه لا يحصمها العد من المنساة ، كانت نحركهم بهس الرعمة [ في الحج ] ، وانطلقوا لم يزعموا عليهم أحسدا أو سحدوا لهم مرسدا ، وزحفوا من غير هدى ولا نبصر أو حكمة ، على الرغم من أنه كان بينهم فى الواقع رحال من أصل شريف ، أمسال « نوماس دى لافير » و « وليم البجار » وكويت هارتمان وغيرهم ، غير أن القوم كانوا لا يعرفون الانضباط فلم يطيعوا هارتمان وغيرهم ، غير أن القوم كانوا لا يعرفون الانضباط فلم يطيعوا مي انسادة بأى صورة من الصور ، وضربوا عرض الحائط بما أسار به عليهم أهل الحجى والبصيرة ، فانطلقوا على وحوههم ما أسار به عليهم أهل الحجى والبصيرة ، فانطلقوا على وحوههم ما وهنساك ، مقرفين الفعال التي يرفضها القانون ، ويريكون ما يمليه عليهم شهوانهم ، ومن ثم فقد ركبوا من الجنون والشطط ، مع أن واجبهم كان بحم عليهم أن يحملهم خوفهم من الله على السير مع أن واجبهم كان بحم عليهم أن يحملهم خوفهم من الله على السير في هذه الرحلة الماهضين بها سيرا كله طاعة للأوامر الالهمة ، وأن

يلىزموا صام الالبزام بالبطام فى حجهم الذى يفومون به مى احل المسبح ولكنهم كابوا لا يمرون بمدينة أو فربة الا ونبوا على من فيها من يهودها فذبحوهم مى عبر أن تأحدهم رحمه ، ولم بكن البهرد فد أحدوا حدرهم منهم اد لم يكن هناك ما يحملهم على أن تتوحسوا منهم سرا فنخافونهم .

وقد وقعب هذه الاعتداءات على وجه الحصوص في مدسي « كولوبا » و « مسر » حبب كان الكونت « المسكو » أحد سلاء ومسهوري بلك الباحية الأقوياء قد انصم بالكبرين ممن بنعوه الى عصابات الحجاح ، وكان [ المبكو ] بالسبية الى مكانية مليرما بها بقرصة عليه هذه المكانة من التمسيك بالأحلاقيات ، الا أنه لم يكن بالسخص الذي بسبحب التجاور في السلوك ، «سبار على العكس من ذلك ، اد ساهم فيما ارتابة أنباعة من أعمال القساد والسر ، وزاد على هذا قراح يسجعهم على افتراف الجرائم ،

اخبر من هذه الجموع كلها « فرانكوننا » و « بافارنا » حبى نلعب ناحية بدعى « مستنورج » ( فيزيليورج ) على يجوء المجر ، وكانوا يتوفعون السماح لهم بالدخول من عبر صبيعوبة ، لكنهم ما كادوا يرون المدخل مغاقا في وجوههم حتى وقفوا على هذا الحاس من الجسر •

وكان في الماحمه قلعة شديده الحصانة بفصل حماية بهرى، « الدانوب » و « لبثا » لها ، وكذلك المستنقعات العميقة المحيطة بها •

وتعول الأخبار ان عدد الحسس الذي رحف الى هساك عارب مائسى ألف حدى من المساة ، وبلاثة آلاف من الفرسان ·

يضاف الى دلك أن ملك المجر أصــدر أوامره بعدم السماح لهؤلاء العسكر الراغبين في عمور بلده بدخوله ، فقد نذكر الأهوال

الى كان قد أوقعها بقوات ، جو تشوك ، قحاف أن هو أدن لهذا العسكر بالدحول أن يدفعوا إلى القبال لأخذ البار ، لا سنجا وأن خبر المجزرة الدامنة التي جرت حديثا قد عم السهل والحبل ، وتردد في حميم الآفاق ، فحملت شناعة هذه القعال الملك على الخرف .

وعلى الرغم من ذلك فعد الصل عؤلاء الحجاح بالمركول الديم حراسة المديمة وبقواد العرف العائمة بحماية هذه الباحية ركان الصالهم بهم لسؤالهم الادن لهم بارسال رسل من قبلهم الى اللك بليمسون منه الحصول على انفاصة بخولهم عبور بلك الأراد

رفى خلال هذه الفيرة كان الحيد قد ضربوا معسكر من في مرعى معسوسي بهذه الباحية ، وأفاموا في البطار ما تدحي عنه سفاريهم إلى الملك •

## - 44 -

القضد بصعة أنام عاد بعدها الرسل الذبي كانوا فأ دعوا الى الملك ، وأعلموا فسل سفارتهم فسلا بأما ، وحينذاك آبتي زعماء الحملة أن لا رحاء في خبر يأتيهم من ناحية الملك ، لذلك أحدوا أمرهم على تخريب بلاده الواقعة على هذا الجانب من النهر ، واغرام النيران في ضواحبها ، سالكين بذلك مسلك الأعداء في أملاكه ، وبينما كانوا ذات يوم منهمكين غاية الانهماك في هذا العدل اذا يكوكسة من رحال الملك قوامها سبعمائة فارس قد عبرت الذر لحماية المنطقة من أن يعيث الأعداء فيها تخريبا ، فصادفوا على غير انتظار جماعة الحجاج فلم يستطع الفرسان تجنبهم ، كما حال المهر

verted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version

بسهم وبين العوده الى الناحة التى جاءوا منها ، قامى فرسان الكوكبه أو حلهم مصرعهم ، ولم ينج منهم الا نفر قابل فقدوا حنادهم ورأوا الاحتماء تحلفاء المستنفعات حفاظا على حياتهم وحماته لأرواحهم ،

تملك السحاعه الحجاح بما أحرروه من نصر على عدوهم . وصمموا على ساء بعص الجسور ومهاحمة الفلته حسى اذا م لهم فمع الطريق بحد السبف عزموا على دحول الملكة ، لدلك استدعوا حميم عسكرهم لتحصى هذه العابة ، وعبروا الحسرر البي فرعرا حالا من افامنها ، وتمكنوا من الوصول الى الحصون والفلاع ، م دفعنهم الحرأه للاسمعداد لسنف الأسهوار وسن طريقزم الى الداخل ، مىحدى مى دروعهم وقاء لهم ، وىجحت محاولانهم الحاده فى فىح ثعرات في أماكن كمره من الأسوار ، حسى ادا مام عملهم معطه صار دخول الحجام فبها الى المدينة أمرا مقررا ، واسسد البأس بموس المهمن بها الذين لم يعد لهم أمل في البقاء على حمامهم ، ادا بالصليب المهاجمين يصيبهم رعب مفاجىء أرسلته السماء هلعب له فلوبهم فمخلوا عن الهجوم وفروا باركن وراءهم معطم مناعهم ، وعلى الرغم من أن ظاهر الأمور كان يسمر الى أن البصر حلمفهم وأمه لىس هناك ما ببور فوارهم ، الا أنهم ولوا على أعقابهم منهزمن ، مدبرين غير مضلين ، ويقال أنه لم يكن ثم سبب وحبه الا أن تكون آثامهم الجمة وخطأباهم الكبرة فد حلبت عليهم سنخط الله لأنهم كانوا مد غرقوا الى الأدمان في لجه الكفر الذي يزلزل بالخوف فاوب أصحابه مصداقا لكلمان الحكم « بهرب الحبان دون أن بكون أحد بط\_ارده » ·

تدل وضع المجرس الى ما هو أحسن حين رأوا القوات الصلبية تلوذ بأذيال الفرار فانطلقوا انطلاق الفالين يتعقبون هذه القواب الني أنزلب الفزع الممض بهم منذ على وكانت هذه العواب

verted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المعادية هى التى لم تكونوا بستطمعون دفعها حتى وهم وزاء الاسوار فى حماية المستقعات ، أما الآن فقد راحوا يطاردونهم من تلفاء أنفسهم ، ولم تكتفوا نب الفرع فيهم ، بل رادوا فراحوا نقتلونيم .

#### \*\*\*

قر من هؤلاء كونب « ايمنكو » ومعه الجانب الأكبر من قوانه المدخوره ، وعاد يهم الى وطنه ٠

أما الأمراء الآخرون الذبن أسرب النهم من قبل فقد فروا عسر «كاريسنا » حتى تلعوا ابطالنا التي عبروها ووصلوا الى حدود «أبولنا » ومن هنا انحيوا نحو بلاد النونان في أبر أولئك القراء الدين قاموا هم أيضا تنفس هذه الرحلة ، والدين كانوا قد افسر حرا عليهم أن يركبوا البحر الى « دورازو » •

ولفد نأبر العرب كله عن حق بهذه الحركة وبعيرها مما على شاكليها ، وراحب كل أمه على وحه النفريب برسل فوانها على حده ، وقد انفصلت الواحده منها على الأخرى ، فمضى للنجج حماعات تحت امره فادة معسس ، وحرح آحرون من عبر أن برئسوا عليهم أحدا لكى كان من الواضح أن الطربق الدى سلكه القوم عبر المحر كان أفصر الطرق ، بسد أنه أصبح مسدودا في وحبوههم ، سسب ما أنرلوه سكان عده البلاد من المصره والسرور التي حاوزت كل مدى ويسب ما ارتكمه المحجاح الذين سبقوهم من حرم ، فأصابوا به الناس من عبر الم اقبرقوه .

من أحل هذا السبب واحه الذين حاءوا من يعدهم صعوبه المعالمة في الحصول على عطف ملك المجر ٠



هنا ينتهى الكتاب الأول

# الكتاب الثاني

# جيوش الحملة الصليبية الأولى تزحف الى القسطنطينية

## فصول الكتاب الثاني:

- ا حود رحیل حودفروی والنبلاء المصاحبی له ،
   وکیف بقدموا حتی بلغوا المجر •
- ۲ ساله الدوق الى كولمان ملك المجر على لسان
   « حودفروى ديس » ، ورد الملك على الدوق •
- ٣ ــ الملك وقوادنا يعقدون مجلسا فيما بينهم ويرسلون بلدوبن آخا الدوق « رهينة » ثم عودته بعد احتبازهم المجر ، والملك يتحف الدوق بكنير من الهدايا .

- عسكرا يا يامدم في أراسي الامبراطورية ، روصف الدخـــرل وملاحظة عن أحــوال بلاد الاغــر نق الحسية .
- الدوق برسل مبعونين الى الامبراطور يطلبون منه اطللاه هيج المطيم وغسيره من البلاء الموجودين في السحون قوانسا ننهب الاقلم ثم تصل في النهاية الى الفسططينية •
- الادبراطور يدعر الدون للحصور المه ، لـــكن الدوق برفض الدعــوة فسب العداوه العـــوة بينهما فيعمد الامبراطور الى حبلة ماكره بــــل بها الجبس الى مكان عــه له .
- ۷ وصف موقع الفسطىطىنىة ١٠ الدوق برسل رسلا الى الامبراطور ، وحسنا يكابد الماعب من الكمائن التى لم يكن يتوقعها والتى نصيها الاغريق له ٠
- ٨ الحسن بعود الى المديسة وسسب معركة كبيرة تتمخض عن مذبحة نطبعة في الاغريق .
- ٩ ــ السـاس يهرعـون لحمل الســلاح ويعملون به التخريب في الناحمة كلهــا ، ويسفر الأمر عن توفر كمات ضخمة من المثونة في المعسكر .
- ۱۰ ـ وصول رسل من ناحسة بوهيمونه الى الدوق جودفروى يحملون البه رجاءه بعدم الذهاب الى الامراطور ورد الدوق على بوهيموند .

- ۱۱ ـ الامبراطور يرسل ابنه حون بورفيروحسس الى الدوق رهنه عنده ، وبدعو حودفروى النه فندهب حودفروى فننبناه الامبراطور ويستقر السلام بن الانتين ٠
- ۱۲ ـ الدوى سيأدن في المعسادرة فيره من الوقب فيرحل محملا بالهدايا ، عقد سيوى للحجاح وعسرر عسيكر الدوق الى البسقور وضربهم خيامهم في الاقلم المحيط بخلقدونيا ،
- ۱۳ ـ اسراع بوهدوله في الفدوم ووصف من كان في معنب معنب من الكنار ولدبير الامبراطور الحطط السربة ليصيدهم •
- 12 رسالة الامبراطور الكسيوس الى لورد بوهبمويد وقيام حيس الامبراطور بهجوم سرى على معسكر بوهيموند والفيض على أسيد فصيح بوايا الامبراطور السرير
- ۱٥ \_ الدوى [ حودفروى ] بخرح لاسمصفال الأمر بوهموند وبسمر به رغم أنفه الى الامبراطور الدى يستقبله باحترام كبير ، كما أن بالكربد بحرك في الوقب ذاته كتائبه في بينسا فننضم الى حيس الدوق، •
- 17 ـ وصول روبرد، كون فلاندرز بجنسه ودهابه محروسا الى حصرة الامبراطور بناء على استدعاء الأخير له واغداق الهدايا الجمة عليه نم عبوره البحر وانضمامه الى الزعماء الآخرين •

- ۱۷ \_ کونت بولوز وأسفف بوی بحسرفان دلماسما بجبوشهما ، ویلاقمان کنرا من الصغوبات فی عبور هذه الملاد •
- ۱۸ ــ سفاره امراطوریه نفابل الکویت فی دورارو . والبغاریون بلقوی الفیص علی آسفف بوی ولکی سرعان ما بطلق العبایه الالهیة سراحه ، وحین وصول ریموید الی « رودسیو » یصله رسل می الامراطور ومی فادنیا مرة أحری .
- ۱۹ \_ الكون يبرك حبسه ويدهب الى الامبراطور لكنه لا بوافق على وحهة نظره ، فنعمد الامبراطور \_\_ خيانة منه له \_ الى اصدار الأوامر بمهاحمة حس الكونت ٠
- ٢٠ ـ الاعـريق يباغنون حسس الكونت أنباء عــانه فيحدم الكونت غبظا من الامبراطور ألكسنوس الذي يبدى ندمه على ما حرى وبدفعه خوفه على نفسه الى أن يطلب من الأمراء الندخل وينظاهر ببراء مما حدث ٠
- الكونت يعصافى مع الامبراطور بسبب وساطه القادة ويدعوه لمرافقة القسادة الصلببين فى زحفهم ، أما القوات الني عبرت البحر فنسرع الى نمقية ويسبر الكونت فى أثرهم فى الحال .
- ۲۲ \_ وصول روبرت كونت نرمىدى واستاس \_ أخى الدوق \_ بكتائبهما الى القسطنطىنية واستقبال الاميراطور ليما بالترحيب ووصلهما بالهــدانا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الحمه ثم عبورهما السيفور ومحبتهما الى الرعماء الآخرين ·

۲۳ \_ الصال أحـــه موظفى الامبراطور \_ واسمه تابيكبوس \_ بزعمائيا وبودده النهم وكان رحلا شديد المكر مطبوعا على الحبب الدنىء .





#### ted by Till Combine - (no stamps are applied by registered w

# هنسا يبسدا الكتاب الشساني

## جيوس الحمله الصليبية الأولى تزحف الى الفسطنطينية

#### - 1 -

في نفس هذه السنة ، أعنى سنه ١٠٩٦ من مولد السيد المسيح ، وفي اليسوم الخسامس عشر من شهر أغسطس ، فسام « جودفروی » دوق « لوثاریخیا » العطیم المبجل بجدم أصدفائه فی رحلة الحج ، وأعد أمتعته بالطريقة المالوفة ، وكان خروجه بعـــد رحيل « بطرس الناسك » أثر الطامة الكبرى السي حافت به وأشرنا البها ، وفي أعقاب مذبحة جماعة « حوتشوك » البي ذكرناها أيضا ، وبعد النكبة الأخرى التي حرت على حدود المجر ووصفاها سابقا ، وقلنا انها نزلت بالجيس الذي جاء من بعده ولقد انصم الى معسكر « حودفروی » رجال من ذوی المكانة السامية ، الحديرين تخاود الذكر ممن ربطوا أنفسهم به ، وهم لورد « بلدوين دى مونس » كونت « هينولت » ، ولورد هيم كويت « سينت بول » ، وابنه « انحراند » وكان ساما غرانقا عالى الهمة ، وكونت « حارنسه » المعروف بجراي ، ولورد « رينار » كونب نول وأخوه بطرس ولورد بلدويں « دى بهرج » أحد أقارب الدون [ جودفروى ] ، ولورد « همری دیش » و أخوه « حودفروی » ، و « دودو دی کونسی » ، و « کونون دی موساج » وکیرون غیرهم ممن لا بعی اسهاهم ولا بدرك عددهم •

( الحروب الصلبيه حد ١ ) \_ ١٤٥

verted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version

ولعد سار هؤلاء جميعا في طريقهم في هدوء مسيره طائفة واحدة ميرابطة ، حنى ادا كان يوم ٢٠ سيسمر بلغوا سالمين معافين ياحية في ولايه المسا يعرف باسم « سولينبورج » حيث يكون نهر « لبنا » الحد الفاصل بين أقالم الامبراطورية وبلاد مملكة المحر ٠

وحين بلع هؤلاء هذه المدينة وقعت عليهم وقع الصاعفة أحيار النكبة الذي قبل الها حافت بجونسوك وعسكره ، فيساور بعضهم مع بعض كنف ينسنى لهم السير قدما في أمان حتى يتم لهم الحار العمل الذي أزمعوا القيام له ، فانفى رأبهم في النهاية على وحوب ارسال سفارة الى ملك المحر يتقصى منه السبب الذي آدى الى هلاك حيس اخوالهم الذي سيفوهم في لك الملاد على هذه الصوره .

وزيادة على ذلك فعد كلف الرسل الموفدون بايجاد ورصل للمفاهم مع الملك حول استباب السلام ، وأوصوا أن يتحلوا جانبا عن اثارة الشكاية من الخصومات السابقة ، حتى يتمكنوا من الحصول على اذن يمرون به سالمبن عبر المجر ، لأنهم لو داحوا ببحثون عن طريق آخر يسلكونه بعد أن بدأوا مسيرتهم فان خسارتهم تكون فادحة ، ومسقتهم الني يلفونها عطمة ، لذلك اخباروا لهذه السفارة الشريف « حودفروى ديش » أخا هيرى ، مع طائفة معينة من دوى المكانة العالية والربية النبيلة ، وكان احتيارهم [ حودفروى ديش ] داحعا الى روابط الود والصيداقة التي كانت تربطة مند سنوات طويلة سالفة بملك المجر ، قيما صار [ حودفروى ] في حضرة الملك طويلة سالفة بملك المجر ، قيما مسامعة بما كلف أن يقوله :



قال :

« لعد جنسا الى جلالمكم مبعوثين من قبل السسل السرى « جودفروى دوق لوثارنجا » ومن في صحبه من العادة الآخرين ، عماد الرب المرافقين له ، والصادقين في طاعهم للاراده الربائية ·

د والهم لموافول أن لعرفهم السبب الذي من أحله عومل شعب مسلحى طالعتنا حسهم على طول الطريق هذه المعاملة اللى للكرها الانسانية على يدكم ، وأليم أمة ذاعت شهرتها بين الأمم بألها من الشعوب المؤمنة المخلصة ، وكأنه كان من الأسلم لهؤلاء المسلحين لو أنهم وأوا وحوههم شطر للاد العدو فسلكوها ، فأن كالت حرائم هؤلاء المناس بشعة بشاعة استحفوا من أحلها العقاب الشديد قان الذين أرسلوني اللك مستعدول أن يتحملوا \_ عن طيب حاطر \_ اصلاح ما أفسدوه ، ذلك لأنه اذا كان الجرم يعادل العقوبة كال ذلك عدلا ، ولن نئير غضما كبرا ، بل بنعني أن ننقبله في صبر و

" أما اذا لم يكن الأمر كذلك ، ولم يكن هناك مبرر لمهاحمتكم الأبرياء . فان زعماءنا لا يقبلون السكوت وغض الطرف عن النكبات اللي كانت من تصبب خدام الرب ، بل الهم مستعدون للثأر لدم الحوانهم ولذلك فانهم ينتظرون أن توافعهم بالجواب عن كل هذه الأمور ، وسوف للخذون قرارهم بما لنفق وخلاصة ، دكم » م

وختم جودفروى دبش خطابه بهذه الكلمات ٠

فأجابه الملك وهو محاط بكبار رحالاته ٠

« أيها العزيز جودفروى ، يا من حبوناه منذ زمن بعبد بمودتنا الى مو أهل لها ، انه لسعدنا أن تكون قد أتيت لا لمجدد صداقة

الأيام الحالية فحسب بل ولتسمعنا ونحن نؤكه براءنما أمام حكم عاقل مثلك .

د النا \_ كما فلت بحق \_ في عداد المؤمنين ، والنا سلطيم بأعمالنا أن نعلى من شأن هذا الاسم ، ولكن الذين سبقوكم من أساع بطرس الناسك وذيول جوتشوك ومن بعدهم ممن حاولوا الاسسيلاء قسرا على احدى قلاعنا القائمة على أطراف المملكة ، واقدحام مملكسا بالعنف ، لم يكوبوا في الواقع من أبياع المسبح ، ولا أهلا لحمل عدا النعب ، فلقد احتفلنا ببطرس وحسه في بداية الأمر احتفالا كريما ووهبناهم ما عندنا من السلم مجانا وبنمن رخيص . ولكهم رغم ذلك كابوا كالحبة تختبى في الصدر أو كالفار في صبوان الملابس ، اد ردوا احسان المضيف أسوأ رد ، لأنهم بدلا مما كان بحمه علىهم الواحب من مجازاتنا بالشكر على ما بفضلنا به عليهم ، اذا بيم بقتحمون واحدة من مدننا الواقعة في أقصى يحوم المملكه ، وبعكون بأهلها فبكا دريعا ثم يرحلون في خسة اللَّصوص . سائقين أمامهم قطعان الماشمة والأغنام ، وحاملين معهم ما سلبوه ، وعلى الرعم من هذا الفعل الذميم فقد أذنا لجبوش حوتشبوك بالدحول دون أن تكلفة رهقا أو عسا ، كأننا لم نلق أذى من الجيوس الي سبقه في المجيء ، لكن رجاله لم يترددوا بدورهم في النهب ، ولم مكفوا عن العنف ، ولم يتحرحوا عن اضرام البار ، بل انهم لم يتورعوا عن سفك الدماء لأوهى الأسباب وأتفه العلل ، ومن ثم فقد أغضموا الرب منهم بسبب شناعة حراثمهم •

« ولما لم يعد فى طوق صبرنا قدرة على بحمل ما أبراره من البلايا برعايانا ، فقد صبح عزمنا على القبام ببعض ما فيه علاح لهذه الطروف الخطرة ، فدلتنا تجاربنا الماضبة على أن الحكمة تقتضينا أن نوصد أبواب مملكتنا فى وجه هذه الجماعات المؤلفه من فحرة أوغاد ، حتى لا ننكب للمرة الثالنة على أيديهم ، فكانب

· -

محاربه اياهم كأعداء خيرا مما يسرلونه بنا من اهانات ، ويلحقونه بنا من الخسائر العادحة ٠

« فليكن ادن فيما فصلت عذرا لنا عدك ، وأس الرجل العطى اللبيب ، فوالله لقد بنا الحق الصراح كما جرى » ·

ولما فرغ الملك من قوله هذا أمر باسنصافة الرسل أحسس ضيافة ، وأن يعاماوا بوافر الاحترام حنى يستطنع ـ بعد مساوره رحاله ـ ابعاد رمدل الى العاده [ الصليبين ] تحماون النهم الرد الملائم ، ثم بعب أحيرا الى الدوق والى القادة بعص أهل بنه صحبه السفراء ، وحملهم هذه الرسالة البالية .

" لقد سمعنا وحاءننا الأخبار الصادفة منذ آمد بعبد بألك لعد على حق أميرا عطما حاملا ، كبير الفدر في قومه ، كما أن العقلاء وان بعدوا عنك أرضا للبنون على صدق ايمانكم ، وتبال حنائم نبانا بسكرون عليه ، وقد شدنا اليكم حسن الأحدوثة عبكم ، وتطوله أعمالكم فرأينا أن نحبك حتى في غبابك ، وأن نحبوك بعطف أكبر . وزحن نعبقد أن الرحال النبلاء الذين أرسلهم ، والذين يمانلونكم أيضا في لحمسهم للعقيدة المستحمة ، قد قاموا كذلك بعمل كله لقوى . ولما كما عازفين كل العزوف عن أن يعنور الفور والبراخي ما بننا من ود بسبب عمل غير مرض ، فاننا على استعداد لأن نعمل كل ما يزيد هذه المودة نماء ، ونبذل العطف للجميع ، وتعاملهم معاملة تنطوى على الحب الأخوى » •

وها هى دى الفرصة قد وانتنا لنرجوكم أن تتفضلوا بالحضور الى فلعتسا « سيبيرون » لنعقد واياكم مجلسا طال اشتناقنا له وتطلعنا اليه ، وحسى نكون قادرين على الوصول الى سلام ينلام مع رغباتكم » •

بعد استماع الدوق الى رسل الملك ومشاوراته أصدفاءه ، ضرب بوما معينا مضى فيه الى المكان الذي فسم له ، مستصحبا معه ثلاثمائة فارس من الصفوة المنفأة من رحاله ، فلما احبار الحسر وحد الملك الذي استقبله أروع استقبال ، وخصه بأسمى آيات الرحيب ، وأبدى كل منهما لصاحبه الصدافة الحميمة ، ثم انفقا في النهاية على ببادل الرهائن الذين يخبارونهم من علية القوم ، كما انفقا على ألا ينظوى صدور الحانيين على كراهية بعضهم لبعض ، وأن بعود السلام بن الفريقين ، فلما تم قبول هذه السروط أذن الملك للدوق وعسكره بدخول المملكة ،

ورغمة من الملك في أن يزداد فلبه طمأنينة اد بسمح بدخول مسل هذا الجس اللحب الذي قد يحدث \_ بطريق الصدفة المحضه \_ أن سوسل بأي ذريعة لاحداث ما يكون فيه مضايقة للملك اعتمادا منه على كثره عدده وشتحاعه فقد سألهم أن يعطوه بلدوين \_ آخا الدوق \_ وأسلم وروحه وأهل بسه رهائن عنده ، فوافق الدوق على دلك ، وأسلم أخاه رهمنة كما اتفق على ذلك من قبل ، ثم دخل المملكة راضى النفس قرير العين بعسكره ، وحسداك أصدر الملك \_ وفاء بوعده \_ فرارا قصى بنقدم الطعام اللازم للحيد في كل ناحية يمرون بها من نواحي نقصى بنقدم الطعام اللازم للحيد في كل ناحية يمرون بها من نواحي الملد لقاء سعر معقول ، وألا يطفف عليهم في الكيل ، وزيادة على ذلك فقد أمر بأن بصحب الحيش سوق يتناعون منها ما بربدون .

أما الدوى فف أمر من حانبه أن بسادى المنسادون فى أرجاء المسكر ألا ينهب أحد شيئا ما أو يلجأ للعنف أو السده مع من يأتون الى الحس ، والا كان الموت حزاءه ومصادره كل ما ببده ، كما أمر أن تجرى معاملات البيع والشراء فى جو من السلام والمحبة الاخوبة .

وهكدا قدر لهم \_ بقضل من الله \_ أن يعبروا كل بلاد المجر في سلام لم يعكر صفوه أحد من الطرقب ، ثم مسى الملك برهائنه الى يسار الجنس على رأس قوة كبيرة من حرسه الحاص ، وهو على آم أشنة لأن يخمد في الحال أي سعب قد يحدث ، فلما وصلوا أحبرا الى « سملين » التي تكررت الاشارة النها توقفوا على شاطىء بهر الساف ، حتى ثم اعداد ممر للعسكر [ الصليبي ] ، والا لم يحدوا سوى يصع قوارت قليلة لا تكفي لنقل قوم كبيرين كهؤلاء القوم فقد حهرت أرمان لهذا الغرض ، وأقاموا ألف فارس في كامل سلاحهم لحراسة الساطىء الآخر ضد ما قد يكون هناك من كمين بنصبة العدو لهم حتى تنسر للجنش \_ بعد عنورة النهر \_ أن يحد مكانا هادئا يوفرت قبة أسنات الراحة ،

وحسداك أخد الحجاج يسفلون الى الحانب الآخر في لهفه وشروق .

ما كاد [ اللاس ] وبعض رعمائهم بحمازون المهر حمى أسرع الملك بالمفدم مسمصحبا معه حرسا كبرين ، وأسلم بلدوين وزوحه وبقمة الرهائن الى الدوى وفق ما انفقوا علمه فى المدانة ، نم وصل الدوى ومن معه من العادة بالغالى النمين من الهدايا الى وصلهم نها الملك بكريما لهم واحلالا لقدرهم ، ثم عاد الملك بعدئد الى قصره .

حسناك بادر الدوق مع القادة الآخرين وبعدة الساس الى السهر وراء الحند الذين كانوا فد عبروا النهر الى الساطىء الآخر ، حسى اذا وصلوا الى بلجراد \_ احدى مدن بلغاريا التى أشرت المها من فبل \_ صب الدوق خمامه ، فلما فرغوا من نرتب مناعهم ، وبهما الجند للرحيل ، شقوا طريقهم عبر غابات بلغاريا وادغالها الشاسعه الكشفة ، فعلفوا أول ما بلغوا مدينة « نسس » ثم « ستراليكما » ن

من اليسير على المرء أن يدرك ما عليه الاغريق من النعاسة وأن يعرف مدى الصعف الذي بلعته الامبراطورية حين يساهد أوصاع الأماكن التي كانت في السالف ولايات غنية ، حافلة بكل ما سبهله النفس من السلع والمجر ، لكن حمدت بعمد النهاء حكم أمراء القسطنطنية اللابين أن وقعب الامبراطورية سبب أخطائها ومناءمها تحب ساطان النونان بزعامة نففور الأول ، فاعسمت شعوب المطهه اليمحنة فرصة ضعفها وبادرت في الحال الى شن سلسلة من العارات على الأراضي الخاضعة للامبراطورية ، وراحت تعامل السكان وفي هواها .

كان من بين هؤلاء الغزاه حماعه « البلغار المبربرين » ، الدن لم بأخدوا نحط من الحصاره ولكنهم أغاروا عليها من السمال . وبسطوا ساطانهم على حميع الأقطار المميدة من الدانوب حتى مدينه القسطيطينية الامبراطورية ، وكذلك الى بحر الأدرياتيك ، ويحم عن دلك أن اصطريب أسماء الولايات واختلطت الحدود بعضها ببعض . وأطلق اسم « بلغاريا » على كل الأصقاع التي طولها مسيرة شهر ، وعرصها عسرة أنام أو أكبر ، ولم يدرك الاعريق الأشفياء أن هذا الاسم بالذات كان دليلا على اللعنة التي انصبت عليهم ، ذلك لأنه كانت بعد في الفديم على بحر الأدرياتيك ولاييا « اببروس » وكانت عاصمة احداهما الكبرى هي « دورازو » التي كانت في وقت من الأوقات فصبة برهوس « ملك الأبروت » وكان رحلا شماعا وكان مؤضع الاعجاب من الناس •

کان الافلم الدی یوشك أن یحازه الدوق [ جودفروی ] على رأس جسه نألف من ولاینی « داكبا » وأعنی بهما داكبا (ربنسس)

وهى الى ىكون على يسارهم حبى عبورهم الدانوب ، وداكما المحربه المى مروا بها فى طريعهم ، وقلها مديننا بنس وسيراللكما الرائعسان .

كذلك كانب بوجد ولايات أخرى في نفس المنطقة هي الركاديا وساليا ومقدونا وأقالم برافيا البلائة التي قدر لها أن باعي نفس الحط العابر [ الذي لفيية الإمبراطورية ] لم يكن هذه الولايات كلها هي وحدها الأملاك التي صباعت من بد الاعريق بسبب غيفهام ، دلك أنه لم يكن مسموحاً لأحد ما أن بقيم في الأراضي الواقعة في الولايات القاصية ، ولا يجوز له دراعيها حتى بعد أن أخصيم الإمبراطور « باريل » الاعريفي نفس السبعت الملغاري ، وكان واضحاً على وحه الحصوص في حالة الأراضي المناخمة لحدود المالك الأحبية والتي الوصف منطيقاً حتى المدوم وأعنى بها ولايني « دأكناً » ، ولا برال نفس الوصف منطيقاً حتى السوم ، ولما كانت الباحية بأحمها عثمانات المتسابكة فلم يكن ثم أحد نفادر على الخيرافها حتى ولو رغب في ذلك ، وبرجع هذا الى أن اليونان وضعوا أغيم العوابي في العوائق التي بعود الى صعوبة الطرق وكبره أستطبة العوسيم والسوك الذي كانت بعيير وسائل دفاعية نفوق ما يستطبعة قوات اليونان الدفاعية ،

ونهج اليونان هذه السياسة دايها فيركوا « بروس بريموس » أرضا عذراء خالية من السكان ، حتى ان الغابات المهجوره والأحراح الموحشة أصبحت لا يبتح طعاما ، وصارت عقبة كأداء في وجه من ببغى دخولها ، وكان هذا الافليم الذي لابد من أن بحنازه بقية القادة الآخر بن ببدأ عند « دورا زو » وبعتد مسيرة أربعة أبام في الحيال المسماة بجيال البلقان •



سار الدوى بمن معه من العسكر عبر داكنا البحريه المعروفة أيضا باسم ، موزيا » ، فلما احباز الأحراج المسماة عاده بممر ساب بازيل صادف ناحبه أكبر انساعا ورفاهية أمدته بكميات وقبرة من المئونة حتى حاء الى مدينة « فيلينو توليس » الجمباة ، الآهلة نالسكان ، وهنا علم نما فعله الاميراطور من رح هنج الكبير \_ أحى ملك فرنسا \_ في السبجن مع ثله من رفاقه البلاء ، فأرسل على جناح السرعة وفي لحظنة رحلا من قبله الى الاميراطور ، ولاحقة بالرسل ملحا عليه أن بطلق سراح هيولاء الرجال ، ويلومة على ما أنزلة نهم \_ وهم الذين وهبوا أنفسهم لرحلة الحج نفسها \_ لكنة سحنيم من غير حرم ارتكبوه .

وكان هذا الرحل الوحية [هيج] أول الفاده حميعاً في الحروج الى الحملة ، وقد احياز جبال الألب ودخل ايطاليا ، ثم عادرها الى ابوليا » حيث أبحر في حراسة قليلة ، ويوقف في « دورارو » في اسطار الفادمين وراءه ، ولم يكن يخطر بباله أبدا وقوع أي حطر عليه ولا على من معه ، وهم في مملكة الاغريق المنظور اليهم بأنهم يعنيقون المسيحية ، عبر أن والى هذه الباحية ألقى العبص عليه وزح به في السيحن ، ليسلمه الى الامبراطور كي يقضى فيه بما سياؤه ارادته الملوكية ، فحسبه الامبراطور كميا لو كان لصيا أو سفاكا الملماء ، وكان الامبراطور يبيطر وصول القادة الذين قالوا الهم في الطريق ، فإذا قدر لهم المحاح في الحضور أطلق سراحه كيد بمن يها عليم ، أما ان كان الأمر غير ذلك فاسوف يبقيه أسيرا طول حيياته ،

كانت الامبراطورية الموبانية في هده الآوية بحب حكم رجل ماكر بدعي « ألكسبوس » وبلهب « بكومسوس » ، كان بعبس من في القصر الامبراطوري ، ويشغل وظبهة كبير الحجاب التي يبطب به واحبانها ، وهي وظبهة بسمها بحن [ اللاس ] بحاحب الحجاب ، أو مدبر شئون القصر ، ويجعله في مكانة بلي مباسرة مكانة الامبراطور « نفقور » الملقب « يتوبونايس » صاحب الصولحان في هذا الوقت ، لكن ذلك الرحل [ الكسبوس ] خان ولي نعمه [ يقفور ] وكان دلك فبل محىء شعبا يحمس سنوات أو ست فخلع مولاه ويقلد الأمر بدلا مهه في الامبراطوربه ، وأصبح مالكا لها الآن اعتصانا ،

وجاء رسل الدوق الى الامبراطور ، وراحوا ينعذون العلىمات الملقاة المهم ويسألونه فى الحاف أن يطلق سراج هم ورفاقه ، علما رأوا اصرار الامبراطور على رفض رحائهم عادوا الى الجسس الدى كان اد داك عد حاور « أدرنه » وبرل للاستجمام فى أحد السهول •

ولما علم الدوق والقساده الآخرون عن طريق منعرثهم أن الامبراطور لن يمن بالحرية على هؤلاء الرجال [هميج ورفافه ] انفق رأيهم حميعا على الاذن لعسكرهم بنهب الافليم ، واد طالب اقاميهم هنا ثمانية أيام سويا فقد دمروا الناحية دمارا شاملا ، لكن ما كادب أنباء ما فعلوا تصل الى سمع الامبراطور حتى بعب رسلا من لدب الى الدوق يرحوه \_ عن طريقهم \_ أن يكف أيدى جده عن أعمال البحريب هده ، ويؤكد له أنه مسنجبب لرجائه ، ومطلق سراح الأشراف الدين في حبسه ، فقبل الدوق هذا الاحراء نفس حذلي وأمر جنده بالدوقف عن منابعة السلب والنهب ، ثم سار بعدثة الى مدينة القسطنطنية مستصحيا قواته في أحسن نظام ، فلما صار

verted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أمامها أمر جسه ، القوى البأس ، الكثيف العدد ، بنصب خيامهم هناك واقامة معسكرهم ·

اما السلاء الدس أسرنا النهم وهم : هبح الكبير و « دروحو دى نيسل » ـ و « وليم » النجار ، و « كلاريبولد دى فنديل » ، فقد فدموا من المدينة لمقابلته ، ثم ذهبوا الى المعسكر شاكرين له بده عليهم فى تحريرهم من أسرهم ، فاستقبلهم الدوق استقبالا فقص بالود ، وحباهم بما هم أهل له من النعظيم ، واستبقاهم معه بعص الوف مسبغا عليهم عطفه ، ومواسنهم مواساة الأخ لاخوانه يساركيم الى تحدادها ظلما ،

### - 4 -

لم يكد هؤلاء يعرعون من عاق بعضهم البعض ومن سادل الأحاديب الرفيقة فيما بينهم ، حتى وصل رسل من جهة الامبراطور [ الكسبوس كومس ] بحملون الأوامر بوجوب اسراع الدوق للمبول بالقصر الامبراطورى ولكن في حرس قليل ، غير أن الدوق رأى بعد مساوره أصدقائه – أن يرجىء ذهابه اليه ، مما أغضب الكسبوس غضبا حمله على رفض الاذن لهم بعقد سوق يبتاع منه العسكر الوافد مع الدوق ويسترون ، بيد أن ما صار فيه القوم حميعا من مسيس الحاحة الى المئونة وفلة ما لديهم منها ، حمل القادة مرة ثانبة على الانفاق على احتاح بلك النواحي بجماعات مسلحة كبيرة ، وعادوا البسوفون أمامهم قطعان الماشية والأغنام التي غنموها ، ورجعوا الى المعسكر وقد فاضب أيديهم بشتى أنواع المآكولات ، حتى ان الرعاع منهم أصابوا منها وفرة ضخمة أصابتهم بالكطة ،



verted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version

ولما رأى الامبراطور أن المنطبة عد بعرضت للحريق والنهب ، خاف أن تتطور الأمور الى ما هو أفدح من هذا قامر بعقد السوق ، ولما كان يوم الأحزان لمولد سيدنا قد قسرب موعده ، وصار على الأبواب فقد أصدر الزعماء به احتراما للدين به فرارا ينهى الجند عن النهب وارتكاب المويقات خلال هذه الأيام الأربعة ، فانقضى العدد في أتم هدوء وسلام .

ثم جاءت بعد ذلك رسالة من الامبراطور سسل كلمانها روه وعنوبة ، وإن انطوت على المخديعة ، يسألهم فيها أن يخرج الجيش عن طريق الجسر المجاور للقصر المسمى بقصر « الاشرائي » وأن يقيموا في القصور المتعددة المتناثرة على شاطئ البسفور ، فأقبلوا في يسر على تنفيذ هذا الأمر ، لأن طلائع النساء الذي كان على الأبواب كانت تزعجهم أشد الازعاج ، كما ضربتهم العواصف النلحله بشدة لم يسبق لها مثيل ، حتى أن الخمام لم تمنع المطر من التسرب المهم ، فتولاهم الجزع من الخطر الذي يهدد الطعام وسائر معدائهم بالفساد والعقونة بسبب المعرض الدائم للرطوبة ، ولم يكن هاك من انسان ولا حيوان ولا ذي روح بقادر أن يحمل أكثر من هذا المرد القاسي الذي كان يخترق كل شيء ، وعجزوا عن مجابهة الملوح الكتيرة ، ناهيك بالبلل والمتاعب التي لحقت بهم وكانب فوق طاقتهم الكتيرة ، ناهيك بالبلل والمتاعب التي لحقت بهم وكانب فوق طاقتهم

وعلى الرغم مما كانت تحمله كلمان الامراطور من العطف على الحجاج ، الا أن هدفه الحقيقى كان يخلف عن ذلك تمام الاختلاف. فقد كان السبب الجوهرى لهذا الانفصال هو أن يصمح العسكر أقل حرية في التحرك هنا وهناك ان هم صاروا في بقعة محدودة ، كما تزداد قدرة الامبراطور في كبح حماحهم والسيطرة عليهم .

ولكى يكون هذا القول أكثر وضـوحا فلابد من ابراز بعض الحفائق عن موقع تلك المدينة المذكورة أعلاه ·

ال بحر بنطس [ النحر الأسود ] الذي ينحذ استمه من الاقليم المحاور له يقع على بعد ثلاثين ميلا من شمال القسطىطينية ، ويكون جزء معين من هذا البحر على شكل نهر ينحدر جنوبا عبر مسالك ضيفة . ثم يستقم مجراه لمسافة قدرها ماثنان وثلابون ميلا ، يخنرق فبها مدينس سيستون « وابيدوس » الموغلنين في القدم ونفع احداهما في أوربا ، والأخرى في آسبا ، ثم يصب في المهانة في بحريا الأبيص الموسط ، وعند خروج هذا الماء من البحر الأسود ينتشر لىلاثبن مىلا فى مجرى يمىد من المر الأول الدى دخله ويكون في الناحية الغربية خليجا يفرب طوله من حمسه أميال الى سبة ، وعرضه مل واحد ، ويسمى هذا المجرى الضبق الذي بمنه لمائس وبلاين ميلا من البحر الأسود إلى البحر الأبيض المنوسط بالسيعور أو « بروبويىس » أو « ھىللىسىونت » ، ويسبهد بدلك « مىوليوس » في الفصل السابع عسر من مذكراته حبث يقول « ان حليم أوربة الرابع يبدأ عبد الهيللسبونت وينتهى عبد بحيرة « ماوتس » والعرض الكلى لهذا المجرى المائي الذي يعصل أوربة عن آسما يتحول الى مضىق يشالف من سبعة روافد ، وهذا هو البسفور الذي عبره احررسيس على حسر من العوارب أمر باقامه ، و بجرى الماء من هنا على شكل قناة الى مدينة « بريانوس » الآسبوية الى اسبولى علىها الاسكندر الأكبر أثناء مروره بجوارها حين كان يتطلع لعزو العالم ، ويسم هذا المجرى المائي مرة أخرى ويتحول الى سطح واسع جدا من المياه فسمى بروبونسس [أي البسفور] - أما الآن عانه يضمق الى مسافة عرضها خمسمائة خطوة ، ويصبح بسغور براقبا الذي نقل « دارا » حنده عبره •

وببدو أن هذه الأسماء ترجع في أصولها الى الشعراء القدامي

فسمى البسفور بهذا الاسم لما يعال من أن جوبسر سكر في سكل ثور حاملا عبر مناهه « أوربه » ابنة أجسور ·

وجاء اسم هيللسبونت من « هله » آخب « فركسيس » الدى تزعم الأسطورة أنه عبر هو الآخر البحر بأخيها على ظهر كسن ، وهو يعبر الحد الفاصل بن أوربا وآسما ، وبعرف عاده ناسم ذراع سمت جورح وقد ذكرنا طوله ، أما عرضه فلسن منساويا في كل الأماكن ، ونظرا لموقع الأراضي المحاورة له وطبعة تكويبها قان عرضه الآن يصل الى مبل ، ثم ننسع حتى تبلع ثلاثين مثلا أو أكر .

وأما المحلم الذي بمند إلى الغرب فيكون \_ كما دكرنا \_ واحدا من أشهر موانى الدبيا وله مرفأ رحب ، وأما المدينة التي ينكلم عنها فيقع في راوية بين هذا الحليم وبين التسفور ، وكانت تسمى في الفديم بيريطية التي كانت موضعا لا يعتد به ، والأعلب آبها كانت آخر المدن في ترافيا ، أما الآن فهي أسعد المدن حظا اذ يحمل اسم الاميراطور الذي راد فيها حتى أصبحت قصية الولايات كلها كما صارب مقر الاميراطور ، وأصبح اسمها نفضيل مكانبها المسارة منافيها لاسم سيدتها رومة .

وتذهب الروایه الواردة می الکناب الىالى « لبول أورسياس » الى أن ناسيس هده المدينة كان على يد « ناوساوسوس» ملك الاسترطيس ، وهي على شكل ميلت عبر مسياوي الأضلاع التي يميد أولها من بلك الزاوية الوافعة بين البحر وبين هيلسيونت حيث بوحد كبيسة سنت حورج المعروفة باسم « مانحانا » ، ويميد هذا الضلع بامنداد الميناء الى القصر الحديد المسيى بقصر بلاشيرياي .

أما الضلع الباني فيميد على طول السيعور من عنه دين سنت حورج الى البوابة الذهبية ·

verted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وأما الفسم المالت فيمند بطول الافليم من نفس البوابة الى فصر بلاشيرناى المذكور حالا ، وهو محصن بالأستوار والأبراج ووسائل الدفاع الخارجية ، ويوجد عنده نهر يصب في المبناء وهو صحل جدا في الصنف ، أما في الشناء فنغزر مناهه بسبب فنصان مياه الأمطار مما صنح الحسر معه ضرورة لاند منها .

#### \*\*\*

ولما احمار جسسا هدا الجسر مصى الى النواحي التي حصصت له في نعص الماني الكبيره العائمة على امتداد ساطيء البسفور . وهى الدور الوافعه بين مباهه ومباه البحر الأسود ، وحدث في أساء انتظارهم فدوم الفادة الآخرين أن نسلم الدوق عدة رسائل من الامبراطور . برجوه فسها السخوص اليه ، غير أن عدم اطمئنان « حودفروی » الی صدق الملك وتخوفه من الاجنماع به حملاه على الاحجام عن استجانة دعواته ، وإن شعر أن من سوء الأدب ومحالفه نوامس السرف ألا ببعب على الأقل أشخاصا ملائمين لسمسله عنده ، طالمًا حو عازف عن الذهاب بنفسيه ، ومن ثم فقد أرسيل البيل کونون دی موسل و بلدوین دی بورم وهسری دیس یعدرون للامسراطور عن عدم فدوم حودفروى ، فلما أدرك ألكسموس أن لا رجعة للدوق فيما فرره وأنه لا سبيل أبدا لارغامه على الحصور الى محلسه عاد فأمر بعض السوق ونقضه ، ولكن هذا الاحراء ام يسحح في ثمى هدا الرحل [ حودفروي ] عن عزمه ، واد ذاك اتخذ الكسبوس اجراءات أشد صرامة ، فأرسل في السر جماعة من رماه الأقواس عبر النهر ، في قوارب الى المكان الذي كانت تعسكر فيه قوات الدون ، فلما أهلت أولى تباشير الصباح قتل هؤلاء الرحال بسهامهم طائفة كبره من رحالنا لم تكونوا فحسب من بين الذبن ذهبوا الى الساطىء ، بل وأبضا ممن كانوا بطلون من النوافذ • حين جاء نبأ ما جرى الى الدوق استدعى في الحال رعماء الناس لمساورتهم ، ونرل على ما أجمعوا كلهم عليه ، فوجه أحاه [ بلدوس ] على راس كسه من العدمكر للاستبلاء على وجه السرعه على الجسر الذي عبره الجسس ، حتى لا يغدو محصورا في هده الأماكن الصيقه ، وحتى لا يفته الكبرين من رحاله ، فحرح بلدوبي النيحاع على رأس خمسمائة فارس وأسرع بهم الى الجمر واستول عليه عنوة ، ولم يعد الخطر فاصرا على من حاءوا بالقوارب بل ال

رآى الصـــسسون أن اعداءهم الاغريق مسطون في اقامة الاستعدادات ضدهم ، كما حمل الأهالي السلاح للقصاء عليهم ، لدلك . أضرموا النار في جميع العصور التي كانوا يتزلونها ، والتي تملد مسافة سنة أميال أو سبعة على طول البسفور ، فسب الحربق في حميعها ، سبواء ما كان منها ملكا للأهالي ، أو كان للامسراطور ، والمهمنها الميران حسى بهاوب الى الأرض ، وسمع رجالما دق الطمول ونفعر الأبواق بسردد مدويا في الأحساء المحملعة الى كابوا فله انكفؤوا المها التماسيا للراحة ، فأسرعوا لحمل سلاحهم ، ويسعوا الدوق الذي أسرع الى الحسر هود عسكره وقد صفهم للقبال ، عبر أن أصحاب الخبرة الحريبة الكبيره خافوا أن بضيق العدو الحياق على الجيس وهو في مواضعه الصيقة هذه ، فيهلكون ان استولى الخصم على الجسر ، ومن ثم لم يسريثوا في انتظار فرق المساة ، ىل مادروا الى جمع كل الخبالة في تلك الناحمة ، الا أن بلدوين \_ أخا الدوق \_ كان كما قلنا \_ فد أسرع الى الأمام واحتل الحسر رغم محاولات الأعداء فأرغمهم أن بولوا الأدبار هارين ، فسيطر بذلك على الشياطي، الآخر للنهر ، واستخلصه لجيشنا ٠

verted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ومن ثم فعد مكن الدوق وجميع رجاله من العبور بكل ما معهم من المناع والنجهبرات ، وأعاموا مره أخرى في موضع بالعراء واحه المدينة ، ويمند في كل اتجاه دون أي عائق .

ولما افسرب المساء من الدخول سبت معركه فى البععة الواقعه عدما يعرف الآن باسم فلعه بوهيموند الموجودة بين كسسة السيدس الطاهرين كوزمو وداميين وبين قصر بلاشرناى الجديد ، العائم فى راوية من المدينه فرب الميناء ، وهلك فى هذه الموقعة أعداد كسره من الساس ، وعجز الاغريق عن تحمل ضراوة القيال فكموا عنه وارتدوا الى المدينة ،

حينداك نزل عسكرنا المنصور في أروع بععه من الساحه التي السيولوا عليها بسجاعتهم ، ولولا سرعة دخول الليل ووضعه دياية للقتال الدائر بين الجبشين لتمكن الأهالي من معاودة الحرب بسبب ما صحونه من الكراهية السوداء التي كانت يعسس في صدورهم يحونا ، وزادها حدة غضبهم علينا ، وكان من المكن حدداك أن يحرى معركة ثانية أسد وحسية من سابقنها فتيمخض عيا خساره في الأرواح أكبر من الخسارة السالفة ،

هما \_ ولأول مره \_ تحلى بوضوح للعمان مدى الشر الدى انطوب علمه خطة الامراطور فى اصدار الأمر بنقل المعسكر ، اذ كان ذلك نابعا عن رغبة منه فى أن بضع هذا السعب الصليبي الذى تساوره المسكوك فنه فى منطقة ضيقة محدودة ، فيصيم بين المطرقة والسندان -

ما كاد النهار يطلع على الكون حسى نودى علاسة بين الماس بحمل السلاح ، وخرجت طائفه بقيادة رهط من الزعماء لسسس المنطقة الني حولهم ، والعودة بالأطعمة التي منع الامبراطور سعها · وصدرت الأوامر لهذه الطائفة بالحصول على ما خرجوا من أحله ان عصبا أو بالسراء ، وألا يحلفوا وراءهم ماسية ولا عما ولا عله ، ولا أي نوع من المئونة ·

كما صدرت الأوامر لغرهم ولطائفة من الهاده بالنقاء مع الدوق في المعسكر لحراسته ، ذلك أنهم حين اكتسفوا غدر الامسراطور وخيانة شعبه ، لم يدحروا وسعا في الاستعانه بكل الوسائل المكته لحماية أنفسهم من هذه المكائد الوضيعة ، فنهضت اد داك كست كبرة من الهرسان والمتساة ، وخرجت في حملة لجلب الطسام وطالت غبتهم سنه أيام بلىالنها ، راحوا خلالها ينهبون الحمول في دائرة محيطها سنون ميلا ، فلما كان السوم النامن عادرا الى المعسكر بكمات وفترة من المواد الغذائبة لا بنصورها العقل ، والحي أن قطعان الماشية والأغنام ودواب الحمل \_ بله العربات \_ كانت كبرة حدا ، حتى لقد صادفوا صعوبة بالغة في احضار كل ما نهموه

#### - 1 + -

سنما كانت هـذه الأمور تحرى فى المعسكر وصـل الى [ حودفروى ] رسـول من الأمر بوهموند بحمل اله خطابا بقول فيه :

« اعرف با أعظم الرجال انك بنعامل مع أحقر الحيوابات ، ومع رجل خسيس كل الخيية ، ليس له من عرض أبدا الا الحديقة ، ولا ينورع عن اصطناع أى وسيلة أو سلوك أى سبيل يكون فيه علاك كل من هو من أمه اللاس ، وسيبرهن لك نفديرك الذابي \_ أن آخلا أو عاحلا \_ على صدف احساسي نحو هذا الرجل ، وذلك لأسى أعرف أن الدوبان بضمرون السر والصعبنة لكل من هو لاتيني، ونلك طبعة مناصلة قيهم ما لهم منها من فكاك ولا يستطيعون عنها حوالا ، ودن من فعلك أن نعادر المدية \_ اذ سُئت \_ وبرحل الى الدواحي المحيطة بأدرية و « فيليويولس » ودع هيساس الجنسية الدين عبد بهم الرب الملك ليستجمعوا وينعموا بلذبد العلمام في الدين عبد بهم الرب الملك ليستجمعوا وينعموا بلذبد العلمام في الدين عبد بهم الرب الملك ليستجمعوا وينعموا بلذبد العلمام في الدين عبد بهم الرب الملك ليستجمعوا وينعموا بلذبد العلمام في الدين عبد بهم الرب الملك ليستجمعوا وينعموا بلذبد العلمام في الدين والني خصية ، وابني لقادم الملك \_ ان بأذن الرب \_ في مطلع الرب والني لقادم الملك \_ ان بأذن الرب \_ في مطلع الرب والنصيحة صد أمير الاغريق اللئيم » •



ورأ الدوق الرسالة ، وبعدد أن تنصر ملسا في فحواها عقد محاسا من العدادة ، مم أرسل الرد كنانة وشفاها بهذه الصورة الحكمة .

" انهى أعرف با سعيقى الحسب \_ كما حاءنيى الأخسار منذ وقت طويل مؤكده صدق ما أحس \_ أن الجنس اليوناني المحتال بطوى قلبه على الكراهية العميقة لنا ، ويلنهف للاضرار بشعينا ، وإذا كنت في حاحة الى شيء من هذه المعرفة من قبل فقد أكدنها البجرية يوما بعد يوم ، ولسب أسك في أن ما انطبعت عليه أنت من صادق اليفوى بحركك ضدهم ، كما لا أشك في صحة احساسك المغريرى بخسيهم ، ولكننى اذ أضع خوفى من الله أمام عينى ،

ولا أغمصها عن هدف حملى ، فأن بدنى بقسم من أن أوجه صد أى من من الله الكفار ، أى شعب مستحى سنفى الذى تطعب العهد على أن أنابل به الكفار ، ومهما يكن الأمر فأن الجيس الذى معنا \_ أيها المحب لارب \_ سايت شوفا إلى قدومك وقدوم الأمراء الآخرين المخاصين للسمد » .

## - 11 -

استبد بالامبراطور وبجميع من حوله الفزع الكبير حيى رأوا البلد بأكمله عرضة للنهب ، كما أنه لم يعد في قدره الامبراطور الحسال أنين سعبه وبكائه ، وزاد الطين بلة ما عرفه من حبر مجيء رسل الأمير بوهبموند وقدومه حالا في أبرهم ، كما أنه خاص ال يتحد الأمراء الذين على وشك الوصول ويصبحوا يدا واحده بعل لدماره قبل أن ينجح هو في استرضاء الدوق ونهدئة بائرله ، ومن ثم فقد عاود مرة ثانية ارسال مبعوسه اليه ، مانيسا ميه زباريه وكان هذا هو السبب الذي حمله على أن يجهد نفسه كل الاحهاد في أن يتم الوفاق بينه وبين الدوق قبل وصول هؤلاء الأمراء ، ودن نم أرسل وفادة ثانية إلى الدوق ياح عليه أن يبادر بالحضور إلى الدي رون نم أرسل وفادة ثانية إلى الدوق ياح عليه أن يبادر بالحضور إلى الدي رون أم دون أي المسلم الله ليكون رهية عنده .

ولفد أبلح هــذا الانصال قلوب الفادة [ اللاين ] فأوفدوا اثنين من ذوى المكانة الرفيعة هما « كونون دى مونناج » و « بلدوين دى بورج » لبكونا في استقبال ابن الامبراطور الذي عهدوا به الى الرعامة الكريمة من بلدوين أخى الدوق ، وما كاد ذلك الأمريتم خلف الدوق أحام في فيادة الجيس وشخص هو الى المدينة ، يصحمه

الهاده الآخرون ، ودحل على الامبراطور الدى كان يبلهف آسد اللهه على فدومه فاسنفبله الامبراطور استقبالا كريما وكان محاطا برحاله المارربن وكلهم بوافون لرؤبة الرحل الذى طالما سمعوا به وعرفوا الكر عنه من قبل .

وأكرم الامبراطور أبضا وفاده من كانوا في شرف صحبة الدوى ، واحنفي بكل منهم الاحنفاء اللائق بقدره ومكانته ، ثم قبلهم حسما فدلة السلام ، وأكثر من السؤال عن صحنهم ، مخاطبا كل واحد باسعه ، ودرفق لهم ، وأبدى لهم العطف عساه بكسب ودهم. ثم السع، الى الدوق فائلا له .

« أبيا الدرى المحبوب لعبد سمعنا أبك أعطم من معك من الأوراء سأرا وقره ، وما كما حاهلين حماسك الكريمة فيما عاهدت به نفسك العمام به من مسروع حاطتك التقوى الكريمة فيه برعايبها، أصف ال ذلك أن الأخبار التي ذاعت عنك شرفا وغربا فد أكدب لما أنك رسل فوى الروح ، صادق الايمان ، ولهذا فقد اكسبت عن حت حد، الكبرين حنى من لم نتح لهم الفرصة للهائك ،

« ولما كانب رغبتنا أن نحوطك بكل آبان الحب ، وأن نخصك مالرد المحادق ، فقد صممنا أن نتمناك الدوم ابدا لنا في حضره كدار رحال فصرنا المقدس ، ونعهد اللك بامبراطوريننا ، عسى أن يظل تماسكياً عن طربفك صحيحا غير منلوم في نظر الجميدوع التي احسيد هما ، وكذلك في عمون أبناء العصور القادمة » •

بهذه الكلمات النى صحبها احتفال ملكى جرت العادة باتخاذه كلما كان هناك نبز من هـــذا النوع ، أمر الامبراطور أن يلبسـوا الدوق الثماب الامبراطورية ، وتبناه حريا على عادة المملكة .

و بهذا عاد السلام وحسن النبة بين الاثنين من جديد -

حيى فرع الامبراطور من هذا الحفل فيح خرائيه للدوق ورفاقه، ووصليم بالهدايا الذهبية الرائعة ، وأغدق عليهم الحواهر والساب الحريرية . والمرهريات الغالية النفسية التي يعجز الحسال عن سوريا صبعه وقيمة ، وذلك لأن الامبراطور أراد ... من وراء انحاقيم بالهدايا التي أكرمهم بها ... أن سير دهولزم واعجابهم بما هو علمه أن ثراء ليس له منيل ، كما هدف أن تجاب ألياتهم تعظمية الماء كن رلدلك لم بقيصر كرمه الذي حص به الدوق على أن تكون مره واحدد قحسيت ، بل أحد منذ يوم العطاس حتى عبد الصعود برسل الله أسبوعا من القصر الامبراطوري من النفود الدهسية ما تكل أكاف اربعة رحال أسداء عن حمله ، هذا الى حانب عسره شيئا لرقسة ، بل حاد بما جاءه على البيلاء والجيش ، حسيما سيلزم شيئا لرقسة ، بل حاد بما جاءه على البيلاء والجيش ، حسيما سيلزم حاحة كل فرد •

#### \*\*\*

اسعاد الدوى ومن معه ، بعدث الامبراطور فى الرحل . ورحعوا الى المعسكر ، ثم ردوا السه ولده يوحنا الذى كانوا قد استقوه فى المعسكر رهيسة الى حين أوبة الدوى ، وقد صحبه فى رحوعه كوكمة من حرس الشرف .

حسداك أصسد الامبراطور بساما عاما بقصى بتجهيز كل ما يحتاجه حسس الدوق بسمن معقول ، وكبل لا جور فيه ولا طلم ، وبودى بقيل كل مخالف لهذا القرار ، كما أعلن الدوق من ناحبته على لسان مناديه باعدام كل من برتكب في معسكره عملا من أعمال العنف ، أو يخطى في حق رحال الامبراطور ، وبهذا استمر الحانبان

فى تعاون متنادل بسهما فى أمور البيع والسراء وستنادهما حو من الزواق النام ·

ولما آذن شهر مارس بالانتصاف علم الدوق بوصول الساده الآخرين ونزولهم بجيوشهم في تلك الناحب ، فأمسر الامتراطرر بهيئه السفن وعبورهم البسفور ، بعد أن وافقه على هذا الأمر كبار رجالاته أشنا ، وإذ ذاك سرب [ حردفروي ] مستكره في حلفدونبة في بسبيا التي كانت أول ولاية في آسيا بصل النها .

#### 女女女

وكان قد العقد [ في سنة ٥١ ] في خاهدونية لبي هي من أعمال بينينا ، وفي زمن كل من البابا لبو الكبر والامبراطور مارسان المجمع الدسي الرابع العام ، وحضره سيمائة وسية وثلاثون من آباء الكنيسية ، فسيجب المجمع هرطفيات كل من الراهب « ابويسيبوس » واهب اسكندرية و « ديوسكورس » عطركها •

كان هذا المكان [ وأعنى به خاهدونية ] أفرب ما يكون الى القسيطينية ، ولا بقصله عنها سوى البسفور ، ويستطيع الناظر من هنا أن يطالع المدينة « الملوكية » ، حنى لكأنها الى حواره ٠

يضاف الى دلك أنه كان فى استطاعة من تحم عليهم أعمالهم الذهاب البها من المعسكر القيام بهذه الرحلة ذهابا وايابا ثلات أو أربع مرات يومبا •

عبر أن كلمات الاممراطور المعسولة \_ في الالحاح على الدوق بأن يعسر هو وجسته البحر ممل الوقت الذي كان محددا لذلك \_ لم تكن صادره عن اخلاص وصدى طوبة ، بل كانت على العكس من ذلك نابعة

ما وابع عله من الحمل والرعبة في خداع الدوق حتى لا تنصم الرابه إلى قوات اللابن الآخرين عبد وصولها ، كما أنه ساك سمل المخب دانه حين احتال فأرغم الآخرين الذين حانوا بعدئد على ركوت الدين ، زاحدا بعد الآخر ، حتى لا تستنى مطلقا وجود حسين معافى وقت واحد أمام المدينه •

### -14-

هكذا كان الموقف بين الامبراطور والدوق في المسطيطينة ، رحدت في هذه الأساء و وفيل دخول فصل السياء المارس البرد و أن فام لورد بوهبموند بن روبرت حسكارد أمير بارات بعبور بحر الأدربادك ، ووصل الى دورازو على رأس حميع عسكره ، ريابع عن صالت عو در معه و الرحف في بطء عبر عابات بلغاريا وكان قد انضم الى حبسه كبير من أصحاب المكانة الساهة وأهل الرود من ابطاليا وغيرها من البلاد ، وقد أوردنا أسماء هؤلاء وعددهم ليال دكراهم خالدة أبدا ، منهم تانكريد بن وليم مارشيسوس ، وريسارد الرسمايي بن وليم دي الذراع الحديدية أخو روبرت حبسكارد ، رأخوه ريسولف ، وروبرت الزي ، وهموري ابن رالف ، وروبرت ابن كونت ربسولف ، وروبرت بن تستان ، وهموري ابن رالف ، وربنشادر بويللودي شارترز ، والبيريد دي كانيسانو ، وهمفري من ورساسكالوزو ، ويللودي شارترز ، والبيريد دي كانيسانو ، وهمفري من ورساسكالوزو ،

الخرط هؤلاء حميعا بحد راية بوهموند ، حتى ادا باغوا ، كاسبوريا » احملوا بعيد ميلاد المسيح .

لم بكن المدينة بعقد في هذا المكان أسوافا لمن يسر بالناحية من الناس ، ومن ثم اصطر [ اللاين ] للاستبلاء فسرا على قطعان المستبة والدوات ، وبيب كل ما يجتاحونه للعيس مما أدى الى حسارة الإهالي الدين بطروا النهم بطريهم للأعداء .

م أحد [ اللاس ] بعد دلك في منابعة رحقهم من عدد الناحية حتى بلغوا منطقة سنديدة الحصب والنماء ، وتعرف باسلم « بيلا حربنا » فضربوا معسكرهم بها ، وهنا واقتهم الأخسار أنه يوحد على مقربة منهم مدينة حصينة يسكنها الهراطقة ، فأوسعوا خطاهم تحوها ما وستتنهم السرعة واستولوا علنها بالسلاح ، وأصرموا السلام أوى مناسب ، وراح ما بها من بن هالك بالسنف أر صربع النيائم المار ، بم عادوا منها محملين بالغنائم الصحمة والأسلاب الوفسيرة •

ولما سمع الامبراطور أن كنائب بوهيموند سابع رحفها ، أوعر سرا الى مقدمى حدوسه الذين كان فد أرسلهم فى مسانى دلك المكان أن يطاوا سائرين مع جميع قواب بلك الناحيه الى حابب الفواب المستحمة حتى يصلوا الى بهر الوردار ، على آن يغسموا الفرصه ان لاحب لهم لبلا أو نهارا للاغارة على طلبعة الجسس ، سرا آو حهرا ، وذلك لما نمى الى علمه من أعمال القتل الني جرب عبد مجىء الفائد بوهيموند ، وكان الامبراطور فد داق منه ومن أببه رويرين حسيكارد الأهوال الحمة في سالف الأيام ، لكنه استطاع بفضل ما طبع عليه من الدهاء والمكر ـ أن بوقق غاية البوقيق في سنر أغراضه واخفاء أهدافه ، بارساله طائفة من كبار من حوله الى هذا الرحل العطيم أعداق من الأسلوب المطمئن ما يخفى غرضه ، وأن يستعملوا كلمات معه من الأسلوب المطمئن ما يخفى غرضه ، وأن يستعملوا كلمات تبئ في نفسه الطمأنينة ، لكنها نخفى وراءها الغدر الذي لا مناص

verted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

منه ، كما أمرهم أن يبدلوا فصارى حيدهم لخديمه ، وكانب لهجه الرسالة المكلوبه الله وكذلك الكلمات الني فاء بها الرسل كالآبي

### -12-

« قد علم جلالمنا ـ رعانا الله ـ بما لا يدع مجالا للسك أنك أمير جليل القدر ، فوى السكيمة ، رفيع المكانة ، كما أنه يعلم أنك ابن أمير مبجل نوى لم يعرف الكلل اليه سبيلا ، وقد أنزلبال ما مبرك الحب ، وحبوناك من اتباليا ما أنب أعل له ، وان كيا لم نرك وجها لوجه حتى الآن •

#### $\star\star\star$

« وقد علمنا أن طاعتك للرب حملت على أن نهب نفسك لحدمته ، وأن تسارك بقية الأمراء المخلصين في القبام برحلة الحج . وان صدفنا هو أن نزيدك منا حبا ، ونبزلك مبزلة الود من نفسنا لذا ( فانا نلتمس منك ) أيها الصديق الحبيب أن نوعز الى أنباعك بكف أيديهم ومنع أذاهم عن رعايانا ، وألا يرتكبوا عملا من أعمال العنف أو النهب أو اضرام الحرائق ، ونسألك أن تبادر ما وسعك البدار للمجيء الى حضرتنا لا تخاف شيئا ما ، عساك أن تبعم بآلاف السرف ، وتحظى بالنعم التي نعتزم اغداقها علبك ، ولقب أصدرنا أمرنا إلى حامل هذه الهدايا على تهيئة كل ما هو لازم لجيشك، بئمن لا فصال فيه ، حتى تظل امداداتكم بأسباب العش موصولة على الدوام » •

وعلى الرغم مما يوحى به طاهر كلماب الامبراطور هده من الود الكبير ، الا أنها كانب تخفى وراءعا السم ، عير أن بوهيموند \_ وحر الرجل العطن اللماح ، المدرك نمام الادراك ما تنطوى عليه نفس الامبراطور من الشر \_ كنم مساعره ، وأخد حذره السديد ، وأرجى الى الملك آيات الشكر على ما أبداه من العطف والاهتمام بسلاميه ، وببع الدوق هؤلاء المرشدين ، حتى اذا بلغوا نهر الوردار وجدوا قسما من عسكرنا قد عبروا النهر حالا ووقفوا على ساطئه الآخر ، ينما كان هناك غيرهم يناهبون لعبوره ، فظن أتباع الامبراطور الذين كانوا يقتفون أثر معظم جيشنا ان قد لاحب الفرصة لهم ، فكروا في وحنسية ضارية ، وروح عدوانية كريهة ، على هدذا الرهط من الناس الذين كانوا على وشك العبور ،

فلما انضح المكر السيء لما كربد و كان مستعدا للدوام للعمل حب كأنه البرق الخاطف الى نلك الناحية ، مستصحبا معه ما بقرب من ألفى فارس وعبروا النهر المزبد سباحة الى ساطئه الآحر الذى لم يكادوا يصلونه حتى وثبوا على العدو بستوفهم ، فندر مصفوفه وأرغموه على الفرار ، ثم مضوا بتعقبونه بعض الوفت وفكوا بالكسرين من رحاله ، كما أسروا التعض منهم وجاءوا بهم الى يوهيموند الذى أمطرهم بأسئلته ، مستفسرا منهم عما وراء مطاردين حبشا مستحيا منلهم واقتفاء أثره ، فقالوا له انهم رجال الامبراطور ومرتزقنه ، وأنه لابد لهم من الانصناع لأمره ، وتمال من أوصاهم بقتالهم ،

وحينذاك انضح للجميع بما لا يدع مجالا للشك والريبة زيف كل ما قاله الامبراطور لهم وانه قول لحمنه الخديعة ، وسداه ألرياء ٠

غير أن بوهيموند لما كان يعلم أنه موشك على الرحبل ، وانه في حاجة لاستعمال كل ما يقدمه له الامبراطور من وسائل السفر ،

فعد صلح للودوف في وجه ازاده بقية رجاله ، ورأى أن يكم أحاسسه ، حنى لا يسر حنى ألكسبوس من عبر فائدة بحنها •

#### - 10 -

بعد أن احتاز الحنس مقدونها وولابة الليريا كلها ، راح يجث الخطى وهو يحت قياده حودفروي العكيمة حيى دبي من المدينة ، فوفف قربها ، وكان دلك فبل عبد المبلاد بخمسة أيام ، وهما جاءب سعاره ثانية من الامبراطور الذي أرسيل برحو من يوهيمويد في الحاح أن يحلف وراءه قوانه ، وبهضي لزياريه في حرس فليل ، عنر دد يوهيه و ند فنره فصيرة وأجل ينفيذ هذه الأوامر بعض الوقت، لانه كان بسك في نوابا الامبراطور ويدرك ما بضمره من السر ، وبسما كان يسحت فيما يسعى علمه الخاده ، اذا بالدوق العطم جودفروى يعبل في أبهة عظبمة ، تحوطه كوكبه سرف من النبلاء ، وفد وفد على بوهموند ـ اسمجابة لموسلات الامبراطور الماحة عليه ـ في محاولة منه لحمله على زياره حلالنه الامبراطورية دون خوف أو وجل ، فعانق كل مسهما الآخير ، وتبادلا فبلاب الحب ، ودارت بسهما الأحاديث اللطبعة وراح كل منهما يسأل الآخر عن أحواله ، فلما فرغا من ذلك أشار الدوق حودفروى ـ بناء على ما لدبه من التعليمات \_ على بوهيموند \_ بزيارة الامبراطور ، ولكن الآخر أظهر في بداية الأمر اصراره الشديد على رفض هذا العرض ، غير عابيء بنصبحة الدق ، لعدم ايمانه بصدق ما يقوله الامراطور كما دكرنا ، سه أنه رضخ في النهابة لرجاء حودفروي ، ومصى مطمئنا في حراسه التون الى القصر ، فلما بلغه تلقها الامبراطور لقبلة

السلام ، وأحاطه بكل ضروب العطف ، وبعد حواد أخوى طويل أصبح بوهيموند « رجل الامبراطور » كما بقول المبل وأعلن ببعسه له ، وأفسم يمين الولاء له حريا على عادة الافصال لسادا سم اللورداب الاقطاعين •

فلما فرغ من فسمه الهالت علمه الهدابا الغالبة التي لا للمدر بمن ، والتي حيء له لها من الحزانة الملوكية ، حس فلمرا الله الذهب والساب والمرهر لل والأحجاد الكريمة ، وبذلك انعقد السلام بين الاثنين .

#### \*\*\*

أما بابكريد \_ ابن أحب بوهبموند \_ وكان رجلا يسبر كل ما فيه الى عظمته \_ فقد كان حريصا كل الحرص على ألا يذعب الى الامبراطور حتى لا يتحدت اليه ، وبينما كان خاله [ بوهبموند ] لا يزال في البلاط الامبراطورى انتفل هو بكل عسكره الى بنينيا في اقليم خلقدونيه الوافعة على لجانب الآخر من البسفور ، وضرب خايمه قرب جيش الدوق [ جودفروى ] الذي كان قد عبر البحر منذ قليل وأصبح الآن في انتظار الجيوش الأخرى .

ولما علم الامبراطور [ ألكسبوس ] بتجنب بانكريد المجيء الى حضرته اشند غضبه منه ، الا أنه نمسك بالعقل وكظم غيظه ، وراح يغدق ـ بين آونة وأخرى ـ الهدايا على الأمراء الذين يزورونه ، فاذا ما صدروا عنه الى معسكراتهم فيما وراء السيفور ـ وصلهم بآيان التسريف .

وأفام الجبنسان هما في وثام واستقرا في انسجام على مقربة

من المدينة في انتظار وصول الجينوش الأخرى ، ثم انصم الجميع بعضهم الى بعض في جيش واحد في السير الى الحج الدى اعترموه ·

ولقد أمدت المدينة الملوكية والمنطقة التى حولها آهل المعسكر بكمنات كبيرة من الطعام ، حتى أصبح الجميع فادرين على التمنع بالوفرة منه حسبما يساءون •

#### - 17 -

فى هذه الأنماء ، وعسد افنراب دخول فصل السساء ، سرع روبرت كونب فلاندرز العطم فى الابحار من « بارى » احدى مدن أبولما الساحليه ، وأرسى بعد ابحاره بحميع حسبه فى « دورارو » ويحاسى زبهرير السياء بنروله وسط الفابات والمراعى وفي مطفة خصبة تزخر بشنى متطلبات الحياة ، فأقام بها ، حتى اذا دنى فصل الربيع تابع رحلنه وهو أنسط ما بكون لينضم الى الفادة الآخرين الذين سيقوه فعبروا المحر .

وأنفذ الامراطور \_ كما فعل مع القاده الآخرين \_ رسلا من حهمه الى كو بن فلاندرز قبل وصوله الفسطنطنية ، يسبرون علمه بنرك قوابه خلفه ، ومنابعة رحلته مع ثلة من رفاقه ، للمبول بالحضرة الامراطورية ، وأوقفه هؤلاء الرسل على كل صغيرة وكبيرة مما فعل سابقوه في همذا الموضيوع مع الاميراطور ، فلما بلغ الكونب المسطنطينية مضى الى القصر في شرذمة ضئيلة من حاشينه ، فيلقاه الاميراطور بكل مظاهر الاحلال ، وعامله أطبب معاملة ، فلم يكن مي الكونت ] الا أن نهج نهج الآخرين فقطع على نفسه يمين الولاء الذي

طلبه منه الامبراطور ، واذ ذاك انهال علبه من مظاهر المكرم والهدايا أكبر مما انهال على السابقين ، وكان حط رفانه مدل عدا الحط من الكرم ، وان نال كل منه حسب مرنبيه .

وصلد الادن لجبس كونت فلاندرر بالبفاء عده أبام فرت المدينة منعما بأطنب الطعام ومستحما ، وقد أكبر الكونت في حذه الأبام من احتصاعاته مع الامبراطور لبحت المواضحات التي دات ضرورية ، فلما فرغ منها استأذنه في الرحيل تعسكره فأدن له ، فأبحر للانضمام الى اخرائه الحجاح الذين استقبلوه بالحد العظيم ، وانضم الحسيان تعصهما الى تعض .

أقام العاده بضعة أيام يعص الواحد منهم على الآخر الاحداب المختلفة التي جرب له في رحلنه ، وقد سادنهم روح البهحه . حتى اذا فرعوا من استعراضهم للصعوبات التي مرت بهم النهوا أحبرا الى منافسة المسائل الخطيرة ، وكان من الضروري بعد أن عقد كل منهم محاديات دفيقة مع الآحر أن بقرروا مني وكيف يكون الحاز المسروع الدى أفدموا على النهوض به ، وبينما كانوا منهمكن في لوم رفاقهم الذبي تأخروا في المحيء وتحميلهم مسئولية انصرام الوفت الاطائل اذا ترسول بصلهم من كونت تولوز وأسقف بوى تنبؤهم تابهما على مقربة منهم ، وأنهما سرعان ما سيدخلان المدينة .

## - 17 -

للازم هذان الرحلان العظمان منذ مسنهل السمر ، وظلا حنبا الى حنب بحموشهما ، فكانا رفعقى رحلة لم ينفصل أحدهما فيها عن الآخر ، وكان في ركابهما رحال بارزون من علمة القوم خلها ومكامة ،

مسهم: ولم أسقف أورنج ، ورينبولد كوس نفس المدينة [ أوربج ] وحاسبون دى بيريبه ، وجيراد دى روسسيلون ، ووليم كونس مونتبلييه ، ووليم كوس فورير ، وريمسوند بيليه ، وجاسبون دى بيارن ، ووليم أمانجسو وكثيرون غسيرهم ممن لم تم الداكرة أسماءهم ، الا انهم سيطلون من غير شك أحياء فى ذاكرة الزمان ، ذلك لانهم آثروا الفقر عى رضا وطيب خاطر ، فهجروا ، مهبط رؤوس آبائهم وفارقوا أحبابهم وأقاربهم ، وبخلوا عن أملاكهم الفسيحة الى ورثوها عن أسلافهم من أجل اقتفاء خطى المسبح ،

وصدقت النية من هؤلاء الناس جميعا فأحلصوا فى خروحهم واتباعهم من ذكرنا من الرجال الموقرين ، وشدوا رحالهم الى ايطالها ، واجهازوا لمبارديا ، حيى اذا حلفوا وراءهم الاقلىم المسمى «فورم حيلى»

دخلوا استريا القريبة من « أكويلنا » فأفضى بهم السير فى النهاية الى أرض « دلماسيا » الواقعة على امتداد الطريق الواصل بين المجر و دحر أدرياديك ، والتى توجد بها أربع مدن كبرى هى « زارا » و « سالونا » ( المسماة أيضا بسبالو ) و « أنتيفارى » و « راحوزة » التى يسكنها قوم قد أوغلوا فى الهمجبة ، وبلغوا من الوحشية أقصاها ، فهم يعشون على السلب والنهب والقبل .

وأرضهم مكسوة كلها بالغابات ، ونشقها الأنهار الكبيرة ، وتحفل بالمراعى الفسيحة ، ومن ثم تقل بها الحقول الا ما تناثر منها هنا وهناك .

ويعتمد الأهالى فى معاشهم اعتمادا ناما على الماشية والأغنام باستثناء حماعات قليلة جدا تقيم على ساحل البحر ، وتختلف اختلافا بينا عن بقية القوم فى العادات واللغة ، فلسان هذه الجماعة هو اللاتينى ، على حين يتكلم بقية الأهالى اللغة السلافية ، وسلوكهم هو سلوك المتبربرين -

ولما دخل الكوىت وأسعف بوى ورجالهما هذه الولاية صادفهم كنير من الصعاب على طول الطريق لا سيما بسبب طبيعة الافليم الوعرة ، وافراب فصل السناء ، كما ظلوا بضعة أيام يكابدون وطأه المجاعة لقلة ما عندهم من الطعام والمئونه .

ولما طالع الأهالي وجوه فومنا فزعوا فزعا شديدا ، حملهم على برك مدنهم والتخلى عن أماكنهم الحصينة ، وفروا فراهم من وحوش كاسره ، واعتصموا بالسلال والأدغال مستصحبين معهم نساءهم وأطفالهم ومناعهم وان ظلوا يتابعون في خلسه \_ وعلى بعد \_ آثار حبسنا الزاحف ، ويفتكون بمن ترميه الأقدار في آيديهم من المرضى والمستن والعجائر من السناء ، ممن لم تسعفهم قواهم وخطاهم البطئة بملازمة بقية القوم ، فانفصلوا عنهم .

ولما كان الكونت يسعر بالمسئولية الملقاة على عانفة عن هذا الحسد الكبيف ، فقد ولى قيادة الطليعة الزاحفة آمامه جماعة من المزعماء ، وأما هو فقد وقف فى المؤخرة على رأس الجانب الأكبر من الفرسان ، كما أنه هو ذانة كان آخر العائدين الى معسكره ،

#### \*\*\*

كان الجو ملىنا بالضباب الكنىف ، والطلام سُديدا كانه قطم متصل بعضها ببعض حتى ليكاد المرء يحسها ، ومن ثم ففد كان من الصعب حدا على السائر في الخلف أن يتبين الذين أمامه ، على حين أن طلبعة الجيش كانت لا برى قدامها أكثر من رمية حجر ، هذا الى حانب ما ذكرناه من أن الاقليم زاخر بالأنهار والقنوات المائبة ، ونكثر فيها المسينقعات التى تعمل على زيادة الرطوبة والضباب الكنيف لحظة بعد أخرى ، حتى كاد الهواء أن يخنق الأنفاس .

يضاف الى ذلك أن المواطنين الدلماشيين والسلاف كانوا على

verted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

دراية نامة بالافليم ، فراحوا ينابعون الجيش وهم على العمم الساهفة وفى الغابات الكنيفة ، وكسبرا ما كانوا يبرزون فجأه من العانات للهاحمة الحجاجالعزل من السلاح .

عير أن الكونت ومن معه من الهاده طالما فاموا أيضا من جاببهم يردون على هجمانهم عليهم بمثلها ، فقصت حرابهم وسنوفهم على الكثيرين منهم ، وكان في امكانهم أن يفحنسوا الفنل فنهم أكس مما فعلوا لولا فراد هولاء الدلماسيين الى الأحراج القريبة منهم ، منخذين منها ملجأ أمينا لهم ، وحدث في يوم من الأيام أن وقع بعص هؤلاء الأشراد في يد الجسس فأمر الكونت بقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف ، عسى أن يكون في هذا العقاب زجر لغيرهم ، فلكفون له جزعا عن متابعة الجش وملاحقته ،

ظل الحجاج ثلاثة أسابيع منالله يعبرون هذا الجزء من الافلس وهم في كرب وضبق ، حتى اننهوا أخميرا الى موضع يقال له « سكوتارى » وجدوا به ملك السلاف ، ولما كان الكونت رجلا رحما رضى الخلق فقد سخى في تقديم الهدايا الى ملك السلاف راحما أن يؤدى هذا الكرم من حانبه الى توثيق روابط الصداقة بين الجانس ، وحتى يضمن لمن معه مودة الألىا عساهم يعقدون لهم سوقا يشترون منها ما تحناجونه من بضاعة ،

لكن الكونت لم يستطع ـ حتى بهذا السلوك ـ أن يهدهد من وحسية هؤلاء القوم ، أو يخفف من فظاظتهم ، بل الواقع أنهم اذدادوا شراسة عما كانوا عليه من قبل .

لكن سنى للجيس أن يصل فى النهاية الى دورازو بعد مساره أربعين يوما داخل أرض دلماشيا كابد فيها كل الصعاب •

حاصرت المخاوف الكثيرة الامبراطور من مقدم الكونت ، لما كان عليه هذا الأمير من الفطنة والعقل ، الى جانب ما كان تحت قياده من جيش بالغ الضخامة ، وكان الامبراطور قد أرسل منذ أمد طويل قبل وصول الصلبين الى هذا المكان سفارة من كبار رجالاته لمقابله الكونت فى دورازو ، وعهد اليهم أن ينقلوا اليه تحياته الرقيقة النابضة بالود ، فامتثلوا لأوامر مولاهم وذهبوا الى الكونت وخاطبوه بالفاظ سداها الرقة ولحمتها المداهنة ، وقدموا اليه رسالة الامبراطور الني تضمنت الآتى :

د أيها الكونت العزيز ، لقد طبق الحافقين منذ أمد بعيد كبر من أخبار فطننك ، وما اشنهرت به من حسن الأحدوثة شهرة ذاعت شرقا وغربا حتى بلغت بلاطنا ، مما حملنا على حبك ، ومن أجل هذا الحب ، ورغبة منا فى اظهار مودتنا ، فاننا ندعوك البيا ليؤكد لك الحب ب فضائلك \_ وعلى رءوس الأشهاد \_ تقديريا الشخصى لما أنت عليه من الفضل ، ونحن نتطلع فى لهفة الى قدومك علينا ، وانيا نريد أن نناقش مع عظمنك \_ وأنت العزيز الغالى عند امبراطوريتنا \_ كثيرا من المسائل المتعلقة بالأمور العامة ، ونرحوك رجاء حارا أن يكون سيرك عبر بلادنا من غير شغب ولا ازعاج ، وأن تبادر بالمحى، لكون سيرك عبر بلادنا من غير شغب ولا ازعاج ، وأن تبادر بالمحى، الينا معتمدا على محبتنا ، ولتكن واثقا مما عزمنا عليه من اغداقنا عليك آيات الشرف ، كما أصدرنا تعليمات الى حاملي هذه الهدايا أن يهيئوا موضعا تبتاعون فيه ما تحتاجونه ، وأن يظل التعامل التحارى بين قومنا وقومكم موصولا ، تحت شروط ملائمة كل الملاءة ،

حين تسلم الكونت هذا الخطاب انشرح صدره وصدور عسكره انشراحا كبسيرا ، ققرروا متابعة السير ، فساروا أياما كشيرة

verted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version

واسوا حلالها المساق في اجتيازهم الأحراج والجبال ، حتى اذا جاوزوا بلاد ابيروس كلها بزلوا في الاقليم المسمى ببلاحوسا ، باصبير معسكرهم به لكثرة ما يزخر به مما تهواه النفس .

وأما أسقف بوى الذى عاش حيابه عفيفا طاهر الديل فعد التقى من دون الجند مكانا قصيا اينارا منه لراحنه ، ونصب هناك معسكره ، لكن ما لبث البلغار أن هاجموه وأخذوه أسيرا ، عير أنه لما كان شعب الرب لا يزال فى مسيس الحاجة الى فسيس عظم كهذا القسيس فقد أبت رحمية الرب الا أن بداركه ، فأبقت على حيابه ، وما كان ذلك الابقاء الا عن طريق الصدفة المحنة وحدها ، اد طلب منه أحد اللصوص أن يسلمه ما معه من الذهب ليبسط عليه فضل حمايته ، فلا يباله أحد بضر ، فأعطاه ما طلبه ، فأغصب هذا بقمة اللصوص ، فبارب بينهم فتنة بعالى ضجبجها حبى سمعها عسكرنا ، فهبوا حميعا الى سلاحهم ، وكروا على الفسدين وأنقذوا الأسقف المنجل ومن معه من بين أيديهم .



تابع العسكر بعد ذلك مسرنهم ثانية فعروا سالونكا وكل بلاد مقدونا ، وظلوا يبابعون زحفهم المضنى عدة أيام حنى بلغوا مدينة « رودستو » البحرية المطلة على البسفور ، والتى تبعد عن القسططنية مسدة أربعة أيام ، وهنا حاء الى الكونت وقد آخر من حهة الامبراطور ، كما وقد عليه رسل من القادة [ اللاتين ] الذبن. قدموا قبله يمحضونه النصح ، وبلحون عليه أن يأذن لجنشه بالسبر ولكن في بطء ، أما هو فعليه أن يبادر بالخروح في شردمة ضئيلة من حرسه للذهاب الى الامبراطور ، حتى اذا فرغ من أمره معه يكون حشه قد بلغ [ القسطنطينية ] ، وإذ ذاك يستطيع ملاحقة الآخرين

باسرع ما يمكن ، دون أى اعاقة للجيس الذى كان راعبا في سرعة الزحف ·

وكان الكونت قد أرسل [ الى القاده ] من تلقاء نفسه حماعة من عنده . فلما عادوا اليه نسجعوه على الخاذ نفس الخطوه .

## - 19 -

لاشى أحيرا بردد الكونت أمام الالحاح المسنمر من جاب مندوبي كل من الرسل الامبراطوريين والقادة [ اللابن ] الذين المسنوا هم أبضا منه أن يسرع الى قصر الامبراطور، فاستجاب لهم جمعا وبرك جيسه بعدن الحماية الدفيقة من جاب الأسافقة وعرهم من الأشراف الذين كانوا في المعسكر ، ومضى هو ملبنا الدعوان المكرره الله ، ودخل الفسطنطينية في رهط قليل من حاسبه ، وفي حراسة مندوبي الامبراطورية ، فلما منيل أمام الامبراطور بالع الامبراطور ووجوه رجالة في الترحاب به واظهار النقدير العطيم له ، الامبراطور ووجوه رجالة في الترحاب به واظهار النقدير العطيم له ، والني تضمنت الالحاح السديد عليه لقطع يمين الولاء للامبراطور بالطريقة التي انبعها القادة الآخرون الذين سبقوه ، أقول ما كادت منده الكلميان المعسولة بنتهي حتى رفض الكوني قطع اليمين رفضا باتا ،

بىنما كانت هـنه الأحـداك تجرى فى القسطىطىية ادا بالامبراطور قد استبد به الحنق لرفض الكونت اعلان تبعبته له كما فعل الآخرون، وحينذاك أسر الى قادة جنده الموجودين فى تلك النواحى erted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بمباعبة فواب الكونت وأخدها على عره ، وأمرهم ألا يدخروا وسعا في ازعاجهم ، حتى ولو أدى بهم الأمر الى اغىيالهم ، وفد سُجعه على ركوب هذا المركب وسلوك هدا السبيل النزام القادة الآخرين ببمين الولاء البي فطعوها له ، كما أغراه على ذلك أيصا أن جنوسهم كلها كانب قد عبرت البحر ولم يعد من السسر رجوعها ، كذلك صدر الأمر الى جميع السفن المتجهة لنفل البجاره أو الناس بحرا بعدم مغادره الساطئ الآخر ، وبذلك نصبح كل فكره للرجوع ضرما من السب لاىعدام وسائل النعل ، وكان الامبراطور قد نجح بكلمانه المعسولة الخادعة ، وما اصطنعه من اعراءات كبيرة في حمل الجنوس على العبور فردا بعل فرد حسى لا يتجمعوا كلهم في المدينة في وفت واحد ، وكان الداعي له الى ذلك الأمر هو خوفه ـ كما سرحما ـ من أن يجيء هؤلاء العسكر فبكون في تحمعهم كلهم خطر ما بعده من خطر عليه . كما أن سيخاء القادة لم يكن عن كرم أو حسس فصد ، بل كان سياسة خبيئة ننطوى على المكر وهي وليدة الياس ، ومع ذلك فقد أعدم زعماؤنا على تلببة ما طلبه الامبراطور منهم لنقيهم فنه وتصديقهم لما بقوله ، وكان من أصعب الأمور اقناعهم سوء طولة الاغريق ، وأوَّم نبة الامبراطور وخلماعه وختله الذي لا بنقضي ، لا سما منذ أن بالغ في السخاء علمهم واكرامهم وتظاهره نحوهم بأقصى مظاهر حسن النية ٠

# - Y + -

راح الضباط الذين تلقوا أوامر الامبراطور ـ وهم من أمراء الخمسمائة وكذلك الموكل البهم قيادة القوات الحرببة ـ ينفذون توجهاته ، فقاموا سرا ـ واللبل يلف الدنما بظلامه ـ مهاحهة

عسكر الكونب الذين لم يكونوا يتوقعون فط أي خطر يأنيهم من هذه الناحية ، فسراحي حراسهم ، وعفلت عيونهم ، فأخذهم الاغريق على غرة منهم ، وفتكوا بالكبيرين منهم فنكا دريعا ، وذلك لأن المباغته أدت الى عدم اتاحة الفرصة لهم لانتضاء سبوفهم ، فجرت فيهم مذبحة محزنة ، وفر من نجى فرارا مشيباً لكنهم ما لبنوا أن رجعوا على أعقابهم حين تنصروا حالهم ، واستردوا شحاعمهم وعاودتهم بطولتهم. فأنرلوا كبرا من الحسائر بنلك العصابات الحرببة من مربرقه الامبراطور ، ولقد أبدى الصليبون مقاومة عبقرية آخذين بعس الاعتبار ظروف الزمان والمكان ، غير أن الياس بدأ يسرب الى نفوسهم بسبب مشقة الطريق وما يلقونه كل يوم تقريبا من أخطار لا سهى، بأبيهم على عبر انتظار منهم ، فراحوا يستسلمون للباس ، وطالما لاموا أنفسهم على ذلك ، وأخذت حماستهم نفتر كل يوم عن الذي فعله سبب الارهاق الذي نال منهم كل منال ، ومن جراء المصاعب الشاقة النبي واحهمهم ، و بدم الكبيرون منهم على المغامرة النبي أقدموا عليها ندما جاوز الكثيرين من العامة الى طائفة كبدة من أبرز رحالهم الذين يشأونهم مكانة ، والوافع أن الريبة ساورتهم في قدرتهم على انحاز ححجهم ، فنسوا ما قطعوه على أنفسهم من عهود ، وما أقسموه من أبمان ، وراحوا يعدون العدة للعودة من حيث حاءوا ، ولولا أن أخذىهم تحذيرات الأساقفة ورجال الدين من كل جانب ونصائحهم البهم وحثهم اياهم على الوفاء بما في أعناقهم من يمين فهجروا الحسس وحاولوا الرحوع الى ديارهم ، غمير مسمالين بالخطب الذي يترب عل ذلك ٠

ولما سمع الكونت هذا النبأ عصر الحزن فلبه واستبد به الألم وبكى وأعلن أن قد غرر به ، ثث أرسل رهطا من أشرافه المخلصين الى الامبراطور يعولون له على لسانه انه خائن ، لأنه خرج على جميع مقتضيات اللياقة والذوق اذ أمر رجاله بمحاربة جيش الكونت

ريموند في الوقت الذي دهب فيه ريموند الى الامبراطور استجابه للكتب العسديدة الني حاءنه من الفسادة ، ونزولا على النماسانهم الكثيرة منه •

كذلك لام الكونب القسادة لمداومهم الالحاح عليه بالمصى الى الامبراطور حنى برك حبشه وشخص الى المسطنطينية ، وأعلمهم ريموند بالمصائب التى ألمت بكتائبه وبخيانة الامبراطور لها ، ثم طالبهم \_ كاخوة له \_ أن يئاروا لهذه المعال الشائلة ·



لو ال فوة الكولت كانب مكافئه لرعبته الصادفة في الالله الرجاله لما كان لنهديدات الآخرين ، ولا للدخل سواهم من القادة فدرة على ثنيه عما اعتزمه ، فقد اشتهر عنه انه كان رحلا صلب الارادة ، فوى الشكيمة ولا بثنبه ثان عما أحمع العرم عليه ، كما أنه لا ينسى الاساءة أبدا .

وحين عرف الامبراطور المدى البعبد الدى دهب اليه دام على الدر منه ، ورأى أن يبعث فى استدعاء الفسادة الذبن لا رالوا بجيوشهم على السواطىء الأحرى طالبا البهم المسول فى حضريه ، طمعا منه فى أن بؤدى ندحل هؤلاء القادة \_ وهم الدوق ويوهسويد وكونت فلاندوز \_ الى اسسرضاء ريمويد ، فاستجابوا كاهم لدعويه، وعلى الرغم من شدة حنفهم جميعا على ما قد جرى الا أنهم رأوا عدم ملاءمة الزمان ولا المكان لطلب الثأر ، ومن ثم انفردوا بالكونت رحاء أن يحملوه على ألا يصرح بالأخطاء التى يشعرون أنها قد حاقب به وبهم أيضا ، مبسين له أن اندفاعه فى طريق الانتقام قد يؤدى الى ضماع جهد أيام طويلة ، والى عرقلة زحف أولئك الذين يرغبون فى السير فى طريق السيد ، فاستجاب الكونت لحججهم هذه ، ورضخ

verted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لتدخلهم الرحم ، وكب مساعره المريرة واحساسه بالآلم ، وحصع المنصيحة الفادة ، ووافق على ما رنبوه ، وحينذاك ذهبوا جمعا الى الامراطور بنفوس راضية وان عبروا بالاجماع عما بسيعرون به من السخط على ما حرى ، فلما أدرك الامبراطور ما هم عليه من الاسمياء ، وقد وحدهم حميعا شعور حماعي مبين ربط بينيم حميعا لم بحد بدا من التناذل والاعبذار للكويت أهامه وفي حضور بطانيه ومن لا يمين اليهم بصلة . وزاد فأفسم بأنه لم بعلم بما قالوه من خبر الاهانة الني لحقب الكويت ، وأن شيئا من ذلك لم يصدر عن أمره ، وقال انه على الرغم من دلك فانه راغب في استرضاء الكويت ليؤكد له براءيه ،

هكدا كانت بيكسف للعبان \_ بوما بعد يوم \_ حدع الاعربق وخسانة الامبراطور ، ولم بعد هناك أحد من الزعماء لم بيصح له وضوح السمس في وسط البهار ان نفس الكسيوس ينطوي على كراهية سيوداء لسعينا واحتقاره اباه ، ومع ذلك فلما كان يحقيق هدف الححاح بدفعنم الى أمور أخرى . ولما كانوا هم أنفسهم نواقين لانحار مهمتهم على الوحه الذي يرضاه الرب ، فقد رأوا أن البحاوز عما لحقهم من الأهوال أعظم من انصرافهم عى هذا المسروع المقدس الذي حاءوا من أحله .

#### - K1 -

انصاع الكونت لنصبحة القادة فيصافى مع الامبراطور ، واقسم له يمين الولاء على الصورة الني أقسمها الآخرون ، فأصبح الامبراطور منذلذ بعدوه بعطفه السامل ، ويسخو علبه بالهدايا

المسه المي لا يحصيها العد ، والني تبلغ قبمتها عدرا لا يدركه التصور ، كما مضى يصل الزعماء الآخرين بالمزيد من العطايا ، واذ ذاك استأذنوه في الرحبل فأذن لهم ، والتمسوا من الكونس على وحه الخصوص \_ ألا يعلى في اللحاق بهم ، بل عليه أن يجيء المهم على جماح السرعة ، واذ ذاك انطلقوا عابرين المسعور ، وانصدوا الى كنائيهم الموجوده في بيئينا .

أما عسكر الكونت [ ريموند ] فكانوا قد بلغوا القسطنطسية حيداك ، فأمرهم الكونت بركوب البحر في ساعنهم هذه فاستجابوا لأمره ، وانضموا الى الجيوش التى سبفنهم وان تحلف ربموند عنهم للبطر في ترنيب أموره الخاصة ، وتصريفها تصريفا لم يحل بينه \_ وهو الرجل الفطن \_ وبين الاهتمام بالصالح العام ، اذ فعل ما فعله الماده الآخرون من قبله حن راح برحو الامتراطور رحاء الملح أن تصحب القوم في زحفهم ، على أن تكون له قيادة حيس المستح ، وبكون حيداك صاحب الأمر فيه .

وعلى الرغم من أن حميع فادنيا \_ لا سيما كونت بولوز \_ طالما النمسوا منه مرة بعد أحرى أن ينفضل بمرافقنهم كقائد لجسس المستح ، وأن يأخد القيادة العلبا بيده ، الا أنه ظل يننصل مسحلا المعاذير ، بحجة أنه محاط بأعيداء همجبين كالبلغيار والكومان والبشيناق الذين لا يكفون عن الحركة على حدود الامبراطوربة لاعننام الفرصية لسن هجماتهم الفجائية ، وتهديد سلم الدولة وأمانها ، وببن لهم أنه رغم رغبته الشديدة في المساهمة معهم في الحح العظيم ، ومشاركهم في النصر المقبل الا أنه لا يستطيع أن يتنجى عن المسئولية الملقاة على عانقه بمملكته ، والا أتاح الفرصة للعدو المحدق بها لبنزل الضر بها .

لكن كان جميع ما صرح به افكا وكل ما فاله بهتاما حسوه الخديعة •

وكانت غيرته من رجالنا هى التى دعنه الى هدا الادعاء ، لا به كان يلتمس أى ذريعة نمكنه من كف مساعدته من شعبنا واعاقه تقدمهم بأى وسيلة سنطعها ٠

وكان القادة الذين عبروا البحر حالا ... وأعسى بهم جودوروى وبوهيموند وروبرت كونت فلاندرز وأسيقف بوى .. قد أعسدوا حوائجهم وصاروا على أهبة الاستعداد لمواصلة الحج مرة آخرى ، كما أزمعوا السير على مهل الى نيقة في انتظار رفافهم القادمين وراءهم ، ومن ثم ساروا يومهم كله قاصدين نتقوميديا ، التي هي أكبر مدن ولاية بشيا ، واذ ذاك خف بطرس الناسك لمقابلة الكيائب المقدمة وتحية الزعماء .

كان بطرس ــ تحنبا منه للجو القارس ــ فد أمصى الشماء فى هذه الناحية مع الفئة القليلة الباقية من ظلوا على قبد الحياه . فانضم بهم الى زمر الحجاج الذين رحبوا به أجمل نرحب ، ولما سألوه عما لقيه حيشه من الأهوال أسهب لهم فى تفصيل كل ما حاق بهم ، ولم يفته أن يصف لهم روح الفوضى والنمرد التى كان عليها هؤلاء العصاة الرعاع الذين خرحوا فى صحيه ، ونسب البكية البي المن بهم الى سلوكهم الذاتي أكشر من نسبتها الى شىء سواه فشاركه القادة الحزن العميق فى مصييته ، ثم وصلوه هو ومن معه بالهدايا الثمينة الجمة •

ازداد حىنذاك عدد الجيش زياده كبيرة بعون الرب ، وذلك لال الطوائف المختلفة اتحدت حتى صارب حماعة واحدة تابعت السير تحت قيادة حكيمة لسبة ، فبلغوا نبقية في الوقت المحدد ، ونصبوا معسكرهم على شكل دائرة أحاطب بالمدينة ، وخصصوا أماكن معينة

nverted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

للزعماء الذين لم يعدوا بعد ، حسى ادا كان الموم الخامس عشر من شهر مايو [ سنة ١٩٠٧ ] ضربوا الحصار على المدينة ·

#### \*\*\*

حين فرغ كونت تولور من انجاز شدوبه في القسطنطبية استأذن الامبراطور في الرحيل ، فسنحا عليه ثانية سحاء بالغا ، ووصله بالهدايا اكراما له ، فسار بمن كان قد ظل معه من رجال حيشه ، مقتفين أثر عسكر اخوانهم ومسرعين في زحمهم ، وسرعان ما بلغوا المدينة المذكورة آنفا ،

# - 77 -

فى هذه الأثناء قام لورد روبرت ـ كونت برمندى العظم ـ وغيره من كبار النبلاء البارزين ممن كانوا فى معينه ، ومنهم لورد سنيفن كونت شارترز وبلوا ، ولورد أسناس آخو الدوق حودفروى، بايفاد الرسل من حانبهم الى الامبراطور والى اخوانهم ، يعلنون المهم أنهم قادمون حالا .

وكان مع هؤلاء أيضا ستيفن كونت أومال ، وألان فيرجانت ، وكونون ، أحد سراة بربانى ، وكذلك روترو كونت بيرش ، وروجر بارنفيل .

وكان حميم هؤلاء النبلاء مع كنير من غيرهم من الأبطال البارزين وقيهم كونت فلاندرز وهيج العظيم قد وصلوا العسام المنصرم الى أبوليا مع دخول فصيل الشياء وكان الأخران قد عبرا البحر الى دورازو ، أما بقبدهم فقد

كان خوفهم من برودة الجو القاسية حاملا اياهم على فضاء السماء في

ربوع أبوليا اللطمهة ، وعلى حدود كلابريا [ قلهورية ] •

لكن ما كاد الربيع يطل حنى استدعوا أنباعهم الحجاح ، وجهروا مناعهم للسعر ، ويسموا وجوههم شطر الساحل ، سالكين الطريق الذى سلكه الآخرون ، فأبحروا الى دورازو ، وأرسوا بها ، ثم تابعوا سفرهم منها على جماح السرعة لتعويض الوقت الذى قضوه في أبولما ، وأعانهم الرب فاحسازوا الولايات الوسطى لا سما « الليريكوم » ومقدونيا ومنطقتى تراويا ، وكانت رحلة هادئة أباغمهم المسطنطننة آمنن ، فاسستدعاهم الامبراطور اسستدعاء الزعماء الآخرين من قبل ، فلما دخلوا القصر تلقاهم جلالمه وجمع من حوله من الرجال البارزين لقاء حارا مشرفا •

ثم أجرى الامبراطور محادثات طويلة مع الزعماء السلامه . مجنمعين تارة ، ومع كل منهم على حدة بارة أخرى ، ملاحها الاهم بكامانه الرفيقة ، ووعوده الجمة ، فقطعوا له على أنفسهم الديد الذي قطعه الآخرون له من قبل ٠

وكان هؤلاء القادة الآخرون قد أخبروهم \_ قبل ذهابهم الى الامبراطور \_ بكل ما ينبغى عليهم فعله فقالوا لأنفسهم ، لسنا أكبر من كبارنا الذين سبقونا ، ومن ثم فانهم اقتداء منهم بهم بهجوا نهجهم وربطوا أنفسهم بالامبراطور وقطعوا له يمينا كالسمن الى عطعها له على أنفسهم من سبقوهم ، فكان الرد عليهم أن حطوا بعطف أكبر مما حظى به هؤلاء ، وأصبحوا جديرين بالحصول على منتح فاقت كل ما قدم من قبل ، فكثر المال بين أيديهم ، وحاءهم من الهدايا ما لم يروا له مثيلا من قبل ، من الذهب والملابس النمنة والأوانى التى تشد الناظر اليها : مادة وصنعة ، وكذلك النساب

erted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version

الحريرية ، فأذهلهم سخاء الامسراطور الدى حاورت عطاياه فى طبيعنها وقدرها كل ما تنصوره تحل ، ثم الطلقوا محملين بهذه الهدايا الرائعة بعد استئدائهم الامسراطور فى الحروح حتى لا بكونوا سببا فى تأخير اخوانهم الحجاح ، وعبروا البستقور ، وأسرعوا بجموعهم الى تنقبه حبب كانت بقية الجبس الصلبتي لا يزال نها ، فنلقاهم الأمراء بالأحضان ، ثم نزلوا حميعهم راضين فى المان الذى فسيم لهم •

## - 7F -

انصل بمعسكرنا اغربهى اسمه « نابيكيوس » كان موضع ثقه الامبراطور . وكان لئيم الطبع عدارا ، بدل أنفه الأفطس على ما انطوب عليه نفسيه من النبر ، وكان زعماؤنا قد سألوا الامبراطور أن يمدهم بمرشيد لنكون رحليهم أكبر أمانا ، فصدر الأمر الامبراطورى بنفين [ تانيكيوس هذا ] ليكون مرافقا ومرشدا ليا .

لم مكن معرفه النامة بناك النواحي هي وحدها \_ كما فعل \_ التي دعب الى اختياره ، بل ان الامبراطور كان كبر الاعتماد عليه لما كان عليه من فساد النية والنفاق الذي لا حد له ، فانضم بانيكيوس بقواته الحاصية الى زعمائيا ، عساه يكون كالأوزة الني تصبح عالبا بين الدحاج ، وكالحبة الرفطاء ببن ثعابين الآكل ، فكان أذن الامبراطور وعينه في كل ما يجرى بالحملة ، وبعسر له كل ملاحطة يبديها أي سخص تفسيرا يرسم بالحقد ، وبنلقي من مولاه على يد الرسل الكبرين المرددين بينها غدوا ورواحا موحزا للخطط التي يوحه النها مشاريعه الشريرة .



onverted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولقد نالف هنا \_ ولأول مرة \_ جيش منحد للسيد الحى ، وكان فى مجموعه مكونا من زمر شـتى ألقت قبادنها الى رجال تزعموها فى أماكن مختلفة وفى أوقات متباينة ، ثم انحدرت هذه الجماعات الكنيرة حتى اذا وصلت الى ها هنا صارت جيشا واحدا ، ذلك لأنه لم يتأت لأحد من قادة حيش الرب وزعمائه منذ مغادريهم أوطانهم حتى بلوغهم هذه المدينة وضربهم معسكرانهم بها ، أقول لم يئات لهؤلاء رؤية بعضهم البعض ، ولم تسنح لهم الفرصة لماقشة المسائل المتعلقة بالصالح العام كما سنحت لهم الآن .

وأحصوا العسكر فوجدوهم سيمائة الف شحص ، ذكرا وأنثى مشاه لا طهر عندهم ، أما الفرسيان من أصحاب الدروع فكانوا مائة ألف .

وقد عسكر هذا الجسس بأجمعه أمام مدينة نبقبة ، مكرسا كل نشاطه بنسبى الطرق المكنة للاستبلاء عليها ، وبذلك يهدون أول ثمار عملهم للسبد في اخلاص ٠



هنا ينتهى الكتاب الثاني

# الاستيلاء على نيقية والزحف عبر آسيا الصغرى

#### فصول الكتاب البالث

- ا وصف مديسه سقية ودكر أسباب شهر سها ،
   وكيف جمع حاكمها فلح أرسلان قوة كبرة من
   الترك من كل نواحى الشرق لمحاربننا ، وكنف أعدوا الكمين لمهاحمتنا .
- تواننا بهاجم المدينة في ضراوة ولكن المواطنين يجدون سبيلا لهم للخروج عن طريق المحيرة ،
   فيرسل البهم قلح أرسلان رسالة يشد بها آزرهم •
- ٣ ــ الفبض على حامل الرسالة وافضاؤه الى العاده
   بكل أسرار العدو ، ووصـــول كونت بولوز

( الحروب الصلسة حد ١ ) - ١٩٣

- \_ وكان الغسائب الوحد \_ على جماح السرعة استحانة للزعماء الآحرس .
- قلج أرسلان ينزل من النلال ويهاجم معسكرنا بعنف ، ولكن الهزيمة نحيق بحشه ويرسسل رجالنا بعص امارات انتصارهم الى الامبراطور فيكافئ الرعماء على ما فعلوا .
- اقسامه العسسادة في الأماكن التي خصصت لهم
   ومهاجمة المدينة المحاصرة من كل النواحي وهلاك
   طائفة من السلاء في المعركة .
- ٦ اهل المدينة يعطمون آلة كانت على الأسهوار
   فيهلك نحمها كبر من الصليبيين ، كما أن
   البحرة بعوى بجاح محاولاتنا .
- الصليبيون يتقلون الفوارب من البحر على
   العربات ويسيطرون على البحيرة ، وينظر الأهالى
   في يأس ودهشة الى براعة شعنا .
- ۸ معاودة الهحوم على بيعية من كل الجهات ، ومحاولات كونت تولوز النغلب على برج أمامه واستعماله من أحل ذلك الآلات وشنى الحيل المكنة ، ولكن مقاومة الأهالى أدت الى فشل جهوده .
- ٩ ــ البراعة العظيمة السي أطهرها جود فروى ، وقيام أحد الأهالي بقذف النار وصب الزيت على الآلات

erted by lift Combine - (no stamps are applied by registered version)

- وما حدب اذ ذاك من المصير المحزن الذي لقيه أحد رجالنا المارزين •
- ۱۰ ـ أحه الصناع يقدم حدمانه للرعماء اليائسين فيبنى لهم آلة ويحدث نفيا بالسيور الذي سرعان ما ينهار •
- ۱۱ ـ زوجة قلح أرسلان عم في الاسر هي وولداها أثنها محاولتها الفراد ويستولي اليأس على الأهالي فيفاوضون تابيكوس الاعريقي كي يستنسلموا ، ويبعث القادة الرسسل الى الامبراطور بشأن هذا الموصوع .
- ۱۲ ـ الامبراطور يوقد رسلا من قبلة لسلم المدينة ، كما يبعث أيضا بالهدايا والشكر للقادة ، ولكن السخط يستولى على الصلسس ويشكون من شجب الاتفاق ببنة وبينهم ، وبصدر الامبراطور أمره بسوق الأسرى الى القسطنطسة ويقدم لهم الهدايا ويبعث بهم من هناك الى بلادهم .
- ١٣ ـ رفع الحصار عن نيقية ، والجيش يتابع زحفه
   وينفرق الفادة ، وبعوم فلج أرسلان باعبراض
   الصليبين مرة ثانية بجيش كنيف .
- ١٤ ــ نشوب المعركة وهلاك وليم أخى بانكريد فيها ،
   وأما جبش بوهيموند فبصبح بأكمله فى خطر عظيم، كما أن تابكريد بنجو من الأسر باعجوبة .
- ١٥ ـ القــادة الآخرون يصــاون لبجده اخوانهم المنهوكين ، فيفر قلح أرسـالان ويحيق البواد

- يجيشه ، ويعود الصليبيون وفد فاصب أيديهم بالغنائم ، وينجمع العسكر كلهم مره أخرى .
- ۱٦ ـ الجيوش بهخل « بيزيديا » ولكنها بكابد ها الشدة يسبب قلة الماء ويصبح العسكر في حال بالغة الحزن شديدة الخطورة ٠
- ۱۷ ــ انفصال بعص القادة عن بقية اخوانهم و نحريبهم
   الاقلم المجاوز ، و نجاة الدوق من الموت باعجوبه
   من هجوم دب عليه .
- ۱۸ ـ اصابة كونت تولور بمرص أشفى به على الموب، وأما البحيش فيعبر « ليكونيا » ويصلل الى « مرعش » حس تمون روجية بلدوين أحى الدوق •
- ۱۹ دهاب بانكريد الى فيليفية ومحاصرته طرسوس ،
   وزيارة بلدوين ــ أخى الدوق ــ لتلك النواحى
   واستقباله بالتعظيم الدى هو أهل له .
- ۲۰ ـ بلدوین یطلب ایرال رایهٔ بانکرید می فیوی القلعهٔ لبردم رایبه مکانها ، فیرند بانکرید عاضما ویسنولی « جلف ، علی آدنه .
- ٢١ ــ اسسيلاء بانكريد عنوة على المصيصة وهي احدى
   المدن الواقعة في نفس الاقليم •
- ۲۲ ـ استیلاء بلدوین علی طرسوس وهلاك ثلاثمائه صلیبی أمام باب المدینة فی نكبة فادحة .

nverted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

- ٢٣ ـ بعض المحاربين يحملون السلاح لمقائلة بلدوين ، ولكنهم يهدأون أخيرا وبصــل الى طرسـوس أسطول من الغرب محمل بالرحال .
- ۲۶ ـ بلدوین یزحف علی المصنصه بعد استبلاته علی طرسوس ، و بنشب معرکة بننه وین تانکرید ثم یتصافی الاثنان ویتصالحان .
- ۲۰ بلدوین یعود للجیش الاصلی أما ما کربد ویغیر
   علی کافة أرجاء قیلقیة ویسنولی علبها ، وسرع
   الحکام المجاورون لمهادنه کسبا لوده ویقدمون
   الهدایا الیه •



verted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered versio

# هنا يبدأ الكتاب النالث الاستيلاء على نيقية والزحف عبر آسيا الصغرى

#### -1-

كانب نيفية \_ وهى احدى مدن بيسيسا وعاصمة الاقلم \_ خاصعة في العديم لسفوميديا ، نم نحررت من سلطانها عليها على يد الامبر اطور قنسط طين ، سعدا لما ورره أول مجمع ديسي مفدس انعقد فيها ، فقد حدب في عهد كل من البابا سلقسس واسكندر الموقر بطرك الفسطنطينية والامبراطور فسطيطين الدى اشربا اليه حالا أن اجسم في ببقيه مجمع معدس حصره بالاسائه وتمانون من آباء الكبيسة لسحدوا قرارا ضد هرطعه آريوس وأساعه ، فسمحض المتجم عن سجب ما عليه هؤلاء من عصده فاسدة ضاله ، واستبدالها بالحق المبسى على سسهادة الكباب المعدس ، وبداك قدم المحمم الى كبيسة الرب ايمانا نقى الجوانب ، كما عقد في نفس المدينه مجمع عام آخر ، يعرف بالسابع ، في زمن الامبراطور المؤمن فسطنطين [ السابع ] ابن ايرين ، احتجاحا على اللا أيفوسين أعمى المهاحمين للصور المفدسة ، وكان يحلس على كرسى رومه اذ ذاك البابا أدريان٠ وكان بطرك القسنطينية حنبذاك ثاراتيوس الموقر ، وبلقى الهراطقة المشار اليهم في هـذا المجنمع من الكنسبه الارثوذكسمة الحكم العادل الذي يسنحقونه بشجب بهتانهم •



verted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

و نفع مديمة « بيعمة » في الاقليم السهلي ، وتنمسع بموقع رائع كل الروعة ، وتشرف عليها الجبال الذي تحيط بها من شبي النواحي ، كما أنها حافلة تأحسن الحقول في المطقة فأرضها خصبة ، هذا الى حانب المزايا العديدة التي سحت بها عليها الغابات والاحراج ، ويوحد بالقرب من المدينة بحيرة عظيمة الاتساع ، وهي نميد شطر الغرب امندادا كبيرا ، وكانب الأمواج اذا هاجت بها علت المياه وعسلت جدرانها •

وزباده على دلك فان بيقية مكنطه بالسكان الدين هم مساعير حرب ، ونقوم بحراستها حراسة تامة أسوار عريضة الاتساع ، وابراج ساهقة الارتفاع ، قدت من الصحر الجلمود ، حتى ان الدهشة استولت على رجالنا حين أخذوا يقربون منها فرأوا وسائل دفاع ضحمة .

كانب المدينة وبعبه الاعليم والولايات المناحمه لها عي هدا الوقت تحد حكم وال تركي شديد المراس قوى الشكيمة ، بدعي «قلج أرسلان » ويكبي « بالشاه » الني بعني الملك في اللسان العارسي ، وكان علج أرسلان هذا على جانب كبير من الحذق ، وما كان يسمع بعزم فواتنا على المجيء حتى أخذ للأمر أهبيه ومضى الى الشرى يلتمس المعون والنجدة من حكام تلك النواحي ليحول بين الصليسين وبين المجيء ، واستطاع بقوة اقتباعه ، وبالمزيد من التوسلات ، وبالمال الذي بدله أن يجمع اليه من فارس وما تأخمها أعدادا ضخية من الأتراك الذبن طمع أن يعينوه على القاذ « نيقيه » وتجنيب الناحية بأجمعها وبلات الخطر الذي يهددها ، وحدت قبل هذا بقليل ـ وكان بأجمعها وبلات الخطر الذي يهددها ، وحدت قبل هذا بقليل ـ وكان الامبراطور الحالي الكسيوس [ كومنين ] ـ أن تمكن أقوى ملوك فارس يومذاك واسمه ملك شاه ـ وهو عم قلح أرسلان من الاستيلاء فارس يومذاك واسمه ملك شاه ـ وهو عم قلح أرسلان من الاستيلاء

verted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عبوه على حميع الأفاليم الممده من حليح المسعور حتى بلاد الشام ومسيرها رحلة ثلاثين يوما ، كما بميد نفس المسافة من البحر الأبيض المنوسط الى الشمال ، وقد آلب معظم نلك الأراضي في ذلك الوقت الى قلج أرسلان الذي استغل ملكيبه اياها ، فيطلع الى الاستيلاء على كل الاقليم الممتد من طوروس في فيلفية الى السنفور ، ومن ثم كان له \_ وهو على مدى رمية قوس من الفسطيطينية ذائها \_ بوابه الذين يجبون له الصرائب من المارين بها ، كما كان هؤلاء النواب يجمعون لمولاهم الجزية والاناوات من كل النواجي المحيطة بالاقليم ،

كان هـ 14 الحاكم يقدم فى المساطى الجبلبه المحاوره ، التى لا نبعد عن قواننا أكر من عشرة أمبال ، وكان يدوس العرصة المواسة لمهاجميها دون أن يعرض نفسه للخطر بعصل ما توور له من جيش بدل الجهد فى جمعه ، وبهذا كان نأمل أن بذهب عن المدينة المجزع الذى يؤرقها من هذا العسكر .

## - Y -

لم نكد قواننا تقف أمام المدينة حتى سنت هجوما عنيها عليها رغم عدم حسن تربيب العسكر ، لأنه لم يكن قد نم ننظيمه بعد ، ومع ذلك فان عسكرنا الذين جاءوا أولا قد نخيروا لأنفسهم مواضع محددة يقبمون فبها ، وخصصوا أخرى ملائمة للقادمين بعدهم ، ويذلوا غاية جهدهم لمنع الأهالى من دخول المدينة أو الخروج منها غير أن البحيرة الملاصقة لأسوار المدينة – كما قلنا – كانب نقف حائلا دون ننفذ هذه الخطة بسبب ما كانب توفره السعن الموجودة

فيها من السلامة لم يريدون الخروح من البلد أو دحوله ، وبعلهم حبث شاؤوا ، ولما لم يكن لدى جيشنا فوة بحريه فقد كان عاجزا عن تقييد حرية المنفل هده ، ولكنه استطاع بشسى الحيل أن يمنع الوصول الى المدينة عن طريق البر بعضل عناينه التسديدة بمراقبة حميع مسالكها ومنافذها ، ولما عرف فلج أرسلان أن مدينته تعانى أهوال الحصار فقد أرسل اثنين من أتباعه لبدحل الطمأنينه في قلوب أهلها ، وبشحعهم على الاستمرار في الصمود ، وقد أرسلهما في قارب يعبر بهما البحيرة ، وبعت معهما عبارات الشمجيع التي جاء فيها حسب العادة ،

« ال فدوم هؤلاء الماكم المبربرين الذس يطنون أنفسمهم قادرين على فرض الحصار على مديسا لا يتبغى أن يسبب لكم خوفا كبيرا ، الأنبى مرابط الى حواركم بقوه صخمة من الرجال الأشداء العظماء ، كما أننى في ارتفاب أعداد أكبر فادمة بعدهم ، وحين يلتثم شمل هذه القوات كلها في جمع واحد فسوف نفاحيء معسكرهم بالهجوم ، فاذا هاحمناهم تحن من الخارج فهبوا أنهم من باحيبكم لمساعدتنا، وكونوا مسمعدين لفسح الأبواب والهضوا ملحدس لا يسعاكم شاغل سوى مهاحمهم ، ولا ترهبنكم كبرة عددهم اد ليس عندهم من العدد والعدة ما بكافي، ما عند قوانما النشبيطة ، لأنهم جاؤوا من أفصى بلاد العرب ، فأعماهم طول السعر ، وأرهفهم بعد المسافة ، وفت في عضدهم ما صادفوه من الماعب ، وهم لا بملكون سوى حياد لا يصمه للقتال الشديد ، ومن ثم فهم ليسوا نظراء لقواتنا التي وصلت حالا ، ولا يبلغ نشاطهم نشاطها ، وعليكم ان سذكروا كنف انتصرنا في يسر على جيشهم القوى ، وأوردنا مة ينيف على خمسين الف من رجالهم ورد الردى في يوم واحد ، فقروا نفسا واهدأوا بالا ، ولا يأخذنكم الجزع لانكم تلقون نهار الغد نحدة كبرة ، وسوف تتخلصون من العدو ، •

ظل الرسولان مبحرين على طول الساحل سعيا لأحسن مكان يرسوان فيه ، وببنها كانا يسلمسسان منعدا أمينا يدخلان منه اذا برجالما يباعنونهما على حين غرة منهما ، فوقع أحدهما في الأسر ، وأما الآحر فقد فيل حيلال الهجوم ، فأحذوا الآسير الى القادة لم يمسوه بسوء ، فاعنرف لهم تحت البهديد والنوف بما يعرفه وكشف النقاب عن كل شيء وأحبرهم عمن أرسله وعما حمله على ارساله ، فانصح من روابيه أن فلح أرسلان بعب بالرجلين ليخبر الأهالي أنه قدم العزم على مباغنة معسكرنا عدا ، وقد أحمم العزم على مباغنة معسكرنا عدا ،

فلما عرف زعماء كنائسنا أن فلح أرسلان على وشك الفدوم أمروا بابقاء الأسمر بحت الحراسة ، وبادروا في لحظنهم فأرسلوا من فعلهم الى كونب بولور والى أستقف بوى \_ اللذين لم يكونا قد انضما الى بقية العسكر حبى هذه اللحظة .. رحالا يليمسون منهما المجيء على جِمَاح السرعة ، فلما سلم هدان المائدان بلك الرسالة من احوانهما جزءا علىهم حرعا عبر فليل ، وندما على بأخرهما عن اللحاق بهما . وخرجا وظلا سائربن طول اللبل حتى بلعا المعسكر مع أولى بناشير الصباح وقبل شروق الشمس ، ونفدما وحولهما الباس ما بين مهلل وهانف ، والراياب ، يحقق أمامهما ، ويلمع الأسلحة في الحو ، وما كادا يضعان أنهالهما حانب لسحدًا مكانا مع بقدة الحيش في المكان المقسوم لهما حنى انحدر قلح أرسلان من ناحية الجبال ــ وكانت الساعة المالنة طبقًا لما قاله الأسير ، واجناز السهل في طريقه الى المدينة ، على رأس حشد كثيف من الفرسان ، ان تعدهم تحدهم قرابة خمسين ألف رجل ، وما كاد رجالنا برون العدو حسى هنوا الى أسلحنهم فحملوها ، والى طبول الحرب فدقوها ، والى الأبواق فنفخوا فيهسا ، وأيقطوا العسكر كلهم فرتبوا صفوفهم اسمعدادا للقتال ، وأخذوا لكل شيء قد يعرض لهم أهبته ، وتهيئوا

لمواحهة العدو القريب منهم في صنوره البرموا فيها عاية الالنزام بقواعد التنظيم الحربي الذي دربوا عليه ومارسوه طويلا •

# - 2 -

أرسل فلح أرسلان كنيبة قوامها عشرة آلاف رجل على خيولهم لمكونوا طليعنه ، نحو البوابة المجنوبية الني وكلت حراستها الى كونت بولوز ، لكن لما كان فلج أرسلان غير عالم بوصول ريبوند فقد نوفع أن يجد البوابة كعهده بها في النومين السالفين من غير حراسة ، بيد أن أمله تبدد هباء اذ صادف عندها من الجنود المرابطين أكثر مما في أية بععة أخرى ، لكنه لم يكن عالما بهده التغييرات .

ومن ثم أسرع فسن غارة شعواء على رجال الكونب الذين رعم أنهم لم يتخففوا من أحمالهم الا منذ قريب الا أنهم صمدوا للهجوم ، وبعدوا شميمل الصف الأول من عسكر العدو الذي أدبر حاربا ، بيد أن طهور فلج أرسلان على رأس امداداب قوية أحيا عزيمة عسكره ، فعادوا الى ساحة القتال بعد أن كان قد انفرط عقد نظامهم .

فى هذه اللحظات لاحظ الدوى وبوهيموند وكونت ولابدرز أن العدو قد عاد بقوات أكبر عددا وأنها تفف صفوفا مراصة ، كما لاحظوا أن الارهاق بلع من رحال كونت بولوز مبلغا جاوز الحد ، بسبب جيش كاسح باسل الشجاعة قد اندفع اندفاع رجل واحد لمساعدة رفاقه ، فقام [ النلاثة ] قومة صادقة نمهاحمة معسكرات العدو والقريبة ، وتناوشوه بالرماح والسيوف ، وعلى الرغم مما كان يبدو على العدو حين طلوعه فى البداية من دلائل الشجاعة والبأس ،

الا أنه لم يمص غير سباعه واحده من الصراع حيى فقدوا أربعه آلاف

نفس ما بين قتيل وأسير ، مما حمل بقينهم على العرار ٠

وهكذا أحرزت قواتما هذا النصر الأول بعون الرب ، فاستمروا يحاصرون الخصم حصارا أحاطوا فيه بالأسوار ، فلم يجرؤ قلج ارسلان أو أي أمير آخر من أمراء العدو ـ منذ ذلك اليوم وأيام الحصار النالية له \_ على القيام بهجوم كهذا الهجوم ، واذا كان رعماؤنا المذكورون آنفا قد برهنوا على كفاء بهم ، فان تانكريد وولتر دى جار لاند صنجال الفرنجة ، وجى دى بوسسا ، وروجر دى باد نصل أبدوا من البسالة ما أذاع صيمهم وأكسبهم حسن الأحدوية ،

ورعبة في رياده ب الفزع في قلوب الأعداء فقد صدر الأمر لرجالنا بقدف أعداد كبيرة من رؤوس المرك المقبولين الى داخل المدينة ، قذفت بها الآلات اليهم ، وكما بعبوا الى الامبراطور ألفا من هذه الرؤوس وطائفة من الأسرى هدية ، فكان لذلك وقع طيب في نفسه ، ورياده على دلك فقد قام ألكسيوس بمكافأة زعماء الجيوش بمبالغ طائلة من المال ، وخلع عليهم شبى أنواع الميات الحريرية المحتلفة الأنواع ، ثم زاد في كرمه فأرسل المواد الضروريه لهم من غير ابطاء عليهم ، وأمر ببجهيز سوق حافله بالنضائع من أحلهم .

أراد قوادنا تنفيذ غرضهم ، فرأوا من الملاثم فرض الحصار على المدينة من كل جوانبها كما قلنا وذلك بوضع الفواد فى أماكن استراتيجية راحوا يصبون منها وابلا من الأضرار على الأهالى ، عساهم يحملونهم على الاستسلام دون مشقة نلقاها ، لذلك فسموا منطقة السور الى أقسام متساوية ، عهدوا بكل قسم منها الى فربق معين من الزعماء •

nverted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فرابط الدوق وأخواه بقواتهم في الجانب السرفي ٠

أما القسم الشمالي من المدينة فقد وقف فيه بوهيموند بجيشه ومعه تانكريد والقادة الذين نبعوه ، والذين ذكرنا أسماءهم من قبل ،

وكان يلي هؤلاء في الترتيب كونت فلاندرز ، وأمير نورماندي مم جندهما .

كما خصص الشطر الجنوبي لريموند كونت تولوز ولأسعف بوي بمن معهما .

وقام سيفن كونت شارنرز وبلوا بنصب معسكره وراءهم - وكان معه هيج الكبير وبعض النبلاء الآخرين والرجال العظام ·

ولما نم الاحداق تماما بالمدينة على هذه الصورة أجمع القادة على وجوب الاسراع في نصب الآلات الملارمة لنفويص الأسوار ، وهي الآلات المسماة بالآلات المسحركة •

كذلك صدرت الأوامر بالنعجيل ببساء آلات رمى المنجبيق وقذف الأحجار البي توفر الحصول على المواد الملائمه لصبعبا من الغابات القريبة •

-0-

وسار العمل سيرا حثيثا فجىء بالععلة الذين راحوا يتنافسون فعما ببنهم فى انجاز ما بيدهم من عمل ، ليفرغوا لمهاحمة المدينة ، وظلوا على هذه الصورة سبعة أسابيع ، وان دأبوا خلالها على مراوحة verted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered versi

المدينة بهجمانهم بين آن وآخر ، حتى جاء يوم من أيام كرهم طالعهم فيه نكد الطالع ، يوم فقدوا اثنين من محاربيهم الأشاوس جمعا بين ببل المحمد ورفعة المكانة ، هما : بلدوين الملقب بكالديرون ، وبلدوين الغننى ، فقد هلكا وهما يقاتلان أروع فنال أثناء قصف المدينة ، أذ أصيب أحدهما بحجر أرداه صريعا ، وجاء الآخر سهم عرب أودى بحيانه ، ومن ثم فرر العادة شن هجوم ثان ، ولكن هلك فيه وليم كونت فوريز ، وجالو دى ليل ، وهما يحاربان ببسالة ، فقد رميا بسهمين أصابا منهما مقتلا ،

وأصاب المرص هنا أيضا دى بوسسا أحد بسلاء مملكة الفرنجة ، وكان مرضا عضالا أودى به ، فدب الذعر فى نفوس شعب الرب لهلاك هؤلاء المحاربين الذي شيعوا الى مواهم الأخير محاطين بالشرف والحرن العميق ، وكان موكب حنازيهم موكبا حافلا لم يحد العادة بمله الا لمن تسنموا ذروة الشرف الرصع .

## -7-

وحدث في مرة أحرى أن كان جمع العادة منصروين الى الحصار ، وقد بذلوا أنفسهم أصدق البذل في دلك ، فلم ينالوا قسطا من الراحة أو فلهلا من التمهل ، وراحوا يحاولون بكل ما في وسعهم نصب آلاتهم على الأسوار ، عساهم يسكنون من شق طريق لأنفسهم يفحمون منه المدينة ،

وانصرف كوبت هارتمان وهنرى ديش \_ وهما نبيلان من مملكة التيوتون \_ وانصرف أتباعهما وحواشيهما ومعاونوهم الى

نصب آلة صنعت \_ على أحسن ما تكون الصبعه \_ من جدوع البلوط التي سدوا بعضها الى بعض شدا منينا ، وأحاطوا الآله بأعمده غلاظ ، وربب عسى أن نسم في جوفها عشرين من الفرسان الشجعان عهد اليهم بمقويص السور ، فادا صار الفرسان في جوف الآلة أمنوا على أنفسهم حسى من أعتى الصخور الضحمه السي ترميهم بها الآلات. لكن حين أسمدت عذه الآلة الى الجدار اشمه الاهالي في رميها من فوق رميا أسعر عن يحطيمها ممام التحطيم ، بسبب ما انهال عليها من القدائف الحجريه ، فتناثرت أجزاؤها بددا ، وهلك جميع من كانوا بداحلها فقد سحقوا سحقا فاشبد حرن الناس على هؤلاء النبلاء ، وعظم الكرب لصماع حهد أيام كنيره صرفوها مي بساء تهدم عن آحره ، ولم نعبه له أدبى فاتله ، وحزن الناس على مصير أولئك الشجعان الدين مفطرت القلوب للمهاية السي اسهوا اليها ، ومع ذلك مما زال الأمل يراود المعوس ويهدد الجوامع ، لمعيمهم الجارم بأن هؤلاء الذين خاطروا بحيابهم في سبيل المسمح في هذا العمل إنما فازوا بحياة أسمى من هذه الحباه الديبا ، ولادراكهم الحقيقي أن هؤلاء الرجال الدين مانوا في ذلك الفيال مانوا سهداء ، لدلك فعد ازدروا هم أيضا الموت واستهانوا بالحباة الدنيا ، واستمروا يواجهون سسى المخاطر بقلوب ثابتة الحنان ، ومن ثم فقد آنفق الفاده عـــيــ الاستمرار في مضاعفة رمى جميع أسوار المدينه ، وراح كل فائد يبذل قصارى جهده في تشديد الحصار \_ في قطاعه الدي وكل البه \_ شدة حملت بعية الماس على النحدث بما كان منه • وسار العمل قدما ، وإن كلفهم غاليا ، كما أن المعارك الموصولة والكمائن شمه الدائمه ، لم تدع لأهل الملد وقما لالتقاط أنفاسهم •

ومع ذلك فان البحيرة المجاورة للمدينة كانت تقف أمام ما يعمله الصليبيون كأكبر عقبة أفسدت عليهم جنى الثمرة المرجوة التى بذلوا من أحلها جهودهم المضنية ، هذا الى جانب ان هذه البحيرة كانب

verted by 11ff Combine - (no stamps are applied by registered version

مصدر راحة وطمأ بيمه للمحصورين الذين بيسر لهم بركوبهم ماءها آن يجلبوا ما يشاؤون من الطعام والمئونة بم انها كانت نمكهم بين آونة وأحرى من ادخال رؤوس كبيرة من الماشية الى المدينة بحب بصر قوانسا التي كانت نقف مكبوفة الأيدى عاجزه عن معهم من ذلك •

## - V -

حينداك اجتمع العادة أحباب الله للنظر في هذه المشكلة على وجه الحصوص ، وتدبير أحسن الوسائل لمعالحها ، واستقر الرأى منهم أخيرا على ارسال رهط من بنهم الى الدحر ، تحرسهم كوكنه من الفرسان ، ووكلوا الى هذه الطائفة من الناس أن ينقلوا القوارب من البابسة الى البحيرة مفككة أو كاملة ، مستضملين في دلك ما تسرلهم من عربات الحمل والعجلات وغيرها من وسائل التقل ، ورأوا أن عدم تنفيذ هذا الاجراء لابد أن يؤدى الى فشل جميع مجهودات الصليبيين وضيباع كل ما بذلوه من مال ولا تعود نمة جدوى لأى السيء ما .

وخرج الرهط الموكل اليهم تنفيذ هذه الخطة فيسرَّ السيد طريقهم ، وكلاً محاولنهم برعايته ، اذ وجدوا السفن الراسية هناك من الحجم المتوسط فحصلوا عليها في سهولة من الامبراطور ، وجروها على اليابسة الى البحر بعد أن شدوا كل ثلاث عربات أو أربع الى بعض حسب طول السفن التي يحاجونها ، وأمكن بهذا النقل على مدى لبلة واحدة سحب هذه القوارب من البر الى

( الحروب الصليبية جد ١ ) \_ ٢٠٩

verted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

البحيره ، مسافة سبعة أمال أو نريد ، بعد أن شدوا الحبال الى أكتاف الرجال ورواب الجياد ، وكان من بينها سفن كبيرة الحجم تسم الواحده منها ما بين خمسين ومائه معاتل .

ولما مم سحب هدا الأسطول على البابسه ، وفرعوا من انراله الم البحيرة ، بلغب فرحة الجنش الصليبي غايتها ، وأسرع الى الشاطئ ، وحيء بالجدافين المهره والرجال المفنولي السواعد المشهود لهم بالمهارة في هدا الله ، وسرعان ما المسلأب فلوب الجميع بالمعة في استبلائهم على المدينة .

ولاحط أهل المله وجود عدد من السف أكبر مما اعتادوا رؤيه ، فيملكنهم الدهشة ولم يدروا أهى بعض من الأسطول الذي حاء لمساعدتهم أم انها من سفن العدو ،

نم أدركوا بعد حين أنها لنا ، قد نقلها رجالنا من البحر بعد بدلهم مجهودات مضنية في سحبها على اليابسة ، نم أنزلوها الى البحيرة قتملكتهم من الدهشة أكبرها من بأس الصليبين ومهارتهم اد يحجوا في تنقيذ عمل يعبير من المنتوس منه وشبه مستحبل .

#### - **A** -

ادى ادخال السعن الصايبية الى سه محرج المديمه عن طريق البحيرة ، ومن ثم نادى المنادى أن تحمل كل كتيبة سلاحها ، وتعف بفبادة فائدها فى المكان المخصص لها ، كسا نودى بتشديد الضغط على أهل البلد ، وشن الهجوم العنيف على المدينة ، ومضى

verted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version

كل فائد يشد من عرم رجاله ، ويحرح على رأسسهم الى المعركه وهم فى أكمل سلاح ، فلما لم ذلك كله حرب معركه لم لكن فى الحسمان ، أبدع فيها رجالنا أنما ابداع فى استعمال الآلات ، فدللوا على شتجاعتهم ، وبينما كان بعضهم منصرفا الى ملعمه الأسوار ، مصى غيرهم يقذفون الأحجار الصخمة على الحصول لنضعف صمودها .

أما القسم الجنوبي الذي عهد به الى كون بولوز لسخده مركرا لهجمانه فكان به بسرج يبز كل بسرج سدواه في النفاعه الشاهي وبنائه المحكم ، وفيل ان زوحه فلج أرسلان كانت نقيم على مفرية منه .



وظل الكوب بضعه أيام يبدل كل جهده لهدم هذا السرج فما أفلح ، بل باءت مساعية كلها بالفشل ادعلى الرغم من موالانه رمبة بالصخور الذي كانت تنصب عليه من آلمين الا أن البياء الصلد أثبت أنه من المستحيل رحزحة حجر واحد منه ، فلم يتن ذلك الكوب عن مضاعفة الضيغط عليه كما زاد من عدد الآلات التي أعدها لقصفه ، غير أن موالاة قذفه بكيل الصغر والأحجار اليقيله أصابيه بالشروخ فوهب مقاومته ، وانتهى الأمر أخيرا الى اصعافه ، فلما رأى العسكر هذا المنظر البهيج وثبوا فرحين وثبة قوية عبروا بها الخندق الملوء بالماء حتى حاذوا الأسوار في محاولة منهم لنعويصه ، وكان المهم يشحع رفيفه على الهدم ، فان أعجرهم الهدم فلا أقل من فيع بغرة فيه .



verted by Liff Combine - (no stamps are applied by registered version

كان الأهالى يدركون أن الحطر يبهددهم ال انهاد البرج، فانطلقوا يملؤون داخله بالأحجاد والأسمنت حلى اذا زعرعت الآلان أسواره أو قوضتها حل الجديد محل القديم، وأصبح عائقا في طريق الذين يحاولون فنح النغرة .

عير أن رجالنا نجعوا في هذه الأنناء في سبيت سيار مين الى السور من هجمات العدو ، نم فيض النجاح لهم أخيرا بعد أن بدلوا من الجهد عايبه ، وبفضل عددهم الحربية ، وبمكنوا من فيح ثعرة كافيه لادخال رجلين في عير مشفه كما أخذ الأهالي في الوقت دانه يزبدون من مقاومهم العيفة ضد عدوهم ، وراحوا يقابلون الحيلة بالحيلة ، ويواجهون القوة بفوة ميلها ، وأظهروا روحا لا تقل عما عد الصلبين وحاربوا بكل ما يملكون ، وجاهدوا كأنهم رجل واحد ، فرموا بالنشاب والمنجنيق وكل سلاح تسير بين أيديهم تسنى لهم العشور عليه ، وتكاتفوا في رد العدو ويفادي الأهوال المصية عليهم ،

# - 4 -

كان من بين المدافعين عن السور والفائمين بصد القوات المهاجمة رجل تمبز من بين الرجال بضخامة جمانه وشدة بطشه ، وكان نسيج وحده بما تنطوى عليه نفسه من كراهمة لنا لم يحاول سترها ، وقد أذاق هذا الرحل رجالنا كنيرا من العطب بما كان يرميهم به عن قوسه ، وقد غره ما كان يصادفه على الدوام من كبد لنا ، ولم يعف عن نيل رجالنا بفاحش القول يرميهم به ، فلم يطق جود فروى العظيم احتمال هذا العار ، فتنكب قوسا ضخما ، وتخير مكانا مناسبا ، وسدد رميته في دقة ، فأصاب السهم – وقد انطلق –

آحشاء هذا الحاسر فجندله صريعا على الارض قد فارقبه روحه فلقى المحراء الحق الذي محا الاهانات الجمة التي كان يصبها على الصلبيين ، وكان رفاق هذا الزنيم قد نسجوا على متواله فوضعوا خطة محكمه كل الاحكام في هذا الجزء من السور ، غير أن فرغهم من الدوق استبد بأكبرهم فقللوا من رميهم رجالها بالسلاح ، وكفوا عن ملاحقتهم بالاهانات ، على أن رحالا عمرهم لم يعلموا ببأ هده

حطة محكمه كل الاحكام في هذا الجزء من السور ، غير أن فرعهم من الدوق استبد بأكبرهم فقللوا من رميهم رجالها بالسلاح ، وكفوا عن ملاحقهم بالاهانات ، على أن رحالا عدهم لم يعلموا ببا هده المكبة فتابروا على نشاطهم في الدفاع عن المدينة من أماكن أخرى على طول السور من أخذهم الحدر الشديد ، ولم بكفوا عن اصابه رجاليا برمونهم وهم على الأسوار والأبراح فتتركونهم ما بين جربح وقتيل ، ولم يكتفوا بأن بصنوا عليهم الهار والريب والدهن وعمر داك من المواد التي نؤهج النار ضراما ، بل رادوا على دلك بأن راحوا برمون النار المستعلة على آلانيا فنلف أكبرها ، الا ما كان منها في أماكن سددت عليها الحراسة الدفيقة .

### \*\*\*

أما رحالنا الذين كانوا في الناحية الجنوبية فكانوا نشون هجومهم العنيف على البرج ، واستمروا على ذلك الحال من السماط حتى المهانة ، لكنهم لما رأوا أنهم كلما نقبوا جزا من السور نهارا رمه العدو لملاا فانهم سرعان ما نراخوا في جهودهم بعض الشيء ، حتى اذا أيقنوا فشلهم التام كادوا أن يقلعوا عما هم فيه ، لولا أن رحلا منهم شجاعا عالى المكانة موهو فارس من جيش كونت نرميدي قام بمحاولة بارعة ، مؤملا من ورائها أن يقنفي الآخرون منواله ، فلس درعه ، ووضع خوذته على رأسه ، وعبر الخندق مستهنا بكل خطر ، وديا من السور منخذا من ترسه مجنا يقيه العطب ، عادفا من وراء ذلك أن يقوض البناء الحجرى الجديد الذي شيده الأهالي في الميل ، وأن يعيد فتح النغرة التي كانت موجودة في اليوم

السابق ، فأصر أهل البلد أن يكون الهجوم الدى يشدوله من أعلى هجوما عنيفا ، فيات محاولة [ الفارس النورماندى ] بالفشل ادا لم بجرة أحد من الصليبين على الهدوم لنجدله ، فيردى قنيلا في سحفه الفذائف الحجرية الضخمه ، فهلك بحب السور على مشهد من رفاقه الذين وان كانوا راغبين أسد الرعبه في انفاذه ، الا أبهم كانوا أعجز ما بكونون على مده بأى عول من جانبهم ، فجذب المارقون الجبة الهامدة بالخطاطيف الحديدية ، وقذفوا بها قيما وراء السور ، حس ظلب موضع سخريهم المهذعه ، ثم جردوه في النهايه من درعه وسلبوه حوذله ، وألقوا به الى قواننا في الخارح ، فبكاه الناس وهم يسول عليه وعلى شجاعته ، ثم دفسوه بما يلبق به من الاحرام وسحبوا حنمانه في قبره ، ولم يشكوا أبدا في أن منته هذه كالت عظمة في عن الرب ، وأن روحه ـ وقد لقب هذه الخاتمة النبيلة عشمة في عن الرب ، وأن روحه ـ وقد لقب هده الخاتمة النبيلة المون نكون مع أدواح الصفوة المختارين ، لأن الجميع ـ كما قيل احمعوا على أن من يسقطون في ساحة القنال سبوفي لهم ما وعدوا احمعوا على أن من يسقطون في ساحة القنال سبوفي لهم ما وعدوا به من حياة أبدية محبدة بين القديسين ،

#### - 1 + -

قام فى هذه الأثناء رعماء جنوشنا الذين وهبوا أنفسهم لحدمة الرب بعقد مؤنمر على مألوف عادتهم بعد ان اتضح لهم عدم احراز أى تقدم فى مشروعهم ، بل نبينوا أن واقعهم حرى على العكس مما رتبوا ، وأدركوا أنهم أضاعوا جهودهم وبعنروا شناطهم سدى ، ومن ثم داحوا ينشاورون فيما بينهم بروح ملؤها المجد فيما ينبغى عليهم عمله فى ظروفهم الراهنة هذه ، وبينما هم يقلبون الأمر على شتى

وجوهه بقلوب جازعة ، ادا برجل لمباردى يأسيهم ويسبتهم أنه لاحط ألا جدوى من وراء حصم مشاريع مهندسسهم ، وان جهدهم داهب ادراج الرياح ، وذكر لهم ما هو علمه من مهاره فاتقة في هده الصنعة . وببن لهم أنهم لو وفروا له المواد اللازمه والمال الكافي لايمام العمل بأحذوبه مما عمدهم في حراسهم العامه فانه بمشمئة الرب منحره في ايام فلائل معدودات وأنه مدمر البرج ، وفاتح فيه نغرة واسعه ، ان بشأ الجميع أن يفتحموه منها لم يتعسر ذلك علمهم . وأكد لهم أنه منم دلك العمل دون أن يفقد رجلا واحدا ، فأمدوه بما يكفى تفقانه مما أخدوه من الأموال العامة هذا بالإضافة فأمدوه بما يكفى تفقانه مما أخدوه من الأموال العامة هذا بالإضافة الى تحصيصهم منلغا مناسبا مكافأة له على جهده .

وجىء له بالمواد الني أرادها ، فعمل آله رائعه الصبع صممت على حبئة بسبطيع من بداخلها \_ رغم مقاومة العدو \_ أن يعلقوها الى المرح من غير خطر يهددهم ، فأن دحلوها أحصهم وتمكنوا من ممانعه عملهم في تفويض الماني وهم آمون ، لا حوف عليهم .

وانجز الرجل صنع هده الآلة كما أرادها ، فلما ضمت أجزاؤها بعضها الى بعض وتم تحصينها من كل النواحى حسبما أشار [ صانعها اللومباردى ] دخلها هو مع رهط من الرجال الشجعان ، وبدأوا عملهم فى تقويض المبانى وهم آمنون ، لا خوف عليهم . ثم دفع القوم الآلة بمن فى داخلها من الصناع ، حتى اجتازت الخندق ثم بنوها الى الأسوار فى براعة ومهارة فائقين .

على أن الأهالى لم يفارقهم المدفاعهم الدى طبعوا عليه ، فراحوا يرمون الآلة من عل ، ويقذفونهم بالبيران المستعلة فما أجدتهم هذه القذائف ولا أضرت بالآلة ، ولا كان منها شر عليها لأن الانحدار الشدبد لكل من السفف وجوانب الآلة حال بن هذه القذائف وبن

أن تسمور حيث رميث ، فسلم كل من كان في الداحل من الرجال ، وسرعان ما أخدت ثقه الأعداء بنرعزع في أساليبهم المعليدية ، وكان

اعجابهم بعبفرية المخبرع وفوة الآلة ، اعجابا بالغا لما اتضم من فسيل

كل حيله حيالها .

كان الدين بداخل هدا المحبأ آمدين بماما من مكائد العدو ، ومن ثم ظلوا يبابعون عملهم في تقويض البرج وفي نقب السور بكل ما أوبوا من قوه ، ولم يكد الصدع يام بحجر الاساس فيحلعه حتى وضعوا مكانه العروق والأعمدة الخشبية خوفا من أن ينهار ما قوق السور على الآلة فيسحقها سحقا اذا ما نزع الأساس اذ لا تعود الآلة فادرة على تحمل كتلة ضخمة كهذه الكله ان هي انهارت عليها .

ولما السح أن البرج قد نقب بما يكفى لسفوطه ، اشعلوا الديان في الدعائم التي يقوم عليها الحائط الآيل للسفوط ، وجي أيضا بمواد مليهبة نعيل على بقاء النار مشتعلة على الدوام ، واذ داك نرك العمال الآله وعادروها مسرعين الى رفاقهم ، حتى اذا انتصف الليل أو كاد أنت البار على الأعمدة الخشسة فصيريها هشيما ، وانهار البرج وصحب انهياره دوى كأنه الرعد ، أثار في الناس حصعا – حتى من كانوا على مسافة قاصية ـ فرعا وحفد له قلوبهم ، ونبه صدوب انهياره الجدد فهنوا الى أسلحتهم مجمعين العزم على افتحام المدينة عنوة ،

### - 11 -

طلب روجة فلج أرسلان \_ حسى هذه اللحظة \_ صابرة صبرا شديدا على يحمل أهوال الحصار ، أما الآن وقد بلع العزع منها غايته بسبب انهيار البرج فقد أمرت \_ كعادة النساء \_ باعداد السفن

verted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وصحبت جواريها وكل أهل بينها ، وانقلب سرا من المدينة عازمة على النماس مكان يكون أكبر أمنا وسلامة ، لكن الصليمين كانوا قد أقاموا حراسا في القوارب الراسبة بالبحيرة لمنع المحصورين من الدخول أو الحروج ، واد كان هؤلاء الحراس رحالا عقلاء قد أعدوا لكل سيء عدته ، وبقطين أشد النفظة في مراقبة أنه حركة فقد نكسف لهم أمر هذه السندة وهي على وسك الهروب ، فأمسكوها ومعها ولداها الصغيران وساروا بهم الى القادة الذين أمروا توضعها وولديها تحت الحراسة الكنفة ،

#### \*\*\*

أما الأهالى فقد مسهم العرع الشديد بسبب الغره البي سكل عدوهم من فيحها ، ويسبب القبض على سبدة لها هده الخطوره ، وتملكهم الناس القابل من فدريهم ، فأرسلوا في لحظيهم وفاده الى الرعماء يلنمسون منهم منحهم هدنه المربيب خطه الاستسلام ٠

ولما كان باليكيوس الذي بكلمت عنه من قبل رجلا سديد المكر كبير الدهاء ، فقد أدرك أن الأهالي لابد أن يتخلوا عن دفاعهم عنه المدينة ، ومن تم دعا كبار رحال المدينة الى لقاء معه تصحيم قبه أن يستسلموا للامبراطور احلالا له ، كما أشار الى ان حيش الحجاح الواقف الآن قبالة المدينة مشعول هذه اللحظة بالحار أمور أخرى ، وذكر لهم أن عؤلاء الرجال الذين كان اشتراكهم في الحصار عن طريق الصدفة البحية فد بعدوا بماما عن حطيهم الرئيسية ، كما أكد لهم أن الامبراطور سوف يقف على الدوام الى حانبهم ( وليس الى جانب الصليمين ) ، وأن في قدرتهم الاعتماد النام على رحمية الجديرة بشكرهم ، وحينذاك يحق لهم أن بأملوا أن بكون الأمور ادا الحديدة بسيرا عليهم وألقى اليهم أن الخير لهم أن يستسلموا مي الخير الهم أن يستسلموا مي الكثر يسرا عليهم وألقى اليهم أن الخير لهم أن يستسلموا مي اكثر

اسنسلموا ـ الى الامبراطور وأن يؤثروه على قسوم مجهولين ، وأفهمهم ان الاسنسلام الدى لا مفر منه بجب أن يكون للامبراطور الذى سوف يسمكن اذ داك ـ بمعونهم من استرداد المدبنه الدى انتزعت منه ظلما مند وريت سبب بطن الأبراك .

آن هده الحجم العويه وأمالها اكلها في حمل الأهالي المجمعين على موافقه [ نائكيوس على ما طلبه ] مسترطين عليه صمان سلامتهم ، فلما استجاب الى ما طلبوه منه وما استرطوه عليه فعد آثروا أن بسلموا المدينة وأنفسهم وكل ما ملك أيدبهم الى الامبراطور .

#### \*\*\*

لم يكن هذا العرض مرفوصا أيصا من جانب العادة الصليبيين نظرا لأنهم كانوا في الواقع ينطلعون الى حائمة تختلف كل الاختلاف عن هذه الحائمة ، ولم يكن من عرصهم أن يعيموا في نيفية أطول مما أفاموا ، ومع دلك فقد طمعوا أن يطبق الانفاق [ المبرم سهم وبين ألكسنوس ] فندفع عنائم المدبنه وأسلابها الى المجنس تعويصا له عن المشاق الى كابدها والحسائر الى منى بها وتحملها .

على أن [ الفاده اللاس ] استرطوا \_ قبل أن يبحدوا كل ما يبعلى بالاستسلام ، وقبل أن توافقوا على ما قبه تحقيق رغبات الأهالي في هذا الصدد \_ أقول انهم اشترطوا ان يعود الى الجبس جميع اخوانهم من عسكر بطرس الباسك ، الذين أسرهم قلج أرسلان في قلعة سيفنوت وكذلك من أسرهم الأهالي أثناء الحصار •

لذلك سم موافقة القادة وأهل المعسكر على انفاذ رسل من قملهم الى الامبراطور ، يحملون اليه الرسالة النالبة يقولون له فيها :

« لعد أخلص الجيش الصليبي ووواده المه في حصار سفيه محبه منهم في المستح ، واستطاعوا بحيودهم الصادقة الدؤوبة ، وبعون الرب أن ترعموا بلك المدينة على الحصوع ، واتنا لنليمس من كريم خلالتكم أن لا تتأخروا عن ارسال بعض وجوه رجالكم الح بلك الناحية ، على رأس فوة كافية ليسلم هذه المدينة التي استسلمت تعديرا منها لاستكم .

« وعلى الاهالى ال للرموا هم ألصا بالرجاع من فى الديهم من الأسرى وهم كيرون ، دلك لألبا راعبول فى الرحمل فى أعقاب سيلم حلالبكم المدينة ، ومعيزمون منابعة السير فى طريق الحج الدى اعتزمناه نفضل الله » ·

## -17-

ملأن هده الرسالة علب الامسراطور عبطه ، فأهذ في ساعمه الى نيفه وهطا اختارهم من حاشبيه ونفانه وأهل الحدرة ممن سيطع الاعتماد عليهم في نسلم المدينة والغيام بتحصيبها ، وكلفهم بأن يحملوا اليه \_ كملك خاص له دون سواه \_ كل ما غيم من الأسرى من ذهب وفضة وشتى أنواع المناع ، كما أرسل الى القادة هدايا ضخمة طمعا منه في كسب ودهم ، وزاد فأزجى اليهم شكره الخاص \_ كماية وقولا \_ على خدمانهم الجليلة والعطاء العظم الذي حصلت عليه الامبراطورية بفصل جهودهم .



على أن الحنق بلغ غايه مداه بعامة الجند ومن دونهم ، ال بذلوه هم أيضا من أقصى الجهد في حصار المدينة : الأمر الذي كانوا

يتوقعون معه أن تكون لهم وحدهم ودون سواهم هده العنائم الى اسبولوا عليها من الأسرى ، وما عروا عليه من البضائع ، وما رخرت به المخاذن الموجودة في المديسة دانها ، فيعوضهم دلك كله عن حسارتهم لأملاكهم ، لكن ببين لهم الآن أنهم لم يجزوا الجزاء الأوفى على ما تكبدوه من المشاق فقد الصبح لهم ما عرم عليه الامبراطور من احتجاز كل شيء المفسة ولخزانية الخاصة ، أعنى الغنائم الى نص الانفاق المبرم بننهم وبين الامبراطور على أن تكون عنيمة مساعة . فعدموا على ما بذلوا من جهد ، ونجلي لهم الآن أن كل المال الدى فندموا على ما بذلوا من جهد ، ونجلي لهم الآن أن كل المال الدى أنفقوه قد ضاع بددا ،

كذلك دأب العاده على الهام الامبراطور [ألكسبوس كومبي] ١٠٠ نكب عهده ، وخالف تصوص الانفاقية التي تصب شروطها المبرمة بسهم وبسه على ألهم ادا استولوا أساء رحقهم كلهم معا على بلاد الشام بارساد الرب على أى مديسة من المدن التي كانت بالعقة لامبراطوريية وحب عليهم ردها الله هي وما يلحقها من الدواحي ، أما المغاثم والأسلاب وما شاكلها فنؤول من عبر حدال الى العسكر مكافأه لهم على جهودهم ، وتعويصا عن النقفات التي تكيدوها .

#### \*\*\*

بادر الصليبيون الى اخراج مرىزفة الامبراطور من المديدة وردوهم الى مولاهم صفر الأيدى ، وما كان لأحد أن يلومهم على هدا العمل الذى فاموا به ، بل اللوم يكون فى المزامهم الوفاء بالعهد مع رجل نقص عهده معهم ، عير أنه لما كان الخوف من الرب بملا جوانحهم ، ولما كانت الرغبة فى الاسراع بانجار عمل أجل حطرا من هذا وأبلغ أهمية مملأ نفوسهم ، ولما كان ادمام حجهم هو مقصودهم فقد كموا مشاعرهم الحقيقية فى صدورهم حفاظا ممهم على الصالح العام .

ثم حاولوا بكلما يهم الرقيفة بهدئة مشاعر العامة الدين كان سيحطهم شديدا على هذه المعاملة التي عاملهم بها الامبراطور ·

#### \*\*\*

ولما دخل المدينه الرسل الاعريق الدين أوقدهم الامبراطور لاستلامها وأخدوا سلاح أهلها وستلموا البلد منهم مضوا الى المعسكر ووقعوا أمام الفاده باعتبارهم – أى الرسل – مسئولين عن حياه الأهالى وسلامتهم مصرحين بأن الأهالى هم الدين أعادوا المدينة الى الامتراطور ، وانهم استأمنوه على أنفسهم ، وأسلموه رقابهم .

بعد ان استسلمت مدينة بيفية على هذه الصورة ، أقيمت فيها فوه كافية لحماينها ، وسيرت بعدئذ امرأة قلج أرسلان وولداها ، وطائفة كبيره من الأسرى الى القسطنطينية ، فلم يكنف الامبراطور بعاملنهم بالرحمة ، بل زاد فبالغ في الاحسان اليهم واكرامهم اذ لم تكد تنفضي أيام قلائل على ذلك الأمر ، حتى رد عليهم حريبهم السي كانوا ينمتعون بها من قبل ، ويقال ان الدائم له على ذلك هو ما كان يراوده من الأهل في اكتساب موده النرك ، وما كان يقدره يطمع فيه من تحويلهم ضدنا من غير جهد ببذل ، وما كان يقدره من أن قوانسا لو حاصرت أي مدينة أخرى فلن يخامر أهل تلك المدينة خوف منه ، أن هم استسلموا له على هذه الصورة التي استسلمت له بها مدينة نيقية ٠

وكان الاستيلاء على مدينة نيقية في العشرين من يونيو من مولد السيد •

لم یکد الحصاد یرفع عی بیعیة حتی أصد القداد أمرهم بسابعه السیر ، فرب العسکر مناعهم ، وحرحت کنائیهم یدوم التاسع والعشرین می یوبیو ، فی وحده منماسکه ، وظلوا سائرین لمین یومین ، فلما کانت اللیلة النائیة اتفقوا علی النزول عند جسر معین لوفره الماء عنده ، فافاموا هناك ، حتی ادا أهلت طلائع العجر الوليد وان کان الطلام لا يرال بمد رواقه علی الکون ناهبوا للرحيل مره أحرى فعبروا الجسر ، وهنا حدت اما صدفه أو بانعاق می الفاده ... أن مصی کل منهم بکتیبه مقارفا غیره ، وادا ببوهیموند کونت سنت کونت نورماندی، وسمیفن کونت بلوا ، وبانکرید وهیم کونت سنت بول ییممون وجوههم باحیة النسار ، وساروا ذلك الیوم وحدهم بحلی بهم الستر الی واد یسمی «بجورجون» لسس معهم غیرهم ، حتی انبهی بهم الستر الی واد یسمی «بجورجون» کنیر الکلا ، وافر المرعی ، وأقاموا الحرس حول العسکر ، ونعموا بلیلة هادئة رغم انشغال بالهم ،

## \*\*\*

أما التّادة الآخرون فقد الجهوا يمينا ضاربين معسكرهم ــ بعد مسدة يوم ــ فى ناحية لا يكاد يفصلهم فبها عن غيرهم سوى ميلبن ، وقد توفر لهم هما أيضا المرعى الطيب والماء الغزير ·

فى هذه الأثناء كان قلح أرسلان \_ وفد أهمه الخطب الذى نزل به \_ دائم النعكير فيما دهمه على أيدى الصلببين من ضماع بلك المدينه الراثعة من قبضته ، وما كان من فقده لزوحته والصببين ، فاستعلت نيران النار فى قلبه وأجمع العزم \_ ان أمكن \_ على نصب كمين لعدوه ، حمنذاك حشم عددا كبيرا من العسكر ، منعها بهم

verted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الجيش الدى العطف الى اليسار بنفس خطاه ، وكانت عنونه تأنيه على الدوام بأخبار حركان العسكر الدى يسبقه وبنلهف لاغسام الفرصة الملائمة لمناعبهم ، وسرعان ما أعلمه كشنافية بالقسنام الحيش سطرين ، وأن أفريهما الله أصعفهما وأقلهما عددا ، فأدرك في الحال أن الفرصة التي ينشدها مند وقت طويل قد واتنه فنزل من الحيل بجيشه الذى لا يحصنه العد .

#### \*\*\*

وما كاد الصياء بسرع في بهديد عبس الطلام التسف حتى ببين للمرافيين ذلك لان الحبش الصلبي كان فد وصع رحالا يرصدون من بعد مكائد العدو ، ويعطون الاسهارة في الوقت الماسب ، فأعطوها ، قدفت الطبول في الحال محدرة من اقترابه ، فهب العسهم على سهم دق الطبول وبداء المنادين ، وأسرجوا حبولهم واسهعاوا للالتجام قتما قرب من النواحي ، وكان ذلك في الصباح الباكر من أول بوليو ، واصطفت التصفوف للقيال ، سواء منهم أمراء المئين أو أمراء الحمسين ، وتقدم كل واحد منهم على رأس حماعيه ، أما الزعماء فكانت أماكيهم في أحنحة المشاة ،

ولما كانوا بريدون أن يكون نفدم الفوات للعمال من عير عائق يعوفها ، فقد أنزلوا في غابات البوص المتكانف الفريبة منهم حميع العجزة والمسنين من الرجال والنساء ، والآلاف المؤلفة ممن لا جدوى ترنجى منهم في المعركة وحعلوا معهم كل مناعهم ، وكان هذا المكان الذي اختاروه ، والذي تحميه العربات الخفيعه وغيرها من مراكب النفل ملاذا أمينا ، وبعنوا بالرسل الى كنائب الجيش الأخرى السي دفعها الطبش للانفصال عنهم حاملن اليهم نبأ ما هم فيه من حرج وضيق ويحدونهم على المجيء البهم على جناح السرعة لنجدتهم .

read by Till Combine - \no samps are applied by registered version;

ومن ثم سه احاده بنظم كل شيء في معسكر بوهموند وفق ما نقصى به أصول الحرب ، ولما فاريب الساعة البانية بهارا ظهر قلح أرسلان ، يفود حماعة لا يحصيها العد من البرك ، فاستولت الدهشة على حيشنا ، اد لم ير في هذا الحشد الكيف الذي قيل انه حاور ماثني الف مقابل سوى الحيالة ، على حين كانت قواتنا \_ كما فيل \_ ينألف من حليط من الهرسان والمشاة .

## -12-

حين أخذ جنس البرك في الافتراب تعالت في المعتبكر ضبعه هائله لم يعد أحد يدرك معها أو يستنبين منها كلمة مما يقال ، فلم يكن سمع الاصليل السلاح ، وصهيل الحيل ، وقرع الطبول ونفخ الأبواق ، وهنافات العسكر الحماسية التي تعالن حتى حيل انها بلغ عنان السماء ، مما أوقع الفزع في فلوب من لم يألفوا شهود مل هذا الموقف ،

وأحدب صفوف البرك برمى بنفسها على قوادنا ، ممطرة اياها بوابل هنان من السهام ، كأنها المطر الدفاق فسدت الأفق ، حتى انه ما من أحد من المحاربين الصلبيين الا وقد أصابه جرح لنوالي السهام بعضها في آبر بعض ، وكانب كل رمبة أكنف من سابقتها ، فأن فأت سهم واحدا أصابه التالي بحرح واذ كان هذا الأسلوب من القبال عريبا على رحالنا وليس مألوفا عندهم ، فقد صعبت عليهم مواجهته ، وأخذت خيولهم بهاوى بحمهم وأمام أعينهم ، وهم عاجزون عن نجدتها اذ كابوا هم أنفسهم مرمى صرباب تأتيهم من حيث لا يحتسبون ، ومن نواح سدت عليهم فبها مسالك الفرار ، ومع ذلك فقسله استمروا يقاتلون خصسومهم بالسيوف والحراب ، وبحاهدونهم دفعا الى الوراء ، حتى اذا عجز النرك عن الصمود بسب

شده الغاره عليهم ، فنحوا صفوفهم عمدا لنجب الالتجام ، فجارت الحيلة على الصليبيين اد لم يجدوا واحدا ينصدي لهم ، ورجعوا الى موافعهم في الخلف دون احراز النجاح ، وحنداك عاد الرك ثانيه قصموا صفوفهم ، وكروا على رجالنا صابين عليهم سيلا جارفا من السهام والنشاب ، حتى قل أن استطاع صليبي واحد في عده اللحطة النحاه من غير حراح حطيره نافذة . وقد قاوموا ما وسعيهم المفاومة ، يحميهم ما عليهم من الدروع والررديات والخود ، ولكن سنافطت الجياد على الأرض ، ووقع من لا سلاح معة واختلط الحابل

ولقد سفط فى هذه المعركه فرابه أله من وجوه الفرسان والمنساه على السواء ، كان من بينهم « ولبم » ان المركير الطنب وأحو بالكريد ، وكان شابا ببسر يومه بما سبكون عليه فى غده ، ذلك أنه بسما كان مستبسلا فى الدفاع عن حماعيه ، اذا يسهم عرب أصابه فصرعه .

بالنابل ٠

كدلك لقى روبرت أوف باريس نهايمه بمعس الطريقة ، وكان محاربا بارعا مشهودا له بالكعاءه ·

بل ال مانكريد دامه \_ الدى لم مكن بكنرك بالحياه ولا يعنا بمكانته السامبة \_ كاد أن يكول هو معسه من الهالكين ، وكال الموت منه عاب قوسين أو أدنى ، اد طوح بنفسه فى معمعان القتال ، صابا على العدو أهوال الدمار ، ولكنه نجا بفضل ما بذله بوهسوله من جهد فانبزعه من براثن الموت رعم أنفه ، واستمرت كفه العدو نزداد رجحانا ، على حين شالت كفة الصليبيين وأخذت شوكتهم فى الصعف ، واذ ذاك شرع النرك فى مهاجمتنا بالسيوف ، وتضييق الخناق علما ، وهم أقرب ما يكونون المنا ، حتى لم تعد أية حدوى

( الحروب الصليبية حا ) - ٢٢٥

rerted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

نرتجى من الفسى المدلاه من مجادها ، فاصطربت الصفوف ، واربد المحاربون الى حس نوجد أمنعتهم وأحمالهم في الغنابات الكيفة المشابكة ، وراحوا يتزاحمون حول العربات ، أملا في أن بحدوا شيئا من الحماية .

## -10-

وى هده الاساء الى كان حمش الايان فيها يحارب بحب عده الطروف، والني أخذت فيها فوة بوهموند في الضعف والبلاني، خف لتجديهم رهط من احوابهم الأساوس العطام، بطالع فيهم دوق حودفروى، وكويب ريموند، وهبج العطيم، ويلدوين أسماس أحا الدوق وسواهم من الفادة الذين أحلصوا البيه لله وكانوا فله خلفوا وراءهم في المعسكر من لا ظهر عندهم يركبونه، ونركوهم مع شنى أنواع الأمنعة، أما هم فقد هبوا نحدة على رأس أربعين ألف مفائل من الفرسان ومعهم أحسن السلاح، فبئ فدومهم الحماسة السديدة في رجال بوهبموند الذين كانوا على وشك التسليم، فلما عاودهم بأسهم، عادوا الى ساحة المعركة أشوق ما يكونون لأخذ النار، النار، انتهاما لما نزل بهم م نالمصائب ومسنح عار هزيمنهم السابقة، وكروا على العدو كرة ضاربة، وأجادوا الضرب سيوفهم بأيد لا بعرف الكلل النها طريقة وما لبنوا قلبلا الا وقد هزموا الأعداء الذين لم يعودوا قادرين على الصمود، والذين كانوا يخافونهم أشد الخوف، ويحسبونهم أشد منهم بأساه

#### \*\*\*

وفه راح أسقف بوى ـ مع رهط من مساعديه فى نفس أسقفيه ـ نقوى عزائم الناس ويعظهم ويشهج القادة ألا يتراخوا فى قتالهم

أخذا بدم من هلك من اخوانهم ، مؤكدا لهم أن النصر لابد مسعفهم .

احدا بدم من هلك من احوانهم ، مؤلدا لهم أن النصر لابد مسعفهم من السيماء ، ودعاهم الا يمكنوا خصوم المله وأعداء اسم المسيح من التباهي بأنهم أهلكوا المؤمنين ، وظل رجال الرب يحبون الناس على القبال بهذه الكلمان وأمنالها من عبارات الشجيع ، وبنوا فيهم الشجاعة •

ومن ثم شن الصليبيون في همة لم نعهد فبهم س فبل ، هجوما عنفا سلوا فيه سيوفهم على الأعداء ، مفرفين صفوفهم حتى حملوهم على العراد ، وأعملوا فيهم مدبحة شرسة ، كما داحوا يعقبون الفارين في اصرار وعزم مسافة ثلابه أو أربعه أمنال الى ما وداء معسكرهم الذي كان بقوم في واد شديد الخصوبه ، وكان الفنل فيهم قطيعا .

وهكدا ببدد البرك أمام عدوهم مبكبدين خسائر فادحه في الأرواح ، بم عاد الصليبون الى معسكر حصومهم فجاءوا منه ببعض من قومهم [ اللابين ] ممن كان العدو قد أسرهم ، وعبروا في هذا المعسكر على كميات كبيرة من الذهب والقصة ، كما استولوا على كثير من الحمير وبغال الحمل وقوافل الجمال ( وهي دواب لم يسس لقومنا رؤيها من قبل ) كما استولوا على بعض الخيل ووجدوا فيما وحدوا شبي أنواع الخيم والفساطيط المختلفة الألوان ، فأخذوا هذه المغالبة كلها وقفلوا راجعين بها الى معسكرهم يرورف عليهم راياب النصر ومحملين بأغلى الأسلاب ، وسائقين أمامهم الدواب والعيب

ويقال ان العدو فقد فى هذا اليوم ما يعرب من ثلاثة آلاف رجل من رحاله الأفويا البارزين من أصحاب المكانة الرفسعة فى قومهم ، كما سقط فى ملك المعركة أربعة آلاف من عامننا ، ومن الطبقات الدنما من الرجال والنساء على السواء .

verted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويقول أهل السن - اعدمادا منهم على ما تعيه داكرنهم - أنه لم بهلك من وجوه قومنا سوى اثنين فقط ، ولقد حرب الموقعة بوم أول يولنو ، وكان الحظ فيها بين صعود وهبوط كما أنها حرت بن فوات لا بكافيء أحد الجانبين فيها الآخر في العدد ولا في العدد ، واستمرت من الساعة المائة حتى الناهنة من ذلك اليوم وقبل ان عدد القرسان وحدهم الدين أحصوا في جيش قلج أرسلان كان يربو على مائة ألف وخسمين ألها ، أما فرسيان الصليسين الذين شاركوا في هذه المعركة فقد قاربوا المخمسين ألها ،

ولما فرغ الجيش من هذا النصر العشيب الدى هنانه له العبابة الالهنة الصم رجاله بعصهم الى بعص مره بابه ، وأنتحت لهم فيره راحة قصيرة صرفوها في مداواة جرحاهم ، وأقاءوا ثلابه أيام سوبا وسلط المراعى الخضراء مستجمين معننين بجادهم ، وزاد في رفاهبهم جميعا ما خلفه العدو وراءه رغم اداديه من متويه وأحمال صخمة من المأكولات الكيرة ،

#### \*\*\*

وطهر قوادما العظام ظهورا بسا في هده الأرمة الخطيره ، كما وانت الفرصة من هم دونهم لكسب المجد المؤمل ، لاسبما بلدوين بورح ونوماس لافير ، ورينو دى بوفيه ، وجالو دى شومونت ، وحاسنون دى بيين وجيرارد دى شبريزى ٠

و منذ هذا البوم بالاجماع أن بنضم الكمائب بعصها الى جانب البعض و تنوحد ، وأن نسير مترافقة كالجسد الواحد حتى يمقاسموا حمع القبال الحط اذ يقبل ، وادباره اذ يدبر •

افام المحاربين مستحمل في هذه الناحية ثلاثة أبام كما فلنا وكانوا هم وحنادهم أخوج ما يكونون لهذه الراحة ، ثم لما باداهم النفير استعدوا مرة أخرى لمنابعة رحلة حجهم التي بدأوها ، وكان طريقهم الذي سلكوه بمر عبر كل بلاد بسينبا الى بسسديا ، وقد دفعتهم رغسهم في اختصار زحفهم الى النرول عن عبر قصد في افليم جاف ، يكاد يكون بأكملة حلوا من الماء ، ولما صاروا فرسه للخطرين الجسيمين : الظمأ وسندة فيظ يوليو كما هي العادة ، فقد أخذت أعداد كبيرة منهم في الهرب ، وتقول الروايات أنه هلك يوم ذاك أكثر من خمسمائة من الحنسين من شدة العطس والحر ، وتمصى الرواية فيقول ان الحوامل من النساء طرحن ما في بطونهن من شدة الطمآ والحر المهلك ، وكان دلك حدثا لم يسحل الباريخ له مسلا ،

أما الساء اللابي كن بعانين غصص الكرب السديد ، فقد حلفن أطفالهن في المعسكر ، منهم الأحناء ومنهم الموبي ، وفنهم من بعانون سكرات الموب ، ودفعت الرحمة الانسانية غيرهن الى احتضان أطفالهن في صدورهن ، عبر آبهدات أن يراهن الرحمال وهن بنطلقن في الطرقات شمه عاريات ، لا يشغل بالهن شيء سوى خطر الموب المعرع ، عبر حافلات بأنوثتهن •

### \*\*\*

ولم ينحد الرحال فنيلا قوبهم الجنمانية الهائلة ، فأعمى عليهم من وطأة الحر ، ومما بذلوه من حهد ، فراحوا يلهبون نأفواه مفنوحة، وأنوف تنلهف على بسمة ربح ، ويسعون الالتماس الرطوبة ، عساها تخفف بعص ما هم فيه من ظمأ ، لكنهم لم يحدوا شيئا مما نسيدونه .

لم نعنصر مكابده هده الأهوال على الآدميين وحدهم ، بل تعديم أيضا الى دوابهم التى تحمل مناعهم فعصبهم كل بهبمه دات طلف كانت تستجبب لكل ما تؤمر به ، أما الطيور الصغيره والصفور المحلقة في السيماء فقد لقطت أنقاسها ، كما أن البزاه التي كان البلاء يتمنعون بها أثناء حروجهم للصبيد والقبض فقد مانت هي الأحرى في أيدى أصحابها ، على الرغم من الرغاية القصوى التي يحبطونها بها .

وأما الكلاب دات حاسة النسم النافذه والمدربه على الصدد ، والحبوانات الأليفة فقد هجرت أصحابها الذين سبعهم ، وراحت سسافط على طول الطريق وهي بلهت من الظمأ ، وكان أسد الأشباء ايلاما للسادة وأوجعها لمفوسهم ، هي أن جنادهم الصافيات وهي رفيقيهم في حروبهم وكان عليها كل اعتمادهم في طلبهم السلامة لأنفسهم والتي حقفت العجر لنفسها بقوائمها الوثانة وأسانها الراقة و هوت هي الأخرى نافقة كما نفقت دوات الحمل العادية يحت وطأه الحرارة والظمأ ،

وأحدا بعضل سع كل الرحمه ورب السلوى، فأنقذ هؤلاء الحجاج المعذبين الطماء اذ قادهم الى نهر كانوا أحوج ما يكونون اليه وقد طال بحبهم عنه ، فتدافعوا الى مائه فى لهفة مجنونة ، وراح كل مبهم يراحم الآخر فى الوصول البه ، لكبهم بعبورهم على هذا الماء الذى طال سوفهم البه سقطوا فى خطر آكبر مماهم فيه ، حيب أفبلوا يعبون منه عبا ، ولا يستطيعون مسك أنفسهم عن السرب ، فكان ذلك خطأ منهم فى هذه الحال ، اذ كانت كنرة الماء تحمل لهم الهلاك، الذى كانوا قد نجوا منه من قبل ، ولم بقف الأمر عبد هلاك الآدمين بل بفى كبير من دوابهم بنفس الأسلوب ،

ثم شاءن عناية الرب أخبرا أن تنقذهم من هذه الإخطار فجاءوا

iverted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version

الى باحية شديدة الخصب والنماء فرب أنطاكيه الصعرى ، عاصمه بسسنديا ، وكانت من أجمل النواحى لما فيها من الفنوات والمراعى ، فضربوا مختمانهم في حقولها الحصراء .

## - **\V** -

وحدت لأول مرة فى هذا الموصع أن عمد بعض الرعماء الى الانفصال بقوانهم عن الجنس الرئيسى ، وكان أول من فعل دلك منهم بلدوين أخو الدوق ، وانضم اليه بطرس كونت سنناى وأخوه رنارد كونت تول ، وبلدوبن دى بورح ، وحلس دى موس كلير، واست محبوا معهم سنعمائة فارس وحماعة من الجند المشاه .

آما بانى القاده الدين العصلوا عن الجيش فكان بالكريد وفي صحمه ويستارد من برسبانس ، وروبرت أوف اترى على رأس فود كبيرة فوامها خمسمائه فارس وبعض الحدد المساه .

كان يحرك هؤلاء الفرسان جميعا غرض واحد لا يختلفون فيه، ألا وهو استنطلاع الطرق واستكشاف الاقليم المجاور والمحت عما يجدونه ، وكان عليهم بعد ذلك أن يبعنوا الى الزعماء الذبن أرسلوهم حميعا بنقارير عن كل ما حدث بالنسبة للزمان والمكان ، وأن الجيش يمكنه متابعة الزحف في سلام وطمأنينة ، وكابوا في بداية مغادرتهم المعسكر ملازمين للطريق الرئيسي فمروا ببعض المدن المجاورة ومنها فونية وهرقلية ، ثم عرجوا بعدئذ يمينا ، وأحذوا بعدون الخطى ناحية الساحل ،

فى هذه الأثناء اسبهوى الدوق والقاده الآحرين ممن ظلوا وى المعسكر حسن منظر البواحى المحيطة بهم وبهاؤها ، وجذب انتباههم قرب المكان من الغابات ، فانطلقوا الى واحدة منها فى طلب الصيد وذلك لابهم أحسوا وهم فى عمرة انسغالهم بالعمل المضيى بحاحبهم الى البرويح عن أنفسهم بعض السىء ، وودوا لو خلوا وراءهم ولو لفرة قصيره ما بسغل بالهم من أمور كانت تقلفهم على الدوام ، فلما دخلوا الغابة استلفت انتباههم كبير من مباهجها ، فيفرقب بهرالسالك ، ولاقوا مخاطر حمة •

فأما الدوق الدي خرج للغابة التماسا للرياضة وللهو ، فقد واجه على عير انبطار دبا بسبع المبطر يناهب لينعض على رجل من العفراء الحجاح يعمل حطابا فاصدا افتراسه ، وعسا كانت مجاهدة الرجل في العثور على ملجأ يهرب اليه فرارا من الدب . فلم يسعه الا الصراح بصوب عال يسأل المعوبة في محنيه الخطيرة البي هو فيها ، وشاء العدر أن يظهر في هذه اللحظة الدوق الذي أسفو على رفيقه المكوب ، فاندفع لنجدته ، فما كاد الدب يرى الدوس الذي كان موشكا أن يرفع سيفه لضربه حتى انصرف عن فريسمه الأولى وألعى بنفسه على الخصم الشجاع ، مكسرا عن أنمابه ، ومسددا نحوه مخالبه ، فأصاب حصانه بجرح خطير وجد الدوق نفسه ازاءه مضطرا للمرول عن طهره ، مصلتا سيفه لمهاجمة الوحس الذي رمجر زمجرة تربعد لها الفرائص ، وأقبل على الدوق فاغرا فاه ، مكسرا عن أنابه ، غير مكترت بسبف الدوق ، بل هم بالامساك بصاحبه الذي رد هجمنه بحسامه محاولا جهده أن يطعنه طعنة نجلاء ترديه ، فتحاشى الحبوان السلاح ، وطوق الدوق بذراعيه وطرحه أرضا ، فلم يعد الدوق يملك دفاعا عن نفسه اذ علاه الوحس ، وأصبح من السسر علبه أن يمزقه اربا بمخالبه وأسنانه ، ولكن المحارب الماسل استل حسامه ، واذ كان شديد الناس فقد احتضن الدب المهاحم verted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بيسراه ، بينما أعمدت بمناه سبقه حتى مقتصه في حية فصرعه ، وهكذا كسب الدوق الجولة بالدم وان حرح منها بحرح حطر في ساقه ازبمي منه على الأرض وقد وهي بدنه وسرى الصعف في كنابه اذ انساب من دمه ما لم يعد معه فادرا على البوض .

و يعالى صراح الرجــل العقير الذي قدرت له النجاه تقصيل مساعده الدوق له ، فيه صياحه العسكر لما حرى ، فانطلقوا كلهم صوب الناحية الذي كان البطل السجاع \_ حامى الجنوس \_ مسحى قبها ، وقد أنخيه حراحه فوضعوه على مجعة ، وحمله العادة الآحرون الى المعسكر وسيط بكاء الحميع ، واستدعوا له المطيين الذي بدلوا المحاولات الساقة لانفاذه ، ووصفوا له من الأدوية المناسبة ما حعل الأمل يداعت النفوس في أن سيرد عافينه .

## - \ \ -

حدى في هذا الوقب بالداب أن اعترى المرض السديد ربويد كويت بولور ، ذلك المبجل الذائع الصبت ، وحمل هو الآخر في محفه وقد أنهكيه علنه وأثقله مرضه ، حتى انهم لما وضعوه على الأرض في انتظار مويه كانت أنقاسه شبه مقطوعة ، فقام وليم أسقف أورانج الطاهر السلوك بأداء كل السيعائر التي تؤدى للمؤمين ، مثلما يفعل ازاء رحل قد انهى ولفط أنفاسه .

واذا رأى العسكر أنهم قد حرموا - أو كادوا أن يحرموا - من توجبهات هذين الرحلين العطسين ففد ران علمهم من الساس

ما كاد ال يصرفهم على منابعة رجلة الحج الذي كانوا فد قطعوا العهد على أنفسهم للقنام به ، واستخرطوا حميعاً في البكاء لانسعال بالهم بحالة فائديهما ، وقام كل الحجاح أنناء تأديبهم السعائر الديسة برفع آكف الضراعة للرب عساه يرد على هدين الزعيمين عافسهما ، فأصغى البهم الرب الرحيم واستجاب ليوسلانهم ودعائهم ، ورد على الرجان صحنهما ، وأصعت الرحمة لصلوب شعبة .



ولما انتهى العسكر الحجاج من اجبيار ببسيديا دحلوا افلم ليكوبها ، وجاءوا الى عاصمه فوبه ، وكانت هذه الناحبة فاحله جرداد . فابيلوا فيها بنقص كبير في الطعام آدحل الناس الى فلوبهم، وكان البرك قد علموا من فيل برحقيا عليهم . فانطلقوا بعيون فسادا في الاقليم بأجمعه ، وبهبوا حميع مدنه اعتمادا منهم على عجز رجال أي مدينة عن المعاومة . وزادوا على دلك بأن سبوا النساء ، واسيرقوا الأطفال وبهبوا كل ما صادفوه من الماسية والأعيام ، م فررا الى الحبال المسعة مسصمين بها . وكان أماهم الوحيد هو أن يبادر الصليدون الى مغادرة الإقليم حين بلغ الحهد منهم غاينة بسيد حاجبهم للطفام ، ولم يكن الترك واهمين في هذا الأمل ، يسد حاجبهم للطفام ، ولم يكن الترك واهمين في هذا الأمل ، اد فر الحجاح من هذه الناحية الفاحلة الي لا يستطيع اسعافهم بما بقيم أودهم وغادروها على حياح السرعة ،

فلما خلفوا هرقلمه وراءهم ، حاءوا الى مدبنة مرعس ، فيصموا معسكرهم بها . وأقاموا بها بلاية أيام .

وفی أثنساء وحودهم فی مدینه مرعس هده فاضب روح ودهیله ] روجهٔ بلدوین ـ أخی حودفروی ـ الذی كان مد نركها فی رعایة أخوبه حین سفره ، فرفدت فی الرب فی هدوء ، ولفظت

العاسما لعد مرص عصال أمصها ، وكالب وجودهلك (١) هذه امرأه شريفة المولد ، عاشت حياة حميدة طاهرة ، وتخلقت بالخلق الكرام ، ودفنت حيث مانت ، يعد أن أفاموا لها شيعائر الشرف الحديرة بها •

## - 19 -

فى هذه الأثناء قام بابكريد الفاضل ، وهو من هو فى الفصل بعرص الحصار على طوروس وهى أهم مدن بلك الولاية ، وبحح الدساك أقصر الطرف فكان أول من بلع فيليفيا احدى ولايات الشرف، وبناء على ما بقوله القدماء فان ولابة « أنتبوكينا » كانت تسمى بمنطفه السرق .

رياحم علىعنة من السرق ولاية كوابستريا ، « سيوريه الشمالية » كما تناحمها من الغرب ايسوريا ، وتحدها من الشمال حيال طوروس ومن الحسوب بحر ايجة ، ويوجد بها مدينان رئيسدمان هما طرسوس موطن معلم المبيدين رمهبط رامسه أما الأخرى عدعى « عين رربة » ولكل منها فراها النابعة لها . ومن أجل هذا نقال أنه توجد قيامقية الأولى وقيليقيه اليابية .

والعول السائع أن مؤسس طرسوس كان يدعى «طارسس » وهو نابى أولاد «حافام » ابن يافت الذى بذهب الروابات المديمة الى أنه الابن المالت لنوح ، ويدلاون على صحة هذا القول بأن المدبنة بعدل اسم مؤسسها .

<sup>(</sup>۱) أشارت الترجمة الانحليرية في تعليقها على حبر هذه السبدة أبها عرنت 
(CUTEREA بأكثر من اسم ، ومع أن وليم أثر من هذه الأسماء كلمة « حوتيريا 
الا أبنا بعصل « حودهبلك » بناء على المراحم الواردة في هذه الحاشبة الانحليرية ،

ومع دلك فان لسولتوس رأبا مخالفا لهذا الرآى بسأن عدا المؤسس ، فبقول في الفصل البالت والأربعين من كتابه «المدكرات» « ويبيع فيليقيا مدينة طرسوس التي هي أم المدن ، والتي أسسها برسيوس داناي الشريف ، ويسقها نهر « كيندس » الذي نقول بعض النفات انه يبيع من حبال طوروس ويتحدرا انحدارا عنفا محبفا ، على حبن ندهب آخرون للقسول انه أحسد روافد نير هند استاس » •

وربما كان هناك سيء من الصحة في كلا القولين من أن مؤسسها هو طارسيس ، ثم حاء من بعده بريسيوس فحصيها وزاد فيها .

أقام بالكريد ورجاله على حصار مدبه طوروس بصعه المام حبى أرعم أهلها \_ بالوعد باره والكلام المعسول باره أخرى \_ أن يعبلوا ما رسمه من ادخال رايبه ورفعها على أحد أبراحهم رمزا لاعبرافهم بالحصوع له ، فاستحابوا لطلبه هذا ، مشترطين عليه أن بطلهم بحمانته حتى بحضر بوهنموند والحيش الرئيسي ، وألا محملية حتى بحضر بوهنموند والحيش الرئيسي ، وألا محملية وروهم أو نرك مزارعهم ، فأن رضى بهذه السروط قباوا أن سلموا للدينة في هدوء إلى بوهنموند حين يصل ، ويبدو أن هذا العرض كان مرصما ليابكريد ، فقد قبله هم أيصا ،

كان أهالى هده المدينة مستحين مبل حميع بعية سكان الافليم، وهم ينالفون من الأرمن والاغريق، غير لله فليلة من الترك الذبن كانب لهم الغلبة الحربية لمهارتهم في استعمال السيلاح، والذبن كانب حراسة الحصون موكولة اليهم، ويقع على عانقهم مهمة قمع الأهالى بالسيدة، أما المؤمنون فلم بكن مسموحا لهم يحمل السيلاح ومن ثم صرفوا همتهم لممارسة البحاره والاشتغال بالزراعة .

في هذه الأثناء كان بلدوين - أخو الدوف - ورفاعه الذين.

verted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version

سلكوا مسالك لم يكن مألوقة \_ في مسيس الحاجة للطعام ، لكن سيى له أخيرا ، بعد جولات دائرية ، أن يصل بالصدفة الى قسه جبل من الجبال استشرف منها منظرا يمند حتى البحر الى قيليقيا ومدنها المنابرة بحث فدمية .

#### \*\*\*

ولما بين لبلدوين أن هناك معسكرا حول طرسوس ، سرب المحاوف أن يكون قد ضل الطريق ، وأن تكون هذه الحيام حيام عدوه ، بيد أن رعبه الملحه في الوقوف على هويه هذا الاقلم وعمن يكون أصحاب هذا المعسكر الذي يراه على بعد دفعه للحروح على رأس جماعه بما عرف عنه من الاقدام ، ونزل بهم الى السهل .

وكان نابكربد فد أقام لنفسه هو الآخر عبونا في نقاط مرفعة، كما أخذ حدره توفعا لأى عدوان قد يقوم به العدو ، فاسمدعى فى الحال الله رفاقه في الحرب وحملوا أسلحتهم لنفينه بأن الدين رآهم انما هم عسكر الحصم ، جاءوا نجدة للمدينة ، فصاح في رحاله مسحقا اياهم ، وخرج بهم رافعين راياتهم لصد القوات الراحفة ، ولم نظر روحه شعاعا لايمانه بالله ، فلما اقترب المصافان بعضهما من بعص ورأى كل واحد منهما الآخر رؤيا العين ، عرف أن لسسدة، أسلحة العدو ، فدنا اذ ذاك كل واحد من الآخر في اطمئنان ونعانقوا .

وبعد الفراع من الأحادب الرقيقة المألوفة انضم بعضهم الى بعض وبابعوا زحفهم الى المدينة لاكمال الحصاد ، فنلقاهم بانكريد بالنرحاب والاكرام ، وأولم لهم لملتهم هذه وليمة قدم لهم فيها لحوم الاغنام والماشية الني بهموها من النواحي الماخمة .

ولما أشرق الصباح وبجلى البهار ، رأى بلدوين ورفافه رايه ما نكريد بحقى على أعلى برج بالمدينه ، فيهستهم العيره في الحال بأنيابها ، وسبوا أواصر الحب والأخوة التي عقدوها قيما بينهم أبياء رحفهم في سلام ، وهي الأواصر التي صمموا ـ آفرادا وجماعات على أن نظل عراها بانته لا انقصام لها ، لكن الذي جرى كان عكس دلك ، اذ غضب رجال بلدوين من جرأة بانكريد على رفع رايبه قوف المدينة ، في الوقت الذي يوجد فيه كبيرون غيره من الأمراء الحاصرين، وهم آكس منه حدا ، وأكنف عسكرا ،

كان تانكريد رجلا منواضعا فأراد فن غصبهم ، فأنكر أن بكون فد استهدف اهانتهم من وراء رفع رائله ، وقال انه الفق على رفعها مع أهل المدينة بسبب بسالته ، وذلك فبل وصول الزعماء ، وقال أن بخامر الأمل أحدا في قدومهم •

أما بلدوين الذى راح أصحابه يبيرونه بكل فواهم ، ويحبونه على سلوك هذا السبسل ، فلم يعبأ بما فعله بانكريد ، بل نهج عكس هذا البهج ، وكان مدفوعا فى ذلك بانفعالاته ، فجاوز حدود الفطنة . فيطاول على نانكربد بكلمائه السفيهة ، وأدن عطرسيه الى مأرق أوشك فيه كل منهما أن يفائل صاحبه ، ويفنك به ، وأخيرا اسبدعى بلدون البه أهل البلد ، وهددهم علائية بتخريب المدينة وما حاورها من البواحى غير عابى و بما وعدهم به تانكريد من بسط حسابيه عليهم ، ان لم يسادروا الى انزال واية تانكريد ونصيب رابته هو مكانها .

ولما رأى الأهائى أن بلدوين أشد من تانكريد بأسا وأكس منه حددا فقد أذعنوا له على تفس الشروط الني سلف لهم اشتراطها على

تانكريد الذى أبرلوا راينه ورفعوا مكابها علم بلدوين ، فلما رأى بالكريد عذا الحيف الذى حاق به أحرقه العبط عن حق ، لكنه كظم عبطه بقصل ما طبع عليه من رحاحه العقل ، ومن بعوده الصدر على تحمل الآلام شفقة منه من حدوب شقاق خطر بين قوات المؤمين ، لذلك بقص معسكره ، واربد الى مدينة محاوره بدعوبها «أدبه » ، فلما بلعها لم بأدن له أهلها بدخولها لان شخصا معبيه اسمه «حيلف» من الأمة البرجيدية كان قد اسبولى عليها ، وكان «حيلف » هذا انفصل عن الحيس الأصلى مع ثلة من الآخرين ، وحمع اليه حسدا كيفا من الباس الخرطوا بحد رايبه ، وشاءب الصدقة أن يؤدى به الح أذنة حيث طرد منها البرك ، واسبولى عليها فسرا ،

ولما علم بابكريد أن مسئه الرب قد أسقطت هذه المدينة في أيدى شعمنا ، بعث الرسمل الى حناف بليمس منه قبيح أبوانهما لندخلها حماعية وأعلمه أنه ببعى البرول بها وسراء ما بحسماجه عسكره من صرورات العبس ، فاستحاب حيلف للرسمل ، وأمنه بانكريد وخيلة بكل ما هو لارم لهم في كميات وقيرة جعل بدصها الله هنة ، والبعض الآخر بأثمان معفولة ، وذلك لان حيلف كان قد وحد المكان ملينا بالذهب والفضة وقطعمان الماشية والأغمام والحيوب والنيد والزيت ، وقصارى القول بكل شيء بافع ،

## - 71 -

حين طلع المهار رحل تانكريد من المدينة بكل من معه وأغد السير في الطريق الرئبسي المؤدى الى المصلصة ، السي كانب واحدة من أروع مدن هذا الاقلبم ، والني بالب حظا من السهرة بفضل

أسوارها وأبراجها وكثره سكانها ، كما زاد في عدرها موقعها البهيج ، وحقولها الحصبة ، وأرضها العبية ، وما كاد بالكريد يعسكر على معربة منها حبى أعار عليها وراوحها بسلسلة عير مقطوعة من العاراب حتى نمكن من الاسبيلاء عليها في مدى آيام فلائل بمعونة الرب ، وحكم السيف في رقاب أهلها المارفين .

ووحد بها بانكريد ثروات ضحمة وكميات كبيرة من الميره من كل صنف فوزع على أتباعه كل ما وجده ، في أنصبة يلائم كل منها ما أداه كل حام من الخدمة ، ففاضت أيديهم بما ملكوا ، وعوضهم الطعام الوقع عن أسام المسغمة التي فاستوها من قبسل ، كما استسلموا في الوقت دانه للراحة ، وأقبلوا على أكل ما يشتهون . وأطاقوا ما عدهم من دوات النقل حرة برعى كيف شافت .

## - 77 -

راح بلدوس بعد رحيل بانكريد \_ يكبر من بابب أهل طرسوس ويهددهم بهديدا نبديدا ويحذرهم مره بعد أخرى ، وأمرهم أن يستوا الأبواب أمام عسكره لمدحلوها ، اذ حيل اليه أن العار لاحفه ان هو أصاع الوفت بلا عمل حنى بجىء الجيس ، فخاف الأهالى منه أن يهاحم المدينة من قرب ان هم رفضوا اطاعة أمره ، لما رأوا من عجر تانكريد عن مقاومته ، هذا الى جانب رعزعة ثقبهم فى قدرتهم الذانية فحعلوا من الضرورة فضيلة ، وفتحوا الأبواب وأدخلوا بلدوين وحميع عسكره ، وخصصوا برجين جعلوهما فى وقتهما الراهن سكنا خاصا له .

أما بقمة جمده فقد مفرفوا في بيوت المؤمنين من أهل المدينة ٠

وأما الابراح الأحسرى فكانب في أبدى السرك الدين كانوا لا يزالون يحتلون المدينة ، وكانوا أكس منهم عددا . هذا بالاصافة إلى أنهم كانوا يملكون بلا جدال معطم استحكامات البلد . ومع دلك

بى الهم عاور يفعلون براجدان معلم المعلمات البله الدين أدبوا كانب الريبة نخامر نفوسهم من ناحة طائفه النصارى الدين أدبوا [لعدوه] بدخول الملد، وإذ لم يكن لديهم لم أمل في لجده تأنيهم، فقد كانوا يلتمسون الفرصة للسلل في الحفاء إلى حارجها مع

زوحاىهم وأبىائهم وما ملك أيديهم ·

وحد في عده الليله بالداب الاوصل الى طرسوس بالانمائه رجل من حمله بوهيموند كابوا في طريقهم للانصمام الى بانكريد . فاصدر بلدوين أمره بعدم السماح لهم بدخول المدينه ، ولما كان طول السفر قد أرهقهم ، وقلص في أيديهم ضرورات العبس ، فقد ألحقوا في السؤال التماسا للسكن وعقد سوق لهم ، فعطف عليهم في محتبهم هذه رفاقهم من الحجاج الذين هم دونهم مكابة والذين كانوا في المدينة ، وألحوا في طلب الاذن لهم بالدخول لكنهم ردوا فاشلين ، لأنهم كابوا ، كما قيل طائفة من رجال حملة بوهموند الذين كانوا مغذين السير لمساندة نانكربد .

وعلى الرغم من عدم قدرة المسيحيين الموجودين فى المدينة من المخروج الا أنه لم تكن تنقصهم العواطف الأحوية فراحوا يدلون الحبال بالسلال من الأسوار ملأى بالخبر ، والروايا منرعة بالنبند ، وهكذا أمكهم امداد الدين بالخارج بالطعام الكافى لهم فى هذه الليلة ، ولما وجد هؤلاء الرجال ألا مناص لهم من البقاء خلف الأسوار فقد وطوا أنفسهم على الاقامة أمام أبواب المدينة ، وتدبر حابهم جهد استطاعتهم .

ظلما كان الليل استسلم للنوم العمبق والراحة التامة من داخل الله ينة وخارجها على السواء من المستحبين ، وضرب السكون أطنابه

ولكنه كان سكونا مريبا ، فقد عام البرك وغيرهم من كفار طوروس بعتح الباب في هدوء نام ، وخرجوا منلصصين مستصحبين معهم نساءهم وأطفالهم وعبيدهم وكل ما ملكت أيديهم ، ودلك لأنهم لم يكونوا يشعرون بالهدوء في بلدهم الى جواد هؤلاء الصيوف الذين نزلوا بينهم على كره منهم ولكنهم خافوا مساكننهم ، وأصبح هؤلاء الترك قادرين كل القدرة على مغادرة المدينة متى شاءوا ، اذ كان في أيديهم بوابة أو اثنتان من بواباتها ، وأبوا الا أن يخلفوا وراءهم انتصادا دمويا على عدوهم ، ذلك أنهم بعد أن فرغوا من ارسال أحمالهم وما ثقل من متاعهم أمامهم عادوا ففتكوا بكل الذين كانوا بغطون في سباتهم العميق ،

# - 74 -

فلما كان البوم المالى وقد ملأ النور الكون ، اسميعط مسبحو المدينة فوجدوها مهجورة ، فعجبوا كيف هرب العدو من غير صبحة ، وانطلقوا الى الأسوار ومداخل المدينة عساهم يعرفون كيف تمكن هؤلاء من التسلل الى خارجها ، وبينما كانوا يتقصون الأمر فى دقة وينقصون كل ركن وزاوية اذا بهم يطالعون آثار المذبحة التى أنزلها الترك الفارون بخدام المسيح فحزنوا أشد الحزن ، وتقطعت نفوسهم حسرات وأسلموا أنفسهم للبكاء .

ثم وقف رجال الطبقة الناسة على بعد من الآحرين وحمنوا السلاح ضد بلدوين وغيره من الزعماء الذين يشأونه مكانة ، وذلك لأنهم اعتبروهم السبب في هلاك رفاقهم الحجاج ، حين أبوا أن يستضيفوهم ، وكانت هذه الاستضافة واجبا لا يصح التنصل

verted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version

منه ، كما كانت حقا لكل دى حاجة ، ومن ثم فقد استبد بهم الحنق، فاندفعوا اندفاعا عدوانيا يعصمدون النيل من زعمائهم الدين لولا انسحابهم الى الأبراج العمالية لقنل منهم مثل الذين فتلوا وراء الأسمواد .

ولما رأى بلدوين أخيرا أن الهرج الذي استولى على الماس بحق. آخذ في الزيادة ، راح يدبر في لهفه كيف يبرر مسلكه ، وكيف يعتذر عن نفسه عبد فومه ، عسى أن نهيدا ثائرتهم ، ويركنوا الى السكينة ، فتريث لحظة استرد فيها أنفاسيه ، وسألهم الانصات فهدأت غاغة الرجال قليلا وان كانوا لا يزالون مشهرين أسلحنهم ، وراح هو يبرى ساحته عندهم ، مقسما لهم بأن السبب الوحيد الذي حمله على اغلاق أبواب المدينة في وجه الحجاج هو أنه كان قد وعد وعدا لا حيث فيه ألا يسمح لاحد بدخولها حتى يصل الدوق ، كما أن كلماته المراثية ، وألفاظ الاستعطاف التي كان لابد منها في مثل هذا الموقف والدي فالها وقالها بعض أشرافهم فعلت فعلها ، وأفلحن فهدأت من ثائرة الناس بعض الهدوء وتراضوا فيما بسهم .

وهكدا انتهى البزاع ، ولبث العوم هناك في سكون بضعة أيام ، حنى رأوا أسطولا يمخر البحر على مسافة تقرب من ثلاثة أميال من طرسوس ، فما كاد الفرسان والمشاة يطالعون هذه السفن حتى هموا سراعا باحبها ، وبحدثوا مع القادمين من البحر فعلموا منهم أنهم نصارى ، ولما سألوهم من أى البلاد هم قالوا انهم من فلاندرز وهولندة وفدريزيا ، حبث ظلوا يمارسون القرصنة ثماني سنوات ، ثم صحت ضمائرهم فنعموا على ما كان منهم ، وتابوا عن اثمهم فركبوا هذا البحر في طريقهم الى القدس للصلاة ،

قلما عرف رحالنا أنهم مسيحيون مثلهم دعوهم لدخول الميناء،

وصافح بعصهم بعضا ، وسادلوا فيما بينهم قبلات السلام ، وبعد أن أرست السفن آمنة بالثغر قادوا رجالها الى طرسوس ·

كان رعيم هؤلاء القوم يدعى «حينمار » من اعليم بولونيا ، ومن مقاطعة كونت استاس ، والد جودفروى ، وما كاد جينمار يعلم أن بلدوين هو ابن سيده حنى ترك الأسطول وتهيأ لمرافقته الى القدس ، وكان جينمار فاحش الثراء وزاد من ثرائه هذه الحرفة الدنئة التى مارسها ردحا طويلا من الزمن ، وكان فى خدمنه رهط كبير من الناس أبى معطمهم الا مصاحبنه حين علموا بعزمه على الباع بلدوين ، واذ ذاك انعقى اننقاء دقيقا خمسمائة من أنباع القائدين لحماية المدينة ، أما كل من سواهم فقد راحوا يتهمئون للخروج للدحت عن حطوظهم •

## - Y2 -

عادر الجيس طرسوس منها وجهه شطر المصيصة حتى بلغها، وكان تانكريد كما قلنا من قبل فد احتلها عنوة منذ أمد قريب، وأحكم فبضنه عليها فأنزل بلدوين جنده خارجها وفي البسانين المحيطة بها ، ليقينه التام بأن تانكريد لن يسمح لهم قط بدخول المسانية .

ولما ترامى الى سمع تانكريد خبر وصول بلدوين ، وانه نصب معسكره على مقربة منه ، غلى مرجل غضبه ، وثارت ثائرته وتأجحت نيران سخطه الا عاودته ذكرى المصائب التي صبها هذا الرجل ظلما

rerted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وعدوانا عليه ، ودعا رجاله وهو في سوره حنقه الى حمل السلاح مجمعا العزم على رد الصاع صاعين ، وأن ينزل ببلدوين من الأدى منل الذي أنزله هو به من قبل ، ومن ثم أنهض فرقة من رماة النساب لرمي جياد بلدوين التي سرحها في المراعي ، والأخذها أو دفعها . كما خرج تانكريه ذابه في خمسمائه فارس في دروعهم مهاجما بهم معسكر بلدوين وآخذا الحراس على غره منهم قبل أن يسمكنوا من امتساق سيوفهم ، حيى كاد أن يفيهم عن بكرة أيهم ، ولكنهم مع دلك عبوا الى أسلحتهم واسنعدوا للمقاومة ، وحرت في اثر ذلك معركة عنيفة ، استبسل فيها كل من الجانبين استبسالا ضاريا كما لو كان كل واحد منهم يحارب خصما لدودا ، فسقط من الجانبين قتلى كثيرون ، وأسر كل فريق رحالا من رجال الفريق الآخر ، غير أن عسكر تانكريد كان دون عسكر بلدوين بأسا ، وأقل منه عددا ، ثم ان القتال أجهد تانكريد اجهادا لم يعد قادرا معه على تحصل شدته ، فاضطر الى ترك ساحة المعركة ، والارتداد الى المدينة ،

#### \*\*\*

كان الجسر الشديد الصيق الذي يعلو البهر الفاصل سن معسكر بلدوين وبين المدينة يقف عقبة كأداء في وجه قوات ما مكريد وهي تسرع في الفرار الى المدينة ، حتى لقد هلك رهط غير قليل من فرسانه ومشاته ، وان أسعف الفرار ثلة منهم هربوا الى داخل الملك ، ولولا أن الليل أرخى سدوله مما أدى الى وقف القتال لكان من الممكن أن تكون الخسائر أفدح مما هي عليه ، نظرا لما كان يكنه كل فريق من كراهية تضطرم كالنار في قلبه للفريق الآخر .

كان من بين أتباع تانكريد الذين وقعوا في الأسر رجال نبلاء بارزون منهم واحد من ذوى قرباه اسمه ريتشارد دى برنسباني .

وآخــر اســمه روبرت دانزی ، وکانت مشـوره هدین الرجلین و بعدی الرجلین و بعدی السبب الرئسی فی سام نانکرید بعد که الاسقام التی دکر باها ۰

كما وقع في أسر تانكريد واحد من أنباع بلدوين ومن علية القوم وأسهاهم مكانه ، هو جبلبرت دى مونت كلر ، ونجم عن غياب هؤلاء القادة أن شاع الاضطراب في صفوف كلا الحاسبن ، اعتقادا منهم بهلاكهم في معركة اليوم .

وحين ذر قرن الفجر في البوم المالي أخذت أحاسبس الكراهية في النلاشي ، وخفت سورة الغضب ، وكان الفضل في دلك للرحمه الالهية اذ تذكروا ما جاءوا من أجله ، فصفا تفكيرهم وعاد الي هدوئه ، ومن ثم مضت الرسل بين الجانبين تنشد اقرار السلام ، ورجع كل أسير الي حماعته ، كما راحوا بتبادلون قبلات السلام ارضاء لكلا الجيشين ، وعاد الوئام يرفرف من حديد بن الحميع وأطلهم السلم بجناحيه .

## - Yo -

نزل بلدوين على طلب رفافه ، وعاد من المصبصة منضما بكل عسكره الى الجبش الأصلى الذى كان قد وصل \_ كما قلنا \_ الى مرعش ، وكان بلدوين قد علم بالحادث الخطير الذى ألم بالدوف فى بيسيديا أمام انطاكمة فاشتد حزعه على سلامة جودفروى ، وأدار أن يتأكد تماما عن واقع حاله •

nverted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كان نانكريد في هده الأثباء فد زاد من بأس فواله بمن صمهم اليها من الرجال الذين جاءوا في صحبه الأسطول ، فكثر جيسه بهم كثرة بالغية ، مكنمه من اجبياح كل فيلقبا ، والاسميلاء فسرا على معافل العدو انى وجدها فأضرم النار فيها حتى تهاوب الى الأرص ، واذ ذاك عرض من فبها على السيف فقيلهم جميعا ، وكان آخر مكان عصف به جنده هو « الاسكندرية الصغرى ، التي استولى عليها أيضا رغم مقاومتها اليائسة ، فمكنه هذا النصر الأخير من أن بصبح مسبطرا على الاقليم كله ،

سرعان ما نواردت الأحبار نسير الى نمام استيلاء بالكريد على المنطقة ، بعضل ما تجمع لديه من مختلف القوات ، فارفضت علوب النرك والأرمن الجبلين خوفا من أن يعوج نانكريد عليهم ، ويفتح مدنهم ، ويسنرق أهلهم ، فراح كل ينافس الآخر في سرعة المبادرة بارسال الرسل اليه ، محملين بالهدايا السيبة من الذهب والفضه والجياد والحيول والأهمسة الحريرية ، مؤملين أن يهدىء هذا الكرم حدة غضب ذلك الزعيم العظيم ، عساهم يكسبون وده ، ويعقدون واياه أواصر الصداقة ،

هكذا كان النجاح حليف بانكريد في كل خطاه ، لأن الرب كان معه ، ولأن السند كان يوحه جميع أعماله لأنه خادم أمين ·



هنا ينتهى الكتاب الثالث



# الكتاب الرابع

# اجتياح الصليبيين شمال الشام وشروعهم في حصاد أنطاكبـــه

# فصول الكتاب الرابع:

- بولدوب أحو الدوف \_ يعود الى الجس الأصلى
   وينزل على اقتراح باكراد فيقود حمله برحف الى
   الشمال ويحتل كل الاقلم حبى الفرات •
- مشهرة بلدوين سنسر في كل ناحبه ويستدعيه
   آهل الرها فيستجيب لهم ويسرع اليهم عابرا الفرات ولكنه يقع في كمين نصب له في بعض الطريق فتخرج المستحدون لمقابلته وبجعلون من أنفسهم حرسا له ويتخلونه المدينة فرحس به
- ٣ ـ الغيره من بجاح بلدوين بدب في نفس حاكسم

المديمه الذي يمدم على قراره الذي الحده ويرعب في سُجب الاتفاق ، لكنه من أجل اسمرضاء الأهالى يتبنى بلدوين ويتحذه ولدان وان أضمر الغدر له ٠

- ع بلدوين يحاصر سمبساط استجابة لرجاء أهل المدين الذين يسآمرون ضد حاكمها الضعيف انتفاما مه للأضرار الجسيمة التي أنزلها بهم .
- الأهالى يفتكون بحاكم الرها وينصبون بلدوين
   واليا عليهم فيشترى سميساط من حاكمها
   « بلدك » بمبلغ كبير من المال ٠
- بلدوین یحاصر بلدة « سروج » ویسبولی علیها
   بالقوه فیسکره أهلها شکرا یعجز اللسان عن
   وصفه •
- ارسال طائف معينة من رجال الجيش الأصلى يحلون بالقوة مدينة « أرباح » واذ ترامى أنباء ذلك الى أهل أنطاكيه يبادرون الى هناك يقوة ضخمة وينصبون كمينا شعبنا ، ويهاجمون مدينة « أرتاح » لكنهم يفشلون في محاولنهم هذه فيعودون الى ديارهم بعد تحصين الجسر .
- ٨ ــ الجيش الرئيسي يصل « أرباح » ويرسل الكشافة
   من صفا المكان لكشف الطريق ثم يقترب من
   الجسر ويعبر النهر رغم ما بذله العدو من
   محاولات كان يهدف من وراثها الى صده ٠

- ٩ ـ وصف مدينة أنطاكيه ، ومكانتها ٠
- ۱۰ القبول في الاقليم الذي به المدينية ووصيف موقعهيا .
- 11 \_ من كان حاكم هده المدينة التي هي أنطاكية ، وكيف بادر هذا الحاكم \_ حين سماعة بنبا المناربنا \_ الى تحصينها ، لم جلب الى داحلها العسكر الذين استقدمهم من المدن المجاورة ،
- ۱۲ ـ زعماؤنا يتنساورون فيما بينهم ويتقدم الجيس الى المدينسة ·
- ۱۲ ـ القادة يأخدون مواضعهم حول أنطاكية في أماكن استرانيجية ويسدون منافذ المدينة فيسيطر الخوف على نفوس الأهالي •
- ١٤ ـ المسيحيون يقيمون جسرا خسبيا على الهرحنى يساعدهم على نوفير مزيد من حرية الحركة للبحث عن العلف ، كما يقوم الأهالى بنسن هجمات مفاجئة على معسكر كونت بولوز من أقرب البوابات اليهم .
- ۱۵ ــ الكونت يقوم بكثير من المحاولات ضد العدو وينتهى الأمر أخيرا بسد البوابة بأكوام من الأحجاد بهيلونها أمامها .
- ۱۳ \_ الصدو يهاجم الجماعات التي خرجت في التماس العلف وينبع عن ذلك قتال ضار بهلك فبـــه

- ۱۷ ـ الضعف يستولى على جميع الاف اليم وتتفاق م المجاعة وتزداد سوءا ويصبح الناس فى صراع صد الجوع ، كما تؤدى الأمطار الغزيرة الى الرطوبة الى عمل على انتشار العفن فى الخيام وهو عفى يهدد الجيس بالفناء .
- ۱۸ \_ بوهیموند و کونت فلاندرز یخرجان فی حسلة کبیرة سعیا وراء الکلا ، کما یقوم المواطنون می الوقت ذانه بتن هجوم فجائی علی المسکر ، ویدمی الصلیبیون بحسارة کبری ویکثر فیهم الجرحی .
- ١٩ ــ الفرفة الباحثة عن الطعام مكشف العدو وتهزمه ،
   ثم بعود بالغنبمة والأسلاب الوقيرة .
- ۲۰ ـ مقتل « زفین » أحد أبناء ملك الدانمركین على
   أیدی الاتراك قرب « فیلو میلیام » بینما كان
   یغذ السیر للانضمام الى الجیش .
- ۲۱ ـ ناتيكيوس الوغد ينرك الجيش وليس في ننه العودة اليه ويدعى ان ذهابه انبا هو من أجل عقد سوق يستبضعون فيها ، كما يزعم أنه ماض الى الامبراطور ليسأله الحضور لمساعدتهم .
- ۲۲ ـ المجاعة تزداد تفسيسا والطاعون المهلك يصيب الناس فيأمرهم الأسساقفة بصسيام ثلاثة أيام ،

onverted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويسسرد الدوق جود فروى صحمه ماما ويقرح الحيش بنفاعته ٠

- ١٤ ـ نورد بوهيموند يقدر خطة حكيمه للمصاء على
   ما سبب الكسافة الذين أرسلهم العدو من
   الازعاج ٠
- ٢٤ ـ خليفة مصر يوفه رسلا من قبله الى الزعماء ويطلب عقد مصاهدة بينه وبسهم ويحاول كسبب موديهم •



# هنا يباأ

### الكتساب الرابسع

# اجتياح الصليبيين لشبهال الشام ونبروعهم في حصار أنطاكبة

#### - 1 -

بيسما كان الجيش الرئيسي قد وصل الى مرعش [ يوم ١٣ الكوبر ١٠٩٧]، واذ داك اعتزم بلدوين رياره أخيه جود فروى ، ولما وجده قد تماثل للشفاء ثارت في نفسه نيران الغيره من بالكريد مرة أحرى ، وأحفظه منه أن يجمع الكل على امتداح بسالمه المي طبق خبرها الآفاق ، ومن ثم دعا اليه أصدقاءه ، واقصى ايهم بعزمه على معاودة القيام بمخاطرات جديدة وسألهم ان يكونوا عونا له في تحقيق عدا الهدف . لكنهم كرهوا أن يصاحبوه في حروجه ، لما سمعوه عن وقاحته المتناهية حيال تأنكريد أثناء وجودهما أمام أسوار طرسوس في قيليقيا ، اعتمادا منه على كرة أتباعه والحق أنه لم يشد أحد منهم عن الاجماع على أن مسلكه كان أذ ذاك مسلكا منسبا ، وهسو اجماع استحقه عن حق جزاء جريمنه الشنعاء ، وما كان لبوهيموله ورحاله أن يمركوا ما لحق بتانكريد دون عقان .

ونم يجد بلدوين من يقبل مرافقته في حمله هده عبر شردمة قليلين ، كما عنفه أخوه خادم الرب ـ تعنيفا قاسما على عمله هذا ، ولما أدرك بلدوين شناعة ما اقترف من جرم فقد أعلن بكل مذلة انه

مستعد لأن يقدم لما تكريد النبيل الاعتدار الواجب عما اقبرفه من استاء في حفه ·

ولما كان بلدوين قد أحطا بناء على ما أشار به غيره عليه أكر من أن بكون حطؤه نابعا من تلقياء ذاته ، ولما كان هذا المسلك بنجريص من سواه ولبس من طبعه ، فقد سامحه الجميع واسترد ثقنهم به · والحق أنه كان رجلا موضع الاطراء من كل الوجوه كما انه لم يؤجد عليه قط بعدئد سناعة يزرى به كهذه الشناعة .

وكان لبلدوين صديق من أشراف الأرص يدعى « باكراد » نعرف عليه في نيفية بعد قراره من حبس الامبراطور ، وظل هذا الرجل يلازم بلدوين على الدوام في جميع رحقه ، ومع أنه كان محاربا شديدا الا أنه كان شديد المكر ، مغموز الوفاء ، وقد دأب على الالحاح على بللوين واعرائه بشمى السبل على جمع العسكر ، ووعد بأن ينضم هو اليه في حملة يسمها على النواحي المتاحمة التي قال انه من اليسبر اجتلالها بقوة صغيرة ، ونزل بلدوين أخيرا على الحاح «باكراد» ، وخرج مسنوشدا به على رأس مائتي فارس ، وحسد غير قليل من المتاة وزحف بهم معما وحهه ناحية السمال ، وسرعان ما دخل اقليما شيديد الخصب والبراء ، أعلم أمله مسيحون صادقون في دينهم ، شيديد الخصب والبراء ، أعلم أمله مسيحون صادقون في دينهم ، أما البقية من المسكان ، وهم قلة كافرة ، فكانوا أصحاب القلاع ، وكانوا يعاملون المؤمنين الصبادقين كما يحلو لهم ، كما كانوا يعاملون المؤمنين الصبادقين كما يحلو لهم ، كما كانوا

وكان فلاحو الاقلبم من المسيحيين الكارمين لأن يتسود عليهم قوم من غبر ملتهم ، لذلك لم يكد بلدوين يدخل تلك النساحية حنى أسلموه الأماكن الحصيلة ، وما غبرت أيام قلائل على ذلك الأمر حنى كان بلدوين قد ملك من الناحية أغلبها ، بالغا في ذلك نهر الفرات

العطيم ، وصار اسمه وحده كافيها لبد الرعب في دلك الافلهم وما حوله ، وبلع الخوف في نفوس الاعداء منه حدا غادروا معه قلاعهم من تلقاء أنفسهم ، وهاموا على وجوههم ، على الرغم من انه لم يرسل رجلا واحدا من رجاله لقتالهم .

وكان مجرد حصور بلدوين قد بن الشميجاعة والبقة في قلوب المخلصين الدين رحبوا به ، وتمت كلمات النبي (١) : « كبف يطرد واحد ألفا ، ويهزم اثنان ربوة ، ٠

لم يكن العامة وحدهم هم الدين بعلقوا ببلدوين ، بل حالف ايص امراء تلك النواحى السبيحيون وأحلصوا البية في مصادفته ، وآزروه فيما يععله ، وامدوه بالجند ، وبدلوا له الطاعة الصادفة .

### - Y -

على أنه لم تمض بصعه أيام حسى كان اسم هذا الرجل العطيم يجرى على كل لسان ، وحتى كانت أعماله الجليلة مسهورة في كل مكان ، واستساع خبرها في كل الولايات المجاورة ، وراح الجميع يسون على بطولته ، ويمتدحون احلاصه ، ويشيدون بسجاعته ، وملا صمته الافاق ، فلم يبق أحد من أهل الرها الا وقد سمع به ، وسرعان ما راحت المدينة ننحدت بأن قائدا باسلا من الجيش الصليبي ، قادر على تحريرهم نماما من رق العبودية وردهم الى الحريه ، ونرتب على دلك أن جاءنه وفادة ممن كان بيدهم أمر حراسة المدينه وكانوا من أصحاب النفوذ فيها ، يدعونه دعوة صادقة \_ بالكلمه المنطوفة والمكوبة \_ أن يأني المهم .

\_\_\_\_

<sup>(</sup>۱) تثنية ، ۳۲ ۳۰ ۰ ۳۰

وأوديسا هي احدى مدن العراق السهيرة أيصا باسم الرما وهي المدينة التي أرسل اليها توبيت الكبير ولدة توبيت الساب. ليطلب من فريبة « جابيلوس » عسرة مكاييل من القصة كان الأب فد اعارة اياها وهو طفيل .

وكان أهالى الرها قد اعسقوا المدهب المعلق بالمحلاص المسيحى على يد الرسول وتاديوس، ودلك في أعقاب أسبوع الآلام ، والحق أبهم كانوا من كل النواحي أهلا لما ينفق مع ما بسر به ذلك الرسول العظم وبرساله محلصنا التي كنبها الى ملكهم « ابجار » ، وعدا ما نظالعه في القصل الأول من الناريح الكنسي الذي كنبه يوسيبوس القيصري ، وقد ظل القوم محلصين في نمسكهم بهذه العقيدة مند ايمانهم بها لاول مره في رمن الرسل ، ثم قدر لهم أن يعقوا بحد بر حصوم ملهم الذين أرغموهم على دفع الضرائب والاناوات سنويا ، كما اغتصبوا منهم عدوة كل ما في ايديهم من بسسانين الكروم والمزارع ، قلم يعد أحد يجرؤ على العيش داخل المدينة سوى من ملأ الايمان قلبه ، فكانت مدينة الرها – دون غيرها من جميع عدن الناحية – هي الني احتفظت بحريبها الأصيلة ولم نلونها الجاهلية ، ومع ان العلو كان قد استولى منذ أمد بعيد على جميع النواحي التي حولها الا أنها ظلت بمنأى عن الحصوع له ، ولم تأذن لأي صاحب عقيدة أخرى أن يعيش في رحابها ،

ولقد كابد أهل الرها الأمرين من أولئك الذين يعبسون في المدن والقلاع المجاورة لهم ، الذين لم يكونوا يأذنون لمواطني الرها . بمغادرنها أو القيام بعمل خارحها .

كانت أمور المدينة بيد حاكم من بلاد الاغريق ، أرسلمه ليدير شعونها ويتولى الأمر فيها ، ومنذ أن أصبحت الملاد كلها تابعة لامبراطور القسطنطينية ، وكان هذا الوالى شيخا طاعنا في السن ،

verted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

واهن العوى ، ليس له من صلبه ولد ولا بنت ، ولما كان الترك قد وصلوا الى هماك فبل انتهاء فترة حكومه فقد اضطرنهم الضروره لابقائه حيث هو ، فظلت له الحكومة في البلد ، وربما كان ذلك راجعا اما لعجزه عن الرجوع الى بلده ، أو لأن الناس لم يرغموه على التخلى عن السلطة ، ومن ثم كان بلام نفع ولا جدوى ، عاجزا عن حمايه رعيه من الضرر ينزل بهم ، أو دفع الشر عنهم أو تخفيف ما يلقونه من الصيق ،

ولقد وفد على بلدوين - كما قلنا - مبعوثون من قبل المواطسي وبرضاء هذا الحاكم يلمسون منه القدوم عليهم وتخفيف مصائبهم

فلما استمع بلدوين الى النماس العامة والحاصة ، أجمع عرمه على استجابة رجائهم بعد أن شاور أصدفاءه في هذا الأمر ، فأعد العدة اذ داك للسير اليهم ، وخرج غير مستصحب معه سوى سامين فارسا ، عبر بهم نهر الفرات ، ومخلها بعية أنباعه وراءه للقيام يحراسة القلاع والمدن الواقعة على ذلك الجاب من المهر ، وللمحافطه على الاملاك التي منحها الرب له ، فلما علم الاتراك الذين يعيســود على الحانب البعيد من النهر بخبر سيره اليهم نصبوا له الكمائن مي طريقه الدى كانت به احدى المدن الحصينه وعليها وال أرمى ، فانحاز اليها بلدوين تجنبا للكمائن التي رصدوها له في الطريف ملها بلغها استقبله حاكمها استفبالا كريما وأحسن استصافته ، فأقام بها يومين لم يجرؤ خلالهما على السير فدما ، مما سرب الملل الى نفوس النرك الذين كانوا قد اعدوا له كمبنا ، وضاقوا ذراعا من طول انتطارهم اياه ، فرفعوا بمارقهم وظهروا فجأة في حشد كييف دوى أمام الناحية التي هو فيها وراحوا يسوقون أمامهم قطعان الماشيه من المراعى المجاورة ، ولما لم يكن المسيحيون مكافئين لخصــومهم مي البأس ولا في العدد فانهم لم يخاطروا بالخروج اليهم بل أقاموا مي القلعة حيث هم ، حتى اذا كان اليوم النالث رحل الأبراك •

verted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version

حين ذاك بابع سيره المتفطع الى مدينة الرها حيب استقبله حاكمها بالبعطيم عند وصوله اليها ، وساركه البرحيب به جميع من فيها ، كما حف لاستقباله رجال الدين والناس عامة وقد ساروا أمامه مسدين الاهازيج والبراسل الديبية على وقع الدفوف ودق الطول .

### - ٣ -

على أن الحاكم الذي كان السبب في استدعاء بلدوين ، سرعان ما سعر بعصه الغيرة بنهس فلبه منه ، فراح يستعرض فيما بيله وبين نفسه ، ما أظهره الناس من الحفاوة والبرحيب بهدا القائد عند وصوله ، وتمنى لو نقض ما أبرمه معه من اتفاق كان يتضمى حين وجه الدعوة اليه \_ أن يناصفه طول حياته كل ما تملكه المدينة من البضائع والضرائب وجميع دخلها من الأتاوات ، ثم يؤول كل من ، بعد دلك الى بلدوين .

أما الآن فقد رعب الحاكم في نقديم عرض مخالف لهذا العرص يبلحص في ان يبذل بلدوين المساعدة للمدينة ولأهلها ضد استبداد الترك ، وأن يدفع عنها شرهم ، على أن يعوضه الحاكم ذاته مقابل دلك تعويضا ماليا سنويا مجزيا مسرفا ، حسبما يسراى له كرحل عادل ، لكن بلدوين رفض هذا العرض وازدراه لأنه عرض ينزله منرله الجندى المرنو ، الذي ينناول أحرا لقاء خدمانه ، لدلك أخذ يعد العدة للعودة من حس جاء ، فلما عرف الأهالي بعزمه على الرحيل ، بادورا بالذهاب الى الحاكم وأصروا على الا يأذن بأى حال من الأحوال برحيل زعم جلبل القدر كهذا الزعم عنهم ، فهو رجل لاغناء لهم عنه لنحقيق حرينهم ، وطالبوه أن يضم بلدوين اليه وفقا لسروط عنه لنحقيق حرينهم ، وطالبوه أن يضم بلدوين اليه وفقا لسروط

verted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الانعاق ، حتى ينعم هـو والمدينة كلها بالسلام الدى هو عايه ما ينسدون -

واراء هده المطالب المجمع عليها من عامه الناس وخاصيم . وازاء المحبه العميمة التي يبها بلدوين في تقوسهم شعر الحاكم بمدى الحطر الذي يبهدده ان لم يستجب لرجائهم هذا ، ومن بم رصخ لهم على مضض وأجابهم الى كل ما طلبوه منه ، وكان دلك على كره منه ، وزاد على دلك فعمد الى تحسين مسلكه السابي بأن ببني بلدوين في حصرة أهل البلد ، واعلن في احتفال مهيب يبلاءم مع جلال الحدب بأنه يأدن له أن يناصفه كل شيء في حيانه قان ماب كان هو الحاكم من بعده ، فعربدت الفرحة في قلوب الناس أجمعين لانهم كانوا رون أن بلدوين هو معقد آمالهم في النجاة ، وأخذوا منذ هذه اللحظة في الاقدام على كل عمل يبطلب الجرأة ، واطمئنانا منهم الى حمايه سيدم الجديد لهم ، ولما راحوا يسترجعون ما نالهم من وصب على بد حاكمهم فقد شرعوا يخططون للانتقام منه ، متى يسمح الزمان والمكان بذلك، وهذا مما انضح من مجرى الاحداب .

#### - 2 -

وكانت تقع على مقربة من الرها مدينة سميساط الموغلة في القدم والنسهيرة باستحكاماتها الحصينة ، يحكمها تركى كافر اسمه بلدوك ، وهو محارب مقدام ، ولكنه محادع لئيم ، وقد أترل كثيرا من المصائب بأهل الرها ، فضاعف عليهم الخراح والصرائب التي فرضها على مزارعهم ، وأثقل كاهلهم بما كلفهم به من الأعمال . وجرت عادته على أخذ أطفالهم رهائن لديه ، ضمانا للوفاء بهذه

nverted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version

الامور ، وكان هؤلاء الرهائن يرعمون بحب ظروف بالعه المسوه على العمل في حدمه كرفيق يحملون الطين والآجر ، ومن بم فقد ركح كافة السكان عبد قدمي بلولدين بعيون باكية يستعطفونه أن يعمل على حماينهم من ظلم الطاغيه ، وأن يعيد اليهم أبناءهم الدين في جيسه فأصعى بلدوين باهنمام الى أول رجاء لسعبه ، أملا منه في اكسناب ودهم ، قدعاهم جميعا اليه ، ورودهم بالسلاح ، وخرج بطائعه منهم راحفا على سميساط ،

وظل بلدوين بضعه أيام يراوح المدينة ويعاديها بالهجمسات المساليه ، لكنه صادف معاومه شرسة من جانب من فيها من النزل ، نقه منهم في استحكاماتها العويه ، وسرعان ما ادرك بلدوين أنه عير مدرك منها أربه ولا بالغ منها غاية ، فانقلب راجعا الى الرها ، باركا وراءه على مقربة من سميساط وفي مكان حصين ملائم \_ جماعه من العرسان ، أمرهم بمداومة الاغارة عليها ، وألا يذيعوا أهلها طعم الراحسة .

سرعان ما تبي لمواطبي الرها ما عليه بلدوين من المشاط .
وما يلفاه من النجاح في كل ما ينهض به وأدركوا ظلم الاجراء الدي
حاف بمحرر المدينه وبمرسى دعائم السلام بها ، حين ساووه برجل
لا انتفاع ممه أبدا للمدينة ، وأيعنوا أن بلدوين هدا فمين بأن يملك
كل شيء ، وان ينخلص مما لا ينفق وهواه ، ومن ثم استدعوا واحدا
من أشرافهم يدعى فسطنطين ، وكان واسع النفوذ وصاحب عدة فلاع
شديدة المنعة ، وافعة على جبل قريب منهم وافترحوا باجماع ممهم
أن يفنكوا بحاكمهم ، ويحلوا بلدوين مكانه ، ليكون وحده صاحب
الأمر والنهى ، وقد دعاهم الى دلك ما كانوا يضمرونه لحاكمهم من
كراهية هو أهل لها ، فقد قيال وثمين ، وظلمهم ظلما فاحسا ، وكان

verted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ادا ما حاول أحد مقاومه آثار عداوه الترك صدهم بما يصلهم ك من الرشاوى ، حتى يصبح الرجل التعيس منهم لا يحاف فحسب فطع كرومه وافساد حقوله ومزروعاته وسلب قطعاته واعتامه ، بل الديانة دانها تصبح في حطر .

#### -0-

ادرك مواطبو الرها الدين كانب فعال حاكمهم السريره مائله على الدوام في ادهائهم أن قد واسهم الفرصة لبيل حريبهم المنسوده مند رمن طويل على يد هذا الصيف ، ومن بم قائهم \_ وفقا للحظظ النبي بم اتفاقهم عليها \_ اسرعوا لحمل السلاح وهاجموا البرج الدي الحده حاكمهم مستقرا له هجوما عنيقا محاولين هدمه بعزم لا يستى ، فاستد حوف الوالى على حيانه بسبب عصب الأهالي وسحطهم الذي عو أهل له والذي له ما يبرره ، فاستدعى اليه بلدوين ، وبر امامه كل الأموال ، ونوسل اليه أن يكون واسطه له عند الناس .

وعلى الرعم من أن بلدوين سعى سعيا صادفا الى حمايه الحاكم ، وصرف كل أدى ينرل به على أيدى المواطسين ، ورعم أنه بدل فصارى حبده لمنبهم عما اعترموه الا أنه سرعان ما نبين له فسل محاولاته ودهابها أدراج الرياح ، لأن عضبهم على واليهم كان يرداد عنفا وحده سيتا بعد سيء ، وحييداك انكفأ بلدوين الى الحاكم ، ومحضه المصيحه أن يبخذ من الاجراءات ما شاء لتأمين حياته وسلامها ، فلما أعيب المحاكم كل السبل في التماس علاج للأمر تعلق بحبل دلاه من احدى النوافذ ببد أنه هلك قبل أن يبلع الأرض ، اذ تاوشه آلف سهم من سهام القوم الذين سحبوه الى القصر جثمانا هامدا وقطعوا رأسه، لكي ذلك كله لم يسف لهم غليلا •

فلما كان اليوم الى الى نصبوا بلدوين حاكمسا عليهم رعم اعتراضاته ، وقطعوا له يمين الولاء تم طلعوا به في موكب بهي مهنب الى فلعة المدينه ، وأعطوه كل ما اكسره واليهم السابق طوال سسبن عدة من الأموال والروات الكبيره ، ومن ثم عاد الهدوء يرفرف على المدينة .

ولما راى « بلدوك » الدى كان كما فلما حاكم سميساط منجاح بلدوين نجاحا لا جدال فيه ، وأنه محصع كل الاقاليم ، فلم عرض عليه أن يبيعه مدينته بعشره آلاف قطعة دهببة ، واد كان بلدوين يدرك أن آحذ سميساط بالقوة ليس بالأمر اليسير عصل محصيناتها ، فقد دفع بعد مداولان طويله ما المبلغ الصخم الذي طله صاحبها ، وتسلم البلدة ، واسترد رهائن الرها ، مما زاد في عيده في العيون زيادة كبيرة .

ولما قدر له انجاز هذه المأثره مند اللحظة الأولى من حكمه . فقد اكسب حب أهالى الرها العطيم ، الذين اعنبروه مند هذه اللحطه واليا عليهم وأبا لهم أبضا ، وكانوا على أنم أهبة لبذل أرواحهم دناعا عن كل ما فيه صالحه ومجده •

## - 7 -

كان يوجد فى نفس الولاية قرب الرها مدينة يمال لها «سروح» كانت هى الأخرى عاضة بمن ليسوا على الملة ، وعليها نائب تركى اسمه « بلاس » قد دأب على مضايقة الرها ، ومستها منه البلايسا الضارة ، مما جعل بلدوين يستجيب لتوسلات الأهالى اليه ، فحمم جيسًا لغزو سروج ، حتى اذا وافى السنوم الموعود زحف عليهسا وحاصرها نزولا على رعبة سعنه ، وضرب أولا معسكره حولها ووضع

verted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version

آلابه على اكمل صوره واحسس هنئه . سرغ في مهاجمها في عنف ب الحوف في بعوس أهلها حين رأوا عرمه المطبق على يحقيق هدفه ، في الوقب الذي كادوا يسكون فيه في مبلغ قوبهم الدانية فأبلوا أن يسلموه المدينة ان صمن لهم حيابهم وسلاميهم ، فلما وافق على عده السروط أسلموه المكان فأقام من رجالة جماعة رابطت بالمدينة لحمايتها، وجعل القماده فيهم لواحد من الدين ساركوا في المقاوصات ، وفرص على أهل سروج جرية سنوية ، ثم رجع الى الرها منوحا بالفخر ولقد أدى احدلال الصلبيين لسروح الى حرية الانصال بين أنطاكت والرها ، اد كان وقوعها في منتصف الطربق بين الرها والقدران يعتبر عقبة كأداء أمام الذين يودون الغدو والرواح بينها .

والآن وقد قدمنا هذه البنايات عن عمل بلدوين فينا بنا تعود الى قصة الجيش [ الصلبيي ] الأصلى •

#### - V -

بيسما كان بلدوين مسعلا اسعالا كبيرا في اقلبم الرها فبما وراء الفرات ، كان الجيس الرئيسي قد وصل الى مرعس ، بعد أن اجتار \_ كما قلما \_ جبالا شديدة الانحدار ، وأودية منعرجه ، وكان سكان هذه المدينة \_ الا القليل منهم \_ بصارى ، وكانت قلمها في يد الترك الذين يحكمون كنفما شاءوا في الأهالى ، ولم يكد الترك يعلمون أن جبسنا آخذ في الافنراب منهم حتى فروا خفة وفي ذعر شديد ، تاركين البلد كله في قبضة المؤمنين .

ولما بلع الجيس الخارج في سبيل الرب هدا المكان ، عسكر آمام أسوار المدينة في المراعى الخضراء ، وصدرت الأوامر الى المعسكر

verted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ان يسجبوا العنف مع اهل البلد ، كما انعقد في هذا المكان سوق حافله ، م جاء الى الصلبين رهط من نقاب أهل البلد ، يجبرونهم أن في يد البرك مدينه أخرى في ذلك الاقليم بنيمي «أرباح» ، وبعع في اقتيم اكبر حصبا ويقبض بالنعم الوقيره ، فانقق الرأى على ان يحرح في الحال روبرت كونت فلاندرز اليها على رأس ألف فارس عليم رزد الحديد ، وصحبهم جماعة من الاشراف ، منهم روبرت دي روزيير ، وجوسيلون س كونون كونت مونياح ، وما كادوا يبلغون بلك الناحبة حتى سرع روبرت في اعداد برنيات الحصار ، فعادر للل الماحبة حتى سرع روبرت في اعداد برنيات الحصار ، فعادر البرك المدينة وارتدوا إلى الفلعة للقنهم في منعتها ،

وما كاد الأرمى وعيرهم من المؤمنين الصادفين المارلين أرساح يعلمون أن هؤلاء المحاربين \_ بأسلحبهم البرافة \_ فد جاءوا من الجبس الدى طال انتظارهم اياه وسنوفوا الية ، حتى انتعس الامل بالحركة في صدورهم فهبوا الى أسلحبهم وانقلبوا على البرك الدين احتلوهم رمنا طويلا فرصوا عليهم حلالة حكمهم القاسى ، وأعملوا فيهم العبل دون براح ، فادفين برؤوسهم فيما وراء الأسوار ، كما فيجم اللابواب على مصاريعها ، ودعوا في احلاص دبني القوم الوافقين خارجها الى الدحول ، وسألوهم أن يصربوا مختمانهم بها ، أصف الى دلك أنهم أوقوا بسروط الصنافة ، فوقروا لهؤلاء المحاربين وجنادهم على السواء ما يحتاجونه .

#### \*\*\*

وتعرف ارباح أيصا باسم « سالسيس » وهي مثل مرعش التي أشرنا النها من قبل في انها تمثل احدى المدن الاستقفة التابعة لكرسي بطركية أنطاكية التي تبعد عنها خمسة عسر ميلا .

ولقد انتشر نبأ هذا الحادث في كل مكان فحرك ساكن أهل أنطاكية الذين تدافعوا متحمسين لنسليح أنفسهم ، واستعدوا للهنك

verted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version

بالعراة الدين جعلوا من أنفسهم سادة لارناح بدبحهم مواطبيها ، واد داك تم انبقاء عسره آلاف من تجمعوا في انظاكية للدفاع عنها ، وجهوهم سراعا الى مدينة أرناح ، فلما صاروا على مفرية منها أرسلوا أمامهم ربيئة منهم قوامها ثلاثون فارسا من حملة الأسلحة الخفيفة وراكبي جياد الحرب الخفيفة ، أما بقية الفوة فقد كمن في ناحية من الغابة ،

وأما الطليعة الى كانت تقوم بحراسة من فى الكمين ، فعد طلب على طهور جيادها ، روح و بغدو أمام المدينه حبى ليحسبها الرائى أنها خرجت فى طلب بعض الأسلاب والعسائم ، فيغسر اد داك المستحبون ، ويدفعهم الطيس الى مهاجمها دون بصر .

ولعد أدت سلاطة هده الطليعة في عدوها ورواحها الى أن فقد المؤمنون الذين كانوا داحل الأسبوار صبرهم ، فهبوا سراعا الى سلاحهم ، وانطلقوا في أنر العدو دون أن يأخذوا حدرهم ، وأوعلوا فطلعت عليهم الكمائن التي وضعها الأعداء لهم ، وخرجوا من مخابئهم في الحال ، وونبوا عليهم وفاموا بمحاولات يائسة لقطع طريق العوده على الصليبيين الذين لو فدر لهم النجاح في الوصول الى المديسة لوجدوا فيها ملجأ يفيهم من القوات الكنيرة التي كانت فادمة في اعقابهم ، الا أن رجالنا استطاعوا بقصل من الله أن يقسدوا عليهم حملهم ، مما مكنهم من الارنداد بمن معهم سالمين .

حينذاك ادرك العدو أن الاسنيلاء على المديمه ليس بالامر الهين، ومن ثم شرع فى حصارها ، وظل يواليها بالرمى على مدى يوم كامل دون أن ينال منها شيئا ، بينما قام المسيحيون الذين بداحلها فى الدفاع المجيد عنها ، ولما جاءب الأخبار باصراب حسسنا الرئيسى أدرك العدو ما وراء اسمراره فى البقاء من خطر عليه وأصاخ للنصيحة المجلى ، وعاد الى أنطاكية تاركا طائفة من الجند لحراسة الجسر

الموضل بين المدينس ، وهكدا صنال الكونب وأصحابه بناسيم المدينه المن وهبها الرب لهم ، وحافظوا عليها الى حين وصول الحسر الرئيسي •

وفى خلال هذا الوقت مرض و جوسلون » الشباب الموهوب بن كونون كونب موساج الذى تكلمت عنه آنفا مرضا عصالا و أودى بحياته ، فدفن فى ذلك المكان بكل ما يلبق به من مظاهر الاحبرام و

#### - A -

ما كاد البوك القادمون من أبطاكيه يعادرون أرباح عبد اسلاح المهار ، حتى جاء الحبر بأن الجيس الصليبي قد أصبح على مسارف المديمة ، وأنه فد نصب مخيمه على مفسربة منها ، وانصباع رعماء الجيش للمصح فارسلوا حمسة عشر ألف فارس مدججين بالسلاح لمساعدة من في د أرباح » من اخوابهم الذين جاءت الأنباء بما يعانونه من أهوال الحصار المفروضة عليهم ، وكانت الأوامر سلخص في أنه اذا وقع الحصار وأصبح الوصول الى المدينه أمرا ميسورا ، عساد كونت فلاندرز وبفية الكبار الذين بصحبته الى الجيس ، بعد أن يكلوا حراسة المكان الى حامية كافية ، كما صدرت مل هذه التعليمات الى مانكريد الدى كان فد رجع لتوه من قمليميا ، بعد ان صار الاعليم كله ملك يمسه فعادوا ، وعاد جميع القادة الأخرين الدين كانوا قد حرجوا الى نواح مختلفة حسيما أملت عليهم مصالحهم ، ولم يكن ينقصهم سوى بلدوين الذي كان سلطانه فيما حول الرها يزداد بمشيئة الرب قوة بوما بعد يوم، وهكذا لجمعت فرق الجيش المحلفة. وساسكت قواته مرة أخرى ، وإذ ذاك نودى في الجميع الا ينفصـــل أحد ما عن الجيش الرئيسي الا بأمر يصدر البه ٠

حيداك تقصوا حيامهم ، وأحدوا في الزحف على أبطاكيه من أقصر الطرق الموصلة اليها ، واعترصهم في منتصف طريقهم نهشر أقيم عليه جسر عرف بأنه منيع التحصين ، فرغب القوم في اذالة كل عقبة في هذه الناحية يمكن أن تعرقل الجيش ، فقدموا أمامهم روبرت كونت نورماندي على رأس رجاله ، وكلفوه بكشف الطريق ، فان توقع أيه صعوبة أفضى بها إلى الكنيبة التي حلقه ، وسرح لقادتها فان توقع أيه صعوبة أفضى بها إلى الكنيبة التي حلقة ، وسرح لقادتها

الأمر تفصيلا ، وكان على رأس هـــذه الكيبة الوجيهان افواد دى بويسيه وروجر دى بارنفيل البارعان في استعمال الســلاح ، وقد

سرا أعلامهما •

ولما انفصل الكونت وأتباعه من الجيس الأصلي تقدموه حسى بلغوا الجسر المشار اليه وكان بناء حجريا شديد الضخامة ، يقوم على كل من طرفيه برح منين الحصانة من نفس الححر الصلد ، وكان مى كل برج مائة من المحاربين الأقوياء الشجعان البارعين مي الرمي بالنشاب وحسن اسمعمال الأفواس ، قد وكل اليهم حماية البرجين ومنع أى أحد من الاقتراب منهما عن طريق مخاضات المهر ، كما وصل من أنطاكية سيعمائة فارس رابطوا على الشاطيء البعيد ، وسيطروا على المخاضات ليحولوا ـ تحت أى ظـرف من الظروف ـ بين رجالنا وبين عبور هدا النهر المسمى بمهر العاص ، ويطلق علمه الماس اسم النهير « الفاصي » وهو ينطلق من هذا الحسر وبسرل الى البحر مرورا بأنطاكبــــة ، ويظن المعض أنه هو نهـــر دمشق المعروف باسم « فرقر » ، ولكن تأكد لدينا بما لا يخمل النقض خطئ أصحاب هذا القول ، ذلك أن نهرى قرقر والبانة ينبعان من حمال أمنان ، وبعد أن يشقا الاقليم الذي به مدينه دمشق ويجاوزانها \_ ينطلقان بسرعة ناحية الشرق ، حنى للخيل للمرء أنهما ضاعا في الصحراء •

أما بهر العاصى فعلى العكس من هذين البهرين يببع من افليم

overted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

هليوبوليس ، المسمى أيصا ببعلبك ، ويجماز سيزر وأنطاكية حيب يصب في البحر الأبيض المتوسط ·

#### \*\*\*

ولما بلع كونت برميدى بعواته هذا الجسر بكانف على الحيلوله بينه وبين عبوره حراس برجى الجسر ، والمدافعون الدين وقفوا على الساطىء الآخر من البهر ، وترتب على دلك فنال شديد الصراوه في هذه الناحية بين الفريقين ، يريد من عنفه أن رجالنا كانوا مستمينين في شق طريق لهم بالقوة وسط وابل هنان من السهام أمطرهم بها العسدو الذي واح يبسذل أقصى طاقته لمنعهم من الوصول ، ودفعهم بعيدا عن المحاضات •

فى هده الأثناء التى كان كل من الجانبين فيها يجهد نفسه عاية الاجهاد من أجل عاينه كان الجيش الرئيسى يدبو شيئا فشيئا ، ذلك لأنه لما شاع أن الكونت وحرس المقدمة فد ردوا على اعمابهم من جزاء القتال عند الجسر ، بادر العسكر [ الصليبي ] الى الاسراع لمساعدة اخوابهم المحاربين ، فلما رأوا اربداد العدو راودهم الأمسل فى فتح الطريق ، عسى أن ينمكن الجيس من العبور من عير بأخير .

ولما نكامل وصول جميع الكمائب دوس الطبول ، وبودى بحمل السلاح ، فاسنجاب الجند للنداء بكل ما بهم من نأس ، وسيطروا على الجسر بالقوة ، وأرعموا العدو على الفراد ، أما الصليبيون الذين لم سعفهم الطروف بوجود موصع لهم على الجسر يحاربون منه ، فقد أنفوا أن يظلوا في أماكنهم بلا فنال ولكنهم مصوا فاكسفوا المخاضة ، وعبروا الى الجانب الآحر ، ونجحوا في رحزحة الأعداء من أماكنهم مما حعلهم لا يصادفون بعدد ذلك أيد معاومه في احتلال الضعة الاخرى من المهر ، واد يم عبور كل الجيس

verted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بعربانه الحرببه ومركبانه وما معهم من سنى صنوف المناع . نصبوا معسكرهم في مراع فسيحه حصراء على بعد حمسه أو سنه أميال من المدينة ، حتى ادا كان اليوم النالى بابعوا رحقهم في الطريق الرئيسي الكبير الواقع بين النهر والجبال ، فلما صاروا على بعد منل واحد من اسوار المدينة نصبوا خيامهم .

# - 4 -

وأنطاكيه مدينه عظيمة مجيدة ، ننبوأ المرنبة النالبه الله ىكن الىانيه بعد رومه داىها ( فيم احتلاف كبير بجاه هذه المسأله ) ، وهى نقف على رأس الجميع ، ولها الصداره على كل منطفة النبرق وكانب تدعى في الأرمة العديمة «ريبلاما» وهما كان فد جيء بصدفيا ملك يهوذا مع أبمائه في حضرة نابخدا نصر ملك بابل الدى أمر بقتل الاباء أمام اببهم ، يم سملت عينا الأب دانه بعدئد ، ولما مان الاسكندر المقدوبي حلفه في حكم جرء من هذا الاقليم « الليوكس » فاحاط المدينة بأبراج على سور سديد الارتفاع ، حتى صارت المدينة بعضل « اننيوكس » في حال أحسن مما كانت عليه من قبل ، وأمــر أن سمى بأنطاكية اشتقاقا من اسمه ، وانخدها عاصمــة لملكمه ، وقرر أن تكون المقر الملكي له ولحلفائه على مدى العصور ، وكان في هذه المدينه أبرشية كهنونية لكبير الحواريين الدى كان أول من تبوأ وظيفة الأسقف هناك ، لأن الموقر بوفيليوس أحد مواطبي أبطاكية وذوى النفود القوى - كان قد أقام كنبسه في ببه ، وهو الذي كنب له لوما النجيله وأعمال الرسل ، وكان هو الآحر من أهل أبطاكية كما أنه خلف بطرس الطوباني في نفس الكنبسه ، وكان بربيه السابع في ثبت من بولوا أسقفيتها •

nverted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقد عقد في هذه المدينة أول مجمع للمؤمين الذين اصطلح على سبمينهم بالمسيحين ، اشتقاقا من كلمة المسيح ، ولقد رحبت هذه المدينة عن طواعية وسوق بتعاليم هذا الحوازي واهندت كلها مره واحده الى العقيدة المسيحية ، وكانت هي أول مدينة راحت بيسر بالاسم الذي كان كالعظر الطيب قاح سداه فعظر جميع الأرحاء ، ما قرب منها وما بعد ، ومن ثم اختير لها استم جديد فسمبت و بويبوليس ، وهكذا قان المدينة الذي كان يطلق عليها من قبل اسم رجل سرير كافر عادت قميحها السيد منحة طيبة هي أهل لها ، وأصبحت تعرف بأنها مدينة وموطن الذي دعاها للايمان ، لانه كان لهذه المدينة في أيام خطبتها السالقة السيطرة على كنير من الإقالم الخاصعة لها ، حتى اذا نقدم الرمن عاشت حياة ظاهرة برة ، منعة طريق المستح ، واستبقت نفس الأساقفة ،

ويعال اله كان لحب امره بطرك هذه المدينة ـ الحبيبة الى الله ـ عسرول ولاية ، كان لاربع عسرة منها أساففنها وكهننها ، أما السلا الباقبات فلها أساففنها المعروفون بالجاليق ، وكان اجدهم يحلص بأنى ، والآحر بهيريبوبوليس أو بغداد ولكل منهم فساوسية ، وللدرح كل هذه الولايات لحب اسم واحد هو المسرق الذي ورد في نفرير مجمع الفسطنطينية حبب نقرأ فنه « فليكن لأساففة المسرق اداره المسرق وحده ، وليكن شرف النقدمة لكنيسة أنطاكية حسيما هو وارد في قوانين مجمع ليقية المقدس » •

ممار مدينة الطاكية بموقعها الرائع في ولايه كوليسيريا اللي هي جرء من سوريه الكبرى ، وهي لمند عبر واد فريد في بيانه وحصب بربله ومرارعه اللي سلمي كلها في الواقع بالرواقد والقنوات المائية ، ويقع هذا الوادي وسط جبال تتحدر ناحيه المعرب كما يمند قرابه أربعين ميلا طولا ، وأما عرصه فيتراوح بين أربعه وسلم المال حسب الناحبه التي هو بها ، وتوجد في القسم العلوى منه بحسيره بكون من بدق المياه من الينابيع المجاورة التي تتجمع كلها هنا . كما يوجد على مسيرة مثل منها النهر الذي يجرى عبر الوادي م

وينبس كذلك من البحيره جدول صغير يصب في نفس البير عي انحداره قرب المدينة ، وعلى الرعم من شده ارتفاع الجبال التي كليف المدينة من جانبيها ، الا أنه يحرج منها مجرى ماء عدب يسير منعرجا ، كما أن جوانبها المتحدره حتى القمه صالحه تماما للزراعة ، ويعرف الجبل الواقع في الحنوب باسم العاصى (اوريس) كاسم النهر الذي يشق المدينة ، ويقول جيرهم ان أنظاكبة تقع بين العاصى وبين الجبل الذي يحمل نفس الاسم ويتحدر من هذا الجبل الذي يسير على طول البحر تم يرتفع ارتفاعا ساهفا ويتقرد بسمية ناصة به ذات دلالة معينه ، اذ يعرف عاده بجبل «بارليبه» ، ويظن بعص النقاب أنه هو جبل «برناسس» المكرس لباخوس وأبولو، وببدو بعض الفات أنه هو جبل «برناسس» المكرس لباخوس وأبولو، وببدو أن هذه الفكرة فائمة على وجود النبع المعروف بنبع «دافتى» القريب منه ، ويرى البعض أنه هو النبع القسمالي المذكور في الأسماطير الورود في كتابات الفلاسفة ، ويقال انه يتبع من الناحة التي تعرف بمدرجات بوهبموند قرب المدينة الموجودة في سفح جبل العاصى ،

verted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version

غير أن هده الفكرة بعيدة جدا عن الواقع ، اذ المؤكد أن جبل برياسس يقع في اقليم بويسيا الدى هو جزء من « ساليا » وقد وصفه «أوفيد» في القسم الأو لمن كتابه « مسامورفبورس » فقال بأن أرض قوكيس نفصل الحقول البوييسة عن حقول أبيكا ، وهي اقلم خصب عندما نجف الأرض ، ولكن حدت أ نندفقت المباه فجأة بغزارة في ذلك الوق البعيد ، كما يوجد هناك جبل يرتفع الى عنان السماء العالبة المعروفة باسم بارناسيس والتي تسدو شيامخة كأنسا تخترق السحاب .

ويسمى سولسوس فى العصل الحادى والأربعين من كسابه «بولى هسبور» الناريخ العام هذا الجبل بجبل كاسيوس حين بعول « وعلى معربه من أنطاكية وفى ملاصقة سلوقيا ، يوجد جبل كاسيوس الدى يمكن أن يرى المرء من قسمنه قرص الشمس حتى الساعة الرابعة من الليل ، فاذا استندار المرء قليلا \_ حين يبدد الصوء الظلام \_ أمكيه أن برى على هذا الجبل الليل ويرى من الجانب الآخر النهار » .

#### \*\*\*

وحسى لا يقع القارى، في حيرة من كلمة سلوفيا الغامضة فيجب احباره انه توجد مدينان بهذا الاسم أولاهما هي عاصمه ايسوريا ، وبعد عن أنطاكنة مسيره تزيد على خمسة أميال ·

أما الأخرى ومجاورة لها ، ولا تبعد احداهما عن الأخرى آكر من عسرة أميال ، وهي تقع قرب منبع بهر العاصى ، وتسمى همنه المديمة الآن بميماء القديس سمعان ، أما النبع المذكور آنفا فيعرف بمع « دافن » أو النبع القسمالى ، ويقال انه كان فى هذا المكان قديما معبد لابولو كان أقوام فى عقيدتهم الخرافبة يقصدونه لسؤاله فما استغلق علبهم ادراكه ، وحدث أن استقر هما ورب

iverted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version

أنطاكية \_ فنرة من الوقت \_ المارق جوليسان بعد انقصاله من المسيح وردنه عن تعاليم الدين الحق ، وكان في أثناء اعداده الحملة على الفرس يكبر من النرداد على معبد ابولو ، يستسيره قبما هسو قادم عليه ، ويسير تبودوريس الى هذه الحقيقة في القصل الحادي والثلاثين من كتابه « التاريخ التلائي » بقوله :

« لما راح جولیاں یلتمس جوابا من الهیکل البیسی فی دافسی حول مدی النجاح المحسمل لحربه ضد الفرس ادا بالکاهن یهره لأن جسمان السهبد بابیلاس کان مدفونا علی مقربة من هناك واد داك آمر حولبان بعله » •

و رد الاشارة الى بعس الحادث - ولكن فى بعصيل أكبر - فى الكتاب العاشر من الباريخ الدينى حيب جاء فيه ان جولبان قدم دليلا آخر على حماقته ورعونه ، حين راح يسبرضى أبولو فى غابه دافسي القريبه من البيع الفستالى بضاحية من ضواحى أبطاكيه ، فلم يستطع الحصول على رد على سؤاله فتساءل ما الدى يعيه هذا الصمت، فأجابه كهنة الشيطان ان قبر الشهيد بابيلاس قريب من هناك . ومن بم فانه لا يمكن الاجابه على سؤاله .

#### \*\*\*

وعلى الرعم من أن هذا النبع معروف بالنبع الفستالى ، الا اله يجب الا يحتلط فى الأذهان بالنبع الفسنالى الآخر الذى يسمى أيضل بنبع بيجاسوس ، أو رافد هنبوكرين وأجانيب ، اذ ان هذا الآخر موجود فى ببوتنا بناء على ما يعوله سولىنوس الذى يكبب فنغول .

« ویوجد قرب طببة جبلهلیکون وغابه کسرون و بهر اسمساس، کنا یوجد هنا أیضا یابیم اریبوسا وهیبودیا وسالماس ودیرسی، وان کان أهمها حمیعا ینبوع أجانب وهیبوکرین » •

verted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version

ولما كان ديبوس مسدع الحروف هو أول من عبر على هده البنابيع أنباء بجواله في المنطقه بحما عن موضع يستقر فيه فان حمال السعراء الفوى أدى الى طهور اسطورين بقول احداهما ان البيع بدفق من حقر حصابه ، وأن السرب منه كان ملهمه للفنون » .

#### \*\*\*

ويوجه فى الشمال من أنطاكيه هصبه نعرف عاده باسم « الجبل الأسود » نكس بها الينابيع وسنقى من الرواقد ، وكانت مانره على سكان المنطقة جمة ، منمنله فى العابات والمراعى ، ويقال ان هده الناحية كانت نزحر فى قديم الرمن بكير من الاديره ، بل ننوفر بها فى وقينا الحاصر أماكن ظاهره كيرة ، مليئة بالمحبة وهى مساكن أولئك الدين وهبوا أنسهم لحدمة الرب .



ويجزى وسط هدا الوادى المهر الذى يصب فى البحر ، والدى دكرناه آمها ، وقد سيدت المدينة على أقرب وأعمق متحدر للجبل ناحمه الجنوب بينه وبين المهر ، كما يبدأ السور من قمة المرتفسي ويسير على طول السفح متحدرا الى المهر ، وتكنف محتطها أرض ساسعة الاتساع نمتد من جانب الجبل والسهل .

ويوجد وراء السور أيضا قمال نناطحال السحاب، وله فلمة أنطاكية على ذروة أعلى هانين القمين، وهي بناء شديد الحصانة يعدونه موضعا لا يمكن افتحامه، ويفصل هابين القميين بعضهما على بعض هوه ضيفة يتحدر عبرها تبار جارف منصب من الجبل، كما يجرى وسط المدينة هذا النهر الذي له أياد جمة على السكان، كذلك بوجد عدة يبابع أخرى بالمدينة أهمها بالباب السرفي المعروف بباب

verted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version

العديس بولس ، أما ببع دافس الدى يبعد حوالى تلانة أو اربعه أمال وعد م حفره عن طريق اقامه مجرى فوق العماطر وتعسوا فاحتالوا حسى جعلوا الماء يتدفق الى أماكن مختلفة كبيره في أوقاب معسه ٠

و يحيط بالمدينة من أعاليها ومنحدراتها وسهلها أسوار من الحجر الأصم ، السديد الضحامة ، العطبم الارتفاع ، ويطل على كل عدا كبر من الأبراح التي أعدت للدفاع أحسن اعداد ، وهي على ابعاد مساوية بعصها من بعض ، ويجرى النهر الى الغرب في الناحب السفلي التي هي أحدت جرء من المدينة ، ويقسرت مجراه كل الافترات من الاسواد ومن الجبل الذي يعبير تكملة لسور المدينة وبوابيا ويقول بعض النقات ان المدينة تمند مسافة مبلين طولا ، ويقول عدد من ثلانة ، وهي تبعد عن البحر مسافة اتنى عشر ميلا ،

### - 11 -

كان حاكم هذه المدينة الذائعة الصيب رجللا بركى الاصل يدعى ياعى سيان ، وهو من انباع عاهل عظيم سديد الباس اسمة ملكساه هو ساطان فارس الذي أسرنا البه من قبل ، وقد استطاع الأمير [ ملكساه ] بقوة السلاح أن يصم الى سلطانه جميع صدة الولايات وأن يدخلها بحب حكمة ، ثم رأى أخيرا أن يحود الى وطله بعد أن دانت له كل السعوب والعبائل ، فعاد ووزع فنوحانه بين أولاد أخنه وآنياعة ، اعتقادا منه أنهم كلما بدكروا مآثره الحمة عليهسم السند ارتباطهم به واخلاصهم له ، فكانت نيقيسة ومنا جاورها من الولايات ، من نصيب قلح ارسلان في هذا التقسيم ، كما أسرنا

آما دمسنی وما يبعها من المدن التي بدفع لها الجزيه وكذلك الافليم الذي هو حولها ، فكانت من نصيب ابن أخ آخر له اسمــه دقــاف ٠

وحلع ملكساه على هذين العاهلين مرببة السلطنة ولفيها ، ولما كانت مملكه فلح ارسملان وافعة على حدود النونان فقد كانب في نزاع دائم مع امبراطوريه القسطنطينية ·

أما دفاق \_ فكان بسبب ماملك \_ فى حروب لا يحمد أوارها مع المصريين ، والذى راح [ ملك شاه ] ينظر اليهم بعين الريبة الكسرة للزيادة المطرده فى قوتهم وبطشهم •

أما المابع الآحر من اتباع السلطان واسمه آق سنفر \_ وهو والد [ عماد الدين ] زنكى ، وجد نور الدين [ محمود ] فكانت حلب السهيرة من نصبه .

وأعدن ملكساه فيض كرمه أيضا على باغى سيان الدى سكلم الآن عنه ، فوصله بمثل ما وصل به هدين الرجلين ، اذ افطعه أنطاكيه مع افليم صعير ، وقد حمله على هدا ما كان من احتلال خليفه مصركل البلاد حتى اللادقية بالسام .

#### \*\*\*

ولما علم ياغى سيان أن جيشا كبيرا بعيادة قادة صلببيين فى طريفه اليه أنفذ كبيرا من الرسائل ـ شفاها وكبابة ـ الى جمع أمراء الشرق كله ، يطلب منهم مساعدته ، لاسبما خليفه بغداد وسلطان فارس العظيم ، وهو أفوى الحكام جمعا الذين استجابوا لطلبه فى يسر ، ولبوا نداءه على عجل ، وكان الحامل لهم على ذلك ما درامى الى أسماعهم منذ وقت بعبد من خبر نقدمنا ، وما يحمله

هذا الزحف من حطر حسبم عليهم ، ولما كان الب ارسلان يعام يحدر به وكشاهد عبان بما عليه هده الجنوس الصلبنبة من كدره العدد والبطولة التي لا تفهر ، فقد بعث الى هدين العاهلين بنقصيل دفيق عن هذه الجنوش .

وقد أبرت في هدين السلطانين المماسسانة الحارة ودموعة المسكوبة ، فاستجاباً له بارسسال التجدة الية ، وكان الساعت الأحدهما على هده التجدة رعبية في التكفير عن تقصيره ، وأما الآخر فكانت استجابية ناجمة عن رعبية في ضمان سلامة بلده من عزوات الصليبيين ، وحماية نفسة في الوقت دانة من بطشهم •

و بعهد الملكان بارسال العواب المطلوبه اليه ومده بالمساعده المنشودة ، وقد برهنت النتسجة فيما بعد على الهما صدقا فيما عاهدا ، وأوفيا بما وعدا ،

كان القلى الشديد من مجيء الصلبيين مسبدا بباغي سيان ، ومن ثم دأب على حشد العسكر من الولايات والمدن المجاورة ، واد كان يبوقع الحصار بين لحظه وأخرى فانه لم يدحر وسعا في جمع الكبير من الميرة والسلح ، وفي تسلجيع أهل المدن وحبهم على جلب كل ما يحاجه صبع الآلاب من الحديد والصلب وغير ذلك من المواد الأخرى الني لا غنى عبها في العادة في ممل هذه الطروف ، كما ان الأهالي أنفسهم كانوا منحمسين غاية الحماسه في الحفاظ على سلامة المدينة وأمنها ، وبذلوا كل ما في طاقيم لجلب كل ما يعنهم ان هم حوصروا ، فلم يدعوا ناحية من نواحي الاقليم الا جابوها ويهوا كل ما حاورهم ، وعادوا محملين بالحبوب والنبيذ والزيب وشتى مستلزمات الحياة ، وساقوا أمامهم قطعان الماسية والأعنام ،

- بىعد بطرهم ويجهودهم الكبيرة - أن يدعموا مركزهم أمام صراوه الحسن الصليبي الفادم عليهم ·

أما البلاد التي مر بها الحبنس الصلببي فقد هرب منها الى انطاكمه كبيرون من ذوى المكانه والبأس ، فرازا من وجه فواتنا دون أن يدعوهم أحد لذلك ، واتما فعلوا هذا خوفا على سلاميم ورأوا في تحصينات مدينة أنطاكية وقونها ما يستحيل معه افتحامها ، ومن تم زاد عدد سكانها زيادة عظمى بهؤلاء الواددين ، ويقال انه كان من بين الأهالي وتجمعات المرتزفة حوالي سه أو سمعة آلاف فارس ، وآكر من خمسه عشر ألف أو عشرين الغامن من المساد المدحجين بالسلاح نأهبا للحرب .

### -17-

حبى رأى رحالما أبهم فد صماروا فاب فوسس أو أدبى من انطاكمه ، احمعوا للساور فبما بسهم ، وافترح بعص الرعماء مطرا لفرب دحول الشماء من أن بؤحاوا حصار المديمة حبى مط الربع وبرروا هذا المأحيل بأنه سبكون من أصعب الأمور بجمع العسكر قبل دلك الوقب ، نظرا لتسبب الجيد في الوقب لحالى في المدن والفلاع المختلفة ، وزادوا على ذلك أنه بجب عليهم اسطار ما اعتزمه امبراطور الفسطنطبنية من ارسال فرقة كبيرة من فوائه ، كما أنه كان في الطريق اليهم كتائب جديدة قادمة من البلاد الواقعة فيما وراء الألب ، وأن الحكمة تقيضهم انتظار وصول هذه الجبوس الى سوف بؤدى الى رياده العسكر ريادة هائلة بمكبهم مد كما فالوا من بحقيق هدفهم المنشود في يسر أكثر .

أما فى العمرة الدى لا سارس فيها هذه العواب الحرب قاله بمكن تقسيمها أفسياما تدهب كل واحد منها بمقرده دون الآخر لقصاء الشياء فيما حاوره من المناطق التي هي أفل تعرضا لايحوم، حتى ادا ما واقى الربيع عاد الجيس وانصم بعصه الى بعض مرة أخرى، وتكون رحاله قد استردوا تساطيم، وتأهبوا للقيام بالأعمال التي لابد لهم من القيام بها، كما أن الحيول سيكون أوفر قوه بسبب العلف وما تعمد به من الراحة أنياء فصل السياء والسياء والتعميد به من الراحة أنياء فصل السياء والتيمية المناء والتيمية المناء والتيمية المناء والمناء والتيمين المناء والمناء والتيمين المناء والمناء وا

على أن عبرهم رأوا ان هماك ما هو أحدى من داك . ألا رهو الاحداق بالمدينة في الحال في حركه مفاحلة وعلى عبر نوفع منها . وقالوا انه اذا أنيح للأهالي فنرة من التقاط الأنهاس فسنوف ينوفر لهم وقت أطول تنصرفون فنه لدعم وسائل دفاعهم . وتحميم الكنائب الكبيرة التي استدعوها لمعونتهم .

ولعد بغلب في هذا الاجتماع الهام رأى العرب العائل بوحوب المنادرة الى حصار المدينة وأن العطر في ارحاء الفيال ، وأن العواب البي يرسيل للاستكساف لا يبيعي ان ينفصل ينشيها عن يدن ، وذكذا المام الآراء حصما على الرحم، على المدينة والداء في عدالا الحصار في النو والمحطة .

ومن م عمد فوصدوا حمادهم بوم ١٨ أكروبر ورحموا سطر مديمة أنطاكبة حتى صاروا أمامها ، وعلى الرغم مما قسل من أن القوات الصليبية الني كانت بحسن استعمال السبب كانت بباغ ثلابة آلاف سخص ليس بينهم امرأة ولا طعل ، الا أنه كان من المستحمل على الجيش أن يحبط بالمدينة احاطه كامله ، ذلك لأنه بالإضافة الى قمم الجبال التي قلنا انها نقع في منطقة الأسوار والتي لم ينذل أنة محاولة لنطويقها ، فإن هذا الجزء من المدينة مميد من

سفح الجبل الى المهر \_ وهو جرزء أكبر انبساطا \_ لم يكن فى الامكان الاحداق به بحصار مسنمر ·

ولقد صحب وصبول الجبش الصليبي والعمل في اقامه المعسكر كبير من الجلبة ، وكان تخبل للسامع أن نفخ الأبواق ، وصهبل الخيل ، فعقعة السلاح ، وهي مختلطه تصبحات الرجال ، فد بلغت عنان السماء ، ومع ذلك فقد ساد المدينة صمت مطبق خلال ذلك اليوم بطوله والأبام النالبة لوصول حبشنا ، ولم يبردد فيها صوت أو تسمع نأمة من أي نوع ، حتى لقد كان يخبل للمرء أن المدينة خلت تماما من كل مدافع عنها ، رغم أنه كان يقوم على حراستها أعداد كبيرة من الحرس ، ولدبها الكبير من الميرة والمئونة ،

### - 14-

كان في هذا القسم من أنطاكبه \_ الواقع في السهل \_ خمس بوابات ، واحدة منها في الموضع الأعلى من الناحيه الشرقية \_ وتعرف الآن ببوابة المديس بولس ، نسبة الى أنه بوجه في المنحدر الذي في أعلاها دير مكرس للحوارى المسمى بهذا الاسم ، كما يوجه أمامها مباشرة بوابة أخرى تعرف بالبوابة الغربية ويقصلها عنها منطقة تمته بطول المدينة ، وهي المعروفة الآن ببوابة المقديس جورج والتي هي على مقربة من موضع كنيسة هذا الشهيد .

أما من الجانب السمالي فكانت هناك ثلاثة أبواب بطل جمعها على النهر ، وتعرف العليا منها بباب الكلب ، ويوجد أمامها مباشرة جسر يجتاز المشي ويكمل السور ، وأما الناني فيعرف الآن بياب

الدوق ويبعدان فدر ميل عن النهر ، ويطلق على النالب اسم باب المجسر اد يوجد هنا الجسر الذي يعلو النهر ، وذلك لأن مياه النهر نلطم الأسوار ولا تريد عن المدينة فيما بين بوابة الدوق المسار اليها حالا الواقعة في المنصف ، وبين آخر بوابة في هذا الجانب .

ولما كان من المستحيل على الجبش الوصول الى هذه البوائه أو بوابه العديس جورج الا عبر النهر فلم يصرب الحصار على هدين البابين وان أحيط بالأبواب الأحر العلوية ، فقام بوهيموند ومن انضموا الى معسكره منذ البداية بمحاصرة أعلى هذه البوابات .

وكان حوله ـ وان كان اسفل منه ـ عسكر روبرت دوق نوماندى . وروبرت كونت فلاندرز ، وسنبق كونت بلوا ، وهيج العظيم ، وقد استمر هؤلاء القادة بمن معهم من جماعاتهم النورماندية والمرتجية والبريطانية في حصيار الناحية الممندة من معسكر يوهيموند الى باب الكلب الدى أحدق به ريموند كونت تولور وأسقف بوى وغيرهما من البلاء الدين ساروا تحت فياديهم مع حشد كيف من الجاسكونس والبرونسالين والبرجنديين ، وكانت حموعهم تشغل كافة المنطقة حنى البوابة النائه .

وقد أقام الدوق حودفروى معسكره في تلك الناحية الأحيرة ، وكان معه أخوه أسماس ، وبلدوين دى هيمولت وريبارد دى نول ، وكونون دى هونياج ، وكلهم من الكونيات والمحاربين ذوى الشهرة المدويه ، بالاضافه الى غيرهم من النبلاء الذين انخرطوا يحت رابة الدوق منذ البداية ، فسغلوا بهن معهم من عساكرهم اللوباريجيين والفريزيين والسوابين والسكون والفرنجة والبافاريين كل ما بقى من الناحية تقريبا حتى باب الجسر ، وقد وضعت هذه القوات على هبئة ملك ، تمد روسه بين المديسة وبين النهر الذى يغسل

أسوارها ، وبين معسكر العواد الآحد در ، وكانب به حد في هذه

أسوارها ، وبين معسكر العواد الآحسرين ، وكانب نوجد في هذه الناحبه الأخراج التى احتلا حسل علم مديا ماربس تحمله وتحمى حيوله ،

#### \*\*\*

كان أهل البلد يعطلعون من حلال الفيحات الموحودة في الأبراج والاسوار الى العسكر، فأدهشهم بربن أسلحهم الدى يخطف الأنظار وأدهلهم نشاطهم في عملهم بساطاً لا يعرف الكلل، وطريقة اسكانهم من معهم، وبربيبهم خيام المعسكر، كما اميلات بقوسهم خوفا مما ساهدوه من كبرة الجنود وقويهم، ولما راحوا بقاريون حاضرعم بماصيهم، والاخطار التي يهددهم حاليا بما كابوا ينعمون به من استنباب الأمن نملكهم الفزع على نسائهم وأولادهم وبيونهم الني درحوا فيها، وعلى حريبهم وهي أعلى ما بملكه الاسمان، ورأوا أن من اختطفهم الموت أسعد حظا منهم لأنهم لم يكابدوا الحطر اشديد الذي يكابدونه هم من وحودهم في عمرة هذه المصائب، وهكذا وأتوا الحيوس بين بوم وآخر سقوط المدينة وهلاك أهلها، وذلك لاعتقادهم الحارم أن حصارا كهذا الحصار السديد، يصحمه مثل هذه الشدي والرحم، لا يمكن أن نستفر نهايمه الاعن دمار المدينة وضباء وربهها.

### - 12 -

كانت الحاجة الى حصول من فى المعسكر على العلف لخيولهم والمبرة اللازمه لأنفسهم حاملة اياهم على الفيام بطلعات متعددة وراء النهر ، وقد ذهب بهم السير فى بعضها الى مسافات قاصبة ، وكانو!

يرجعون بعد كل خروج سالمين عامين ، بسبب اسمرار بعاء الاعالى داخل المدينه دون أن يجسروا على النجوال فيما حونها ، حسى ألف العسكر العبور عده مراك مي اليوم الواحد رعم أنه لم يكن من المستطاع الفيام بهدا العبور الا سباحه . وسرعان ما تجلب هده الحقيقة للمحصورين ، فشرعوا من جانبهم في عبور النهر من فوق المجسر ، ماره جهرا و ماره حلسه ، مما أدى الى عدر بهم في أحيان كنيرة الى صل عدد علبل من رجالنا . أو الحالهم بالجراح ، لالهم اعتادو! التجول هما وهماك دون ان يأحدوا حدرهم ، وكانوا يحرحون في أفراد فلابل بحيا عما يحياجونه ، وقد استهاد العدو فائده قصوى من أن النهر كان يعف حجر عبره كبرى في طريق عودة الصليبيين ، كما أن هده الصعوبه دائها هي الني كان يمنع أهل المعسكر من معاونة أصحابهم وهم بروبهم بفعون في يد العدو ، وأراد الفاده التغلب على هذا الموقف قرأو الخير في بناء برج من أي مادة سوقر عندهم . لأنه أن يبن مبل هذا البرج بكن مساعدتهم أكر فعالية في الفضاء على أحاببل العدو ، كما اله يساعد العسكر على النجاح فى العودة الى مجمعانهم ، دون أن يكبدوا الا خسائر طعيعة ، يضاف الى دلك أنه يفيح طريفا آمنا ملائما للمشاه ادا ما دعاهم داع الى الخروج لأمر عاحل ، لاسيما ما يتطلب منهم النرول الى الساحل •

#### \*\*\*

قان عناك عدد من المراكب راسيا في النهر وعلى سطح البديره التي قوقهم ، فربطوا هذه القوارب بعضها الى بعص ربطا محكما ، ثم يسطوا عليها ألواحا سميكة ، ومواد حشبيه أخرى نصلح لهذا المعرض ، وأحكموا شدها بعضها الى بعض احكاما كبيرا بحبال مجمولة من الصفصاف ، وبذلك وجد جصر قوى كاف نماما لأن يسم

في المره الواحده عدة أسحاص يعبرونه جنبا الى جنب ، فكان هذا البناء الخشيبي ملائما كل الملاءمة لرحالنا ، وكان منصوبا فرب معسكر الدوق في مواجهة البوابة التي خصصت له للمرافية ، وعلى مسافه نفرب من ميل من الجسر الحجرى المتصل بالمدينه ، ولا تزال عذه البوابة الذي ذكرناها حالا تسمى ببوابة الدوق لارتباطه بها . اذ كان معسكره يشغل كل الناحية الواقعه بينها وبين الجسر الحديث البناء ، ولم يكن يشاركه في هذا الموضع مشارك .

لم يكن الخطر يهدد الصليبيين من هدا الجسر وحده أو س باحمه البواية المنصلة به فحسب ، بل كانت البواية العليا التي كانت الىالية فيما وراء ذلك ، والمعروفة اليوم بباب الكلب . بعد مصدر حطر حسيم يهدد فواينا ، لأبه كان في هذا الموضع \_ كما فلما \_ جسر صخرى يمتد فوق مسننفع ويخرج من المدينة ، وقد نكون هذا المستنقع من المياه المتدفقة بلا انفطاع من المنبع الموجود عمد البوابة السروسة ، أو بوابة القديس بولس ، وكذلك من المباه الواصلة على الدوام من الروافد الأخرى ، وكسرا ما جاءب عن طريق هذا الجسر غارات جمة في منتصف اللبل ، وأخرى محائية بالبهار ، وكلها تسمنهدف معسكر كونت تولوز الموكل اليه حراسمه دنك البواية ، وكان من عادة العدو أن تقمحم البوايه ويصب وأبلا من السهام التهاوي كالمطر الدفاق ، مما يؤدي الى مصرع الكبيرين مر رحال الكونت واصابتهم بالجراح ، وكان حل اعتماد الخصم على. هذا الموع من الهجوم لأنه يمكنه خير تمكين من النجاة سالما عمر الجسر الى المدينة بعد اتمام غارته ، وقتله من قتل ، بينما لا يسنطب الصلىببون مطاردته الا من هذا الطريق ، ومن ثم فقد كانت الجياد والبغال البي فقدها كونت تولوز وأسقف بوى وغيرهما من النداء المرابطين في تلك الناحية تجاوز كسرا ما فقده عسكر القادة الآخرين. أدب الحسائر البي وقعب في صفوف المحاربين الناجمه عن هدا الوضع الى استيلاء الهم المعيم على الكونب والأسقف المعطم ، ومن ثم فف استدعيا رجالهما ، ووجهاهم للحصول على مجمات وآلات حديدية ، وتوحيد جهدهم للحطيم الجسر ، فلما كان اليوم المحدد لذلك الأمر قدم المرسان وعليهم ررديانهم ودروعهم ، وقد عطوا رؤوسهم بالمعافر ، وتجمعوا عند الجسر ، وحاولوا هدمه بكل ما في طوقهم من فدره لكن هذا البناء الأصم كان أفوى من كل حديد ، فقاومهم واستعصى علبهم ، كما راح الأهالي يعرفلون حهد العسكر اد يرمونهم بالحجارة ويمطرونهم بوابل من السهام والساب ، فلما رأى الصليبيون فشل أنفسهم في محاولتهم عده ىحلوا عمها الى أحرى مخلفة لها ، ففرروا اقامة آلة حربية في مواحهة الجسر مع وضع حراسة مسمرة من رجال مسلحين ، ليس لهم من عمل سوى صد الهجمات السي يسنها المحاصرون . وجمعوا اد داك كل ما تحتاجه هذه الحطه . كما جاءوا بالعمال ، ولم نكد تنقضي غير أبام فلائل حسى كان العمل فله أنحز بماما على أحسس ما يكون الانجار ، فقد بدل العمال حهدا شافا ، وواجهوا الأحطار في حرهم الآلة الى موصعها حنى قامت أمام الجسر كالصرح الممرد ، وعهد بها الى حماية الكونت وملاحظته .

علما رأى البلديون الآله منصوبه الى الاسوار ، لم يحجموا عن المخاطره قصوبوا آلات رميهم اليها ، وحاولوا اضعاف آلسا الني راحوا يصبون عليها وابلا غبر معطوع من فذائعهم الحجرية الضخمة ، كما شرع الذين فوق الأسوار والأبراج بعوفون بالهم وسواها من أنواع السهام ، ويرمون بها رميا شديدا يبغون بها من هم حول الآلة لردوهم عن الجسر .

وهكف السممر المدافعون, الوافقون على الأسموار في سس عارابهم من كل باحيه ، وفي صب وابل من السهام والصخور يأحد بعضهم بحخر البعص الآحر أملا منهم في رد الصاسئين الى الورا ولو فلملا ، على حس الدفع عيرهم لفتح البوابه في كرة غنيفه است ولوا فيها على الحسر عنوه ، وسنفوا طريقهم الى الآلة يقابلون من بعسر صهم . وسبوفهم مسرعه في أيدبهم ، ومزحزحين من وكلب البهم حمايتها ، بم أسعلوا البار فيها حتى أحالوها رمادا ، حينذاك أدرك رجالها أنهم لى بعدروا على النعدم أن هم انبعوا هذه الخطه في مواحيه المناعب التي نصادفهم عند الدرج ، ولذلك دما كاد اليوم النالي يطلع حسى كابوا فد اقاموا بلاب آلات ، وراحوا يصبون منها وابلا موصولا من العدائف . مؤملين من وراء ذلك أن يضعفوا على الأقل الأســوار والبوابه لسنعوا الأهالي من سن عارابهم العدوانية ، وحسى لا بجرو أحد منهم على الخروج من بلك البواية طالمًا أن الآلات مسنمره في عملها ، ولكن لم بكن هذه العمليات لتهدأ فليلا حسى يعاود المحصؤرون هجمانهم ، ويسببون كبيرا. من الأذى لمن افترب منهم من أهل المعسكر .

غير أن هده الحطة برهست هي الأخرى على عدم جدواها ، فعمد الصليبيون الى ابناع طريقة افترحها عليهم واحد منهم ، ألا وهي أحد الألحجار الكبيرة وجدوع الأستجار الصحمة التي يعجز المائة من الرجال عن زحزحها الا بسق النهس وراحوا يدحرجونها ناحيه البناية ، وقام بهادا ألعمل ألف فارس مدرعين بحت الجيش بأجمعه ، حبث حملوا هذه الأشياء فوق الجسر ، وجعلوها كومة كبيرة أمام البناية ، فباءت اذ ذاك جميع محاولات الأهالي في دفعها بالفسل الذريع وقضت هذه الخطط على كل هجوم فجائي يسنه العدون من هذه البوابة ،

وحد في أحد بلك الأيام أن خرج طائعة من المساة والفرسان من حيندسا ، بعلم البلانمائة عدا ، وجاورت الجسر الى ما وراءه النماسا للعلف ، ونفرقوا حربا على عاديهم في ربوع بلك الناحية بحنا عن الأشياء الصرورية ، وكانت حاجبهم الملحة في النفسش عن الطعام نضطرهم الى سلوك هذا الطريق الذي اعبادوه ، وعادوا سالمين من عدواتهم التي حرجوا فيها يبحثون عن الميره حتىوهم محملون بأحمال نقال مما بحناحونه ، ومن ثم اعتقدوا ان الحظ سوف نمشى في ركابهم على الدوام ، ولم يحطر على بالهم أبدا امكان وقوع حادب لهم ، كملك الأحداب التي تصاحب الحروج في طلب العلف زمن الحرب ، فحانوا الحذر والاسباه الواحبين .

فلما رأى المواطنون هذه الجماعة أرسلوا منهم حشدا كبها لمناغسها ، حتى اذا ما عبرت الحسر الصحرى انطلعوا بكل ما أونوا من فوه شطر الصلبين الدين كانوا بحولون هناك دون أن يأخدوا حذرهم ، فأغاروا عليهم ، وقتلوا أكررهم ، وأما من قدرت لهم النجاة فقد لاذوا بأذيال الفرار .

هرب الصليببون الى الجسر المصنوع من القوارب رحاء الوصول الى المعسكر ، ولكن الجسر كان مزدحما بدن سبعوهم اليه ، واد ذاك حاول أكبرهم عبوره عن طريق المخاضة ، فابتلعهم الموح وكان نصيبهم الموت بعد أن كان يراودهم الأمل في النجاه ، وأما من سواهم . فقد ندافعت حشدودهم الكنفة وبراحموا فسقطوا من أعلى الجسر قى النهر ، فصرعتهم الأمواج ، وقذفت بهم الى الأعماق الدى فغرت لهم فاها وأبت أن تردهم •

حين سمع الجيش خبر هذه المكبه هب آلاف من الفرسان الى أسلحهم وعبروا النهر ، فاعترضهم العدو وهو عائد بعد فيله الصلىبيين ورحا بما ومع في يده من العمائم ، فهاجمه رجالما في الحال ، وراحوا يفصون آماره في عزم لا يلين ، حسى بلغوا بوابة المديسة ، وكان الحطب حسما . وحبن رأى أهل البلد اخوانهم الموطيس في هدا الخطر الباعث على الأسى وهم يروحون ما بين فيل وجريح بحركت فلوبهم عطفا عليهم ففيحوا الباب ، ويجمعوا عبر الجسر الحجري ، في جموع كنيفه لمد يد المعونه إلى أصدقائهم ، وشنوا هجوما سديدا ـ لم يؤلف منهم من قبل ـ على فواتنا التي فاومت في بداية الأمر مفاومه شديدة ، لكن ما لبنت أن تعليث عليها الجموع الكسبعة ، فولوا على أدبارهم هاربين ، وجد الخصوم في اثرهم حتى بلغوا الجسر المصنوع من العوارب ، ومات مى هدا العنال كبير من مشاتسا بحد السيف ، وابنلعب لجة البهر العديد عيرهم ، كسا اضمربت صفوف الفرسمان وهم يهربون من العدو وراح بعصهم بزاحم بعضا ، فسنقطوا هم أبضا في النهر ، وقد أنفلنهم الدروح والزرديات والخوذات البي علبهم ، فابتلعهم اليم هم وخبولهم ، ولم يعودوا فط للطهور •

وهكدا كابد رحالنا من الحصار أهوالا لا نفل عما كان يكابده من كانوا وراء الأسوار ، ولم يعودوا هادرين على التخفى فى خروجهم الى النواحى الى حولهم بل أصبح أمرهم مكشوفا لأهل البلد الذين بذلوا من جانبهم كل محاولة لصدهم ، وحدت فى نفس الوقت ان أخذت قوات معادبة أخرى تنربص بهم فى الغابات وتنرصدهم فى الحقول ، وتنصب لنصيدهم الكمائن الى كبيرا ما صادفت النجاح ، وترتب على ذلك أن فقد رجالنا الجرأة على الخروج من معسكرهم ، أو الذهاب بعبدا فى طلب الطعام كما لم يعد المعسكر ذاته مكانا

آمما لأن الحميع صياروا في فرع من أن بناعبهم على عره القوه الضحمة - التي فيل أن العدو قد أحد في جمعها من نواح متعدده ·

هما قد يسماءل الرجل العافل: أي الحالم كانب أحسن من عيرها ، وأيها كانب مبعث فرع « حاله الجنس المحاصر أم أولئك الدن كان المعروض فنهم أن يكونوا محاصرين ؟ » •

# - **\V** -

لو حاولت ان أدكر بالتقصيل الاهوال التي كانت بقع عالما كل يوم في الأماكن المختلفة بسبب هذا الحصار العنيف الطويل الأمد لكان أمرا يطول شرحة وليس موضعة في هذا الموحر الباريحي الدي أحاول أن أنجزه بكل الدقة ، فلنتجاوز الأحداث الحاصة وتنابم مجرى الحوادث العامة •

حينما دخل الحصار شهره البالب مع بعلب الحطوط في عده الحرب المستمرة أخذ الطعام في البنافص في المعسكر وعاني الجبش الأمرين من فله المثونة ٠

فى البدء كانب هناك وفره بالغه الضخامة فى كل سىء تمس الحاجة اليه من طعام الانسان وعلف الجياد ، ونوهم الماس حريا على عادة الجهال – أنهم سوف يظلون ناعمين بهدا الوضع السوى . عير منوقعين أى عناء فد يلم بهم ، ومن ثم لم يحسنوا النصرف فيما بين أيديهم من خيرات ، مما ترب علمه أن أبوا فى وقت وحير على ما لديهم من طعام كان المفروض فيه أن تكفيهم أناما طوالا لو أنهم النزموا الاعتدال فى استنهلاكه ، لكن لم يكن هناك حد لاسراف

الجند، ولم يلرموا العصد الدى هو سمه الععلاء، بل كان مم بدح سعبه في كل ناحمه ، بعدى ضرورات عيش الأسمان الى علف الجياد ودواب المقل ، ولم يعرفوا الوسط في أى شيء مما نجم عنه أن أصمح المجش بأحمعه موشكا على الفناء ، ودلك بسبب ما بربب على النشار المجاعه من نصاؤل عدد المحاربين ، وحيمداك نودى في الناس بعقد مجلس عام يصمهم حميعا ، وفرروا نفسيم كل الغنائم التي نفع في أيديهم فسمة عادلة ، وأكدوا فرارهم هنذا بالممين قطعوها على أنفسهم ، وكونت لدلك عده كمائب قوام كل منها نلانمائة أو أربعمائه رحل ، خرجوا معا وراحوا بدرعون الناحمه بأكملها في محاوله منهم للحصول على الطعام بأى وسيلة يفدرون علنها .

واعداد هؤلاء الباحدون عن الطعام ان يعودوا وفد فاضت أيديهم بالأسلاب الكبيرة ، والغنائم الوديرة ، والمئونة الضخمة ، وكان ذلك فيل أن يأحد أهل البلد أنفسهم بمهاجمه هذه الجماعات ووضع الكمائن لها ، وأيصا ابان الوفت الذي كان ديه الاقلم الذي حولهم لا يزال غاصا بقطعان الماشمة والأغنام وأحمال الحبوب والشراب وغبر ذلك من العلات ، وكان هذا هو السبب فيما أشرنا الله من قبل من وفرة المئونة في المعسكر ، أما الآن فقد غاضت موادد الأراضي المجاورة ، ونقصت غلانها ، أضف الى ذلك أن الترك الذين كانت شوكتهم قد ضعمت من جراء ما اسنولي علمهم من خوف أذل نفوسهم عادوا فاستردوا بأسهم وشحاعتهم في الدفاع عما يملكون ، وأصبح عادوا فاستردون عن بكرة أبيهم فلا يبقى منهم أحد يحدت عما كان يحدث كان مصيرهم .

أخدت الدخائر تقل يوما بعد يوم ، وعمت المجاعة حتى لم يعد من البسير الحصول بشلنين على الخبر الذي يكفى لوجبة الشخص

nverted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version

فى يوم واحد ، وأصبح ثمن المعره أو العجله ماركين بعد أن كانت بباع من فبل بحمسة شلمات ، ولا تكاد الممانة شلمات تكفى لشراء عليف وجبة واحده للحصان فى لبله واحده ، وكان الجيش فد حلب معه آكسر من سبعين ألف حصان لم يبق منها فى المعسكر سبوى ألفين أو أفل ، أما البقية فقد هلكت بردا ، ونقفت جوعا ، أما مالازال منها حما فقد أخذ عدده فى النناقص شمئا فشمئا ، وأصابها الهزال بسبب الجوع والبرد المهلك .

يصاف الى دلك سرب الرطوبة والعمن الى المساطيط والحسم حسى لقد هلك الكيرون ممن كاس لا برال عندهم الأطعمه ، لأبهم لم يعودوا فادرين على بحمل البرد الشديد ، وليس عندهم من غطاء يدفع عنهم رمهريره ، وهطلت الأمطار الغريره فأفسدت الطعام ، وبعفنت الملابس ، ولم يعد ثمة مكان يستطبع الحجاح ان يستدوا رؤوسيهم اليه أو يكوموا حاحاتهم فيه .

وفد بربب على هده الظروف ان بعشى الوباء في كسائب العسكر ، وكان وباء فابلا لم يحدوا معه مكانا يوارون فنه حنف موناهم ، ولم يستطيعوا اقامة الشعائر الحنائرية لهم .

أما الدين كانب دلائل الصحة لا برال باديه عليهم فقه فروا خفية حتى لا يفعوا فريسة لهذا الطاعون المهلك ، فهرب بعضهم الى لورد بلدوين في الرها ، وبعضهم الآحر الى فيليقيا عبد حكاممدنها ، ومضى آخرون عير هؤلاء وهؤلاء الى النواحي اللي كانت فد آلت الى حكم الصليبين ، ونجم عن رحيل هؤلاء ، وهلاك من فيله الجوع وأفناهم المرض ، ومن قتلوا بالسيف ان نضاءل الحيس الى الحد الدى فل معه عدد الأحياء منهم عن نصف ما كانوا عليه .

تدر واده الرب المخلص ون ماران على الناس من الحزن ، وفكروا فيما شاهدوه من الأهوال السي ألمت بهم ، ففاضت نفوسهم حسره ، وتشففت أكبادهم أسى على هدا الجيش المكوب • فاجمعوا كدأبهم للمساور مي ايجاد علاج يدمع هده المصائب المهلكة واستعرضوا مختلف الاقتراحات ، حتى استقر الرأى بهم أخيرا على حروج أعظم فادنهم بطائفه من الجند لشن حمله على أرض العدو ، يستولون فيها على الماسية ، وينهبون ما يعهدون عليمه من الطعام اللارم ، على أن نعيم النقية البافية من الرجسال في المعسكر أبياء عباب هؤلاء الرجيال ، وأن ببدل هذه البقية المافسية عايه الجهد في حسايه الجيس ، والعقوا على أن يكلوا مهمله حلب المثلونة الى بوهيمول، وكونت فلالدرر ، وأن يبقى كوبت بولوز وأسعف بوي لحراسة المعسكر ، وكان كونت بورمايدي غائبا اذ ذاك ، كما كان جدود فروى دوق اللورين ملارما للفراس لاصابيه بمرص شديد ، فاستصحب الفائدان معهما طائفة كافية من الفرسان والجنود المشاه بقدر ما استطاع الجيش المنهوك امدادهما به ، ودخلوا أرض العدو .

ما كاد المحصورون يعلمون برحيل بوهبموند وكونت فلاندرز، وبغماب كونت نورماندى، وبمرض الدوق حسى دبت فيهم الشجاعه على غير عاديهم، واغتنموا الفرصة لمهاحمة معسكرنا، يعيما ميهم حميعا بأن نغيب هؤلاء القادة انما هو فرصة لا يجوز آن نفل مى أيديهم، فاستدعوا من المدينة حشدًا كبفا من شسى صنوف الناس واحتمعوا كلهم عند الجسر وكان مدخله مفيوحا، فراح كل واحد منهم يزاحم الآخر ويبدافعون فى اجتماز المهر: المعض منهم عن طريق المجارة المسعلي فى محاولة

منهم لمهاحمه معسكرنا ، ولكن الكونت تصدى لهم بكنيبة من الموسنان ، فاصطرهم الى الارتداد الى المدينة وقد فقدوا رجلن من رجالهم .

وحدب في أنباء هذا الخروح أن حاول بعض فرسانا الاستبلاء على جواد كبا براكبة فسقط عنة ، فلما رأى الحشد النعيس ـ الذى لم يعد يحسس المفكير ـ هذا المنظر خيل الوهم لهم أن الفرسان قد فروا حوقا ، ومن ثم فقد لادوا هم أبصا بأديال القرار ، وزاحم بعصيم بعصاعن كب ، فكان في ذلك هلاكيم بأبدينم ، وسرعان ما أدرك المواطون أن الحجاح يولون الادبار دون أن يدفعهم أحد ، فاندفعوا مره أخرى فوق الحسر ، وهاحموا الهارين بسيوفهم ، وبلاحموا واياهم ، فقروا منهم فنعقبوهم من الحسر الصحرى حي بلعوا حسر المراكب ، وهنا كان الحطب جسيما ، فقد اندفع رحالنا بعضة عشر فارسا وعشرون من الجند المشاة ، قد هبرت بعصهم السبوف فمانوا بحدها ، وغرق النعض الآخر في النهر ، فعلان الفرحة الكبرى قلوب الأعداء بهذا النصر فانكفأوا الى المدينات فد أسكرهم النصر ،

## - 19 -

فى هده الابناء خرج بوهموند وكونب فلابدرر بموافقة الجميع على رأس طائعة من الجند ، فى حمله لجلب الطعام ، مؤملين أن يعودوا بوفرة ضحمة من المثونة حبى يبددوا ما نرل بالمعسكر من الضيف ، وقد أدت غدوابهم الحسنة الطالع فى أرص العدو ليقليل نكباتنا ، لأنهم اسبولوا على منرل للعدو راخر تماما بكل ما هو نافع ،

وأرسل بوهيموند جماعة من الكشافه الى مختلف النواحي ، لىقصى أخبار الباحيه ، ثم الرجوع اليه بالعنيمة ان نهيأ لها العذور على عسمة ، فلما رحعوا البه أنبأه بعصهم أن عددا كبيرا من الأنواك قد نصبوا خبامهم في بلك الضاحية ، فما كاد يسمع ذلك حسى بادر فأرسل ضدهم كونب فلابدرز مع حرس فوى ، ثم ما لبت أن مضى هو داته مي أثرهم على رأس الجيش الأصلي لمساعديهم ان كانت ثمة حاجة الى مثل هده المساعده ، ولكن لما كان الكونب رجلا شبجاعا ومحاربا عطيما ، فقد استبسل في مهاجمة الأعداء ، ولم يعد الى بوهيموند حسى كان فه أفنى من الكفار مائة ، فلادت بعينهم بأذيال المرار ، وبينما كان راجعا الى الجيش الكبير مجللا بالنصر ، جاءه الكشافه الآخرون وأخبروه أن دوه من العدو نزيد عن سابقنها في لىقصى أخبار الباحية ، ثم الرجوع اليه بالغنيمة أن يهيأ لها العبور على العدد والبأس بنقيهم من ناحية أحرى ، فبعب لصدهم طائفة مع الكونت ، ثم مضى هو يبقية عسكره وراءه ليكون على أهبه لنجديه ان استلزم الأمر النجده ، وشاس رحمة الرب البي كانب هدى لفوائنا ـ أن يتردى العدو في بعض السعاب الصبقة فانكفأ راحعا هاربا ، اد أدرك ان لن بجدى الأفواس ولا السهام نعما في هدا العنال ، ولكن سيكون السيف هو العصيل في هذاالصراع وجها لوجه ، وهو نوع من القمال ليس بالمألوف عند العدو الذي ولى حمنداك على ادباره فارا فجد الصليبيون في نعقبه مسافة ميلين ، وأوردوا الكنبرين من رجاله حنفهم ، ثم عاد رجالنا الى معسكرهم سالمن عانمين ، وجاءوا معهم ـ كرمز لانتصارهم ـ بالكنير من الجبال والبغال وغيرها من الأسلاب ، ومجمل العول أنهم عادوا بكل ضروب الغنائم الى استولوا عليها من شتى نواحى الاقليم المحيط بهم ج

ولقد بث نجاحهم الفرحة العظمى في نفوس اخوانهم الححاج ، وأماح لهم الفرصة للاستجمام وان كانت قصيره يسنريحون فمها من

بعمهم ، على أن الغندمة - مع هذا كله لم يكن صخمة حدا - بده أنها كانت على أنه حال كافية ليموس حموعهم ولو لنصعه أيام فلائل ، ومن ثم قانه لم ينهنأ للجنش أن يتخلص بماما من مناعبة •

### - Y+ -

وحاء في هدا الوقب من أرض رومانيا(١) حبر محزن ملؤه السحو والعزع ، فن الذعر في أفئدة الحميع وزاد من قسوة وصعهم الباعث على البأس •

لقه كان الحبر الذي ثبتت صحته كما يلي : ـ

كان هناك رجل شديد السطوة رويع المكانة في قومه يدعى رفين (وهو ابن ملك الدنمركين)، قد جمع الى كرم الحسب حسن الحلق، وبهاء الطلعة، لكنه، كان يتحرق شوقا للقيام بنفس هذا الحح، فأسرع ليساعد في حصار أنطاكة على رأس ألف وحمسمائه شاب من نفس الأمه خرجوا وعليهم من السلاح أحسنه، واذ كانت مغادرته مملكة أبيله بعد قرة من حروج الآخرين ققد رأح يسم الخطى ما وسعه الاسراع، عساه يسمكن هو ومن نبعه من الانضمام الى الكنائب التي سنقنه، غير أنه الشغل نأمور حاصة به عاقت خطاه وعجز عن مغالسها، وكان أمله ان ينغلب عليها فنأخر، قسار وحده على رأس قواته المخاصة من غير حراسة من أي احد من القاده وحده على رأس قواته المخاصة من غير حراسة من أي احد من القاده

<sup>(</sup>١) لعط يقصه به حعرافيا آسيا الصعرى ٠

به امبراطورها أعطم ترحيب ، نم نابع سيره حتى بلع بيفيه سالما ، ثم أعد المسير نحو الجيش فدخل أرص آسيا الصغرى فى جميع خاصته ، وعسكر دون أن يأخد حدره ـ بين مديتى «فيليو ميلام» و «بيرما» ، فحرجب عليه قوه كبيره من الأنراك ليلا وباعسه فحاه ، وأحدنه على عره فعملمه في فسطاطه ، واسميقظ جماعته للأسف متأخرين على جلبه العدو المفنرب ، فهبوا لحمل سلاحهم ولكن كان الوفت قد قاب اذ هاجمهم العدو قبل ان يأخذوا أهبنهم نماما لصده وقمك بهم جميعا وان كانوا رغم دلك قاوموه مقاومه بطوليه طويله ، وأحرز العدو المصر ، ولكنه نصر ملطخ بالدماء ، وبدلك لم يضح رجال [ رفين ] بأرواحهم هباء ٠

## - 11 -

كان الامبراطور كما قلنا من فبل عين بانكيوس نائبا عنه ، ومرسدا للحجاح أساء رحفهم ، فطل حتى هده اللحظة مصاحبا للعسكر الحجاج ، أما الآن وقد رأى المصاعب المحدقة بهم فقد صاوره الخوف \_ لجبن طبع علبه \_ ألا يستمر القادة في حجهم .

وتوفع يوما يهلك فيه الجبش كله بسيوف الأعداء ، ومن ثم جاء الى محلس احتمع فبه العاده ، واحتهد غايه الاجتهاد لبحمات على النخلي عن الحصار ، ونوجيه الجيش كله الى المدن والعلاع القريبة منهم لأنهم واجدون فيها المئونة بوفرة رائدة كما انهم يستطيعون هما ان يستمروا في مضايقة أهل أنطاكة لأن الامبراطور كان فد جمع لمساعدتهم حضودا من أمم شتى بلغت آلافة لا يحصبها العدو وأعدها كي تصلهم مع مطلع الربيع ، وأضاف تاتبكيوس الى دلك

أنه لما كان قد عزم منذ البداية على أن يشاطرهم مناعبهم ، وأن يكون معهم في السراء والضراء ، وفي العسر والسر فانة يريد أن يقوم بمهمة أكبر مما عهد القيام بها ، وسنهدف الصالح العام ، فذكر لهم أن قصده هو أن يدهب لحطه الى الامبراطور لحث الجيش الامبراطورى على الاسراع ، وأن يعد المئونة اللارمة من الطعام لبحملها معه من المناحية التي على هذا الجانب من المدينة فلم يعارضه أحد من قادننا ولم يرفضوا اقتراحه ، رغم أنهم كانوا يدركون مند الوهلة الأولى مكر نابكنوس وخيانية التي حاول سترها بما زعمة ليم من دعوى نحملهم على تصديقة ذلك أنه نرك معسكره وجانبا عير صنيل من أتناعة لم يستصحبهم معة ، والحق أنه لم يفعل ذلك الالأنه لم يكن نعما بما فيه سلامهم أو ربما لانه أوعز اليهم سرا أن يرحلوا في أثره ، وحعل بنة وبينهم موعدا يوما يلقاهم فبه عند مكان حدده لهم .

ورحل بابيكبوس مدعيا أنه عائد النهم عن فريب ، لكنه لم يأب بعد دلك أبدا ، فدل ذلك على لؤم نفسه ، وخبب طوينه ، وبكنه لعهد، وأنه بذلك يستحق الموت الأبدى .

لعد كان رحيله سابقه مؤذية فلم يعد القادرون على السلل خلسه من المعسكر يعبأون بما قطعوه على أنفسهم من الأيمان ولا بكرنون بالعهود الفوية الني أخذوها على أنفسهم منذ البداية .

وكانت المجاعة في نفس الوفت تزداد افحاشا و بعسيا ، وعجر القاده عن ايجاد حل بات ينفذهم من هذا السر المستطير ، فنحيروا من بسهم جماعة انفعوا على أن يحرح منهم كل اندين معا مرة بعد الأخرى بعوات كبيره الى أرض العدو ، وغالبا كانوا بعودون الى قومهم منصرين ، وان لم يغنموا شمئا وليس معهم شيء من الميرة التى كانب حاجتهم المها ملحة بل يعودون صعر الأيدى ، ذلك أنه كان قد نردد

verted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بين العدو نبأ اعنباد خروج الصليبيين وشبهم الهجمات ، فبادر الأعداء للقل قطعانهم ومواشيهم وغيرها مما يملكون من صبوف الحبوان الى الجبال الني لم يكن ثم سبلي لافتحامها ، ولم يكن الصليبيون فادرين على التوغل في بلك النوحي البعيدة التي اعتصم خصومهم بها ، وحتى لو قدر لهم أن يتجحوا في الوصول اليها قانه لم يكن من الهين أن يغتموا شيئا .

## - 77 -

كانت المجاعة اد ذاك تزداد تعشيا وسدة مي الجيش يوما بعد يوم مما نجم عنها انشسار الطاعون وكنير من الأمراض الأخرى ، ونسب أصحاب السن الكبيرة وأهل الحبرة الواسعة هذه الأهوال الى خطايا الناس ، وان الرب استساط غضبا منهم ، وحق له أن يغضب ، فصب سوط عـذابه على أطفاله المارقس لذلك احتمعوا فبما بينهم للساور فيما يفعلون ، وخافوا الله كأنه أمامهم يرونه رؤيا العين ، وشرعوا يتحاورون فيما يجب عليهم ، فرأوا أن يبادروا بالتكفير عن آثامهم واعلان نوبتهم الصدوق ، ولارحوع عن أحطاء الماضي ، وتجنب الوقوع في مثلها في المستقبل ، مؤملين من وراء ذلك أن يفنأوا عصب الرب • واذ ذاك فام صاحب السرع فيهم أسفف بوى نائب الكنيسة الرسولية وسواه من كبار رجال الدين أحباب الرب ، وأجمعوا الرأى على مطالبة الجيس كله وأمرائه العلماسين بصيام ثلاثة أيام عسى أن يكون تعذيبهم الجسد مؤديا الى شد عزائمهم ، فلما فعارا ذلك مخلصين صمموا على تطهير المعسكر من كل عاهرة وامرأة كريهة السمعة ، وجعلوا الاعدام عقوبه للفحشاء والفجور بستى أنواعه ، وصدر قرار الحرمان على المجان والسكيرين، verted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ووقع تحب طائلة عدا العماب شنى أنواع ألعاب الممار والمسلم بالأيمان الكادبة والتطفيف في الكيل والعش في المعايس ، وكل صروب الاحتال من سرقة العير ، وتهبهم ، وسلتهم .

ولما تقررت هذه القواعد وووفق عليها بالاحماع عينوا فصاه وكلوا النهم مرافيه هذه الآنام ، ومنحوهم كل السلطة في الكشف عن أصحابها ، وانزال العقاب بهم فما لبنوا أن وجدوا بعد فليل حماعة شحبت هذه القوانين ، فلما فامت البينة على هؤلاء الحطاه سهر بهم نشهيرا قاسيا ، وأدانهم ألفضاة ، وحكموا عليهم بأقصى ما يقصى به العانون تبعا لنوع الجريمة التي ارتكنها الواحد منهم ، فارندع سواهم وكفوا عن افتراف جرائم كهذه الحرائم .

وهكذا عاد الناس برضوان الله ورحمه يجبون ثمار الحماه الطاهرة وهدأ عصب الرب عليهم ، وبجلي هذا في أن أحد اللورد حود فروى ــ الدى كان وحده أشبه بدعامة الجيش كله ـ في المعاهة واسمرداد صحبه مماما ، وبعافي من وعكمه الحاده التي آدبه طويلا بسبب الجرح الدى أصلام من اللب في بسمديا من صواحي أنطاكبة ، وكان شفاؤه عزاء كبير للمحاربين في محمتهم .

## - 77 -

ترددت فى هذه الأثناء اشاعات وأخبار رن صداها قويا فى كافة أنحاء المشرق، وجاورنه حنى بلغب ممالك الحنوب والشعوب الأخرى الخارجية مفادها أن قوات كبيرة من الصلببين زحف حيو بلغت أبواب أنطاكية وأنهم كانوا يدا واحدة فى حصادهم اياها

verted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version

فخاف كل حاكم على بلده ، وباروا ، فاندس الجواسيس يسللون الله جيشا الوافد للوفوف على النفاصيل الدفيقة حول أسلوب هذا مزودين بالنفارير عن أحوال المعسكر الصليبى الى من دسوهم علينا ، ثم يحل سواهم مكانهم لنفس العرض ، ولم يكن دون أن يتعرف عليهم أحد لأنهم كانوا ينعنون عده لغات ، فرعم البعض منهم أنهم اغريق ويزعم سواهم أنهم سريان ، ويدعى غبرهم أنهم من الأرمن ، ويصطنع جميعهم في يسر وسهوله ما لهده الأمم من خصائص في لهجنها وعادانها وزيها •

لذلك اجتمع الفادة للنظر فيما ينبغي عليهم المحاذة لمامب السلامة العامة من هذه الناحية ، ولم يكن من اليسر اخراح هؤلاء الجواسيس من المعسكر الأنهم كانوا قل ان يختلفوا - الا نادرا - على أهل هذه الأمم الذي دكرناها: لغة وعادات وتقاليد ، فرأى القادة أن يوقعوا ما يرون من عقاب على أفراد فلائل فقط ، حسى يلفعوا تماما على الاجراءات التي يتم الخاذها ضدهم جميعا .

كان هناك ما يدعو هؤلاء الزعماء الى النحوف من مغبة معرفه الكبيرين بأخبارنا ، والى ما ينخذونه حيال هؤلاء الناس فبنسامم بما اتخذوا من ينفلونه الى العدو رعبه فى الأضرار بالصليبين ، واذ بدا للزعماء صعوبة الوصول الى ما يمنع هذه المكائد منعا بانا ففد قام بوهيموند ـ ذو الذهن النافب والعكر الوفاد خطيبا فى الزعماء قائلاً لهم : ـ

« سادتی وأخوتی : خلوا مسئولیة هــذا الموضوع کلهـا على عاتقی ، وکلوها الی فانی بعون الله واجد لها العلاج الىاجع » ٠

فوافقوه على ما سألهم وانفض سامرهم ، وعاد كل واحد منهم الى معسكره ، وما كاد الليل يرخى سدوله على المعسكر ويستعدون

لاعداد العشاء ، حتى فام بوهبموند \_ وهو داكر ما قطعه على نفسه من عهد \_ وأمر باحضار بعص الأسرى من البرك الى مجلسه هذا ، وأسلمهم الى الجلاد آمرا اياه بشنفهم ، نم أوقد بازا عظيمه كما لو كان يهيىء العشاء ، وأمر بغسل هذه الاجسناد بم سنها على البار، وألقى بتعلمانه الى رجاله أن لو سألهم سائل عن معنى الذي يرون أجابوه بأن الأمراء فرروا من الآن قصاعدا أن نرود موائد القادة بلحوم جمنع الأعداء والحواسيس ، بعد طبنها على هذه الصورة ،

وانشرت في جمع أرحاء الجنش أحبار هذه الاحراءات التخدها بوهيموند في معسكره فسلابي الجميع الى فسطاطه في دهشه ليشاهدوا هذه الحطه الجديدة ، وتملك الفرع من كان بالمعسكر من الجواسيس ، وأيفيوا أن ما ظبوه آساعه صار وافعا ، وأدركوا ما سوف يؤول البه مصيرهم فعادروا المعسكر في لحطهم هذه ، وعادوا الى بلادهم من حيب أبوا وأحبروا ساديهم الدين كابوا فد بعنوا بهم ان ليس لأمة [ الفرنجة ] مبل في الوحسية بين الأمم بل ولا بين الحنوانات المفرسة ، فهم قوم لا يقنعون باحبلال مدر عدوهم وفلاعة ، ولا يكفيهم أن يعنموا سُنى أبواع المناع والرمي بخصومهم في السجون أو تعديبهم أو فيلهم ، بل ان هؤلاء الصليبين يسعون كذلك لملء بطونهم يلحم عدوهم ، ولعق شعمه ،

وانتشرت هذه الشائعات وأمالها ، وتوغلب حبى أوصى بلاد المشرق ، فدب الذعر فى نفوس جميع الأمم ، يسنوى فى ذلك من قرب منها ومن بعد ، كما استولى الحوف على كل مدينة أنطاكمة وارتعدت أوصالها فرقا وفزعا من وحشية هذه الاجراءاب ، وهكذا آدت احراءات بوهيموند الى النخلص من شر الحواسيس الذين كانبولا طاعونا ، وأصبحت خططنا مصونة قل أن يعرف العدو شيئا عنها •

بصاف الى ذلك أن خلعة مصر \_ وهو آفوى السلاطين المارفين بسبب كثره ما لديه من المال والرجال \_ كان فد أرسل رسله الى فانيا ، وبلخص أسباب بعثه اياهم الى وجود عداوة مناصلة وعميعة الجذور منذ سيوات طويلة بين أهل المشرق والمصربين ، وهى عداوة ناجمة عن اخيلاف معتقداتهم الديبة بعصها عن بعض ، وماييه مدهب الواحد ميهم لمذهب الآحر ، وطلب هذه الكراهبة دون انعطاع حيى توميا هذا ، ومن بم طلب هانان المملكيان تحارب كل منهما المعودة فيها ، وظلب المنافسة بينهما موصولة فكانب كل منهما نسعي الى مد حدودها على حساب الأخرى ، كما بينا ذلك بدقة في الكتاب الأول من هذا التاريخ ، ونأرجحت السيادة بينهما على مدى الأيام ، فيكون تارة لهذه وتارة لنلك ، ونكون السيجة أمالا واحده ميهما بيقصميله من أراضي الأحرى .

أما الآن ففد كانب حميع البلاد المسدة من مصر الى اللادفيه الشام (وتقدر بمسيرة ثلاثين يوما) تحب حكم خليفة مصر، ولكن حدث فبل ذلك أن قام سلطان فارس \_ كما ذكرنا آنفا \_ واسبولى قبل مفدم الصلبين على أنطاكية المناخمة لحدود المملكة المصرية \_ كما احل البلاد الممتدة حنى مضيق المسفور، وكان حاكم مصر ينظر بعين الريبة الى كل نوسع من جانب الفرس أو الترك على السواء ومن ثم كانب فرحمه بالغة حين جاءنه الأخبار بضياع نبقة من يد قلح أرسلان، وبهزيمة جمشه فبها، وأثلج صدره ما علمه من قيام الصليبين بحصاد أنطاكية، وعد كل خسارة تصبب الأنراك مكسبا له، ورأى أن المصائب التى تلم بهم نعمل على استقرار أمه وأمن رعاياه، وخاف أن تؤدى أهوال طول الحصار الى فنل

رحالما ، ومن ثم بعب بسفرائه ورجال من حاشيمه الى رعمائما ، يحملون اليهم رجاءه فى أن يستمروا فى حصارهم الذى فرضوه على أنطاكية ، وعهد الى مندوبيه أن يؤكدوا للصليميين أن مولاهم السلطان سوف يعينهم بالجند والذخيرة ، كما حاول هؤلاء السعراء أيضا كسب الزعماء وحملهم على عقد معاهدة صداقة بين الطرفين .

وأطاع الرسل أمر مولاهم طاعة صادقة وركبوا المحر فوصلوا الى المعسكر الصليبى . وهم أحرص ما يكونون على أداء المهمة الني حملوها ، فنلقاهم زعماء جيشما بما يليق بهم من الحفاوة والنبجيل ، وعقدوا معهم عدة اجماعات ، ليبيحوا لهم العرصة لابلاغ رسالهم .

وأعجب المعوثون بما راوه من رجالنا وكرة عددهم ووفره ملاحهم وقوة صبرهم على تحمل الشدائد ، كما املأت فلربهم حرفا من هذا الجيش ذى القوة المتين ، لما أحسوه فى فرارة أنفسهم بدا يمكن ان يحدب فى المستقبل مما فد بعرص له مولاهم من تجربة مربرة وهو بحاول سرا نزع قوة واحلال أخرى مكانها .

ومجمل القول أنه بعد أن تمكن الصليبيوں بعضل الله القدير من فتح أنطاكية ، وردها الى العقيدة المسيحيه وحريتها الأولى أن تحررت كل البلاد الممتدة من تلك المدينة حتى حدود مصر القريبة من غزة ، وهى بلاد تقدر مساحنها بمسيرة خمسة عشر يوما ، وقد أصبحت الآن في أيدى الشعب المؤمن .

\*\*\*

هنا ينتهى الكتاب الرابع

( الحروب الصليمة حد ١ ) - ٣٠٥



# الكتاب الخامس

## حصار أنطاكية واحتلالها

## فصول الكناب الخامس

- ۱ \_ أهل أنطاكية يطلبون من جيرانهم مساعدتهم ويستجيبون لندائهم ويعسكرون حول حارم .
- ۲ \_ فاده جيشما يسركون الرجالة وراءهم لحماية المسكر ويزخفون بالخسالة ضمه المسلم ويعودون منصرين .
- ٣ ــ الفزع الأكبر يستولى على المواطنين لسماعهم
   بنكبة حلفائهم
- ٤ ــ زعماؤنا يشيدون حصما لهم ، ونصمال الى المينا سفن من جنسوة ، فيسرع الناس الى

- الشاطئ فيقع بعصهم في كمين من الكمائن في الكمائن فيهلكون •
- خطة رائعة للدوق ثأرا لهده النكية العادحة .
- العـــه يعود مكللا بالنصر ولكن ســـيوف الصليبين بنوشه عند مدخل المديدة فيهلك الفان من رجاله ويوسط الدوق فارسا كافرا .
- ٧ رجالنا يقيمون منراسا على رأس الجسر ويرسلون الى السفن [ الجنوية ] ما يدل على انتصارهم .
- ٨ ــ احاطة المدينة بقلعة جديده أقيمت في مواحهة الباب الغربي ٠
- ٩ ــ العسكر الذين كانوا قد تشردوا هما وهماك يعودون الى الجيش ، ويرسل بلدوين الهدايا
   من الرها الى كل واحد من الزعماء ٠
- ۱۰ \_ عندما ينشر في المعسكر خبر اقتراب جيش العدو يدعى سبيفن كونت بلوا المرض ويمصى الى الميناء معمزما عدم العودة ٠
- ۱۱ بـ وصف حال أنطاكية ، ووصف الصدافة الني قامت بين بوهيموند وبين [ فيروز ] أحسد مسيحيى المدينة .
- ۱۲ ـ المؤامرة التي تمت على يد الرسل بين بوهيموند وبين ذلك الرجل الوفي [فيروز] .

- ۱۳ بوهيموند يبدل جهودا سيافه ليتسلم وحده المدينية حين استسلامها فيوافق الزعماء باستئناء كونب بولور ،
- ١٤ ــ الحلقاء [ المسلمون ] يحاصرون الرها اساء زحهم لنجده أبطاكية لكنهم يضطرون اذا- مقاومة بلدوين الشهديدة الى الارتداد عدر العلوات دون ان يكبب لهم النجاء .
- ۱۵ ـ المسيحيون يسعرون بالعزع الشديد بسبب اقراب العدو ويرسلون الكشافة للاستطلاع ٠
- ۱٦ ـ الزعماء يجمعون لبادل الرأى فيما بينه وبوهيمونه يعلن السر الذى اسمودعه اياه صديقه فدوز ٠
- ۱۷ ـ الزعماء يسازلون عن المديسة لبوهيمونه عن طيب خاطر فيقوم هو بمفاوضة صديقه [فيروز]
   في السر بشأن سيليمها اليه .
- ۱۸ ـ الأهالى يشكون في فيرور فيعلن براء ساحه أمام والى المدينة ·
- ۱۹ \_ وصف ما كان يكابده مسيحيو أنطاكية مى الارهاب فى القيام بأعمال كبيره يسو بها كاهلهم وكيف فشلت المذبحة الني دبرت للقضاء عليهم •
- ٢٠ ـ الجنسود [ الصليبيون ] يغادر معسكرهم
   تنفيذا لخطة فيروز مع عزمهم على العودة
   ليلا ٠

onverted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

- ۲۱ بوهبموند يىوسىل الى صديقه كى يىم ما بدأه فيعمد فيروز الى قتل أخيه لمخالفه اياه ويدخل الصلىبين الى المدينة بواسطة سلم من الحبال.
- ۲۲ ـ المهاجمون يستولون على أحد المداحل ويفتحون الأبواب ، ويندفع العسكر الذين شاركوا في هذه الحطة الى داخل المدينة ، ويتم الاستبلاء على أنطاكية عنوة ٠
- ۲۳ ـ الأهالى يرىدون الى القلعة اما ياعى سيان فيلافى مصرعة خارج الأسهواد أثناء محاوله الهرب وهلاك الكبيرين لسقوطهم من الجبل •



# هنا يبدا الكتاب الخامس حصار انطاكية واحتلالها

### - 1 -

فى نفس هذا الوقت كان أهل أنظاكسية وواليهم فى اقصى حالات الدعر بسبب الظروف التى يعيشون فيها . ولم يعيهم سده صبحر الحجاح من المشعة التى تحملوها . دع مناترتهم على ما بيدهم من عمل ، وعدم الصرافهم عن مسروعهم رعم وطأه الطروف الفاسية من الجوع والبرد الفارس ، بل لقد حرى العكس من ذلك اد طل هؤلاء الصليبيون ـ رغم مناعبهم الجمة ـ منابرين على الستر قدما نعزم ثابت نحو تحقيق الهدف الذي وضعوه نصب أعنهم ،

وراح المواطنون ـ نظرا لما هم قبه من الشهده ـ بعنون بالكنب والرسائل . واحدة نلو الاحرى الى من حاورهم من الأمراء ، يسألونهم المسادره الى نجدة احوانهم . ويدلونهم على أجدى السمل لأداء هذه المساعده ألا وهي أن يدعوا حلفاءهم يبوحهون الى المدينة يستخفون هم في كمن حتى نشبيك المواطنون ـ كعادنهم - في قبال العدو عند الجسر ثم بدركونهم منصرفين الى القتال في عندا المكان ، وحين يكون من بداخل أنطاكية مستغرقين تمساما في نلك المواجهة ، يخرج أهل الكمائن من كمائمهم ويباعنون الصلبيان الذين بكونون من عدر حرس بحرسهم ، فنقعون نحب وطأة الهجوم

علبهم من الأمام والحلف في آن واحد ، فلا ينسم لأحد منهم النحاه من الموت .

ولبى هده الاستغاثه جيش كيف من أهل حلب وشيرر وحماه وحمص ومنبج وغيرها من المدن المجاورة ، وخرجسوا في سكون بالغ وصمت مطبق حسب الأوامر التي صدرت اليهم حتى فاربوا مدينه « حارم » الني لا ببعد عن أنطاكية بأكر من أربعة عسر ميلا وضربوا معسكرانهم أنساء الشعالهم بالهجوم على المديمه ، عير أن المحلصين من سكان الماحية ، والدين طالما ساعدوا شعبما ، أحبروا القياده نافسراب هدا العسكر ، وشرحوا لهم أوضاعه ، فلما بلغهم المدير احتمعوا للنشاور فيما يفعلون في هذا الوضع ، فانفق الرأى مهم أخيرا على أن يغتنموا فرصة دحول الليل فينطلق سرا كل من بالجيش من الفرسان أصحاب الجياد الصالحة للخدمة ، وبربون صفوفهم للفيال خلف أعلام قادنهم ، على أن يبقى الرجالة في الوقت ذاته لحماية المعسكر حتى يعود رؤساوهم يبقى الرجالة في الوقت ذاته لحماية المعسكر حتى يعود رؤساوهم الذين حرحوا امتثالا لأمر الرب .

## - 7 -

لم يكد الليل يسدل طنبه على الكون حسى غادر الزعماء المدبة حسب الاتفاق ، فساروا على الجسر المصنوع من القوارب ، ومعهم سبعمائة فارس ، حتى صاروا قرب مكان ببعد مبلا من هنا ، وهو واقع بين بهر العاص والبحيرة الني أشرت اليها في وصفى المدينة ، فأقام الجند هنا هذه الليلة مستجمين ، دون أن يعلم العدو بخس تقدمنا هذا ، ولكن رجاله عبروا النهر هم أيضا في نفس الليلة عن طريق الحسر الاعلى .

على أنه لم تكد طلائع بهار اليوم السالى تطهر في الافق حتى أعد الصلبيون أسلحتهم وفسموا كتائيهم سب فرق حعلوا كل واحده معيا تحت فيادة رئيس معين كانوا قد انفقوا علمه من فسل . وأما الترك فقد اتحذوا مكانهم في نا عبة من الصاحيه ، لأنهم علموا من كسافيهم آن جماعتنا راحقه عليهم ، وقد أرسلوا أمامهم فرفين من العسكر حرسا للجيش الرئيسي الذي كان يتبعهم .

لم يكن مع الصليبيين \_ كما ولما \_ الا فرابه سمعمائه رجل وسمات الاراده الالهية أن يعسم هـؤلاء أنفسهم الى كمائب حسب ما تقبضيه أصول الحرب ، فكان يحيل لرائيهم أنهم آلاف مؤلفة من قوات اضافيه قد بعنمها لهم السماء ٠

ولما أحد عسكر العدو في النقدم والرحف حماعه بلو حماعه ، شرع من كانوا في الصفوف الأمامية في سين عجوم عسف على خطوطنا ، وراحوا يرمونها بوابل همان من السهام ، بم يربدون مي الحال ، فلم يعبأ حبودنا بهجومهم ، بل رحقوا عليهم ، وافسربوا منهم كل الاقتراب ، وكروا عليهم مستعين يستوفهم وشحاعبهم ، فسقوا الأنفسيهم طريفا الى عدو عقيدتهم ، والسيوف مسرعه في أيديهم فاصطرب صفوفهم ودافع بعصهم بعصا ، واحتلط حابلهم بمابلهم وأحبط بهم مي بععة كان البحيره فيها على أحد حاسهم . والنهر على الحالب الآخر ، وفقد البرك حريه البحرك فعجروا عن استعمال فنويهم المألوفة من الرسيق بالسهام فالاربداد لكهم بجمعوا خوفا من أن تبوشيهم السيبوف ولم يعودوا قادربي على تحمل الضغط الذى مارسه الصليسيون عليهم ، وسرعان ما أبعبوا أن أملهم الوحيد في السلامة الما لكول في قرارهم ، فانقلبوا على أعقابهم هاربين ، فجه رحالما في تعفيهم وقه تملكتهم الحماسة ، حتى بلغوا مدينة « حارم » النبي كانب تنعد عن ســــــاحه المعــركة عشرة أميال ، واستمر القبل في العدو أنناء ارتداده ٠

ولما رآى أهل البلد أن الدائرة قد دارت على عسكرهم الدى هلك معطمة بسدوف الصلبيين المنتصرين ، خافوا البقاء في الفلعة بعد هذه البكبة التي ألمت بأصدفائهم ، فأشتعلوا الناز في المكان ، ولادوا فرارا .

عير أن الأرمن سكان هذه المنطقة ، وعيرهم من المصارى الدين كان الكبرون منهم بقطنون بلك الناحية ، استولوا على المكان ، وأسلموه في الحال الى فادينا قبل عودنهم الى المعسكر ولقد هلك في هذا اليوم فراية ألفين من رحال العدو ، فكانت يشوه الصلبيين عظيمة بما جرى ، وفرحنهم ظاهرة بما وقع من النصر المزدوج ، الذي بن فيهم الشنجاعة ، وحمدوا الله على ما أناهم من قصلة ، ثم عادوا الى محيماتهم حاملين معهم حمسمائة رأس من قبلي العدو ، وكمنات ضحمة من الأسلاب ، من بنيها ألف من الجناد القوية ، كانت ذات جدوى عظيمة لنا ،

## - 4 -

ظل أهالى الطاكيه دلك الليل فى النطار الساعة المرتعبة ، وراحوا يستعجلون فى لهفه سروق الفجر نظلعا لهجوم من الخارج يقوم به حلفاؤهم على نصارى المدينة ، قان نم ذلك حرجوا هم من المدينة مناصمين وباعسوا الصلسين على غفلة منهم ، وكانوا يؤملون أن بؤدى عنصر المناعنة الني لم بسينعد لها الصلبيون الى دمارهم .

وجاءت الساعه الأخيرة من الليل وفد أخدت السماء شرق بصوء دون أن يظهر أى شيء يدل على تقدم حلفائهم ، ومع ذلك

iverted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version

فقد ذكر كشافيهم أن بعص الرعماء الصليبين حرجوا كما لو كانوا ماصی لمواحههم ، ومن بم حمع المواطنون فوانهمهم ، والدفعوا الدفاعا عملها من الابواب ، وطلوا معطم هذا اليوم في مصادمات سديده مع هؤلاء الصلببيين وأحبرا أفادهم حراسهم الدين كانوا في مواضع عاليه بالمدينة أن هناك جيسا آحد في الاقبراب ، ومن م اربدوا الى ما وراء الأسوار ، ورابطوا في الأبراح حلف المارس في النواحي المرتفعة من البله في انتظار الجماعات الفادمة ، لأنهم كانوا لا يدرون أن كان هؤلاء العادمون من الأعداء أم من الحلفاء ، علما ديا العسكر من المحاصرين رأوا ملابسهم الحربيه وما معهم من الغمائم والاسلاب فعرفوا حصفهم . فاستند يهم الفرع منهم فقد أدركوا أنها القوات الصليبية عائده بعد التصارها على الحلفاء الذين كان المحاصرون يسرقبون حصسورهم في لهمة ، فأسلموا أنفسهم للبكاء ، فعد بالاست آمالهم الحسيام ، وبعدم حيدنا من المدينة ، وانطلقوا الى المعسكر ، ثم أمروا نطرح رؤوس ماثبين من الأنراك قبل ان الآلات قذفت بها الى داحــل المدينه ، لكى بكون شاهدا على ما أحرزوا من نصر ، ولبريد في مصاعفة آلام العدو المبرحــة .

أما بعدة رؤوس القبلى فقد رفعت على ساريات نصبوها أمام المدينة رامين من وراء دلك أن تكون هذه المناظر المفحعة قذى فى عنون المحصورين فنتضاعف همومهم النقبلة ، وعرف من روايه الأسرى الدفيقة أن الحلفاء الذين كانوا يزمعون الحصور للساعدة أنطاكة قاربوا ثمانية وعشرين ألف مقاتل .

وقد حرى هذا الأمر في النوم السابع من فنراير عام ١٠٩٧ من مولد السيد المستم .

فى هذه الأنناء صدق عرم فادننا على نشيبه حصس مدم . أفاموه على رائبة مسرفة على معسكر بوهيمونه ، راجين من وراء دلك أن يفف هذا الحصل الحديد سيدا أمام الترك لو راودتهم بعوسهم بالاعاره على قوابنا مني سناءوا ، فلما فرغ رعماؤنا من تشيبه أفاموا به حامية يفظة بمام اليفظه ، فاطمأنت جوانح العسكر كلهم ، وأحسوا كأنهم داخل مدينة منبعة ، ذات قلعة تكفل أسوارها لهم الحماية ، وتقيهم عادية الهجوم عليهم .

كان هذا المعقل يقع سرقي الفلعة التي شيدت منذ أمد قريب.

کذلك كان يوجد الى الجنوب سور يجاوره مسمنعع ، على حيى كان الى الغرب والشمال النهر الذى يجرى معرحا حول أنطاكيه ٠

#### \*\*

وبعد حمسة أشهر من هدا الحصار دخلت مصب الهر من ناحية البحر سفن فادمه من جسوة ، محملة بالحجاج والمئونه ، فلما أرست حيث وصلت أفامت ، ثم بعنت حماعة منها الى المعسكر ، سئال مجيء بعض الزعماء الى الحنويه لتقودوهم في أمان الى المعسكر .

وكان العدو يعرف أن فومنا اعتادوا الخروح الى الشاطىء عير حذرين ، كما كان يدرك ما عليه البحارة من لهفه سديدة للذهاب الى المعكس ، فسد رجاله عليهم حميع الطرق والمسالك ، ونصبوا الكمائن لنصيد السابلة الذين لم يحاطوا لأنفسهم ، مما آدى الى مصرع الكثيرين منهم ، حنى لم يعد أحد يجرؤ بعدئذ على الذهاب الى المعسكر الا أن يكون فى حراسة مشددة .

وصمم الزعماء في هذا الوقت ذابه على اقامه حصن عبد رأس الجسر ، مكان مسجد كان لخصومهم ، راجين أن بسد هذا الحصن الطريق في وحه العدو بعض الشيء ان أزاد الوصول الى الحسر .

وحدث أن أعدادا كبيره من الصليبيين كانوا قد نزلوا ناحية الشاطئ لانجار بعض الأعمال البي كانب لهم هناك ، فلما فرعوا منها عادوا الى مواضعهم .

### \*\*\*

وكان الاحسيار فل وقع على كل من بوهيموند وكونت بولور ومعهما لورد ايقراردي توسيه وكونت جاربيه دي جراى من الزعماء لمرافقة السفارة المصرية حتى الساحل على أن يقوموا في عودنهم بحراسة الحجاج(۱) الذين وقدوا منذ فريب ، والحفاظ على من حرجوا من معسكرنا ، قلما علم أهل أنطاكية بنزول هؤلاء السراه من القوم الى الشاطيء بعنوا ضندهم أربعة آلاف فارس مدحجين بالأسلحة الحقيفة وعهدوا اليهم بتسبب الكمائن ، قاذا خاطر الصليبيون بالعودة ولم يأحدوا الاحتياطات اللارمة كر عليهم هؤلاء الفرسان كرة ضارية ،

وحدب فى البوم الرابع أن كان الحراس عائدين مستصحبين معهم عددا كبيرا من الناس ، وكبيرا من دواب الحمل عليها شسى أنواع الدخيره دون أن يكون معهم سلاح ، فلم يشعروا الا والعدو يباغتهم فى بعص الشسعاب الضيقة ويسسدها عليهم ، وكان كونت تولوز يسير فى المقدمة مع حرس الطليعة ، أما المؤخرة فقد وكلت حمايتها الى لورد بوهيموند .

<sup>(</sup>١) المسود بهولاء الحماح د الحوية ، ٠

وعلى الرعم من بساله هؤلاء الهاده الجديرين بكل احسرام الا أنهم لم يسنطيعوا ـ كما أرادوا ـ السيطرة على من معهم من جموع راح بعضا يزاحم بعصا ، كما عجروا عن مد يد المعونة لهم لكن ذلك لم يمنعهم من الصمود طويلا حفاظا على شرفهم وحمايه لرفافهم ، فلما نبين لهم أحيرا عدم جدوى أى مجهود يبذلونه في هدا السبيل وأن هلاك أرواحهم انما يكمن في ابطائهم تخلوا ـ بدافع من حرصهم على سلامهم ـ عن هذا الصراع الذي هو بين طرفين عر مكافئين ، وانفلبوا الى المعسكر بمن اسنطاع اللحاق بهم ، واذ ذاك مختلفه ، فانطلق بعضهم الى الغابات ، وهرب البعض الآخر الى مختلفه ، فانطلق بعضهم الى الغابات ، وهرب البعض الآخر الى السلال أما من لم يسمعهم الفراز فقد سماوسهم سمسوف العدو ، فكانت المكبة التي حلت بقواننا في هذا الموضع حسيمة ، وقد وصلتني معلومات شبي عن عدد من هلكوا في هذا الحادت ، وان قالت الأغلبة انهم كانوا فرابة بلايمائه من الجسمين ومن مختلف الأعمار ،

### - 0 -

فى هذه الاثناء وصل الحبر الى المعسكر بأن العوم الذين كانوا راجعين من ناحية البحر قد وفعوا فى كمين نصبه العدو لهم ، وأنهم قتلوا جميعا عن بكرة أبيهم فى هجمه لم يكونوا ينوفعونها ، ولم يسنطع أحد ما أن يخبر عما اذا كان العادة مازلوا أحباء أم أنهم صاروا فى عداد الهلكى .

واذ كان الدوق جود فروى رجلا جم النشاط ، سريع المبادرة الى حسل السلاح ، فقد تفجرت نفسه عطف على شعب الرب ،

و يفطر فلب رحمة بهم حتى لكابيم آولاد صعار له ، ومن ثم استدعى الرعماء والجند وأمرهم بحمل السلاح في لحطبهم هذه ، ثم بعب المبادى يبادى في الناس ألا يعيب أحد عن هذا الموقف المخطير والا استحق الموب . بيل يتحتم على الجميع ان يهبوا لأسلحتهم انتفاما لدماء احوائهم ، فتجمع كافه الجند وكانهم رجل واحد ، ولم يتوانوا عن عبيور الجسر المصنوع من القوارب ، تم فسمهم الدوق الى مجموعات ، ورأس عليهم جميعا روبيرت كويت تورماندى وكويت فلاندرر ، وهنج الكبير ، وأحاه استاس ، وحدد لكل طائفة مكانا لايشاركها فيه عيرها ، ولا تبعداه هي الى سواه ، وأمر أن نقف كل جماعة بقياده قائدها ،

م أحد الدوق بشرح لهم الوصع باعسارهم رجالا مدركير لمسئوليتهم ، وأنار حميمهم بكلماته الملهمة اد قال لهم : " لو صحما سعل اليما من أن أعداء النصرانيه تاسما وعقبدا . قد أظهرهم الرب على سادنا واحونا بسبب آنامنا ، قالراى عندى أيها الرحال الأمجاد أنه لم يبق لنا الا أن نمحو العار الكبير الذى ألحقوه بسبدنا المسنح ، أو نهلك مع من هلكوا ، وصدقوني أن لسب الحساه ولا السلامه أحل مداقا من الموت او أى ألم من الآلام ان ندهب دم هؤلاء السادة هندرا في البرى ، ومحال أن نمر هنده المدينة المروعة النبي جرت على شعب وهب نفسه للرب دون أن نواحه بانتهام عاجل ، ويبدو لي أن أعداء الملة سوف يبطرهم انتصارهم فلا يحتاطون لانفسهم كما حرت عادنهم ، لذلك فانهم لن يترددوا عامنادا منهم على بأسهم لي قن يشفوا طريقهم بين صفوفنا أنناء عودنهم بالاسلاب والغنائم ، واعلموا أن ما نحن قبية من موقف محزن دام حرى بأن يحملنا على مزيد من الجذر ، أما المكاسل فبغرى صاحمه بالاهمال ،

« قال رأيم الصواب قبما أقول فهبا بنا نسبعد لهم ، وطالما كما على حق قاننا نظمع ان نحرد النصر بواسطة الواحد القوى الذى نؤمن به ، وتحارب في سبيله ، قادا ترامى للعدو أن يعود فيقتحم صفوفنا فلنتقابله سطبى سبوفنا ، ولتكن ذكرى ما صنه علينا من المصائب مذكية قنا ما كان عليه آباؤنا من الشجاعة ، •



ووقعت حطبه [ الدوق حودفروى ] هده موقع الرصا من تقوسهم واستصونوها كلهم ، وبينها هم يتدارسون كلامه هذا اذا ببوهبموند يطالعهم عائدا من النساطىء الى معسكره ، وفي الره الكونت لم يغب دونه الا فليلا .

ورحب الناس برعيميهم سرحبيا صادفا لم يستطعوا سعه أن يحبسوا دموعهم من الانهماد ، اذ أدركوا أنهم كانوا على وشك أن يفقدوا هؤلاء الفاده ، ولم يكد الزعماء يعلمون بخطة الدوق حنى وافقوه على فكرنه وصرحوا بوحوب ننفندها .

### \*\*\*

كان ياعى سيان فى هده الأنماء – رعم علمه بالمصار قواله – مشغول الخاطر ، فلق المال بشأن سلامة عودتهم ، لاسيما منذ أن عرف أن الجمد الدين تركوا المعسكر كانوا أكبر عددا مما جرت العادة به ، ومن ثم نودى فى الناس جمعا أن يخرج فى الحال من فى المدينة من أهل الخبرة بالحرب والقادرين على حمل السلاح ، وأن يجنمعوا عند البوابة الفائمة عنه الحسر لنجهة أهل الله العائدين ، أن دعت الضرورة الى ممل هذه النجدة .

كما أن قوادما بعموا من ناحيمهم كشافة مفقد الطريق الذي

كما أن قوادنا بعنوا من ناحيتهم كشافة تنفقه الطريق الذي يحتمل أن يستلكه العدو في ايابه ، ايمانا من هؤلاء القواد بأن الرب لابد أن بمنحهم النصر ·

## - 7 -

لم يبوان الصليبون لحطه في سظيم صفوفهم ورفع أعلامهم ، وسما هم يبرقبون طلائع الجسس البركي اذا برسلهم فد جاوهم مسرعين ، ينبؤونهم بأن العدو قد رابط على مقربه منهم ، فنعالت صرخابهم المجبونة نحب ناسما على حمل السلاح والرحف لصده ، ومن ثم تقدمت الكنائب ما وسعها النقدم ضارعة الى الساء أن بعبيها ، وراح كل واحد منهم يشجع رفبته ، وقام الصليبون – وفي ذهنهم شهره بطوليهم – بهزون الرماح في أيدين ، وكروا على حصمهم كرة رحل واحد وكنفوا ضعطهم عليه – كمالوف عادتهم – يهاللونه بالسيف وجها لوجه ، دون أن يدعوا له قرصية يليفط فيها أنقاسه انتفاما للمصائب التي أنزلها بهم والتي لا رالت عائفه بأدها بهم ، قطار قلمه سعاعا ، وأدبر موليا وحهه سطر الجسر المؤدى الى المدينة ، يسابق كل واحد من رجاله الآخر في الهروب •

على أن دوق، اللوربن كان فد جابه كبيرا من أمنال هذه الأرماب، وكان عسكره فد احتلوا موقعا أدام الجسر تقوم تجاهه ربوة عاليه بعض الشيء ، وكان النرك في فرارهم أمام زعمائنا الموقرين أحد رجلين : اما رجل يتعس فيسقط وهو يحاول بلوع الجسر النماسا للمجأ له هناك ، واما رجل لامحتص له من العودة الى موت مؤكد يلقاه في ساحة المعركة الني كان قد لاذ منها فرادا .

( الحروب الصلسة حا ) - ٣٢١

واذ كان كونت فلاندرر محاربا صنديدا ، بارعا كل البراعة في استعمال السلاح ، فقد خرج بعسكره مقتقبا أنر الأعداء في عرم لانقل شبانه ، فقرق صفوفهم ، وأنرل بهم من الأهوال مدل الذي أنرلوه من قبل بعسكرنا ، ولم يكن كونت نورماندي أفل سجاعة من آبائه ، فابلي البلاء الحسن في هذه الموقعة .

وكان هنا كونت تولوز المنحمس لربه ، والى جانبه هيح العظيم الفخود بما يجرى في عروفه من دم ملكى ، والدى لم يشن نسب أسربه العربي بأى شين ، وكدلك كونت اوسساس أحو المدوق ، وبلدوين كونت هيبولت ، وهيح كوب سسب برل ، وغيرهم من أهل المكانة \_ فحملوا جميعهم على العدو حملة صدق ، وأظهروا من أعمال البطوله ما أرحق فوة المعادبن ، فدبحوهم دبح الحراف ، وكأن باغى سبان لما أرسل قوانه للحرب أمر باغلاق أبواب المدينه من خلفهم ، ليقطع عليهم كل خطة للارتداد ، ساعيا من وراء دلك الى مصاعفة ضراويهم ، وحملهم على المزيد من الشدة في العبال ، معتقدا أنه بذلك يسلك أحسن المسالك وأجداها ، عد أن الخائمة حاءت على غير ما كان يرحوه ، فقيد هلك رجاله الدين لما رأوا احداقنا بهم لم تقد لهم قدرة على صيد هجومنا ، الدين لما رأوا احداقنا بهم لم تقد لهم قدرة على صيد هجومنا ، ولا الفكاك من ضعط رجالنا عليهم ، فالتمسوا خلاصهم في الفرار الذي لا خلاص لهم سيواه ، ولكن خانهم هيذا الأمل اذ كان الموت أيم المرصاد ، فتناوشت سيوفنا الفارين منهم ، وفرفتهم شر ممزق .

وتردد فى أنحاء المعسكر فرع الأسلحه ، وقعقعة السبوف البراقة ، وصهيل الحمل ، وصراخ الرجال ، واختلط الحابل بالمابل ، ولولا اختلاف سلاح كل فريق عن الآخر لكانت اتفه غلطة مؤدية الى الخطر الداهم الذي يحمل في طياته الهلاك .

و بجمع على أسوار انطاكيه ويوق أبراجيا ، سياء المدينة وبنائين وصفارهن وسبوح البلد ، وكل من لسن عبده قدره على الدفاع عن نفسه ، نشساهدون ـ من مكانيم الذي يفقون فيه ـ المدينة الذي يحرى من تحديم ، وعلا بكاؤهم وراحوا تندبون فسارع أصحابهم ولسان حالهم يقول « ما أسعد من يرقق يهم الموت فلين أرواحهم فبل أن تمسهم هذه الخطوب » .

أما الأمهات اللاس كن يتفاحرن بكتره أولادهن ، فعد أصبحن موضع الرئاء وصارت العافر منهن أسعد من كل دات ولد » ·

ولما رآى ياعى سبال أن الدائره لد دارب على لومه ، وأن البعية الباقية منهم لابد حالبه في هذه المدبحه اللي لابرت على قرب منه ، أمر بسرعة فلي الأبواب حلى يلمكن البافول من جيسه من دخول المدينة سالمين ، لكنهم لراحموا على الأبواب اللي أزللت متاريسها تزاحما شديدا . وتعالى ضحيجهم وصراخهم ، دلك لال المفارين الذبل كان الحصم بسنيهم حاولوا عبور الجسر ، لكالرب جموعهم ، وندافعوا فزعين يدفع بعضهم بعضا مما أدى الى سنوط الكبرين منهم في اللهر فنرقوا في لجنه .

ولعد صال دوق الماورين أبدع صوله في هذا الاشداك فبرهي على أنه مسعر حرب وخواض غمران ، وشاعده المساء اذ اقترب وهو يعاتل حول الجسر ، وفد جاء بالدليل البي على بأسه الذي ميزه عن سواه ، ركان ما عام به من العمل أدرا باعرا خالدا ، ومأثرة زادته اجلالا في بطر الجيش كله ، اد الدفع بما طبع عليه من جرأه فكان يصرب الضربه الواحده يقطع بها رؤوس أكنر من فارس مدرع ، بم قص بشبجاعة فارسا آخر لم يمنعه ما عليه من زرد الحديد من أن يصببه بضربة فطله نصفن ، فتدحرج أعلاهما على الأرض ، وأما أسفلهما فقد دفعوا به الى المدسة فتدحرج أعلاهما على الأرض ، وأما أسفلهما فقد دفعوا به الى المدسة

محمولا على فرسه ، فبث هدا المنظر العجيب الخوف والدهشة فى نفوس كل من شاهدوه ، ولم يعد خبر هذا الأمر العجيب حافيا على أحد ما ، وتنافله الألسن ، فشرق وعرب ·

ويعال ان خساره العدو يومذاك فاربت ألفى رجل: ولولا دخول الليل الذى حسدنا على أمجادنا وانتصارنا لانهى حصار أنطاكيه من غير سُك فى هدا الوقت، وكانت آبار المذبحة واصحه كل الوضوح حول الجسر والنهر الذى تبدل لون مائه، وراح يصت فى البحر سيلا جارفا من الدماء ولقد قبل ان التى عسرمن الحكام الأتراك لقوا مصرعهم فى هذا القتال ، فكانوا خساره للمدبه لا تعوض، وأكد هذا الحبر فيما بعد تأكيدا قاطعا المواطنون المسيحيون الدين قدموا من أنطاكيه الى معسكريا .

## - V -

حبن طلع النهار على الدنيا عاود القادة اجنماعهم ، ساكرين الله المدر على ما آياهم من المصر ، ثم عمدوا \_ فبما بينهم \_ محلسا لمنافسة الوضيع فانفقوا بلا استناء على تنفيذ خطمهم الأصلية بحذافيرها ، ألا وهي اقامة حصن على رأس الجسر لمنع المواطنين من مفادرة المدينة ، وليسر في الوفت ذائه على رحالنا حركتهم ويزيد من سلامتهم اذا ما رغبوا في النحوال هيا وهياك .

وكان فى ذلك المكان \_ كما قلنا سابقا \_ مسحد بؤدى البرك فمه شعائرهم الدينية ، وقد حعلوا ناحبة منه موضعا لدفن موتاهم فلما كانت الليلة السالفة ، وصدر من اليوم النالي ظلوا بنقلون

جنث موتاهم الى دلك الموضع ، فلما تأكد رجالنا من صدق هدا الخبر ، الدفعوا الدفاعا شديدا الى ذلك المكان ، يحدوهم الأدل فى العنور به على غنائم نكون مدفونة مع المونى ، فنبشوا العنور وأخرجوا المجثث ، ولم يقتصروا على أخذ ما وجدوه من الذهب والفضد والأفمشة الغالية بل امتدت أيديهم حبى الى الجنب دانها فعنوا نها .

ولما فشا هذا الخبر أيقن الجمع مدى ما أصحاب العدر من خسائر كانب فى دادى، الأمر موضع شك ، لان العدال الدى اللا ، فاغبط الصليدون بهذا النبأ عبطة حاوزت عبطهم بالنصر الذى أحرزوه فى يومهم السحابق ، ولقد وحدوا فى دلك المقدره أاعا وخمسمائة جنة سوى من ابتلعهم النهر فى مرات كبيره حافت فينا المخسارة بهم ، وسوى الذين قبروا فى المدينة اضافة الى من أنهالهم ما يقرب من ثلاثمائة وأس من رؤوس القتلى الى من كانوا موحود بن بالميناء ، فنضاعف سرور رجالنا الذين كانوا قد ذهبوا الى حماك بعد معركة النوم السالف ، وكان هذا تحذيرا نافعا للسفراء المصربين الذين كانوا لا يزالون فى المناء ولم يغادروه ،



كان الصلببون الكثيرون الذبن فروا من أخطار النوم الخابر مختفين في كهوف الجبال وأعماق الغابات ، فلما سمعوا بخسر انتصارنا بادروا في الحال الى الرجوع الى المعسكر ، وهكذا شاء ارادة الرب أن يعود الى الحش كثر من الجند الذين اعتقد الناس أنهم هلكوا في المعركة ، لكن ها هم الآن يعودون الى الجبش سالمين ، معافين من كل أذى بفضل الرب •

لم يكك يرجع هؤلاء الذين كانوا قد فروا الى مخلف الحهات حتى أقيم على رأس الجسر متراس من الأحجاد الني حملوها من

المفابر ، وأخد الموم يتبارون في مساعده بعضهم البعض ومعاونه كل منهم زمنله في تشبيد المعقل الذي حصن بسور قوى وأحبط بخندق عميق .

ىم أخد الزعماء بعد ذلك في النشاور عمن يقوم بحراسة هذا المكان ، ولم يكن أي واحد منهم مستعدا لحمل مسئولية ثقبلة كهذه المستولية ، وراح كل منهم يقدم هذا العذر أو ذاك ، غير أن كونت بولوز \_ وهو المرضى عنه من الله \_ نطوع لحمل المسئولية ، ويعهد من أحل الصالح العام أن يقوم بحراسة هذا البناء الجديد ، فاستعاد نماما حب كل رجال الحملة له ، وهو حب كان قد فعده مده عام لوقوعه فريسة لمرض عطله عن الحركة والفعالية على مدى الصيف الماضى وطول السبتاء التالى له ، ففي الوقت الذي كان بقية النادة ابانه ينحملون مسئولة الجبش بعزيمة لا نقهر كان هو د، نهم كأنما لا يصمه من الأمر شيء ، وكانت تنقصه البشاشة ، ولم يعلهر الود تحاه كائن من كان ، وتجلي هذا واضحا غاية الوضوح لكل ذي عسن، فعزوا ذلك الى أنه كان أكنر القوم مالا وأعظمهم ثروه بصورة ينوقمون معها أن تحمله على بذل الكئر من أجلهم ، ولقد أراد أن بعوض ما كان من تراخبه وعدم اكنرائه فقام من نلقاء دانه وتحمل عب هذه المهمة ، وقبل أيضا انه وضع نحت تصرف أسعف بوي و يعض النبلاء الآخرين خمسمائة مارك فضمة وزنا ، تعويضا الأصحابها عن الخبل الني هلكت لهم في هذه المعركة ٠

فلما عرف أتباعه أنهم عوضوا خيرا عن جيادهم التي فقدوها أظهروا من ضروب الشبجاعة والتفنن في محاربة العدو ما لم يظهروه من قبل فهدأت حدة الشعور ضد الكونت ، وسماه الجبع بأبي الجيش وراعبه •

لقد سدت بوابة الجسر بالقلعة الجديده السي أفام بها الكويب حمسمائة من الرجال الأشداء ، مما حعل مرور المواطبي م خلالها لا بسسى الا بشق النفس وبالمعرض للخطر البالع ، لكمها من ماحمه أخرى حعلت قومنا أكبر قدره على الخروح من أجل فصاء مصالحهم الضرورية ، أما العدو فلم يعد قادرا على مغادرة أنطاكمة الا عن طربق الموابة الغرسة الواقعة بين سفح الجبل والبير ، ويطهر أن تمم العدو بالقدرة على الخروح من نلك الدوابة لم بحرص قواننا لكبر من الخطر ، اذ كانت جمع خيامنا منصوبة على الحاب الآحر من النهر ، ومم ذلك فقد شعر الكل أن المحصورين كابرا ممدون بكسر من الحرية في المحرال ، لأن حاحات المدرة الصرورية كانب لا يرزل تو سيدًا الطريق ، لذلك عقد القاده الشحوال الحالار الدكر مرة أخرى مؤتيرا من بسهم للتداول في شأن هذه المسكلة التي رأوا وواجبها بافامة بعض النحصيبات في موضع ملائم على الحالب الآخر من البر، وقرروا أن يقيم بها بعض هؤلاء الزعماء ، لرصدوا العدو أن أراد الخروح منها أو الدخول المها فمحولون بمنه وبين ما يرمد ، وعلى الرغم من انعقاد احماعهم على وحوب تسبيد ذلك الحصن ، الا اله لم ينقدم قط أحد منهم فمنطوع وبنهض بحراسنه ، وترددوا كابهم تحاه هذه الصعوبة ، ولم يدروا أي سبسل يسلكونه فها ، وطال برددهم ، ثم استقر الرآى منهم في النهاية على اختبار تانكريد الحم النشاط لأداء هذه المهمة ، وكان على وشك الاعتدار عنها لقلة ما سده من المال ، لولا أن نهض كوب تولوز وقدم الله مائة مارك من الفضة لتشميد الحصن ، نضاف الى ذلك تخصيص مبلغ ماسب قدره أربعون ماركا شهربا يقبطع من المال العام بدفع للذبن سوف بعماون مع تانکرید ۰

verted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version

ولقد رتب على كل ذلك أن سُيد حصن ملاصق للك البوالة يفوم على أحد الللل ، حيث كان موضعه في السابق أحد الأديرة ، وعهد بحراسته الى رهط من أهل الحجى الأسداء فبعى هذا الحصن سليما حيى نهاية الحصار بفصل جهود بانكريد الناجحة .

وكان يوجد على بعد ثلاثة أميال أو أربعة بحت أبطاكية ، وعلى المداد بهر العاصى مكان للتعبد ، يتمنع بموقع دائم بين الجبال وس النهر ، حسب كانت قطعان الأغنام بسرح هناك في المراعى الحضراء الغنية ، البي كان العدو قد بقل البها معظم جناده لقلة ما قي المدية من العلف ، فما كاد الصليبيون بنيبون هذه الحقيقة حبى حمعوا في هدوء بضع سرايا من الفرسان الذبن أسرعوا الى تلك البقعة ، وسلكوا البها طرف مهجوره حبى لا ينكشف أمرهم ، قلما صاروا هناك وثبوا على رهط من الفرسان القوامن بحراسة الماسية ، وقداوهم ، واستولرا على آلفي حصان من الحيل الصافنات ، ناهيك عما أخذوه من البغال وانائها ، وعادوا بكل ذلك الى المعسكر ، ولم بكن ثم عنائم من أي بوع أكثر أهمية من هذه الغنائم عبد الصليبين في ذلك المحتن ، لأن جميع حيادهم كانت قد هلكت تفريبا في المعركة ، أو نفقت من الجوع أو البرد أو غير ذلك من الكوارن ،

# -9-

أحمط بالمدينة من كل جانب ، وعجر سكانها عن محاوزة أسوارها لمزاولة أعمالهم ، وهكذا أحدقت بهم الصعاب الجمة من كل ناحبة ، كما بدأك بهددهم أيضا مسكلات أخرى كنقص الطعام الذي

واحبهم نجأه وأصمن مسحه بحشهم بصوره بعب الناع السديد في ملوب المراطبين ، كما أصبح العلف بادرا بدره بالعة ، فهراب الخبول ، وعجزب عن القيام بما كابت يقوم به من قبل .

أما رجالنا فقد أصبحوا أكس حرية فى الدهاب الى سُاطىء البحر ، أو حينما ندعوهم الضروره الملحة ، ورال الى حد بعسه ما كان يكابده الجيس كله خلال السناء من هم مقتم بسبب قلة المؤونة ، فقد ولى السناء ، وجاء الربيع الطاق ، وهذا البحر ، ولم يعد الأسطول الراسى بالميناء يلقى مسقة فى الدخول أو الحروح دمى شاء ، عدا الى حانب أن الطرق غدت سهلة المسالك بقصل الدف المنزايد . فاسنطاع كل ذى مصلحة أن يخرج لانجاز مصلحه من غير عسر .

كدلك رحع الى الجبس الصلىبون الذين كانوا مصوا لفضاء وقسم فى الفلاع والمدن المجاورة ، فرارا من شطف الحماه وقسوبها فى المعسكر ، وحهزوا أسلحتهم وقويت عزائمهم ، وأعدوا عديهم للقسال •

### \*\*\*

على أنه فى هدا الوقت بالدات جاءب الأحدار الى بلدوين – أخى الدوق – بأن الجينس فى صراع مرير ضد المجاعة ، فتفطر وابه بالأسى الصادق ، وعزم على امدادهم بضرورات العيس مى فائص أمواله الخاصة السى أنعم الله بها عليه ، فكانت عطاياه السخية من الذهب والفضة والاقمسة الحربرية والجياد الصافعات رعير دلك من كل غال وثمين بلسما داوى ظروف كل زعم ، ولم يقسصر كرمه على كبارهم فحسب ، بل تعداهم الى الكثير من عامة الماس ، مما أكسبه ميل الجميع اليه وحبهم اياه ، وزيادة على ذلك فان سخاءه لم بقل ميل الجميع اليه وحبهم اياه ، وزيادة على ذلك فان سخاءه لم بقل

عن هدا بجاه مولاه وأخيه الأكبر ، فأمر بأن بحول الى حودفروى

عن هدا بجاه مولاه وأخيه الأكبر ، فأمر بأن يحول الى حودفروى جميع ما تفله أملاكه الخاصة الواقعة على دلك الجانب من بهر الفرات حول بل باشر والاقليم المجاور له ، فأمده بالحبوب والسعير والزيب والنبيد ، الى حايب خمسين ألف قطعة دهبية وصله بها ،

### \*\*\*

كان هناك عطيم من عطماء الأرمن سُنديد البأس استحمه « نيكوسيوس » نربطه ببلدوين وشائج الموده الصادفه ، وقد قام من بلعاء ذائه وبدافع من نعديره لبلدوين ، بارسال طائعة من رحاله يحملون الى الدوق فسطاطا كبير الحجم ، بديع الصبع هديه منه البه ، الا أن باكراد بصب كميما لاصطباد الحدم الموكل المنهم حراسه هده الهدية ، وأمر باغنصاب هذا الفسطاط ، وأن يحمل الى بوهموند ، كأنه هديه منه هو ذانه البه ، فوصل الى سمع الدوق ببأ هذا الفعل السسع مع تفصيل شامل للحادب كما رواه خدم نىكوسىيوس ، وحىنداك خرج جودفروى مستصحبا معه كويت فلاندرز الدى نوسب بسه وبسه وشائح الصمداقة المصفة طوال الرحلة ودهب الى توهموند طالبا الله أن يرد عليه الهدية الير كانب مرسلة الله هـو ذاله ، ولكنه اغتصبها لنفسه ، غـر أن بوهسمو به ادعى أنها مهداة البه هو ذانه من النبيل «باكراد» ، وزعم أن من حقه السرعي الاحتفاظ لنفسه بما يطلبه منه الدوق ، فلما خيف أخرا من وفوع شقاق في صفوف الناس ، أو حدوث نزاع بن القادة ، استجاب [ بوهموند ] لالتماسات الزعماء ورد الي [ حودفروى ] الفسطاط الذي كان مهدى البه ، ومن ثم عادت المباه الى مجاريها مرة أخرى بين القائدين ، على أحسن ما تكون العلاقات .

ويخبل الى أنه من المستغرب جدا أن يصر رجل كالدوق يساذ بدمانة الخلق وحسن الطبع هذا الاصرار الشديد على المطالبة بشيء نافه غير هام كهذا السىء ، ولا أسلطيع حيال دلك الا أن أقول ما حا، في المل « ومن دا الذي ترضيك سلجاياه كلها » وما حاء في مثل آخر « لكل جواد كبوه » ، كما ان هناك مثلا غير هدين يقول « يجود للمرء في المهمة السافة أن يعفر لحطة » · دلك لأنه كبيرا ما ترى في أنفسها انحرافا عن حادة الصريات تقضى به قوابين الطبيعة البسرية ·

## - 10 -

سرى فى دا، الآراز سائيه عمن كل المواحى بدول أن أحد أمراء الفرس الأفوياء استجاب لمطالب الأبطاكيين الحاصه ولالحاح تومه المسنمر ، فأمر بحشد المسكر من كافة أرجاء مملكته ، وارسالهم بحدة الى المدينة ، وقد أداع مرسوما عالما يأمر فعه بزحف حسس مركى فوى على بلاد المسام ، اصطفى لقمادته جماعة خاصة من الأمراء وكل المهنم المهمة ، ولم سر هذه الشائعة فى العالم الحارحى وحده فحسب ، ولا عرفت هناك فقط ، بل لقد تحدب بها أيضا حمى اللاجئين من المدينة الذين فروا الى معسكرنا وأكدوا صدقها الذى أخذ بزداد يوما بعد بوم ، حتى قيل ان هذا الجيش أصمح على أبواب المدينة ، فاستبد الذعر بجيشنا واستولى عليه الفزع .

فى هذه الأزمة قام ستيفن كونت شارترز ، وهو رحل نسل واسع النفوذ ، نصبه الزعماء رئيسا لمجالسهم يستشيرونه ، وينزلونه منزلة الوالد لرجاحة عقله التى لا تجارى ، وحسن حكمه على الأمور ، أقول قام هذا الكونت يسأل اخوانه أن يأذنوا له وقد تعلل بالمرض \_ أن يفارفهم ليذهب الى الساحل ، مستصحبا معه خدمه وأتباعه وكل ما يملك ، وكان ما أخذه معه شيئا كثيرا للغاية ، أما

عذره الذى مدمه بين أيديهم ذور رغبنه فى الاقامة بعص الوقف فى الاسكندرونة حتى يسترد صدمه وبنه ناهه نعسب على العوده البهم •

وتقع الاسكدرونة على شاطئ البدر ، ولا سعد كبرا عن المناء ، وبعس المدخل الى صليفيا .

وصحب [ سببس ] في معادرت هذه أربعة آلاف رحل كانوا قد جاءوا في معيته ، فلما بلغ الساحل مضى الى الاسكندرونه في انتظار ما تنمخض عنه الأحداث ، ورسم خلنه على أن يعود الى الحسس ان أحرزت فوائنا النصرالذي يسده بحجة أنه نقه يماما من وعكمه، أما ان حرث الأحداث على العكس من دلك فسوف يرجع الى مقاطعه الخاصة في السفن الني كان قد جهزها ليكون على أهبة الاستعداد لذلك ، فانطوى هذا المسلك من جانبه على العار المقيم وضماع هسته الى الأبد ،

ولقد أزعج فعله المسين هذا الفاده الذين خلفهم في المعسكر، ورأوا \_ وكان حقا ما رأوا \_ أن ما فعله ان هو الا سبة لا يمحى عارها، ولا يذهب شنارها، وأحسوا في الوقت ذاته بحزن تنفظر له المرائر على هذا الرحل النابه الذكر، الذي لطخ بمسلكه هذا شرف بسه وحط من سهرته، فراحوا يتنافسون \_ وكلهم فزع \_ كبف يواجهون هذا الحادث الذي لم يكن متوقعا قط، لما يحمل في طباته من خطر يتمثل في أن قد يقنفي خطاه سواه ممن لا زالوا معهم في المعسكر فيجرؤون على القيام بمثل ما عام به، ومن نم انفقوا أخبرا على أمر لم يشذ عنه أحد منهم ألا وهو أن يبعثوا من ينادي بمنع أي شخص كائنا من كان هذا الشخص من مغادرة المدينة، فان ترك أحد ما المعسكر خلسة من غير اذن الزعماء، لم تشفع له قط وظيفته الرسمية، ولا خدماته التي يكون قد أداها، من أن يصدر ضده قرار

verted by TIII Combine - (no stamps are applied by registered version)

الحرمان ، وأن يحكم عليه بالعار الأبدى ، كما لو كان قد فعل هسا مى غير دنب ، او أديس فدسى مدسا ، عدا ال حالب الرال أقسى أبواع العقاب به ، وترتب على هذا الفراد بما تضمنه من الزجر والحوب من العقوبه أن امسع المال معد دلك الحي عن ترك المعسكر ، حتى ولو لفترة وحيزة ، وأطاع كل واحد منهم القرار كما لو كان هذا الواحد دبريا يستحيب للأمر طواعية ومن عير معارضة ،

## - 11 -

اعتنقت أبطاكبة \_ مدينة الله الحبيبة \_ مله المسمع زمن الحوارين ، حبن بسر بها أميرهم \_ كما فلنا \_ وظلت وفية لها مامرهة بها حتى وفتنا الحاضر •

وسنما كانت أمالم السرق كله ندخل تحد حكم خلفاء محمد [صلى الله عليه وسلم]، وتنتسر فيها عقيدتهم، أبت هذه المدينة أن يد على عليها آنه أده بعسى در ما يصيفه هي ، وعلى الرغم من يسط سيطره [ المسلمين ] تل حميع البلاد الممدة من الحليج الفارسي حتى البسفور ، ومن الينه الى أرض الأسمان الا أن مديه أنطاكيه هذه العردت دون عبرها من المدن والمحافظة على ايمانها سليما غير مغمور ، وحرصت على حريبها وهي يعسس وسط أمم محالفة لها ،

عير أن ما كابدته [ المدينة ] من كبرة الحصار على مدى أرمه طوياة فل في ساعد مواطنها الفضلاء ، كما أرهقنهم هجماب المدو الني لم تعد محملة ، فما لبنوا \_ قبل أربعة عسر عاما من الوقب الذي نكلم عنه الآن \_ أن تلاشى صمودهم ، واضطروا لتسليم بلدهم

أنطاكيه الى عدوهم ، وحدث آنه لما بلت جيوسنا أسوارها كان جل سكانها من المؤمنين الصادفين ، ولكن لم يكن لهم أى حول أو فوة في المدينة ، وقد احرف معطمهم البحياره ، واشتعاوا بالحيوف البدويه أجراء عند عبرهم ، ولم يكن مسموحا لهم ولا لأهل المالم الأخرى غير الترك بمزاولة الأعمسال الحربية أو شعل الوطائف الهسامة .

وحرم على الصليبين احرار السلاح ، أو ممارسة أى سىء بم بأى صله لسئون الحرب ، لدلك ما كاد الحبر بافنراب الحجاج القادمين من الغرب يصل الى مسمع كبار رجال أنطاكمة ، حمى ازدادت ريبتهم فى المؤمنين(١) عن ذى قبل ، ومنعوهم للسيما بعد حصار المدينة لم مفادرة بيوتهم، ، فكانوا لا يخرجون منها الا فى ساعات فرضوها لهم ٠

### \* \* \*

كان بين أهل المدينة بعص أسرات معسة شريفة الأصل كربمة المحتد ، توارثت المجد القديم عن الفضلاء ، وكان من بعنها أسرة بارزة بسبب أصلها العريق تدعى بعسى «زردة» ، التي تعنى في اللغة اللاسسة أبناء صناع الزرديات ، ولهذا سمى بنوها بهذا الاسم ، وربما كان ذلك نسبة الى اشتغال جدهم الأكبر بهذه الحرفة ، أو لأبهم هم أنفسهم استمروا فيها ، ومن المحنمل أن بعض رجال من هذه الأسرة كانوا لا يزاولون هذه الصنعة ، ويعملون في هذا الفن الذي ظل على مدى أحال متعاقبة وقفا عليهم ، حتى أورثهم هذا اللقب ،

<sup>(</sup>١) يعنى المؤلف بهم المسيحين من سكان أنطاكية •

وكان هناك برح يعرفه الناس ببرج الأحدين يقع في الجانب العربي من المدينة ، ومجاورا للبوابة التي تعرف النوم ناسم سنت جورج ، وقد خصص هذا البرح لنلك العائلة حتى يمكيم راولة عملهم في طمأنينة في هذه الحرفة الني كانت دات أهمية فصوى لكل من المدينة وواليها .

وكان من هذه الأسرة شقيقان يدعى أكبرهما بهيروز ، وهو رجل فوى النفوذ ، عظيم الجاه ، الى جانب أنه كان كبير عسيرته وأسرته ، وكانت تربطه أواصر صدافة مبينة العرى بوالى أنطاكته و باغى سيان المسلم ] الذى أعدق عليه نصا كبيرة سرفه بها ، يكان فيروز كانم السر فى القصر ، الى حانب تقلده عير دلك من الراائف السامية ،

وسمع فيروز بأن ه بوهيموند » أمير كبير دائع الصنب ، رله صلع بارز في كل ما هو جار في الخارج ، ومن ثم ما كاد الحصار ببدأ حتى نجع فيرور في كسب ود بوهندوند بواسطة الحادثات المرادفة بنهما ، كما ظل فتروز طوال استمرار الحصار حريصا على هـنه الصدافة ، فلا تنقصي يـرم حتى يرافي بوهنموند بنتيسل ما يجرى بالمدينة ، ويبعث اليه بخطط ياغي سبان ، واذ كان أمروز رحلا داهية ، فطنا ، يقظ الفؤاد ، فقد حرص كل الحرص على أن بطل خسر انصاله بوهنموند سرا مكنوما بنيما ، ونحح في ذلك غانة المجاح ، لانه كان نخاف أن بحدق الخطر الكبير به هو وأسرته من كل حانب ، ان وقف سواهما على هذا السر •

وكان بوهموند هو الآخر شديد الكتمان لما بنه وبين هدا الرجل من صداقة فطواها في أعماق قلمه ، ولم يعلم أحد بشى، قط عن صلة الواحد منهما بالآخر ، ولا بالرسل المستمرة بنهما ، بل لقد خفى أمر ذلك عن الجميع ، حتى عن خدمهما وأهل ستهما .

اسسر التفاهم السرى بين هذين الرجلين ـ والدى أسرا الله حالا ـ قرابة سبعة أشهر ، زخرت بالاسمال الودى بينهما بسأن الطريقة التى يمكن أن يتم بها اعادة المدينة الى المسيحين ، وطالما ذكر بوهيموند فيروز بهذه المسأله حتى انتهى الأمر آخيرا بفيرور \_ كما قبل ـ بأن بعث البه بالرد التالى على يد ولده الذى كان بحمل الرسائل المنبادلة ببنهما :

داعلم يا أحسن الرجال ، ويا من هو أغلى على من الحماة دانها، أننى قد أحببتك حبا حالصا مند اللحطه النى شاءت سها اراده الله أن تقوم ببننا هذه الرابطة من الصداقة المنبادلة ، ودعنى أدكرك أكر من هذا أننى وجدت فى كلمانك صادق العزم الذى لا سوفر الا فى الرجل الصالح ، ومن ثم فان حبك آخد بزداد رسوحا فى فؤادى يوما بعد يوم ويعظم قدرك عندى • أما عن الأمر الذى كر نذكيرك لى به فقد أمعنت فبه النظر مليا ، وعنبت ببحيه مرازا ، وقلبته على شتى حوانبه ، فأيقنت يفينا جازما أننى اذا استطعم أن أعيد بلدى الى حريته السالفة ، وطردت هذه الكلاب القذرة الني تعانى تحكمها فبنا ، وأحللت بدلا منها شعبا يبيد الله ، فان بضيم أحرى يوم الحساب ، وسوف أنعم بصحبة القديسين الماركن

« ومن ناحية آخرى ، فلو قمت أنا بهذه المهمة الشاقة الخطرة ، ولم يكسب لى النجاح فبها ، فلن يشك أحد في أن سمكون ذلك بها له ببتى وانهمار سمعة عشيرتى الطيبة تمام الانهبار ، ولن يجرى على اللسان اسمنا أبدا ، غير أن الأمل في النصر لا بزال يراود النفس في القام بهذه المخاطرة ، ومع ذلك فاننى مستعد للنهوض بهذا العمل ان وافق رفاقك على أن تؤول اليك أنت وحدك دون سواك

عده المدينه حين استسلامها بعصل حهودى القويه ، وبعون الرب الذي ربط بيننا برباط الصدافة الوثيق ، وسأقوم بالمهمة مهما كانت صعوبتها ، وسيكون قيامي بها بسبب حنى لصعارى الذين أرجو لهم ولك كل الحير » ·

« وسأسلم اليك من عير عائق هدا البرج السديد الحصانه . الذى نعرف أنه في حوزتى ، وحينداك نستطيع أنب ومن معك دخول المدينة آمين سالمين ٠

« أما ال رأيت الكم حميعا مساوول فيما للكم ورأيب ألب أن تقسيم وإياهم المدينة حين لؤخذ على هده الصورة فاللى لل أرج بنفسى في هذا المأزق الخطير ، ومن أجل خاطر قوم ليس لى هوى فيهم \*

« وانه لينحتم علىك \_ من أجل الصالح العام وسلامة الحميع \_ أن ببذل قصارى جهدك للحصول على هذه الموافقة من القادة المربطين بك ، وكن واثقا كل البقة أبنى حالما أتسلم منك الحبر البهي بأبكم وفييم بهذا العهد ، فلن أنوابى في فنح باب المدينة لكم ليدخلوها ، وهذه هي الغاية التي تلح على من أحلها .

« وأزيدك علما بأنك ان لم تتحرك بأسرع ما يمكن ، فلى تدخلوها بعد ذلك أبدا ، لان حاكم هذه المدينة تصله الرسائل ، وتنوالى علمه الكتب كل يوم ، مسرة الى أن الامدادات الى تحمع من كافة أرحاء الشرق لمساعدته قد عسكرت حول نهر الفرات ، في قوه بلغت مائتى ألف فارس ، فاذا وحدتكم هذه الجبوش لا زلم خارح المدينة فلن تكونوا قادرين بعد ذلك أبدا على مقاومة قوة الأهالى وحوش حلفائهم القادمة » •

( الحروب الصلبيبة حد ١ ) \_ ٣٣٧

شرع بوهيموند مد بلك اللحظة في بذل أقصى جهده لاستكناه مساعر كل شخص من القادة ، ومعرفة ما يدور بفكر كل منهم على حدة ، والوقوف على الخطة المنوفع انخادها بسأن المدينة المحاصره حين يتم الاستيلاء عليها ، وبرع كل البراعة في اخفاء مسروعه . الا عين اعتقد أنهم موافعوه على رعبانه ، وكان اذا رأى الأمل صعنا في نجاحه لدى بعض القادة أرجأ الموضوع الى وقت آخر يكون اكبر ملاءمة ، ومع ذلك فقد وافقه على مطالبه كل من دوف حودفروى . وكونب ولاندرز ، وهبج العظيم ، وصارحوه بأيندهم لما يريده ، واستصوبوا سر الرجل النبيل [فروز] وأنوا على فطيته ، وكنبوا عزمه في صدورهم كنمانهم لأمر لا سنعى أن يعلم به أحد قط ،

أما كونس بولوز فكان الوحيد الذي شذ عنهم فيما ينعلى بهدا الموضوع . وترنب على موقفه هذا ارحاء المسألة ارجاء كاد أن يدمر ما انعق عليه ، لان صديق بوهبموند الحميم [ أعنى فيروز ] . كان رافضا كل الرفض أن يفوم بعمل فيه كثير من الخطر عليه من أحل خاطر الآحرين ، كما ان بوهبموند لم يكن بالنسخص الذي يحهد نفسه في عمل للصالح العام ان لم يعد عليه بالجدوى ، لكنه اسبمر مع ذلك في الحفاظ على مودته الصلاحة مع فيروز فحافظ على الدوام بهداياه وملاطفانه ، كما ظلت الرسائل موصولة ومترادفة بنهما ، وأخذ كل منهما يرعى ما بينه وبين صاحبه من الصداقة وبنيمها ،

عاد في هده الأساء الى أنطاكمه المبعونون الدين كان باعي سيان وأهل أنطاكية قد أرسلوهم الى فارس بغية استجداء العول ، وقد بجحوا في انجار سماريهم ، ويحققت مطالبهم ، ذلك لان أمر فارس العظيم كان قد سمع بما تلفاه أنطاكية من الأهوال فتحرك فلنه عطفا عليها ، وكان من صالحه صد محاولات الصليبيين والعمل على سل فويهم حبى لا ينطلعوا لفيح بعص أحراء من مملكية بحد السيف » ومن ثم بعب الى بلاد الشام حشودا لا يحصيها العبد من الفرس والمرك والأكراد ، بقيادة واحد من أصدقائه المقربين ، كان يستطيع أن يعلمه على سُجاعله واخلاصه وهمله كل الاعتماد ، وألقى الله بالقيسادة ، وجعل تحت امرته أمراء سنين وقوادا وأمراء خمسين وصماطا آخرين دونهم مرنبة ، يطمعون أمره وينفذون كل ما يقصى به ، كما روده ىكتب لها قوة القانون وحهها الى ولاة حميم الأقالم المابعة له . والخاضعة لسلطانه متضمية أمره الى كافة الباس والأمم والقيائل والشيعوب على اختلاف ألسنتها ، أن ينبعوا .. من غير يردد .. ابنه المحبوب دكربوغا، الذي وكل اليه قائدة جيوشه بسبب خدماته، وأمرهم بالامتثال لسلطان هذا الرحل ، وألزمهم بطاعته في كل ما يأمرهم به ، وأن يكونوا وفق مشمئمه فلا يعارضه فيها معارض

رأس كربوغا \_ بأمر مولاه \_ الجيوش الني ذكرناها حالا ، وزادها عددا بمن ضمه اليهم من العسكر الذين جمعهم خلال زحفه في البلاد ، فدخل العراق بمائتي ألف رجل ، وعسكر في ناحسه الرها ، حدث حاءته الأخبار المختلفة وهو بها بوقوع هذه المدينة وكل الافلىم المحيط بها في قبضة أحد قادة الفرنجة الذي كان زاحفا ضده فأجمع النمة اذ ذاك على مهاحمة هذه المدينة \_ قبل عبوره الفران \_ وعزم على الاستملاء عليها قسرا .

ببد أن بلدوين كان عد علم بنقدم [ ياعى سيان ] فجلب أناسا منجعانا من كل النواحى الني حول [ الرها ] لمساعدت ، كما عنى بتوفير كل ما تحتاجه مدينته من الطعام والسلاح ، لذلك لم يزعجه كبيرا بهديدات كربوغا السنديدة له ، حين أمنز الأخير أن يبادى المنادون بأن الجيوش موشكة أن نغير على الرها ، وأن تضرب الحصار عليها بكل ما أوتيت من فوه ، ولكن المدينة فاومته في عناد ، وسرعان ما تحلى للعنان انه لن تجنى كبيرا من هذه المحاولة ، ولن يكون نقدمه فيها ملحوظا ، مما حمل في النهاية جمناعة من أهنل الحجى على الذهاب الى قائدهم ، وطال بينه وبينهم الجدل ، حتى النهى به الأمر الى نبذ هذه المحاولة وعدوها محاولة عارضة ، انصرف ياغى سيان النبية أنطاكية ، وهو الهدف الذي خاء من أجله ، وذكر له هؤلاء لنجلة أنطاكية ، وهو الهدف الذي جاء من أجله ، وذكر له هؤلاء الرجال أن أخذه الرها وأسره بلدوين لن يستغرق منه أكبر من يوم واحد ، وذلك في طريق عودته من أنطاكية بعد رفعه الحصار عنها ،

## \*\*\*

ظل كربوغا محاصرا الرها ثلاثه أسابيع (١) ، أضاع فيها وقته سدى وبدد جهوده عبشا ، ثم بدا له أن يأمر قواله بعد دلك بعبور البهر فأمرها فاجنسارته فسار خلفها محا الحطى في همة كبيره الى هدفه الذى خرج من أجله ، وكان توقف جسس الأعداء أمام الرها ، هو السبب في عدم استطاعة بلدوين أن يكون حاضرا أثناء حصار أنطاكية ، كما كان السبب في خلاص قوما الذين كال البد أن يتحرج موقفهم لل كما تبا فيروز صديق بوهموند لو أن كربوغا زحف مباشرة على أنطاكية ، وأخذها قبل اسنبلاء الصلبين عليها ولكن شاءت نعمة الرب أن تقع أنطاكية قبل وصول المارفين ، والا كان من الصعب على الصلبين أن يقفوا في طريق كربوغا ووالا كان من الصعب على الصلبين أن يقفوا في طريق كربوغا .

<sup>(</sup>١) دكرت الترجمة الانحليزية أنها من ٤ حسى ٢٥ مايو ٠

عبت التبائعه أرجاء المعسكر في نفس الوقب بتعدم هده الحشود الكثيفة وأكد الكثيرون صدق هذا الحبر ، فأيق العسكر أن العدو قد وصل الى اطراف انطاكية ، فاستبد الدعر بهم استبدادا كبرا ، واذ ذاك قام القادة فبعثوا في انجاهات مخلفة رجالا من دوى الحبرة لا يسك أحد أبدا في اخلاصهم وسساطهم ، وطلبوا اليهم أن يفانلوا وجها لوجه أناسا لايغمر ولاؤهم حتى يمكن الحكم الصحيح عن مدى صدق ما أذيع من الأنباء ، وقد اخبير لهده المهمة محاربون سجعان من ذوى الرتب العالية هم « دروحو دى سرل » و « كلار يبوله دی معدیل » و « جیرارد دی سیریزی » ، و « رینالد کونت بول » وعبرهم ممن عابب عنا أسماؤهم فانتسروا مع أنباعهم في نواح محليفه، وبدلوا هممهم مى التقصى الدقيق فأرسسلوا من ملهم وبدورهم الكسافه الى النواحي القاصية ، فصارت بين أيديهم بهذه الطرهه أخبار موثوق بها يؤكد بجميع العسكر [ الاسلامي ] من سبي النواحي والصمامهم بعصهم الى بعض في جيش واحد ، كأنهم الأنهار لنجمع لتصب في البحر ، فلما فرغ الزعماء من ذلك عادوا مؤكدين للعاده الدين كانوا قد بعثوا بهم أنه لا موضع للسنك في الأنباء التي بلعبهم . وبدلك أخذ كبار دادة الجبس الصليبي حدرهم فبهل سبعه أيام من وصول كربوعا بعواته أمام أنطاكية ، فأوصوا الحواسس أن بعملوا حهدهم على بقاء هذا الحسر طي الكسمان ، فلا يسمع به أحد من الياس ، خوفا من استبلاء الذعر على حموع العامه التي أضياها الجوع ، وأرهفها الشدائد الني استمرت طويلا مما قد يدفعها الى بدير خطة للهرب الذي كان طريقا سلكه في الواقع منذ وقب قريب بعص الزعماء الكبار

وحينداك نجمع الزعماء لنبادل الرأى حول الموقف الذى أصبح يكرب الحملة بأجمعها ، ويهدد بمأزق يذهب ريحها ، فسرعوا بروح منواضعة وقلوب حسيعة بندبرون الاحراءات التى بنبعى عليهم اتحاذها في منل هذه الحال الطارئة ، فافترح بعضهم أن تحرح كل القوة المشتركة في الحصار ، فننصدى للجموع القادمة على بعد مناس أو ثلاثة أمبال من المدينة ، وهناك \_ بعد رفعهم أكف الصراعة الى السماء أن نمدهم بالعون \_ يحاولون مقابلة ذلك القائد المتغطرس ، المنفحة أوداحة ديما بس معة من الألوف المؤلفة .

على أن فريقا منهم فضلوا أن يخلعوا وراءهم فى المعسكر وسما من الجيس ، لمنع الأهالى من التسلل والانضمام الى العسكر الوافد اليهم ، وأما ذلك القسم من الجش الصليبى الدى يساو هؤلاء وو وكان أخبر منهم بفن الحرب فعلمه \_ حسب الاقتراح الأول \_ الحروج لصد الكفار على بعد مبلين ، فان رضى الله القدير بما فعلوا واللوهم بعون منه .

وبينما كانوا ينافشون هذا الموضوع منافشه دفيقه ، ويسادلون الرأى فيما بعنهم تبادلا حرا ، نسلل بوهبموند فى هدوء وانتحى جانبا بطائفة من كبار القسادة هم : جودفروى ، وروبرت كوس فلاندرز ، وروبرت كونت نولوز ، حنى فلاندرز ، وروبرت كونت نولوز ، حنى اذا أصبحوا وحدهم فى ناحمة منعزلة ، وعلى مبعسدة من الآخربن خاطبهم قائلا :

« اسى أرى أنها الاحوه الأحباء العاملون فى خدمه الرب ، الكم فد الرعجم فرعا من دنو هدا الزعم ، والذى يقال انه أصبح قريبا ملكم كل القرب ، ولقد كاني لكل منكم لل أثناء المؤتمر الذى انعقد

مند فليل ـ رأيه الذي يحالف رأى سواه ، والذي يصدر عن رعبانه الحاصة . ومع ذلك فلنس ثم افتراح مس الموضوع من حدوره . عسوا حرحنا حصف معا كما افترح تعصكم ، او اقام فريق من الحسيد في المعسكر ، قالواصيح أن حيسودنا الكنيره مهما طال استمرازها ، لن تجدي فينلا ولن يؤني ثمريها ، ذلك لأن في حروحنا حميعا معا نهاية للحصار . وقضاء على أعدافنا ، اذ يعود المواطنون الحرازا لبس عليهم رفيب ، وحيدناك فد ينصمون الى العدر أو بخلون عسكر حلقائهم إلى المدينة ،

« كما أنه لا محيص من حدوب بعس السيجة لو بقى فسم من الجبود في المعسكر ، ذلك لان جميع فواتبا المتحدة حنى الآن لن ىكون قادرة على كبح جماح المواطنين رعم ما هم فيه من ضبى يىعب على النأس ، ورغم أنهم لا يآملون قط في نجده نأنيهم فنعينهم ، فكيف ينسسى اذن لجزء ضئيل من جيسنا أن يلزمهم بالبقاء داحل الأسوار ان وصل حلفاؤهم ؟ ويبدو لي انهم اذ ذاك سمعلون واحدا من السين : اما أن ينصموا الى حلمائهم وحينذاك سسد سُوكة فواسم المتحده في الهجوم علبنا بأعداد نفوق أعدادنا ، واما أن يحالوا بطريقة أو أخرى لادخال جند الحلفاء المدينة ، مع بذلهم الحهد مي برويد أبطاكيه بالسيلاح والميره مما يسد من ساعدها . وفي هده الحالة لن يكون عبدنا ما يؤكد لنا النغلب على المدينة حيى وأو أعانما الله فهزمنا العدو خارحها ، لذلك يبدو لى أيها الساده العطام الموقرون أن الواجب نفرض علمنا أن نسعى السعى كله للاسملاء على أنطاكمة فيل وصول هذا القائد الكبر ، فإن سألموني وما وسملنك الى ذلك ، وكنف يمكن بطميق خطة كهذه الخطة ، فاس أقسرر لكم ـ حتى لا أبدو وكأنى أقسر عليكم مشروعا بسلحل انجازه \_ أننى قادر على أن أفسح لكم طريقا ، نسبطه منه أن يحقق هدفسا المنشود نحقيقا سريعا وسهلا ، ذلك أن لى بأنطاكية صديقا

صدوفا ، عادلا كل العمل ، بعدر ما برى عين الانسان العفل ، وأعمد أننى فد ببنت للبعض منكم منذ فليل أن تحت امرة هذا الرجل برحا منيعا شديد الحصانة ، وأنه قد رضى عن طيب خاطر أن يسامه لى تحت شروط خاصة ، وكنت قد النمست منه مرارا أن يععل ذلك فاستجاب لى بعد الحاح طويل ، والتزمت له ـ ردا لهذا الحميل \_ أن أصله بقدر كبير من المال ، وأن أصمن له ولذريته من بعده أملاكا شاسعة ، وامتبازات سبى بمنا يكافئ ما قام به ، ان جرت الأمور وفق ما بهوى

" قال رصبه أيها الساده الأعزاء أن نصبح مدينه أنطاكيه نحب حكمى ... ان نم الاستبلاء عليها بجهودى الكبيرة ... وقتلهم أن نكون ورائنه في بيني الى الأبد ، فانني مستعد حينداك أن أحرج الى حير الوجود ما اتفقت عليه أنا وصديفي (١) هذا ، أما اذا أبنيم دلك ، فلنحاول كل واحد منكم أن يلتمس طريقا أحسن مما ذكرنه ، يمكنه من الاستبلاء على المدينة بنفسه ، فان نحج في ذلك كانت ملكا خالصا له لا يسافقه فيها أحد ولا ينازعه ملكينها منارع ، وسوف أذعن أنا لما فيه صالحه ، كما أنني مستعد لأن أتنازل له عن أي نصب يكون لى في الأمور الحالية » .

# - \ \ -

اصغى الزعماء جميعا لكلمات بوهيموند هذه بقلوب بعمرها الفرحة ، واستحابوا لرجائه ، معنرفين بجمىله ، ولم يشذ عنهم سوى كونت نولوز ، الذى أعلن فى اصرار أنه لن ينخلى عن نصحه

<sup>(</sup>۱) المقصود به « فيرور » ·

verted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كائن من كان ، على حين قطع الآخرون على أنفسهم العهد ان نصحوا المدينة بملحقاتها لتوهيموند . ليكون ورانية في بنية الى الأند . وأقسيم كل رحل منهم ب وقد نسبط بدياه بان يبقى الأمر سرا مكنوما لا يحتر به احدا قط ، بم أحدوا كلهم في الوقت دانه بلحون على الأمير بوهيموند أن تبادر لحسم هذا الموضوع بما عهد قية من الشبياط ، حتى لا يؤدى الابطاء الى حدون خطر ما ، بم انقص الاجتماع ، ققام بوهيموند بما أثر عنه من طبع لا يعرف الابطاء وغير بيحرق لنبقيد مشروعة ، فاتصل في لحظية تصديقة فيروز تواسطة الرسول الذي اعتمادا أن يكون الواسطة تنتهما ، واحتره أن الزعماء سمحوا له بكل ما سألهم اياه ، وراح يلح على فيروز ، وتستخلفه بما بسهما من الايمان الصادق ، أن يقوم في الليلة النالية عون الله بنتهية الحطة التي انفقا عليها ، قابلج ذلك الحدر نفس سامعة الوقى . وغلبت علية نشوه السرور قوق كل ما تنصور .

## \*\*\*

على أنه جرن حاديه قرب هذا الوقت سدت من عرم [فيروز]
على السير قدما في المؤامرة التي دبرها ، ذلك أنه بينما كان مسعولا
أسلد الانسعال بأداء ما نفرصله عليه واحسانه الكبيرة التي
يقتصيها وضعه في بيت مولاه ، بل وفي البلد كله ، اذا نأمر عاجل
لا ندريه يجد أثر ارساله ولده الشاب الى داره ، اد ما كان الفني
يبلغها حبى طالع منظرا مشيبا فاضحا ، حبن ساهد أمه بين ذراعي
أحد كبار الأبراك في وضع مزر أسحطه غايه السحط ، وارتعدت
مسه أوصاله قرعا ، وتقزرت له نفسله ، فاتكفا سرعا الى أبنه
وأخبره بالقصيحة ، فحنق فيروز حين الزوج الملوم في سرفه ،
المهان في كراميه ، وقيل انه قال في مرارة ، ألم تكف هذه الكلاب
القدرة أنها نقرض علينا رقها الظالم ، وتبهب أملاكيا بما بيترة منا

بوما بعد يوم حبى سبهين بالند السربه ، و فطع الروابط الزوجبه ، ٠٠٠٠ والله لأضعى - اذ، عسب - نهايه لهذا العجور ، ولآحار بهم بعون الرب الجزاء الأوفى الدى هم أهل له » ٠

وال ورور هده الكلمال وقد كم حوانحه على ما يحسه من شعور بالاهانة التي لحقب به ، ثم أرسل الى بوهبموند ـ كما جرب العادة ـ ولده الذي بشاركه أسراره ، والذي كان هذا الائم الذي نزل يأمه قد استورى غضبه ، وأضرم غيظه ، وأمره أبوه ـ اد بعيه الى القائد بوهبموند ـ أن يطلب الله أن يستعد لكل سي بستلزمه العمل الذي بين أيديهم استعدادا دقيقا ، وأن يخبره أنه لن يقصر في شيء من جانبه ، بلى انه موف بما عاهده به ، وموعدهما اللياة التالية ،

كما أنسار علمه أن يغسادر الزعماء جميعا المعسكر ووراء كل منهم أتباعه ، وأن نكون مغادرتهم المعسكر ورب الساعة السعة ، حسى لتحسبهم الرائى وكأنهم قاصلهون الزحف على هدوهم . فاذا ورب موعد الحراسة الليلة الأولى عادوا سرا ووى سكون مطبق ، ونهاوا قرب منصف الليل للعمل حسب تعلماته ، فاستصحب بوهبموند هذا الشاب في السر الى القواد العالمن بغير المؤامرة ، وذكر لهم كل تفاصيل ما رتب حسيما اتفق عليه مع قيروز بمساعدة ولده ، فتملك العجب نفوسهم جميعا من خطة الرجل وصادق اخلاصه ، وأقروا ما رسمه ، واتفقوا على تنفيذه حسيما رتب حسيما رتب

عبر أنه كنبرا ما يجد حدث من الاحداث لم يكن منوفعا فنعرض مساريع لها مثل هذه الحطورة ، اد ساورت الربية ـ التي يعورها البرهان ـ نفوس مواطني أنطاكية الاسبما من نقع على أكنافهم المسئولية المباشرة عن آمن المدينة ، واحنك الشك في نفوسيم اكبر من اليعبن بأن هناك مفاوضات نجرى في الحقاء درمي الي نسلم أنطاكية ، وما لبت هذا الشك أن أصبح موضوعا عاما بلوكه جميع الألسنة ، مما دفع كبار المواطنين للاجتماع ، وسنساروا الى الوالي للتشاور معه في حسر هذا الحالج الذي نصطرب به نفوسهم ، والذي بدى محتملا كل الاحتمال ، ونقوم الدلائل الكنبره على ترجيحه ،

وكان بأنطاكيه - كما قلنا - رعيل كبير من المسيحيين نحوم حولهم الريب رغم براء بهم براء نامة من هذه المؤامرة ، وكان من بسهم دلك الرجل النبيل الذى نبحدت عنه الآن ، والذى رعم اعتماد ياعى سيان على احلاصه الصادق اعتمادا كبيرا ، الا أن الرجال الباررين الآخرين كانوا يرنابون فيه أكر من عره ريبة لم تجعله موضع ثقيهم .

لذلك عقد اجتماع منير بشأن هذا الموضوع في حصره ياعى سمان ، بردد في أثنائه اسم « فيروز » مع أسماء بصعه أفراد آخرين كانوا مبار النشكك ، وكان هناك على ما يبدو كنير من الأسباب التي تحمل على عدم تصديق ما انهم به ، لأنه كان رحلا جم الشاط وصاحب نفود في المدينة يفوق نفود سواه من المستحيين ، وأخيرا رضح ياعى سمان لالحاح مستساريه فأمر باحضار فيروز ، فأحصروه، وتعمد الموجودون اثارة نفس الموضوع في وجوده ليسمعوا ماذا بكون فوله ، ليكونوا فادرين على أن يقرروا — بناء على ما يقوله — ادا كان ما يثار حوله من شك حقيقة أو منيا ،

ولكن فبرور كان رجلا شديد الذكاء حاضر البديهه فأدرك ني لحظنه ان هذا الاجنماع انما عقد من أجله هو وحدم، وانه هو ذابه موضع الاتهام ، ولذلك أخذ يراوغهم في اخفاء سره ، واظهار براءنه أمامهم ، ويقال انه رد على أولئك الذين اجتمعوا لىقصى أمرم بقوله « ان مشكككم أيها الرجال المحترمون ، وأنم كبار رحالاب هده المدينة وسراتها ، الأمر بسمحق أعظم المناء ، ولا يموفر مثله الاعند دوى العطمه ، لأنه من الحكمه الحدس بما يمكن وقوعه ، كما أن سُدة الحذر في الأمر الجليل ليسب بضاره ، لذلك يحبل الى انكر فد صدرتم عن وافع ليس بالبافه في أمر يبعلق بحيانكم وحريمكم ونسائكم وأبنائكم ، ومع ذلك مان فبلتم يصمحني فان هماك طريقه عادلة عاجلة يؤدى إلى العلاج الباجع والشفاء المعال لهذا البلاء الذي يهددكم ، فالخيانة الملعونة التي يبعمكم بعد نطركم على النحوف ممها لا يعدر لها النجاح الا بواسمطة الموكول اليهم حراسة الأبراج والأسوار والعوامين على حفط الأبواب ، فان ظييم ظل السوء بولاء هؤلاء الناس فاعمدوا الى مداومة استبدالهم بغبرهم ، حسى لا بطل الواحد منهم أمدا طويلا في مكان واحد ، بمكنه من أن يوثني مم العدو وسُائج صداقة مدمرة ، لأنه لبس من السهل اعداد مؤامره من هدا القسل في سرعه ، بل بحياح في الواقع الى رمن طوبل ، كما أنه لا يسسى لشخص ما مفرده أن ينجز عملا خطرا كهدا العمل الدى لابد أن يساهم فيه معه مواطنون يستعلون مناصب رفيعة فد أفسدتهم الرشوه حسى صادوا شركاء مي الجريمة ، لكن اذا عمدتم الى القيام بتغسرات فجائبة لهؤلاء الناس على غير توقع منهم لها تكونون قد قضينم على كل فرصة لمفاوضات مهلكة من هدا القسل » ، تم أمسك فيروز عن الكلام عندما بنغ هذا الحد من العول . وكان لملاحطانه وفعها الطيب في نعوس الذين سمعوها فاستصوبوها ، واتضح لهم انه فدم الدليل القاطع والبرهان الجلي على براءته بر وأنه فضى الى حد بعدد على ما خامرهم من السك في أم، ء

وكان من المكر ال بدادروا في لحطيم عده بده ما أوصى له ، لولا أن الدهار كال موشكا على الانصرام ، والليل موشكك على الدخول ، مما يستحيل معه القيام ... في ساعه مناخرة كهده الساعة ... باجراء مثل هذا التعبير الرئسيي في حراسة المدينه ، لكن الذي استطاعوا عمله هو اصدارهم الأوامر بشديد الحراسه ، مشدندا صارما لحماية البلد ، غير أنهم كانوا جميعا في جهل بما دبره دلك الرحل من ندابير في الحقاء ، واذ كان على بينه من أن الموقف سيبدل حالا ببدلا كبيرا ، فقد بذل عاية حهده في السير قدما نمؤامرته ، وفي عجلة قبل وقوع أي شيء بحول دون تنفيذها .

# - 19 -

ما كاد حسما بعم أمام أسوار مديم أبطاكمة ، ويعرض عليها الحصار ، حتى ساور الشك الأهالى فى الاعريق والسريان والأرمن وغيرهم من معننقى المسيحية ، دون البظر الى الحنس الذى يستمون اليه ، ومن ثم أخرحوا منها جميع العجزة ، ومن لا يملكون المواد الضرورية لاعالة أنفسهم وأسرهم الصغيرة ، وقد فعل الأهالى دلك حسى لا يكون هؤلاء عبئا بنقسل كاهل المدسه المي لم بؤذن للمفاء فيها الا الأبرياء ، ومن امثلان محاربهم بالمئونة ووسائل العيش الكبيرة الني بوفر الحياة لهم ولذويهم ، وأن كان هؤلاء لم سلموا من ارغاميم على أداء خدمات كبيرة فرضت عليهم فرضا . الى حانب ما يكلفون به من أعمال جرت العاده على تكليفهم بها ، وكان دلك سيئا نقبلا بدا معه أن المنفين الذبن أحرحوا من المدينة كانوا أسعد طالعا من أذن لهم بالبقاء فيها ، فقد ضوعف عليهم كانوا أسعد طالعا من أذن لهم بالبقاء فيها ، فقد ضوعف عليهم الغرامات البقدية الى أخذت منهم اغتصابا حتى لم يبق في أيديهم الغرامات البقدية الى أخذت منهم اغتصابا حتى لم يبق في أيديهم

من المال سوى النزر السير الدى لم يسلم هو أيضا من استعمال السده في ابتزازه منهم ·

ولم يكنرت أولو الأمر باحنجاجات هؤلاء ، اذ فرصوا عليهم العبام بارذل الأعمال واستقها في المدينة ، فاذا أريد تشبيد الآلات ، أو نقل حذوع السجر الضحمة المعيله ، كلعوهم بذلك في لحظمهم ، كما أجبروا البعض منهم على حمل الحجارة والأسمنت وكل مواد البياء ، وألزموا سواهم بجلب الأحجار الكبيرة التي اعتادوا دائما وضعها وراء الأسموار بالآلات وربطها بالحبال التي سد بها ، وما كان لهؤلاء الناس الا الامسال وطاعة رؤساء الفعلة الذين ام يكونوا يسمحون لهم بقسط من الراحة ، نم بلغت هذه الشدة الفظيعة ذروتها حين عقد مضطهدوهم اجتماعا سريا قبل تمانية أيام من الجلسة الني استدعوا اليها فيروز المشكوك في ولائه وفرروا في هذا الاجتماع الفتك سرا \_ وتحت جمع الظلام \_ بجمع المسيحس الذين يعيشون في أنطاكية ٠ على أنه كان بالمدينة زعيم عاقل قوى النفوذ ، لا يكف عن اظهار صداقته للمسيحيين في كل الأحوال ، فسعى سعيا حثيثا حتى مكن ـ بعد لأى ورغم معارضة الآخرين له .. من أن يؤجل سفبذ القرار العاصى بقطهم مدة ثمانية أيام ، ولولا منحهم هذه المهلة لكان من المؤكد ارسسال الجلادين لتنفيذ هذا الحكم الغظ ، ولهلك المسبحبون عن بكرة أبيهم بالسيف في نلك الليلة ذاتها ٠

كان الغرض من السماح بهده الأيام النمانية أن يبب عندهم باليقين الجازم عما اذا كان في الامكان رفع الحصار عن المدينة ، فان تأكد لديهم عزم رجالنا على الاستمراد في الحصار فتكوا بالمسيحيين ذبحا ، أما ان ثبت عكس ذلك منوا بالحباة على الأهالي الذين سبقوا أن قضوا عليهم بالموت .

فلما انبهت فنره بأحيل الحكم ، وحايب الليلة الأحره منه صدر الأمر سرا بنبهيد ما قصوا به ، وكانت المديحة على وشك أن يم في نفس الليلة التي حددها زعماؤنا لينفيذ الحطه التي ربها بوهيموند وفيروز مند أمد طويل ، والتي نمت بعوب الرب ، الملك قعى اللحطة التي شرع الصلبيون فيها في احتلال المدينة لم مشعر كبارها بالحوف من الصحة التي سمعوها ، فقد ذهب بهم العلل الى أن ما سمعوه لا يعدو أن يكون السروع في نطبيق الأوامر التي قصوا بنيفيدها في مواطبيم التصاري .

لدلك قامه حمى مم لرحالما الاسمملاء على المديمة بملك الطريقة ، عتروا في دور مصاراها على كمر من حصوم ملهم الذين كانوا مد حاءوها مأمورين بالفتك بالمؤمس الصادقين .

# - 44 -

ولما كاس الساعة الماسعه سمع صوب المبادى يبادى فى شتى أرجاء المعسكر بخروج حميع كبائب الفرسان فى كامل عديهم وداء فوادهم ، وألا يبوانوا عن تنفيذ الأوامر التى سوف بلقى اليهم ، ولم نكن العامة هى وحدها النى يجهل جهلا ياما بما دبر فى الخفاء ، اذ الواقع أنه لم يكن يعرف السر سوى ثلة ضشله من كبار الرعماء .

ومن ثم عانه تمعا لنرببات فيرور الحكليه ، عادرت كتائب المرسان بأحمعها المعسكر ، ومشت كل كتيبة منها وراء علم قائدها وساروا حتى ليطنهم الناظر البهم أنهم ماضون لجهة بعبدة ، لكن

الحقيقة هى أنهم كانوا يسطرون أن يسندل الليل سندوله على الكون ونظلم الدنيا فيعودون الى المعسكر في صمت نام ·

#### \*\*\*

كان لفيرور – رجل الرب هذا – الذى أدى للمسيحيين هده الخدمه الجلى الجليله – أقول كان له أح يخلف عنه كل الاختلاف ، سواء فى مساعره أر عرضه ، ومن نم لم بكن فترور يبق فى اخلاص هذا الأخ ولذلك لم يفض اليه بالسر لعدم النمانه عليه . بل انه بدل عاله حهده لاحماء حططه عنه اخفاء ناما .

وحدت في الساعه التاسعه من نفس ذلك الموم ، وقد أحدت كناتما في معادره المعسكر أن وقف الشفيقان معا على احدى شرفات البرج ، يطلان على المعسكر ، فشاهدا الجيد يغادرونه .

واراد الأخ الاكس أن بسبر عور آحمه ، ويعرف ما يدور في باله ، فحاطبه فاثلا . \_

الكم أربى الأأحى لهدا السعب الذى بدين بنفس العفيدة السى بدين بها أنا وأنت ، وكم تجزيبي المينه السي سوف يلقاها عاجلا ، فها هم عسكره بغادرون مخيماتهم في بقة وسكبية ، لا يخافون سبئا كان أوصاعهم آميه ، لكيهم لو عرفوا ما نصب لهم من السراك وما يسطرهم من الدمار السامل ، فلربما التخدوا احراءات أخرى تضمن لهم السلامة » .

فأجابه أخوه: « انه لحمق منك أن تحميًل نفسك هما لا مبرو له، فانه لا محل لعطفك عليهم ، الا لبتهم حميعا هلكوا بسموف المرك منذ أول يوم مست أقدام الترك هذه الأرض ٠٠٠ اذن لمسا

ازدادت أحوالنا سوءا ، وما كان من المسلطاع أن تبكافا الفوائد التي تحتلها من حهودهم مع المساق التي تحملناها تستبهم » •

#### \*\*\*

لم يكن فيرور حبى هذه اللحطة قد قرر ما ادا كان يقصى بهدفه الى أخيه أم يكنمه عنه ، غير أنه لما سمع هذه الكلمات الني قاء بها شقيفه ، فزع قرع الشخص من الطاعون ، وراح يلعبه في سره . ويدبر حطة للقصاء عليه حبى لا نقف أعماله عقبة في طريق طاعة المسيح ، وهكذا وضع فيروز سلامة المسيحيين قوق عاطفة الاخوة .

# - 11 -

فى هذه الأثنساء راح بوهبموند يبذل عايه وسبعه لا بحاز مشروعه ، وبلوغ غايته التى يسعى اليها سعيا حسثا ، وكذلك خوفه من أن يؤخرها أى تراخ من جانبه ٠٠٠ أقول دفعه ذلك الى زيارة الزعماء : قردا قردا ، واجيا منهم أن يكونوا متأهبين للعمل ٠

وكان يحمل فى يده سلما مجدولا على أحسن ما تكون الصنعه من حبال القنب ليعلقه بأعلى جدران السور ، وليثبته من أدناه بكلاليب حديدية ٠

وما كاد الليل يؤذن بالانتصاف حيى كان حميم سكان المدينة قد هجموا للراحة وعطوا في سيات عمين بسبب سهرهم المستمر ،

( الحروب الصلبية ح ١ ) - ٣٥٣

ومواصلنهم العمل ، وحيداك بعب بوهيموند الى فيروز بواحد من أصدفائه من خاصة حاشبه وأخلص الناس اليه ، وعهد الى هدا

المنرجم أن يسنوثق من فتروز نمام الاستيباق عما اذا كان الوقب

ملائما لينعدم رفاق مولاه ٠

علما وصل الرسول الى فيرور وجده يطل من كوه صعيره مى السور . يرقب منها ما بجرى وراءه ، فأفصى البه فى صوب حافت برساله سلمه ، فقال له فيرور احلس مكانك ساكنا ، ولد بالصمت حتى يمر من هنا كبير الحراس الذى هو فى جولانه المعماد، وفى صحنه طائفة كبيرة من أنباعه ، وفى أيديهم المشاعل المصيئة .

دلك أن تقاليد المدينه حرب \_ بالاصافة الى الحرس الموجودين في كل برح \_ أن بدور كبر الحراس كل لبلة ثلاث مرات أو أربعا بالسور ، ويدور معه في كل دورة ثلة كبيرة من العسس يحملون المشاعل المضيئة ، فأن صادف أحدا فد علبه النوم ، أو مراخيا في أداء واحبه ، أنزل به القصاص الجدير به .

وسرعان ما وصل الصابط المكلف بهذه المهمه . فألفى فيروز برافب الأمور ويؤدى واجبه ممام الأداء ، فأننى على نشباطه ، وانصرف مطمئن البال هادىء الخاطر .

حينداك رأى ويرور أن ولا حلى اللحظة الملائمة للعمل ، فجاء الى رسول بوهبموند الذى كان ممواريا حسى الآن حسى لا يراه أحد وقال له : « هما عجل بالذهاب الى مولاك واطلب الله الحضور برحاله المخمارين على جناح السرعة » ، فانكفأ الرسول عجلان الى سمده ، فوجده على أتم أهبة ، فاستدعى بوهيموند اليه القادة الآخرين سرا ، فاستجابوا له سراعا ، ثم انطلق كل واحسد منهم بمن ينبعه من رحاله حسبما اتفقوا عليه ، وما انقصت لحظات قلائل حتى

كانوا حميعا واقعين اسفل البرح وفقة رحل واحد ، دون أن يسمم أحد لقدومهم صونا ، أو يحدنوا جلبة ·

### \*\*\*

فى حلال بلك العبره القصيره كان فيرور قد دخل البرج ، فوحد أحاه يغط مى بومه ، ولما كان قد بأكد لديه حقيقة مشاعره وانها ضد المشروع الذى ديره واسبعد لمنفيذه ، فقد خشى أن يقوم شقيقه هسلذا بما من شأبه عرفلة بحقيقه ، بعد أن أوسك على احراحه ، ومن ثم طعنه بسيفه طعنه نافذه ، فكانت ضربة طيبة ودبيئة فى الوقت ذاته ، ثم عاد فأطل من الكوة الموجودة بالأسوار ، فطالع بحنها حلقاء ، فحنا كل منهما الآخر بحبة فنها الرحاء بسلامه كل حانب ، ثم دلى فيروز حبلا حذب به السلم من أسفل السور ،

لكن على الرغم مم رفع السلم وتسيبه تبييا محكما من ماحيسى الممه والفاع الا أن الجرأه لم نوات أحدا على نسلقه ، ولم يوحد من يخاطر بحيانه فينسلقه ، نزولا على أمر رئيسه ، أو حتى انصناعا لأمر بوهيموند نفسه الذي لم يكد يبين دلك الاحجام منهم حتى بادر وأقدم هو ذانه على ارتقاء السلم غير هياب ولا وجل ، فلما بلع القمة ونعلق بحدار الشرقة امندن يد فيروز من الداخل وأمسكت باليد المعلقة بالسور ، فلما عرف فيروز فيها ند بوهيموند نفسه ، قيل انه هتف و عشت يدا ، وسلمت » .

وأراد فيروز أن يرىفع قدره فى نطر بوهيموند وفى عنون السيحيين الآخرين حين يعلمون بما حرى من اغىياله شقيقه الذى لى يقبل مشاركته فى عمل مقدس كهذا العمل ، فأخذ بيد بوهيموند القائد ، وسار به داخل البرج ، وأراه جسة أخيه الهامدة غارقة فى دمها ، فما كان من بوهيموند الا أن احتضن

verted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

هدا الرجل الصادق في اخلاصه ، والناب على عهده ، وقد فاض قلبه بالحب ، ثم عاد الى الشرفة مطلا برأسه قليلا من خلال احدى الفتحات ، ونادى برجاله في صوت هامس آمرا اياهم بالصعود ، لانهم كانوا مترددين اد لم يجرؤ أحدهم على تلبية أمره ، لأنهم كانوا لا يزالون في شك فيمنا سمعوه من الشرفة ، فلما أدرك بوهيموند ذلك الأمر من أصحابه نرل اليهم عن طريق السلم ، فكان ذلك برهانا لا ريب فيه على سلامنه ، وسرعان ما أخد كل واحد منهم يزاحم رفيقه ويدافعه بغية الوصول الى السور ، حبى اذا تكامل جمعهم لم يسنولوا على ذلك البرج وحده ، بل وفعت في أيديهم أيضا أبراج كنيرة عيره على كلا جانبيه ، ولقد سمعنا آنه كان من بين الذين تسلقوا السور ، كونت فلاندرز ولورد تانكريد .

# - 77 -

لا رأى الزعماء الآخرون وصول الرجال الأنداء الى سرفات الأسواد في أعداد كبيرة مما أدى الى فنح أكبر من بوابة لهم ، عادوا سراعا الى المعسكر ليستعد أتباعهم لتلبية الاشارة باقتحام المديب حبن يرسلها لهم رفافهم الموحودون بها ، وأحس الذين يسلقوا الأسواد كأنما سرت فيهم حماسة علوية ، فقادهم فيروز بنفسه الى داخل المدينة ، فاستولوا على عشرة أبراج في ضواحبها ، بعد أن فيكوا بحراسها ، وقد يم ذلك كله والمدينة يلفها السكون المطبق ، فلم يسمع أحد لهم صوتا ،

كان فى ناحمه السور الذى صعد منه الصلبيون بال سرى فنرلوا البه ، وخطموا قصدانه ، وقصوا أفقاله ، وقيحره وأدخلوا من خلاله العسكر المنظر فى الحارج ، فارداد عدد المهاحمين خلف الأسوار زياده صخمه ، واندفع هؤلاء وهؤلاء جميعا الى المكان المعروف بباب الحسر ، وأعملوا الذبح فى الحراس فى هجوم سرس عليهم . فقتحوا هذا المدخل أيضا .

فى هذه الأنساء حمل بعص أباع بوهموند رايبه الى بل مسرف على المدينة ، وركروها فى مكان بارد للعدان على مرتفع قرب الفلعة العليا ٠

ثم بالألات السماء مؤديه بطلوع السمس . فيقع في الأبواق لنكون اشاره لرجالنا الدين أحدثوا ضجة صاحبة عبد مدحل المدين وليحملوا الجند الذين لا زالوا في المعسكر على النحرك ، فلما فهم الزعماء معنى هذه الاشارة ـ الني كان منفقا عليها من قبل ـ هنرا الى سنوفهم وأسرعوا يأخذون فرقهم كلها ، وانطلقوا على عجل الى المدينة ، واستولوا على منافذها وأبوابها .

وحيداك تحرك العامة [ اللاين ] الذين ظلوا حتى هذه الساعه على جهل بما دبر من خطط فى الخعاء ، علما أدركوا أن المعسكر شبه خال قد غادره جل من كانوا فبه انطلقوا هم أيصا فى أعهاب الآخرين وشقوا طريقهم ـ وقد تملكتهم الحماسة ـ الى داخل المدينه التي استقظ أهلها على الضحة العالمة ، ولم يستطيعوا أن يبينوا بادىء دى بدء حقيقة هذا الصباح العالى الدى لم يألقوه من قبل بلكهم طالعوا منظر القرسان العجيب وهم فى دروعهم وزرديانهم بدافعون خلال المدينة ، كما شاهدوا آثار الدمار فى كل ركن وناحيه فى السوارع والمنادين ، حسذاك أدركوا حقيقة الأمر ، فغروا من بيوتهم وهاموا على وحوههم ، محاولين الهرب بسائهم وأبنائهم ،

والطلقوا على عبر هاى قد ضل صلوابهم ، فى محاولات مجنوبه للنخلص من عصابات الجند المسلحين ، بحنا عن مكان آمن يلوذون به ، فاندفعوا وهم لا يدرون أبن بمضون فوقعوا فى طريق المحاربين الآحرين .

أما من كان يسكن المدينة من المسيحين والسريان والأرس ومؤمنى الشعوب الأخرى فقد جاورت فرصهم كل فرحة لما جرى، وبادروا الى امتشاق السلاح وانصموا الى المجيش، واذ كانوا على تراية نامة بكل ركن في المدينة فقد كانوا نعم المرشدين لغيرهم عبر مسالك البلد المتشابكة المعوجة ، وكانوا اذا وجدوا بواية لازالت مغلقة وننوا على حراسها وفنكوا بهم ، وشقوا الطريق بكسر الأقفال ، ثم أدخلوا رفاقهم ، وخيل اليهم أن هذا النغير المدهش قد حاء من الرب •

### \*\*\*

أما أولئك الذين كانوا يفاسون شدة نير الرق من نلك الكلاب النجسة ، والذين كابدوا وطأة ثقل الخدمات والمعذيب دون أن يرحمهم أحد فقد أصبحوا قادرين على أن يصبوا على أعدائهم منل الذي صبوه عليهم من الأهوال ويعملوا على بدمبرهم .

فى هذه الأثناء نمكن جيشنا كله من دخول المدينة بعد أن استولى على أبوابها وأبراجها وأسوارها من غير مشقة ولا كلفة ، وأخذت رايات الزعماء ورنوكهم المعروفة للجمسع بحفق من أعلى الأماكن رمزا للنصر الذي أحرزوه ، فابي ألنفت فيم مذبحة وآلام مبرحة وعويل نساء ، وأرباب بيوت يجرى عليهم القبل هم وأهلهم ، وراح الصليبيون يشقون طريقهم الى البيوت ، محطمبن كل الأدوات المنزلية ، وصارب جميع حاحيات العدو بهنا مستناحا لأول من يسعفه حظه أن بسيسل النها ، وحاس المنصرون حيدما شاءوا ،

verted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version

ما و محموا الاماكل الدى كان دحوليم المنها محرما عليهم ، وطعى عليهم حنون العمل والنهب فلم يراعوا دكرا ولا أسى ، ولم يوفروا كبرا لسنه ثم راحوا يستفسرون من كل عابر لسوارع المدينة ومناديبها أين بكون بنوت سراة الأهالي وأس يسكن أثراهم ، وكونوا من بنهم المحادع ، وتعمل السيوف في الأمهات وأطفال البلاء ، ثم راحوا يتقاسمون فيما بينهم ما بالبيوب من أثاب وذهب وقصة وثاب غالبة ،

ويعال انه قتل ذبحا في هدا النوم ما تربو على عشره آلاف من الأهالي ، واكتظت الشوارع في كل مكان تحت القبلي التي لم تجد أحدا يواريها ، فبقيت حت هي ٠

# - 44 -

حين رأى على سيان أن المدينة قد استسلمت لحصيمة الذي تملك حميم أبراحيا وحصوبها ، وحين ساهد الناحين من الهلاك يريدون إلى الفلعة على عجل ، بدأ الحوف يسترب إلى نفسه من أن يتعقبه المسبحيون إلى حب هو وافف ، ويحدقوا به هو أيضا ، فاندقع \_ كأنما قد أصابه من من الحيون \_ بحو بوابه حلقبة وهرب وحده من غير رفيق ، ولم يكن يعينه سيوى الانقياء على مهجنه ، وببيما كان يتخبط هنا وهناك في حرع قابل ويهم على وحهه من غير هدف واضح إذا نظائفه من الأرمن يصادقونه فعرفوه في لحظتهم ، فاقتربوا منه حتى لكأنهم يهمون بتعظمه ، فأذن لهم بالدنو منه وهو جزع ، قلما ببينوه وحده عرفوا أنه هارب ، وأدركوا

مى ساعمهم أن المدينة فد سفطت فونبوا عليه وطرحوه أرضا فى غلظة ، وأخذوا سيفه وقطعوا به رأسته وحملوها الى المدنة ، وقدموها هديه الى العادة وعلى مرأى من الناس جميعا .

ووجدوا أيضا بهديمه أنطاكية جماعه من الأشراف كادوا فد وفدوا اليها من أماكن قاصبة لنجدتها ولاظهار جرأبهم ، فلما بببنها سفوطها في أيدى المسيحبين أجمعوا العزم على الاربداد الى العلعه العلبا دون معرفتهم بالناحمه ، واسسمبد بهم الذعر والخوف على أنفسهم فانطلعوا هائمس على وحوههم ، لاثذين بأذيال الفرار ، اكمنهم وحدوا أنفسهم وقد أحدق بهم في مكان سدند الصبق أعجزهم النزول فمه لنندة انحدار اليل تحتهم ، و لايسيطيعون الصعود الى أعلى لتكاثر رجالنا عليهم هناك ، وببنما هم يبلمسون في يأس أي سببل للنجاة اذا ببلانمائة واحد منهم على جبادهم يسقطون من أعلى النو ومعهم رنوكهم التي تمبر الواحد منهم عن الآخر ، فدقت أعناقهم ، وبهشمت عطامهم ، حتى لم يكد يبقى منهم شيء يدل عليهم ،

أما الذين يسكنون المدينة وما حاورها ويلمون بدروبها وشعابها فكانوا أسعد حظا من هؤلاء ، اذ ما كادوا يعلمون بخبر سعوط أنطاكية حنى نجمعوا وانطلقوا مع الفجر الوليد هاربين الى التلال من خلال أبواب أنطاكبة الني بدأت نغلق من جديد لكن فواتنا تعقبتهم ، فردت البعض منهم ، وأمسكت بهم وقيدتهم بالسلاسل ، أما من أسعفهم حسادهم بالوصول الى النلال فقد الحدوا من الاجراءات ما حفط عليهم حيابهم ، وضمن لهم السلامة .

واذ بلغت الساعة الخامسة عادت قواتنا المطاردة ، فلما بجمع كل من كانوا قد انشروا في المدينة أجرى استقصاء دفيق دل على أنه لم بعد بها شيء من المئونة ، ولم يكن دلك بالأمر المستغرب لأن الحصار طل مستمرا بغير انقطاع ما بقرب من نسعة شهور متبالية ،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

علما أنه وجدت كمنات صحمه من الدحث والقصة الحواهر والأوابى النمينة والنسط والأقمشة الحريرية فاستولى عليا الناس، وفاضت بها أبدى من كانوا حبى الآن حناعا منسولين فاثروا فحاه وصارت لديهم وقره من كل شيء ٠

على أنه لم يوجد فى كافه ارجاء المدينة أكبر عن حسمائه حصان من جياد الحرب، ولكنها كانت حدولا ضامره عزياة نكاد بموت حوعا .

وكان الاسمىيلاء على مديمة أنطاكه في اليوم المالب عن شهر يونيو من سنة ١٠٩٨ من ميلاد المسيح ·

هنا ينتهى الكتاب الخامس





# هنا يبنا الكتاب السادس

### محاصرة الصليبيين : النصر المعجزة

### فصول الكتاب السادس:

- وصف الجبل المشرف على المدينة والذي لا يرال بعضة في يد العدو الذي أقام حراسا هناك ، وارسال رسل إلى الساحل الشامي وتحصيب المدينة تحصينا قويا .
- ۲ مقدمة من حسس كربوعا موامها ثلاثمائة رجل محطر أمام المدينة ويحرح لقبالها روجردى بسار نفيل غير أنه يلقى مصرعه مدبوحا .
- ٣ \_ الأمير الكبير ينقدم الى الأمام ويصرب معس م على

verted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المرنفعات المسرفة على الفلعه ، والتغلب على الدوق عند الباب السرقى وهلاك مائنين من رجالنا .

- الصلىبيوں يحفروں خدوا داخل المعينة يمنيد
   على طول سفح النل ، وهماك تنسب معركة بدور
   الدائرة وبها على العدو الذي ينزل قائده هن الجيل
   ويحاصر الفسم الأسفل من المدينة -
- الصليبيون بالطاكبه يكابدون مرارة المجروع
   العليا بعض الببلاء خلسة ، وتوضع القيادة
   العليا في يد بوهموند .
- ٦ \_ كوس فلاندرر يصرم النار من نلقاء داته في الحصن المواجه لباب الجسر حين يجد نفساء عاجزا عن استحلاصه ثم يغادره ، كما أل القائد العام لقوات العدو يبعث الى فارس وهطا من أسراء الصليبين .
- اضطرار الشبعب الآكل الطعام القدر ـ وان كان على مضف ـ آمام استفحال المجاعة -
- العدو يكاد أن يستولى خلسة على أحد الأبراج ،
   لكن هنرى دىن نفاومه مفاومة باسلة وينجح بعد قتله لكثير من الأتراك ـ فى الاستحواذ على البرج بقوة السلاح .
- ٩ ــ العدو ينزل الى الساحل ويحرق المراكب ويقتل
   الكثيرين من رجالنا على طؤل الطريق -

- ۱۰۰ ـ سنيعن كـونت سـاربور يرود امبراطـود القسطنطينة ٠
- ۱۱۰ ـ حديث سبيفن الكاذب الى الامبراطور مما يعـود بأوخم العواقب على الصليبيين ·
- ۱۲ ــ الامبراطور يعود الى بلاده ثقه منه مى كلام الكوس ثقة حمليه على وقف الحملة الني كان عد أعدها لمساعديا ٠
- ۱۳ ـ أنباء استحاب الامبراطور ستجع العسدو على تكيف صعطه على الصليبيي الدين يحملهم اليأس على رفص الفيام بواجبهم ، فيضرم بوهيموند النار في المدينه ليحملهم على الخروج من مخائمه ويدبر الزعماء خطة للهرب ، ولكن الدوق يفسد عليهم خطتهم .
- ١٤ ــ الرؤيا التي رآها سخص اسمه بطرس [باربلميو]
   والكشف عن حرية المسيح وعودة السكينة الى
   بغوس الناس من حديد .
- ۱۵ ـ الزعماء يجمعون الرأى على بعن بطرس الناسك رسيولا من فبلهم الى العدو فعضى ويؤدى السفارة بشبجاعة ٠
- 17 بطرس الماسك يعود الى الزعماء ويعصل لهم الحبر عن وجهة بطر العدو المنعجرفة ، فتعلن الحمدرب ٠

- ۱۷ ـ الصليبيوں يعادروں أنطاكيه بعد اعداد صفوفهم للقتال ويتركون كونت تولوز لحواسة المدينة .
- ۱۸ ـ كربوعا يسمعه المسع الصليبيين من معسادرة المدينة ، ولكن رجالها يسفون لهم طريقا بالقوة -
- ۱۹ \_ بينما الصليبيون يعدمون أخذت السماء نساقط عليهم الندى فنزلت السكينة عليهم حميما .
- ٢٠ ـ كربوعا برب عسكره للحرب ويشب القتال في الأحداء المجاوره ، كما يسس فلج أرسلان الهجوم على الصليبيين الموجودين في المؤخرة ويكثف الصغط على صفوف بلدوين فيسرع الزعماء الآخرون للجدنه وبعلبون الترك الذين يضرمون النار للكوين سائر دخاني م
- ٢١ ــ فــائد قوات العدو يعر ويهلك عسكره . أمــا الذين فدرت لهم النجاه فيلودون بأذيال القوار .
- ٢٢ ـ بعد أن يفرع رجالها من فيكهم في العدو يعودون الى المسلكر محملين بكميات وفيرة من الأملاب ٠
- ٢٣ ـ الهدوء والنظام يعودان الى أنطاكية ، ويأخيذ الصلببيون فى سطيف الكنيائس وترميمها ، ويعود رجال الدين للاشراف عليها .

verted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version

# هنسا يبسدا الكتساب السسادس

محاصرة الصليبيين : النصر العجزه

- 1 -

هدأت الجلبه أحيرا ، واستعادت المدينة هدوءها ، وكلت سبوف العالبين التي اربوب بالدهاء من المدانح التي لا نهابه لها واذ ذلك النفي الرعماء للسناور فيما بينهم ، ادراكا منهم أنه لإرال عناك عمل كبير أهامهم حتى يكتمل الفتح ، لذلك أقاموا حراسا على الإبواب والاستوار وعرموا على اربقاء الجبل ومهاجمة القلعة ، وبعنوا المنادي يأمر حميع الفيالق العسكرية بصعود البل المسار الله ، علما صاروا على المرتفعات انصبح لهم صعوبة اقتحام القلعة نسبب حصابها ، وانه لا سبيل الى الاستبلاء عليها الا ان اجاعوها ، واد كان عنادا الأمر نبطل اناما طويلة فقد أدرك الرعماء صناع كل ما بندلونة من الجهود ، وأنه لابد لهم من سلوك سبل أحرى عير عدد ،

كان الحبل المشرف على المدينة يسعة من وسطة واد عمين ، له حانبان شديدا الانحداد ، وكان انحداده المواحة للسرق أعمي المتحددين ولكنة ينبسط من اعلاه لسبهى الى سهل فسنح داحسر ببساس العمن وبالمرادع ، وكانت المساقة بين سفى عذا الوادى العمن شديدة الاستاع حتى لنخبل للناظر أن هناك حيلين وليس جيلا واحدا مشطورا الى سطرين .

verted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أما المتحدر المواجه للعرب فكان أعلى من الآحر ، وهو يصرب بهمته في العلاء حتى تكاد الجوراء ، كما نقوم القلعة على أعلى نقطة في ، وهي محصنه بالأسوار العوية والأبراج الضحمة ·

وبمند من السرق الى العرب هوه سنحيفه العمق مما يستنعيل معها نصور مدى الخطر الذي يتعرض له من يحاول الوصلول الى القلعة من أحد هدين الجانبين .

كما توجد الى العرب بل أقل ارتفاعا ، ويقصصل بينه وبين القلعة واد متوسط الاستاع ، وان كان أمبل الى الضينى ، وتحف منتخدرات يسيره ، ويشفه طريق واحد يحرج من القلعة ويتحدر الى المدينة ، وهو طريق يمثل في دانه خطوره حتى ولو لم يكن هناك من يهاجمها ، ورأى فوادنا أن الحكمة تقتصبهم الاستبلاء على هذا البل ، حتى لا تناح للعدو فرصه الوصول الى المدينة أن خرج من باب القلعة لهاجمه قواننا ، ولدلك نم وضع طائعه من الرجال التسجعان في دلك المكان ، وزودوا بما يلزمهم من الطعام والسلاح ، كما تم بناء سور به مناريس حجرته ، ثم تصب فوق هذا كله الآلات وأعدت في وضع استراتيجي لرد العدو على أعقابه ،



ونزل الرؤساء مرة أحرى الى المدينة للتنساور فى أمور أهم مما سبق لهم النشاور فيها ، وعقدوا العزم على الرجوع حالما يفرغون من يحنها . وكانوا فد أزمعوا على البقاء جميعا ما عدا الدون من هذه الناحة حمى ينم الاسسيلاء على القلعه .

' كما انعق احماعهم على أن يقوم جودفروى بحراسة الباب الشرقى والطاببة الواقعة خارج المدينة ، وذلك لما عهدوه فيه من علو الهمة ، وكانب هذه الطاببة في أول انسائها موكولة الى بوهيموند .

verted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered vers

وحاء الاحبار الى القاده ال كربوعا الرعم الكبير المسار البه سابقا سوف يصل فريبا جدا ، اد أبه دخل أرض أنطاكه وبعب بالألوف المؤلفه س عسكره في البلاد ، فكان حير ما يسمى عمله في هدا الطرف هو ارسال أحد زعمائنا الى جهة الساحل ، لاسمدعاء الاحوه الدين دهبوا الى هماك لحب المئوية اللازمة التي يمكن العبور عليها هناك .

وفي حلال اليومين السابعين لوصول جسس كربوعا الكبير ، يدرك الصلببون سسسبرا من الارص المحتطة بالبسلة الا ذرعوه وفسسوه بعيشنا دفيقا ، ثم عادوا بكل ما صادفهم من طعام وعليف آيا كان مصدره ، وبذلوا جهودا مصنية لنموين المدينة ، كما أن الأهالي والفلاحين الدين يعيسون في ريف البلاد جاءوا بكل ما استطاعوه من طعام حين أدركوا استسلام أنطاكية للصليبيين ، بيد أن كل ما جيء به من شنى النواحي لم يكن شيئا مدكورا ، ان لم يكن شبئا أبدا يكفي ما برب على الحصار الطسويل الذي استنزف في مدى شهوره التسعة المنالية موارد الاقليم بأجمعها ، ولم يحلف شيئا يمكن الاعتداد به لمساعدة رحالنا حتى ولو يضعة أيام ،

#### - 7 -

فلما كان اليوم السالى للاستيلاء على أنطاكية وسيما كان الصليبيون باذلين غاية الهمه في حراسه المدينة ونزويدها بالمئونة . اذا ببلائمائة من فارس حبش كربوغا مدججين بالسلاح من فصه

( الحروب الصلبية جد ١ ) - ٣٦٩

erted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version

رؤوسيهم الى أخمص أفدامهم فد امتطوا الجياد الصنافيات واحتفوا في كمين وريب من المدينه ، وكانوا قد جاءوا طليعة لأمر عاجل هـ. المبص على أي جماعه من رجالها بكون فد عادرت موضع حراسها خارج الاسوار م بعد بها السير دون أن سحد الحيطه لحمايه مسها . وكان بلابون من هؤلاء البلابمائة على حبول سريعه الركض فه أخدوا بروحون وبحنثون أمام المدبنة منطاهرين بعدم الاكبراب بأي خطر بداهمهم ، فلما رآهم المستحبون الذين وراء الأسوار بحبول بهده الصورة نفجر مرجل عضبهم علبهم ، أو لعلهم أحسوا العار السديد ال هم كفوا عن مهاحمهم ، واد داك نحرك « روحر دى بار بعيل » وهو من أساع روبرت كويت يورماندي ، وكان محاربا باسلا أبجز كبيرا من الأعمال الباهره في هده الحملة ، وأسرع بامنطاء فرسه وحرج من البوابه وانطلق يمعى مهاجمهم ، واستصحب معه لله فوامها حمسه عسر رحلا من أساعه ، وعزم على أن يسحر \_ كدانه \_ عملا من أعمل البطوله . وعدا عدوا سربعا مهاجما هؤلاء العوم بسحاعه عظيمه ، فنطاهروا بالفرار هربا منه ، وظلوا ممعنين في السراحم حنى ىلعوا الموضع الدى يحنفي فنه رفافهم الذبن برروا من مكمنهم . وبرايدت أعدادهم بكنره ، وانضم بعضهم الى بعض في مهاحمه « بارنفيل » ورهطه هجوما عنيفا لم يجدوا ازاءه بدا من الهرب . وام يكن روجر ورجاله في حمعهم يعادلون العدو في حمعه وبأسه . لذلك حاولوا الرحوع الى المدينة ، غير أنه حال بينهم وبين ما ينشهونه سرعه عدو حداد الخصم الدى رمى روجر سسهم قاتل أصاب قلبه ، وأوقعه من على طهر حواده وأرداه قسلا ، فحرن علسة رفافه أسه الحزن ، لأنه كان قهد أخلص النبة ، فأبحز أههداف الحجسام الصلسين ٠

ونجح رفاقه في الوصول الى المدينة ، أما هو . \_ وهو الرحل المارز \_ فقد حز الأعداء رأسة على مرآى جميع من على الأسواد

والأبراج العاجرين \_ وااسعاه \_ عن اسعافه ، درجع العدو ل\_\_\_

لم يكد [ المهاجمون ] يعودون من حيث جاءوا حتى حرح الصليبون يدرفون الدمع السحين على روجر وببكونه ، وحملوا جسمانه الى المدينة في احتفال يلتق به ، ثم أقاموا المراسم الاخيره للميت الراحل في حضرة القاده والناس أجمعين ، ووسدوه البرى في احتفال رائع أقتم في ظله كنسبه أمير الرسل [ القديس بطرس ] .

# -4-

ما كاد يطلع فجر النوم النالى ، وهو النالب بعد استخلاص المدينة ، نم ما كادب السمس بدر فريها حيى كان افوى الامراء الذى أسرنا الله مرازا قد احتل القطر بأجمعه الى آخر ما يمكن آن براه عين المطل من الفسم الأعلى بالمدينة ، واستطع بجموعه العفيرة للمي بريد زياده آكير مما بذكره الأحسار – أن بعبر الحسر العلوى ، ويصرب محتمه فيما بين البحيرة والنهر ، وكان كل منهما يبعد عن الآخر مسافة مبل واحد ، وكانت حملته بسعل مساحه كبيرة وعسكرة كبيرين جدا حتى ضاق بهم السهل الفسيح الذي يفع فنه أنطاكنة ، فنصبت مختمات أخرى غطب البلال المجاوزة .

ولما كان النوم الثالث من نصبه معسكره أمام أنطاكبة نبين له شدة بعده عن المدينة ، فبحث الأمر مع رحاله ، وستن لهم أنه بريد أن يكون على مقربة ممن يحتلون القلعة ، لسنطيم تحديث ال

دعت الضروره الى المبجده ، كما أنه أراد أن يدحل قوانه الى آنطاكه عبر البوانه الموحوده أسقل الفلعة ، ومن ثم قوض معسكره ، وارتقى المرتقعات ، واحدق بكل الجانب الحبوبي السرقي للمدينة ، محنسلا المنطقة الواصلة بين البوابين السرقية والغربية .

كاس هماك طابية أقيمت في البداية لحماية الفاعة . وهي واقعه على بل مربعم بعص السيء قرب الباب السرقي ، وقد عيد يهدا المكان أولا الى رعايه بوهبموند الذي شرع \_ بعد أن بم الاستبلاء على أنطاكيه \_ في نصريف الاداره العامه للمدينة ، كما عهد بالطابية المسار البها والبوابه الفريبة منها الى الدوق ليقوم بحراستها. وكان الأعداء فد صربوا أحد معسكراتهم حول هذه الطابية ، ودأبوا ص حساك على سس هجمانهم الموصدوله على من بداخلها ، وسرعان ما ضاف الدوق درعا بعربديهم البي استحال عليه تحملها أكبر من دلك ، ومن م كر عليهم برجاله لاسعاف المدافعين عن الحصى ، الذين كانوا على وسك الاسنسلام ، كما راوده الأمل في أن يتمكن من النعلب على المعسكر المصروب أمام البوابة ، لكسه بينما كان ماضيا لنجدة رجاله ، اذا يعسكر من الابراك يهاجمونه ، وكانوا أسد منه بأسا وأكبر عددا ، فأدرك عجزه النام عن الصمود أمامهم ، ونجح بعد لأى في النجاه من سيوفهم ، فانقلب على عقبيه مريدا الى المدينة ، ومصى النرك في أبره يطاردونه بعزم كبير ، عبر أن العوغاء من الحجاج الذين لا يعرفون النطام ىكاثروا وراح بعضهم يزاحم بعصاً في هروبهم البائس ، فسنُد المدخل وحال كل واحــد منهم بين صاحبه وبين الدحول ، مما أدى الى سقوط الكثيرين ، فوطأتهم أفدام الآخرين ، وأثخب بعصهم جراحهم ، وأسر سيدواهم ، وقد قدر عدد القتلي منهم بمائتي فنيل هلكوا عن بكرة أيبهم ٠ كان الأراك يعدون الدوق الرعيم الآكبر للجبس الصليبي . وقد أدحلت هزيمنه الفرحة في قلوبهم حتى انهم طمعوا في الهيام يأعمال أكبر جوأة ، لذلك نزلوا الى المدينة عبر باب القلعة الأعلى ، سالكن طرف حاسه معروفه لهم نمام المعرفة . وباغدوا رجالسا بالهجوم عليهم ، وأدركوهم وليس عندهم حراسه . فعكوا بالكبرين منهم صربا بالسيوف ورميا بالسهام ، ومع دلك قانه لما حساول الصليبيون مطاردتهم ارتدوا سريعا الى النواحي المرتفعة ، واستولوا على القلعة هناك ، لأنه كانت لديهم طرق أكبر من تلك الطرق التي كانت بالسل ، والتي كان رجالها قه استولوا عليها وأحسنوا تحصينها .

وتكرر حصول هذا الأمر ، وهلك الكبيرون من أهل المدينة من حراء هذه المناورات المحيرة ، حتى أدب بالزعماء الى احماعهم الأمر على وجوب ايجاد علاج لهذا الشر المسطير ، فانفقوا برصاء نام على قيام بوهيموند وكونت تولور بحفر خندق عميق عطم الانساع ، يكون عند سفح اس بأسفل المدينة ، ممسا لابد أن بؤدى الى الحد من عارات البرك المسالية في برولهم من أعلى المدينة ، ولقد ترنب على حفر هذا الخندق أن نعم أهل البلد بفتره من الهدوء .

كذلك راى الصلبببون أن بسبدوا هناك أيصاطابيه لبرداد فعالبة هدا العمل في حماية الأهالي ، وشارك في بناء هذه الطاببة جميع القوات مساركة صادقة مخلصة ، كأنما يعبمونها من أجسل سلامتهم هم انفسهم • أما البرك \_ سواء من كان منهم بالقلعه في نلك الماحية أو من كان منهم يحاصر المديسه من الحارح \_ فقسه اسمروا ينزلون من خلال البوابة العليا . عن طريق ممراب سرية ،

واكبروا من هجمانهم على هذا العمل الجديد بعنه بدميره ، منحدين من أحل دلك سنى الوسائل الماحه لهم ·

نم حاء يوم من الأيام حرجت فيه طائفة من البرك أكبر ممسا حرب العساده به كل مرة ، وكروا عبر المسالك المعروفة لهم ، بم المدفعوا بحو هده الفلعة الحديسة البناء ، وسرغوا يهاجمون من بداحلها هجوما عسفا ، مما كان لابد ان بؤدى الى وقوع من كنوا في بلك الطاسه اسرى في أبدى البرك ، لولا أن هب لمسجدتهم الهادء الذين كان قد وكل اليهم الدفاع عن نواح أخرى من المدينة الى جانب كل دسهم المبعربين في انطاكمه ، وكان هؤلاء الهاده هم . بوهيموند ، وانعرار دى بوبسم ، ورالف دى قوسى ، ورسال كرينون ، وبطرس بن حسيلا ، والبريكوس ، وايهو .

ولعد كر الدوق وكونت فلاندرر وامير توزماندى كره صادفه على بلك الناحية مما أدى الى فسل محاولات العدو ، وهلاك الكبرين من الاتراك ذبحا ، ووقوع بعصهم في الاسر ، أما البقنة فقد حملها وزعها على الهرب ، ليس من الطابية وحدها ، بل من المدينة كلها ،

والقلب هـؤلاء الهارون الى مولاهم وهم معجبوں بسدة بأس الصلبين ، والسيهم سيد سيجاعهم العجبة ، كأنما قد تمن فيهم البوءه الفائلة · « ارجع لكى نصبع رحلك بالدم · السن كلابك من الأعداء تصبيهم » ، لأن الجميع ـ حسى من اضطهدوهم \_ كانوا لسان مدح وتناء على هذا السعب المخلص ·

أقام كربوعا أربعة أيام في الحبال كما فلنا ، حبى ادا فقد كل أمل له في النجاح ، وأدرك أيضا أن علف حبوله فد نفد أو كاد فوض معسكره ، ودرل الى السهل مرة أحرى بكل جسسه عابرا بهم النهر من مخاضة عند فياة موجودة هناك ، وعهد الى فواده بجنده

الدین ربهم علی سکل دائره وجعلهم علی مسافات مستایه ، م داخ محاصر أنطاکیه .

ولما كان البرم المالي انفصل بعض الأبراك عن نفية الجبس، وراحوا بتحدر رياليا للقبال، ويرحلوا عن حددهم، واستسدت حرأتهم في الهجوم على المدافعين المرحودين على السور حراة اقصت الى هلاك بعصهم، دلك لأن نائكريد قام بيحوم فحائى عبد الباب السرقي وباغب البرك وهم على هذا الوصع الذي لم سيطبعوا معه معاوده اميطاء حيادهم، فديل منهم سنة ولاذ الباقون باديال القرار بم أمر بقطم ريوس ضحاءاء وحملها الى المدينية عراء لأهلها وسلوى لهم ومسيحا للحزن الممض الذي كان يقطع بيساط قلوب المؤمنين لمصرى «روحر دي باريفيل» الذي قبل هياك .

#### - 🖨 -

فى هده الأسداء كان السعب الصلبى الذى قام تحد الطاكبة والاستبلاء عليها عبوة ويقوه السلاح قبل دلك بوقت قصير ولا أصبح الآن يعانى سده الحصار . وهو تعبر كبير الحدوث في حياه الانسان ، وريادة على دلك فقد أنهكت الصعاب الصلبيين الباكالم يعد معه فى مقدورهم احتماله ، كما كاندوا سطف العسس بسبب المحاعة التى حاوزت كل حد ، وهكذا وقعوا بين حطين السيف في الحارث ، والفزع فى الداحل ، ثم انه كان من الطبيعي أن يسبد بهم الخوف من حسود العسكر الكبرين المحاصرين للمدينة من الحارث هذا بالاضافة الى أن الأنراك كانوا لايرالون تحكمون قنضنهم على القلعه ، حتى راحوا بسيون منها ـ كما قلما ـ هجمانهم الآحد تعضما

بحجز البعص الآخر ، فلم بعد المؤمنون يعرفون معنى للراحة ، ونماك الناس الكبرين دميم عقابا لهم على خطاياهم ، حتى أن معظمهم يناسوا مهميهم والعهود الجمه التى فطعوها على أنفسهم فانفصلوا عن رفافهم ، وترلوا خلسه من الأسوار مستعيبين بالسلاسل والحبال ، هنجمعين وحدهم هربا ناحية الساحل ، وسقط يعض صؤلاء في أيدى العدو فضرب عليهم الرق الدائم ، أما الذين تجحوا في الوصول الى البحر فقد أرعموا أهل السفن الراسية هناك على قطع حيالها والاتحار في لحطهم هذه ، وصاحوا فيهم « أن هذا الأمير الكبير [ يعنى كربوعا ] الدي جاء بعسكره الدين لا يحصيهم العد ، قد استولى بالقوه على الدي جاء بعسكره الدين لا يحصيهم العد ، قد استولى بالقوه على رجالنا ، ودبح قوادنا ، ولكن شناءت ارادة الرب أن تنجو وحدال رجالنا ، ودبح قوادنا ، ولكن شناءت ارادة الرب أن تنجو وحدال دونهم ، ومنا أسرعوا لفك الحبال والابحار قبل أن يبلغنا [كردوعا] دوليحق بنا عند الشاطئ، ويصيبكم ما أصاب قومنا ،

نم اعدلوا سطح السفن مع من كابوا عليها ، ولادوا باديال الموراد المسين ، الدى لم يقتصر على الغوغاء وحدهم ، ولا على طغام الساس منهم فحسب ، بل كان بين الهاربين رجال بارزون ، من دوى المراب الساميه ، واظهرهم « ولنم دى جراند مسنيل » وهو من وجوه أهل « أبوليا » المعروفين ، زوج أحت بوهبموند ، وأخوه « ألبريكرس » وليم المجاد ، وجى دى بروسيل ، ولا مبرت المقير وعيرهم ممن لا بدكر اسماءهم التى لا ينبغى أن يتصمنها هذا الكناب ، مسند آن محيت هذه الأسماء من كتاب الحياة ،

وكان هناك غير هؤلاء وهؤلاء جماعات قد أزعجها النفكير في الأخطار الجسيمة ، وعجرت عن نحمل المجاعة والمصائب ، فلجسأت الى العدو ، وكان دلك من حانبهم أكبر ما اربكبوه من المويقات ، لايهم بذلك أنكروا في لؤم نعاليم المسيح وعقيدته ، فكان هؤلاء المريدون

verted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version

يعلون الى السرك احوال الجيس الصليبي ، مما أدى الى وصع الصليبيين في أسد المآزق حطوره ، كما أن الكسرين مين طلوا معيمين بالمدينة كانت تراودهم سرا الآمال في أن يفروا هم أيصا ، وتوقيم أسهف بوى الموفر والعائد العطيم بوهيموند هده المحاولات من جاس هؤلاء ، ومن تم حاءوا الى رحال من أهل العطمة الدين دلت المجربة على أحلاصهم ، والموثوق بهم ، وعهد اليهم بحفظ الأبواب ، كمـــا عهـــد يحراسه الابراج الى رعماء لم يعصروا في رعايمها بلا كلل: ليلا أو بهارا ، ومن نم لم يعد أحد ما \_ بارعا كان أم مراوعا ـ بقادر على الهرب ، وأراد العوم أن يكون لهؤلاء الحراس ـ صعيرهم وكبيرهم على السواء \_ حق ممارسة السلطة الكاملة فجعلوهم يقطعون اليمين على أن يطيعوا أوامر بوهيموند بكل الصدق والوفاء حبى يبتهي حصار أنطاكية ، وحسى نقع المعركه النبي كانوا في انتظارها ، ولما أصبح بوهمموند محاط ، بياعه وحواسمه وأصدفائه ، وكل من له ثقة مامة فيهم أحد غاية الحدر ، فلم يحظ قط - ليلا أو بهارا - بقسط من الراحة ، اد كان يسغل وفنه بالنجول في السوارع والميادين ، والمفنيتس على الابراج والحصوں ، لتطمئي نفسه ويهدأ باله من أنه ليس هناك من أحد منهاونا في مهمنه ، ولنأكد من عدم وجود أي ورصة للعدو لدحول المدينه عن طريق الحماية ٠

وكانت هماك أربع فلاع نتطلب حراستها رعايه خاصة نلك هى الطابية العلما التى شمدت فى مواجهة القلعة العلما مباشره ثم تلمها ثانية نفع دويها داخل المدينة ووراء الخيدق الذى حفر لصد الهجماب الى نأبى من بوابة المعسكر العالم. •

وأما نالسها فكانب خارج الباب السرفى ، وكانب فد أقيمت لحماية المعسكر فبل احملال المدينة · وأما رابع هده الطوابي فيقع على رأس الحسر وهي التي نمكن الصليبون بفضلها مند فريب من مهاجمه بوابه الجسر ، وقد عهد في بداية الأمر بحراسة هذا الحصن الأخير الى كويت تولوز . لكنه تحلى عن هذه الحراسة حين بم الاستبلاء على أنطاكيه ، ودخيل المدينة مع الآخرين .

وحدث بعد الاسبيلاء على أنطاكية أن فام كوب فلاندرر مع خمسمائه من الأبطال الاساوس بحراسيه هده الفلعة وكيف من اسبعداداتها الدفاعية ، محافة الا يستطبع سعبنا الرواح والمجيء عن طريق الجسر ان سقطب الفلعة في يد العدو ، الأمر الذي لابد أن يؤدى الى وضع أسد سوءا .

#### -- 7 ---

لاحط كربوغا أن رجالما أصبحوا الآن أكثر حريه في القدره على الحروح والرحوع دون عاتى ، كما رأى أن الحصن العائم عند المجسر يممل عقبه كأداء أمام خططه ، لدلك أصدر أمره – في يروم من الأيام – الى كببة مؤلفة من ألفين من الفرسان المدرعين أن محمل السلاح ويشن هجوما عنيها على دلك الموضع ، فأطاعوه في لحظتهم ، ويحيروا لأنفسهم مواقع حصبنة حول حائط الطابية الني أسرنا البها حالا ، وقسموا أنفسهم جماعات راحب تشاوب فيما بينها فدف الطابة يسمل لا ينقطع من السهام ، مند الساعة الأولى من المهار ، حنى الحادية عسرة منه ، ولكن الكونت ورجاله استبسلوا في صدهم ، ولم يدحروا وسعا في الدفاع عن المكان الذي عهد الى الكونت محماييه .

ولما فاربب السمس العروب ، وأحد الليل يسر علائله على الكون . بين للمهاجمين أنهم لم يتقدموا الا فليلا ، فتحلوا عن هجومهم وعادوا

بين للمهاجمين أنهم لم يتقدموا الا فليلا ، فتحلوا عن هجومهم وعادوا الى معسكرهم ، غير أن الكونت حسى أن يعاود الاعداء الكره في النوم النالي بقوات أضخم من قوانه التي نحت يده الآن ، فلا يعدود في استطاعته أبدا حمايه القلعه صد حسود العسدو الكنيفه ، لدلك فم في سكون الليل وأصرم النار في هندا الموضع وتركها ترعى كل ما به ، تم انكفأ الى المدينة تمن خرجوا معه سعياً وراء هذا الامسل الصنائع .

ولما أسرق الصباح رجع عسكر الأمس المهاجمون يعاودون هجومهم مرة أحرى ، وقد انصم اليهم ألقان ، فما بلعوا هذه الناحة حبى وجدوها خاوية على عروشها ، وقد نهدم أكبرها ، فاضطروا للعوده من حب حاءوا دون أن ينجزوا مهمهم ،

وفى حلال هده الايام الى كان فوات العدو فيها نهاجمسا حلسة ، حدب أن صادفوا بعض الصليبين من الفعراء المعدمي الدين حرجوا دون أن يأخدوا حدرهم ، فأمسكوهم وساروا بهم الى اميرهم ، هدية منهم اليه كأول عبيمة أسفر عنها نجاحهم ، عير أن سلاح الأسرى الضعيف ، وما عليهم من رب البياب أنار اسمئزاز الأمير ، اذ لم يكن معهم سوى أقواس حسبة ، وسبوف باليه علاها الصدأ ، كما نسنر أجسامهم ملابس ممرفه من حراء عملهم الدائم وبسبب فدم هده البياب لأنه لم بكن لدى ففراء الحجساج ما بدرون به غير هذه الأسمال ، ويعسال انه ما كاد هذا الأمير ينفرسنهم حتى صاح فائلا : « أبميل هؤلاء الناس يدب الدعر في فلوب الأمم الأجبية ؟ وهل يحود الناس عليهم بلفية الحيز ؟ • • ألا فانظروا الى ما بيمين أسراف يحود الناس عليهم بلفية الحيز ؟ • • ألا فانظروا الى ما بيمين أسراف أهل البيرق من ميلاح • • • أما هؤلاء فان الصربه من سلاحهم طل أن

بؤدى عصمورا أو سسفطه على الأرص ، وعلكبم أن بونقوا هؤلاء الرجال ، وسنوفوهم مكبلين بالأصفاد ومعهم أسلحتهم هده ، وعليهم نبابهم المهلهلة ، ونفخدوهم الى مولاى الذى أرسلنى فيعرف من مطهر هؤلاء الأسفناء أن العلبه على رجال كهؤلاء الرجال لا تستعرق من الوقت الا قليلا ٠٠٠ ودعوه يفكر : أى صيت لمل هذا السعب النعس فى نفاخره بما يفتح !! واطلبوا اليه أن ينام ورير العين

ويلقى بالبعة على أما وحدى ، لأمه لن يمصى ومد فصير حسى لا يكون نم وجود لهذه الكلاب القذرة ، ولن يحسب لهم حساب

بعد ذلك بين الأمم ، •

وأهرهم بهذه الكلمات أن يسلموهم الى رجال عسنهم لهم ، كى يسوووهم الى السلطان نقارس ، وأن يفصوا الله بما فاله هو الآن ، ذلك لأنه كان على نقه نامه من فدرته في يسر على فهر رجال هؤلاء الرحل وان لم يحرب بأسهم بعد ، عبر عالم بأن هذه الكلمات التي ظن أنه يحط بها من وحر هذا السعب عند مولاه ، وأنها تجلب له المجد ، سوف تكون في النهاية سببا لنكبته ، ولأنه حين تحيي به الهزيسة المنكراء ، ويغوص في حما الفوصى على يد هذا السعب الحفير ، فان العادة العار الذي يلحق به اذ ذاك سوف يكون أشنع عار ، ذلك لان القاعدة العامة هي ان الهزيمة تكون أيسر احتمالا ان لقيها المعلوب من رجال شبعان أفوياء ، أما اذا أحرز النصر عليه قوم لا اعتداد نهم ، ولا سطوة لهم فان شيار الهزيمة يكون أبلغ ، وعارها أفدح عليه ٠

أصبحت المسديه الآن محاصره من كل جانب ، وقد تقافم وضع الصليبين سوءا لأنهم أصبحوا عاجرين عن منارحتها لقصاء مالهم من أعمال حارجها ، كما سدت المسالك أمامهم في دخولها ، مما ترب عليه عدم قدرتهم على جلب الطعام اليها ، قعص الجوع بنابه أكرهم ، واحدت المئونة على الساقص وانعدم توقر مقالب الحياه الصرورية مما حمل الجوعي على سلوك سبل محجلة لسد هذا النقص ، ولم يعد تم مجال لاحتيار توع الطعام حتى عند أكبر القوم تأنف في أمورهم ، ولم يعودوا يأبهون بنطاقه اللحم الذي يجدونه أو قذارته ، ولا كيف جيء به ، سواء أكان مسترى أم مسروقا ، دلك لأن المعدة الحاوية تصرخ عاليا في طلب أي توع من الطعام يسد جوعها ،

كذلك فارق البيلاء وفارهم ، ولم يبردد الأحبرار فى فهرض أنفسهم على موائد من لا يعرفونهم ، من غير دعوة نكون فد وجهبت البهم ، وناهفوا على الصدفة يجود عيرهم بها عليهم ، ولا يكهبون عن الالحاح فى استجدائها من ايدى غرباء لا يعرفونهم ، وكان هذا الفعل أمرا مرفوضا عندهم من قبل .

كما تخلت العقائل عما كن عليه من الحسمة التى كن قد طبعن عليها ، أما العذارى فم عدى يأبهن بالحجل الذى كان سمه لهن ، ونسمين أنوثنهن ، وطلعن بوجوه عليها غبرة ، وأصواب حرية تحرك أفسى الفلوب ، ورحن يلمسن الطعام أبى وجدنه لا يمعهن حوف من أن يراهن أحد .

لكن كان هماك آخرون لم تستطع المجاعة حملهم على التحلى عن وقارهم ، فانكفؤوا بوجوه حامدة الى جهات قاصبة ، يمضهم الأسى ، لأنهم كانوا يؤنرون الموت على المبنى بين الناس يسألونهم لفمة نفيسم أودهــــــــم •

أما الرجال الدين كانوا من قبل أسداء العزم ، أصحاء البنه ، دوى بأس سديد ، والدين لم يكن أحد يجهل قدرهم قفد بدوا وكأنهم أنضاف مونى ، يبوكأون فى ضعف على عصيهم ، ويجرون أنفسهم فى السوارع والمبادين جرا ، وعلى الرعم من أنهم لم يصرحوا بكلمه الا أن وجوههم المكتئية كانب تعصم عن أنهم يلنمسون احسانا يجود به عليهم العابرون .

كما أن الأطعال الباكين ، والرصع على أنداء أمهاتهم كنب براهم في كل مكان وفي مفرق الطرق ، يلمسون اللعمه بسد رمقهم ورمق من جاءوا بهم الى هذه الدنيا ، لكن يعجزهم الحصول على الفدر اليسير من الطعام لأنفسهم ولا تقول لأمهانهم .

وفى خضم هذا الزحام الكبير فل أن و جد أحد عده من الطعام ما يمكن أن يكفيه هو وحده ، اذ نضبت فى الوافع جمبع الموارد ، فلم يعد أحد الا وهو يستجدى الآخرين ، وادا شاءت الصدف أن يكون هناك فرد كان قد بلع من البراء مبلغا كبيرا وبعى عنده من هنذا المال الحاص شىء ، فما كان لهذا المال أن ينفعه فتيلا ، ادلم يعد يكفيه لسراء ضرورات الحياة الني لم بعد متوفرة .

كما أن الأشخاص الذين كانوا معدودين أسحى الناس يدا وأكرمهم ضبافة . أصبحوا الآن يسمسون الأماكن النائمه الى فل أن يغساها أحد فللتقطون منها ما يقبمون به أودهم ، ويمكالبون في نهم على الطعام ـ أيا كان هذا الطعام ـ الذي استطاعوا المحصول عليه من مصادر مختلفة ، بم بأبون أن يكون لهم فيه شريك .

. . آفری من الصروری أن أفول أكبر من هدا ؟

لعد أصبح لحم الجمال والحمير والحمل والبغال وعيرها من الحدوانات الدنيا وكأنها استهى ما تكون أن وجدوها ، وأنه لمن المؤسى أن تقول انهم كأنوا يتبسون الأرض ويحرجون منها حنف الحدوانات المحدوقة أو اللي مانت بالطاعون ويقبلون على النهامها .

هكدا كانت أنواع الاطعمة التي راحوا يدرءون بيا عن أنفسيم عائلة الجوع المدض ويطلون حياتهم التعسه قدر طافيهم .

لم نصب عده الكربه الرهبية \_ واعبى بها المجاعة \_ العامة وصعار الناس وحدهم فحسب ، بل جاورتهم أهوالها فمست كنار الرعماء الدين عدوها حطبا لا يُمكنهم احتماله ، اد كانوا أكبر من سواهم اعاله للكنيرين من الناس ، ولا يستطيعون أن يكفوا رفدهم عمن جاءهم يلنمسه منهم .

وال الباء هد. الحقية من الرمن لا ترال محقورة في ادهان السيوخ والكهول وتحتاج الى مؤلف خاص يروى ما جرى لكل واحد من هؤلاء الرعماء ، وينضمن أخبار العمة والصعاب التى عمل فيها هؤلاء الفادة الانفياء من أجل خاطر المسيح ، على أنه يمكن القول ان رجالا كهؤلاء الرجال العطام وجيسا كبيرا كهذا الجيس ، المحلو دلك كله صابرين عير منذمرين .

**- 7 -**

كان من جبراء ما أبداه كربوعا وسبعيه من حماسة فويه أن اصبحت أنطاكية محاطة من كل تواحيها بصوره لم يستطع الصليبون المحصورون داحل أسوارها مغادرتها ، كما أعجرت من كان جارحها

verted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عن دحولها والرصول البهم ، أصف الى دلك ان الاستباكات الموصولة ـ داخلها وحارجها ـ قد أنهك قوى الصليبين انهاكا فاق كل احتمال ، هذا الى جانب أن المصائب الجمة التى يزلت بشعبنا ، وما ابتلى به من ساءه المجاعة قد عملت كلها على قل عزيمة ، فأظهر النراخي في حراسته .

أما الذين لم يعد يسغل بالهم سوى البحب عن كسره الحبر يمسكون بها رمعهم فقد كانوا أكر بهاونا بالسبة للأمور الأخرى . مما سج عنه تجاح العدو في دخول المدينة في أحد الأيام ، ودلك بسبب عدم توفر الحراسة لبرج كان مجاورا للبرج الدي اقتحم منه الصليبيون المدينة .

وكان بعض الأتراك قد طبعوا في امىلاك هذا البرج ، معتمير سكون الليل ، فعلقوا السلالم الى الأسوار ، وفكروا في النرول بعدئد الى المدينة كما فعلنا من قبل ، فلما بسط الليل طنبه ، وسكست كل نامة في الكون ، أفدم ما يقرب من ثلانين رجلا وسلموا السلم واعملوا السيور ، مستهدفين الاستيلاء على البرج الذي وجدوه خالما من كل مدافع عنه ، وبينما كانوا منهمكين في عملهم هذا اذا برئيس العسس يصل الى المكان الذي كانوا يعملون به ، وكان هذا الرحل يقوم اد يصمح محذرا من بالأبراج المجاورة ويعلن المهم أن العدو قد استولى بالحديعة على البرج ، فأيقظ صماحه حمد الحراس في تلك الناحية من المدينة ، وكان ببنهم الشجاع المرموق « هنري ديش » فاسرع لتوه من المدينة ، وكان ببنهم الشجاع المرموق « هنري ديش » فاسرع لتوه وكانا من ذوى قرباه ومن أهل البلده المسماة « مالين » الواقعة على نهر وكانا من ذوى قرباه ومن أهل البلده المسماة « مالين » الواقعة على نهر فاستعملموا للخمانة وغدروا بالمدينة .

iverted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered versi

كذلك عب لمساعدت حماعات من الابراج المجاورة ، فهاحم بهم العدو في عنف كدابه النسط ، فأبدى البرك مقاومه سديده ، لكن عسرى دس ما لنب الا فاسلا حتى تجع في طردهم من البرح ، وسيل منهم أربعه أنفس ، أما البقية \_ وكانوا سنة وعسرين رحلا \_ فقد الفي بهم من الاستوار ، فسنقطوا على أم راستيم ، فدفت عطائهم وتناروا أسلاء ممرفة ،

وكان هؤلاء الرجال الباذيون الدين صعدوا البرج قد عرموا على ادخال بقية رفاقهم ٠

ولعد بكب الرعيم البطل [ هنرى ديس ] في هذا التسدام مند منديقه « ريجمار » الذي احترطته السينوف فهلك ، كمنا اصنب ، قرابكو » بجرح قابل حملوه معه إلى داره وهو يكاد بلقط أنفاسه .

#### - 9 -

رزايد الحاجه للطعام يوما بعد يوم ، وبرايد معها مصايمه المحصوري ، كما صاعف المجاعه آلام الصلببين . فصحروا م هده الامور العسيره رايشوال اللي سرل بهم كل يوم ، فداخلهم الناس حلى لم يعودوا حريصين على حيابهم وسلاميهم ، فاسلوا من المديله لا يعلم بهم أحد ، ولم يكرنوا بما كان يكنفهم من آلاف الاحطار ، فراحوا يسفون طريفهم وسط صعوف العدو كي يتسر لهم الوصول الى السلطىء حيث كانت برسو هساك بعض السفن البوناسة واللابيبية ، وكانوا يبغون من وراء ذلك شراء الطعام وجلبه الى المديلة عبر أن الطمم في النجاه من هذه الاخطار الجسيمة حمل بعصهم على

( الحروب الصليبة حد ١ ) - ٣٨٥

verted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version

الرحبل ، عامدين العرم على الا يرجعوا أبدا ، ولم يلومعوا أن مسلم ربما يلحسن موقف من حلفوهم وراءهم ، أو أن تناح لهم فرصه النجاه من سيوف العدو ·

في هذه الإنباء بكسف للترك أن بعصيا من رجالنا يحرجون حلسه بحث جنح الظلام الى البحر ، ويتجولون هنا وهناك فيسرب المدينة سعيا وراء الطعام ، فبعنوا في الحال بعصا من رجالهم العادفين بدروب بلك النواحي وسعابها لينصبوا الكمائن لهنولاء النياس ويقلوهم كما فنلوا اخوه لهم من قبل ، فخالف النجاح النوك في كبير من هذه المحساولات محالفة حرابهم أخيرا على ارتبال ألفين من فرسانهم المختارين ، وكلفوهم بامسناك البحارة والنجار وحرق السفن ، مؤملين من وراء دلك استئصال هذا النوع من النجارة واد داك يحال بين الصلبين وبين كل أنواع المئونة ويعقدون كل امل في السلامة ،

وصبح ما بوقعه البرك ، اد نقد فرساتهم الأوامر الصادره البهم سقيدا دفيقا ، فأضرموا البار في بعص السقن ، وأمسكوا طائفه من ملاحمها الدين خرحوا من عبر حراسة ، فقتكوا بالحالب الأكس منهم ، مما حمل الباقين على الهروب ·

ولما ذاع حبر المكب، وساغ بؤها ويجاوز هده الماحمة الى ما وراءها بلبلب حواطر النجار الدين كانوا يحصرون الى هما في رحلات يجاربه من فيرص ورودس وغيرهما من الجزر ، كذلك من سلوقبة وابسوريا وبامفيلية ، وسواها من الأقطار البحرية ، وتملكهم الفزع من هذه الأحوال السائدة حتى انهم خافوا أن يعودوا الى هنا أو يجلنوا سلعهم ، ولم يجروا على الاقتراب من تلك الناحمة ، ونرنب على ذلك أن الم الشلل الكامل بالمتاجرة وتوقف الاستبضاع ، ويدهور موفف الصلبيين تدهورا أخطر مما كان عليه من ذي عبل ،

nverted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وعلى الرعم من صآلة كمبه السلم التي أحضرها المجار صآله لا تكفى ابدا لسد احساجات الناس العديدين ، الا أن بقاء الانصال البحرى موصولا أعطى بصنصا من الانقاد للصليبين .



ولقد صادف العدو في طريق عودته من تاحية التحر طابقة من المؤمنين عرضهم حميعا على السنف الاشردمة قلبلين عاية الفله مكنوا من السبلل عبر الغابات ، والأدعال ولحاوا الى الكهروب فاستخفوا بها الم

ولفد ادى حسر هده الطامه الكبرى والمصيبه الفادحة الى حربه فومنا حرنا لا يفل عما أبرلته بهم المجاعة الفاسنة ، وبجدد همهم اد طرق سنمعهم خبر النكبه التى حلب برفافهم وما ينعرض له أصحابهم كل يوم من هلاك ، فنسرب لنفوسهم الناس حتى من الحياة ذائها ولم يعودوا يتسمون بالحرص عليها ، وقل احتياطهم على أنفسهم ، وصاءلت طاعبهم لزعمائهم ،

#### - \ -

ق هده الأنباء وصل الى الاسكندرونة « ولم دى حرابد ميربيل ، ومن فروا معه ، ووجدوا بها ستيفن كونت شاربرر وبلوا الدى كان الفادة وكل الناس يرحون عودته بين يوم وآخر ، لكنه كان مقتصا هناك منذرعا بالمرض ، فأحبره ذلك الرهط بكل ما حرى بأبطاكنة ، وحملتهم الرعبة في الا يطهروا أنهم فاردوا رفادهم جنبا سنب ناده عبر ذى موضوع ، فانهم راحوا ينالغون في وصف الأعوال والسفاء

verted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered versio

سسرين هناك ، والحق أن الموقف كان قد بلغ من السوء حدا يقوق الوصف ، غير أنهم بالعوا أسد المبالعة فأطهروه بصورة أسد اسودادا وقنامة وزادوا في ذكر الطروف السيئة السائده ، ولم يكن «سننفن» في حاجه الى سماع مزيد من مثل هذا الكلام حتى يصاحف جبية ، لانه لم بهجر صحابة ولم يقر عنهم الا لنفس هذه الاسباب ، وان ادعى المرض .

وبعد ان فلبوا الأمر فيما بنتهم على سنى وحوهه ركبوا السفن اللي كانت في الميناء معده لهم ، وطلوا مبحرين حتى أرسوا احترا بعد رحله استعرفت بصنعه أيام عبد احدى المدن الساحلية ، حسر راحوا بنقصون أين يكون الامبراطور وما ينوى أن يقعله ، وبلقوا عديدا من الاحبر عن دلك الأمر \_ يحتلف بعصبها عن بعض في المصمون المصمون والصدق مقادها أنه سند الرحال الى أنطاكية على رأس طائفه كبيرة من العسكر اللابين والاعريق لمد يد المعونة الى الصلبيين وفاء منه بانقاقه معهم ، وأنه الآن معسكر بمن معه في « قاو مبنيوم » \*

وكان فعد انصم الى الامبراطور ما يفرب من أربعين ألف من اللابن، زياده عن الحبوس السى جمعها من سسى السعوب وكان رأيه أن يخلفهم وراءه في بلاده مع الكتائب التي عنده، وما كان بركه اباهم الا لففرهم المدفع أو لنفسى المرض فنهم، أو لعير هذا أو داك من الأسباب القوية، اما الآن فقد زال عنهم ما يسكونه من وصب، واشندت عزائمهم بحضور الامبراطور وحشوده الكنفه، واستردوا نفيهم في الزحف، وأصبحوا يتلهفون قلبا وروحا على الانصمام الى رفاقهم الحجاج،

 verted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بعمل استعدادات اصافیه للزحف ، أقول انه حین علم بدلك بادر فسلك أقصر الطرق المؤدیة الى الحیش الامبراطوری ، قلما وصلل الى هناك قوبل بأعظم آیات البرحبب المهروجه بالدهسة البالعیه ، وكان الامبراطور قد عقد اواصر الصداقة مند بدایة الحملة مع استیق حین جاء مع بقیه الرعماء الآخرین ، قلا راح الامبراطور یستسمسر منه استفسارا دقیقا عن احوال الفادة الآخرین وسلامهم وأوضاعهم ،

# - 11 -

« أيها الامبراطور الدى يسير الطعر في ركابه أبي سسار . ان رعاياك المحلصين الدين أدنت لهم بالمرور عبر امبراطوريك مسد أمد قصير ، وتنملتهم بفيض جودك ، قد استولوا ــ أول ما استولوا ــ على يبقيه ، ثم وصلوا بعد مسيرة ناجحة الى مدينة أنطاكيه فحاصروها نسعة أسهر سويا ، حصارا لم يرفعوه عنها حتى أحدوها عنوة بتوفيق من الرب ، ولم يعر عليهم سوى قلعنها التي كان اقتحامها صربا من المحال ، فاستعصت عليهم بسبب وقوعها على حبل شاهق ، وبقصل أبراجها المشرق على المدينة التي ببدو وكأنها وكر العقاب ، وكان الطن عند شعبنا أن قد انتهى الحصار ، وانهم تخلصوا من كل حطر نعد استسلام المدينة ، بيد أنه ظهر أنهم قد نردوا الآن في خطر أبلسع هولا من سابقه ، وأنهم وقعوا لي صعوب بقوق كل صعوبة واحهوها من قبل » .

« دلك انه لم نكد تنقصى عير ثلانة أيام بعد احملال المدينة حسى جاء فائد فارسى شديد المراس اسمه « كربونما » على رأس حجافل س

السرق يجاوز عدها كل مدير ، فاحدق بالمدينة من كل جانب ، ولم يدع مدخلا من مداخلها أو محرجا من مخارجها الا سده . وحاف المحن بالفادة والعامة على السواء بصورة أيأسنهم من كل شيء حسى من حيانهم .

" وقل أن يمكن العقل من تصور ما عليه هذا الجنس المحاصر من كبره هائله في العدد ، وموجر القول ان عامه عسكرهم غطوا كل ما حول المدينة ، وانتسروا كأسراب الجراد ، حتى ضافت الأرض بما رحيت فلم تسمع كل خيامهم •

« أما رحالما فكن أمرهم على النفيض من ذلك ، اد أحسدوا بنافصون ننافضا مفرعا بسبب الجنوع الذي نزل بهم ، ومن جراء البرد والحر اللذين فاسوهما ، وبسبب ما ابتلوا به من فتل وموت . حتى أن كل ما نبقى بعد ذلك من الجيس في أنطاكية لم سيعد كافسا . للدفاع عنها •

« أضف الى هذا أن المعونة التى كانب بجلبها لهم السفن من مملكنكم والمراكب الفادمه من الجرر والمدن الساحلية قد انقطع ورودها نهائيا ... كما تعلمون ... بسبب العسكر الذين أرسلهم العدو ، فلم يدعوا سبرا من الأرض بين أنطاكية والبحر الا احتلوه ، كما دمروا الاسطول ندميرا يكاد أن يكون ناما ، وحكموا السيف في البحاره والبجار مما حال بالفعل بين شعبنا وبين كل أمل في شراء الطعام .

« ولعد جاء الخبر بأن الطعام الموجود الآن في أنطاكية لا يكمى الناس الا يوما واحدا فقط ، ومما يضاعف مناعبهم خلو المدينة من مكان أمين يلجأون اليه لكنرة سلل السرك الى المدينة عبر العلعه السي سمرف علبها ، فبسسون هجمانهم على فلب البلد ، ويهاجمون المسيحيين في النسوارع والميادين ، وهكذا فان ما يفاسيه رجالنا خلف الأسواد لا يعل هولا عما يكابدونه من غارات يواليهم بها العدو من الخارج .

« لدلك عادى ومن معى الآن من العاده وسراه العوم - فد أيها نمام النفين أن ما يقوم به احوانا انما هو جهد صائع ، وطالما النها هو جهد صائع ، وطالما النهم بدلك الامر واسدينا النسمج الاحوى للعمل على ما فيه سلاميهم ، وأن لايسببوا بأمر يستحيل تحقيفه ، لاسيما وقد تحلب عبهم العناية الريانية ، فلما وجدنا أننا عاجرون عن رحزحهم عن هدفهم رحنا بلممس الوسيلة لما فيه تحانيا حتى لا يؤدى بنا الطيس الى النهلكة ، فيقعل مناما فعلوا .

« والآن فلعل حلالتكم برون \_ اسم ومن حولكم من السلاء المنجلين \_ أن الحير كل الحير في الرحوع عما كسم قد اعترضموه من الزحف الى أنظاكية ، حتى لا يحيق نفس الاخطار بين عودويم من عسكركم المطفر ١٠٠٠ وان العقل ليناشدكم أن يعودوا من حسب جنت دون أن يليحم فوانكم بالقوات الكسفة التي بعب بها السرق ، ودلك أمر أجدى عليكم من الاندفاع من غير روية لنجريب قويكم مع هده الاعداد الضخمة من العسكر الأشداء مادامت السيحة غير مؤكدة مساما ٠

« وال هؤلاء الرجال البارريل الموحوديل الآل بحضر لكم قد بالهم تفس هذا النصيب ، ويستطيعون أن يؤكدوا لكم صدق ما أقول . كما يعرف ذلك أيضا « تاتبكبوس » الألمى الحصيف الذي أرسلله حلالكم معنا ، لأنه رأى بعني رأسيه مدى ضعف رحالنا ، فسار على هدى العقل فانستحب من العمل معهم ، وانه لفادر أن يحلى الموقف أمام جلالنكم » •

#### \*\*\*

و كان عى حسس الامبراطور أح للورد بوهممسوند من أبيه \_ أسمه «جيدو» ، فلما سمع ما فاله « سندفن كونب ساربرز» حن حيونه ، واستخرط في البكاء حربا على مصير أخيه ورفافه ، ورغب verted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فى نادىء الامر أن يعارض روايه الكونب ، ورماه بالجبن لنهوره في الانستجاب من صفوف هؤلاء الرعماء الأحلاء ، ولكن أحدهم واسمه ولم دى حرائد ممرل له وكان سريف المولد لا الحلق له وهو صهر بوهنموند نمكن من اسكان « جماو » •

## -17-

بعد أن سمع الامتراطور هذه الكلمات . استدعى البه جميع نبلائه للمساور فيما اذا كأن بجب علمه الرحف الى أنطاكية ، او النوقف والرجوع الى مملكته ، وبعد أن قلبوا الأمر على سبنى وحوهه انتهوا الى أن الحكمة بعنصى العوده بالجبش سيالما ، بدلا من اثارة ممالك السرق كله والتعرض لنقلنات الحرب .



لقد وبي الامبراطور كل البعه بكلمات سببعن ، فاعتقد أن كل شيء سبجرى كما قال اعتقادا حعل الحوف يتملك قلبه من كربوعا الدي زعموا أنه دمر فواتنا ، فخسى الكسيسوس من قمام كربوغا مهاحمة الامبراطورية بما يحب يده من الجيوش الكنيفة التي أكدت الأحبار أنه بقودها في زحقه ، واذ ذاك تصبع من يد الامبراطور مره ثانيه نيقية وجميع سببيا التي استرديها جهود الفادة الصليبين السيطه ، ورأى \_ نجنيا مسه لهسدا الخطر \_ أن بأمر بحرق ونهب حميع الأرامي الواقعسه على طول خط ارتداده ، سيواء مأكان منها على يمينه أو على يساره ، بدءا من قونيه وانبهاء بنيفية ، وكان طمع أن نقف هذه الأرامي بعد بخريبها \_ وقد هجرها أهلها

و بضيب موارد العيس فيها - عائها في طريق الأعداء ان حملتهم الطروف على التفكير في توجيه قوانهم ضد مملكية •

#### \*\*\*

ولعد أدى مسلك سينفن هذا الى خرمان الصيلبيين من المساعدة الني كانوا في مسيس الحساجة اليها والني كان الامتراطور بناهب لامدادهم بها وفاء بعهده معهم .

وادا بمعن المرء تمعنا دفيقا في كلمه الكويت هذه وفي خفائقها الجوهرية ، تبين له أنها عمل لا بمكن عفرانه أبدا ، وأنه صادر عن برعة سريره يآباها السرف .

عبر أن رعابة الله القادر \_ ولا عادر سواه \_ والحكم ولا حكم عيره \_ فصب الا أن بجبى أحسن النمسار من أكر الأمور سرا ، وأفصت الى ما فنه مجد شعب الله وقاديه ، وواء يحى أولئك الذين يحملوا حماره العبط ، ويركوا يساءهم وأطفالهم ، كي يجاربوا كحجاج للسيد ، رجاء أن يكلل حيودهم بالمحد الدائم مما كان لابد أن يحرموا منه حردايا ياما لو كان الامبراطور حاصرا ، اد أن وحوده عو وحيده حييداك في هدا الموقع كان لايد أن يؤدى \_ يلا مساحة \_ الى أن يصدر أمره برفع الحصار بناء على سيلطانه الأعلى وقوائه الصخمة ، ويكون له السرف كل السرف له وحده دون عيره .

على أنه يجب على المرء أن يؤمن أن السبد نفسه هو الدى حاء بهذا السرف ، وحاد نه على من أخلصوا النبة فى العمل وأدوه نأمانة وصمدوا نحت الظروف القاسنة الني لا يحصنها العد ، حتى يجتوا ثمار نعيهم ، ونتعقد لهم راية النصر .

العللم الألس في هذه الأنماء سمائعه عمن أرجاء المديمة ، مقول برحوع الامراطور الى بلاده ، فصاعف هذا العبأ من فطاعة الأهوال التي يعاببها الصليبون ، وملأ فلوبهم بأسل وتقررت تعوسهم اشمئزازا من مجرد دكرهم كونت سليبفن ، ووصل مالفحل الأعداد الأبدى ، كما راحوا يلعدون وليم دى حرائد منزل وكاده من ساركوا في هذه الحيانة الملعونة ، وراحوا يبنهلون الى الرب أن يزح في النار الأبدية مع يهوذا الخائن كل من انسحبوا من هذه الأهوال الطامة ، والذين حدعوا سعب الرب فحرموه من الساعدة الكبرى الني كان الله قد أعدها لهم .

### \*\*\*

ولما علم كربوغا وكبار فواده ـ عن طريق جواسيسهم ـ أن الامراطور راحف عليهم اسبد اصطرابهم ، وعظم كربهم ، وحق لهم أن يفزعوا من قواته المؤلفة من زهرة المحاربين في امبراطوريه . فلما حاءهم هؤلاء الحواسيس أنفسهم مرة نانبيية بخبر تراجع الاغربق عن زحفهم ، أخذت كربوغا العزة بالاثم فازداد عتوا وبعيا وحيل الله أنه قد ضمن النصر وحاره ، فبالغ في النضيييق على رحاليا منالعه سرسه ، واسند في الاحداق بهم مما نرتب عليه أن رحاليا منالعه سرسه كل المؤمين الموجودين داخل المدينة ، وخاب كل أكنيف البحاة ، كما فقدوا الرحاء في أن يصلهم أي نجدة من أي جهة كانب ، ولف الباس المطلق الناس أجمعين ، وراح الشعور به برداد يوما بعد يوم .

و القبت المسئولية العامة لكل الجسس على عانق توهيموند . الدى سس له ـ وهو بدور حول المدينة ـ أنه يستحيل عليه باللبن او السده \_ ال لحمل ولو فردا واحدا من النساس على الحروح من حسب يحدي، ولم يعد يوحد ثم رحل واحد يقوم بالحراسة أو بقائل العدو داحل البلد أر حرحه ، على الرعم من أن الجميع كانوا يصجون من الأهوال التي أنزلها بهم الأعداء .

ثم جاء بوم عاد فيه المنادون والعمال منهوكي القوى من محاولاتهم هده القسلة في استدعاء الناس ، فلما ساهد بوهنم ويد ذلك المنظر آيفن الاحتوى من بدل محاولات جديده لارعامهم على الحروح من مخابئهم ، ومن ثم أمرمعاوية باضرام الناز في أماكن متعدده من المدينة ، على أن تحتف البران هؤلاء الدين علطت فلويهم ورقصت الإمنال للارادة الربائية ، فتحملهم على البروز الى العراء ، وتجحت مناورية هذه وآند آكانها ، فتعد أن كان عاجرا عجرا باما قبل هذه اللحظة عن أن تحمع الرحال للقنام تواجبات الحدمة العامة ، اذا بهم يقبلون رزاوات بقلوت ماؤها الحماس السديد يتدافعون لأدائها ،

ويمال ايصا ال الماس من الحماه دفع بعصا من رجوه الرحال الى عقد اجتماع حاص ، فرزوا فيه أن يعتبموا هذه الليلة بالذات للمواد خلسه الى السباطيء ، باركين وراءهم السبعب وحيس الحجاح ناكمله ، عبر أن حسر بدارهم هذا بلع سمع الدوق وأسقف بوى الموفر فاستدعبا اليهما هؤلاء المذبين وأسرقا في بأنيتهم المأنب المحبر ، وذكراهم أن وصمه العمار الأبدية سنطبعهم هم ودراريهم بميسمها ، أن هم خرجوا على ما يفرصه عليهم سرفهم وكريم أصدولهم ، أو اذا انسحبوا من همذا الحشد الكبير من المؤمس بالمسيح ،



فى وسط هذه الصيائقة كان هناك نفص بنِّن فى الطعام سي شعب الله سبب أهوال المحاعه المهلكة ، وما يمارسه العدو من

الضغوط ، سواء من الداحل أو الحارح ، حنى لم يعد ثم علاج لما هم فعه ولا أمل لهم في تجهدة تأبيهم من أية تاحيه ، وعمد البلوى صغيرهم وكبيرهم على السهواء ، وعجر كل واحد عن مسهاعدة الآحر .

وكانوا اذا نذكروا نساءهم وفكروا في صغارهم الذين خلفوهم في بلادهم ، وأملاكهم الساسعة التي ورنوها عن أسلافهم ، وكيف هجروها حيا في المسيح ، أسلموهم أنفسهم للسكوى من عدم مجازاه الرب اياهم ، لأنه لم ينظر بعين الشبعة الى المشاق التي بحملوها ، ولا الى صدق اخلاصهم ، بل ابتلاهم بدلا من دلك بالتلايا كما لو كانوا شعبا عربيا عنه فأسلمهم الى أبدى الأعداء ،

## -12-

بىنما كان سعب الرب يهاسى البلاء على هذه الصورة ، ادا بالسبد بعطف عليهم ويستم الى أسهم ويرسل السيلوى من كرسته السماوى ، فيقال ان قسيسا اسمه [ بارتلميو ] من المقاطعة المعروفة باستم « بروفيس » جاء الى أسقف بوى وكويت بولوز زاعما لهما أن الحرارى المبارك أندروز كان قد طهر له في المسام ثلاب أو أربع مرات مبالبة وأمره أن ببادر ما وسعه البدار الى اخبار القادة أن الحربة التي طعن بها سبدنا عبسى المستح في جنبه مدفونة في كيسة أمر الحوارين ، وعليهم أن ينسطوا كل النشاط في النفيس عيها في البعة التي بينها له الحواري بعلامات مبيزة .

ومن ثم مضى بطرس الى خادمي الرب هذبن المحبوبين ، وقصل

ليما الأمر الذي أقسم أنه حميله ، وبين أن الرسول [ أندرور ] الرعمه على ذلك مهددا آناه تكسر من المناعب ، بند أنه رفض أكبر من مره اذاء هذه الرساله ، لأن لا بربد عن أن بسكون رجلا فقرا جاهلا ، غير أنه لم يستطع في النهاية أن يتجنب تنفيد أمر الرسول العاجل أكبر من هذا ، حتى ولو تعرضت حياته للحطر .

و دوسلوا. بالسر به البام، في نقل هذا الحير الى العاده الآخرين، الدس جيء أمامهم ببطرس [ باربلميو ] لسمعوا منه حقيفه الأمر وصورته فصدووا روايته ، تم احتمعوا في المكان الذي سماه لهم في ارباض الكنسية المسار البيد آنها ، رحفرزا الأرص عنساك الى عمق معين ، فوجدوا الحرية كما فال، بطرس [ باربلميو ] تماما ،

ولما سمع الماس هذا البأ المدفعوا الى الكنيسة كانهم رجل راحد . لأنهم سعروا ال السماء أرسيسات لهم العزاء ، وانهالت الهذابا والمنح بمحيدا لاكتساف هذه النعمة العالمة ، وطرحوا عنهم ما كان نهم من الفزع ، وينفسوا الفيعداء ، وأحسوا أن فد عاودهم بأسهم من حديد لنصد الأوامر الماركة ، وكان هناك المبعض الدين ادعوا أنهم رأوا رؤيا العين استاح الملاتكة والرسل الطوبانيين ، وكان ادعاؤهم هذا بعريرا لنفوية ايمانهم بحيام بطرس فارتفعت نفسية الناس الفابطة الحائرة ارتفاعا عجياً .

وحيداك اسبجاب جمع الزعماء لافتراح الرحمال الموقرين الدبن يخسون الرب وحددوا ابمانهم ، وقطعوا على انفسهم العهم بأن يحلص كل منهم النية للآخر ، وتعاهدوا - لئن تداركهم رحمة الرب مما هم فيه الآن من وضع حرح ، ومنحنهم النصر الذي يرحونه فطهرا على عدوهم .. ألا يفارق بعضهم بعضا . حتى يستعمدوا بعون الله المدينة المقدسة والقبر المقدس ، ويرودهما للايمان المسيحى وحريتهما القديمة ،

ظل الناس يعاسون هده الطروف غير المحمله ستة وعشربن بوما مساليه اطمأنت بعدها فلوبهم بعسم طول وجبب ، وراحوا بسمرون عن سواعدهم في شجاعة لم تكن لدبهم من قبل ، وأحسوا بالراحة بعد طول عداب ، وكأنها أمل جاءهم من السماء ، وانقن الجميع صغيرهم وكبيرهم على أن لابد لكل هده المساق من نهاية ، وأنه لابد لهم من يوم قريب جدا يقابلون فيه الحصم وبسيطيعون صد أعدائهم الذين يعبدون كبيرا بقونهم الكبيرة ، فينحرر يومذاك المدينة التي يعبدون كبيرا بقونهم الكبيرة ، فينحرر يومذاك حوص الحرب مرة اخرى ، بدلا من أن يبركوا أنفسهم نهب الصياع بوما بعد يوم ، وهم في عمره المحمة التي استمرت طويلا وأنه أجدى عليهم أن يحاولوا العال بدلا من أن يبركوا أنفسهم للناس ينسوء عليهم أن يحاولوا العالم بدلا من ان يبركوا أنفسهم للناس ينسوء عليهم أن يحاولوا العال بدلا من ان يبركوا أنفسهم للناس ينسوء عليهم بكلكله الذي لا نهايه له فيمصهم ارهافا ،

كانت هذه هى أحاسس الجمع الدين لم يعد ثم معر أمامهم من الحروح من المدينة لمعاملة العدو ، ولم تعصر هذه الرعب على السبلاء وحدهم ، بل كانت ملتهب عى نقوس العامة أيضا المهابا حملهم على انهام فادنهم بلراخى ، وكرهزا كل نريب من جانبهم .

ورأى الفادة أن حماسة الناس الما هي أمر علوى ، فاحلمعوا للنساور ، واتفى الماعهم على أن يرسلوا وفادة الى الفائد العام لعسكر العدو لعدر عليه الأخذ بواحد من النين :

بر اما أن برحل وينرك المدينة للصلبيين ليكون ملكا لهم الى الأبد، وهي المدينة الني عادب الآن البهم باراده اأرب، والموان السبع هو الحكم بن الفريقين .

واحسر لهذه البعبة الرجل الطاهر الذيل ، الذي ورد الكنبر

عبه في الصفحات السابقة ، وأعنى به بطرس الناسك ، وأسركوا معه رفيقة العافل الفطن « هيرلوين » (١) الذي كان ملما بعض الالمام باللغة الفارسية ومنمكنا من لسان البارثيين ، وعهد القوم ،لى هذبي الرجلين بنسليم العدو الاقتراح الذي ذكرناه ، على انهم اصافوا الى ذلك شرطا آخر هو أنه اذا آبر الأمير الحرب فله أن يحسسار: الما المباررة الفردية مع أحد الرعماء الصلبيين ، أو أن يحرج عدد معين من رحاله صد عدد مساو لهم من رحالنا ، فينارز بعصسهم بعضا ، واما أن يلغي الحسان وجها لوجه في معركة عامه ،

و بهادن الطرفان هدمه امان لارسال الوفاده ، فانطلق الرحلان الله المهما الى معسكر الأمير [ كربوغا ] مع الحرس الدى حصص مهما ، فوحدا كربوعا محاطا بكبار رجاله ونوانه ·

وعلى الرعم من أن نظرس الناسك كان رحلا فيمنا الا أنه كان يتمنع بروح عالية ، فأدى المهمة التي وكلت الله في صدق وحماسه ، واستطاع سنوكه الرصين ويما طبع علييه من حراه لا تعرف الحوف ، أن يقترب من البساط الفارسي دون أن يتدى أي حضوع ، وسلم الاندار و ثلا :

« لقد أرساسي محمع الرعماء المعدس أحباب الله الموحودين في الطاكمة ، يبهون الى سموكم أن نكف عن مصايفيهم . وبرفع الحصار عن المديمة النبي أعاديها الرحمة الالهنة الى أبديهم . والني طبرعا

<sup>(</sup>۱) يسعاد من حدا أن و حيرلوين ، حسدا كان يعرف الله ساب العربي والعارسي الى حانب لغة دلك العصر وهي اللاتينية ، ورسا كان حاك مثله كبيرون اصطعهم الصليبيون ممن يعرفون لعات هذه البلاد السرقية وان كان عددهم صبلا . أو كانوا معدودين دون الصليبيين مكانة لأنهم لم يكونوا محاربين ولكن أدعمهم الأوصاع أن يكونوا في صفوف المقاتلين • انظر المرحمة الانحليزية ، ص ٢٨٢ . حاشية رقم ٨ والمراجع الوارده نها •

verted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

من الوسه بطرس أمير الحواريين العافل المكمل لايمسانيا ، والذي اهند أنطاكيه بهديه الى دين المسبح ، وصارب حفا ليا بعضل فوه معجراته وكلماته الكريمة المبطويه على النصح والارساد ، بم فدر ليه ال تغيصب منا عدوانا وطلما ، فاعادها البيا السيد القوى ذو الباس السديد .

" وعلى دلك فان الفادة الصليبين بعرصون علىك بما ينفى واحساسهم العمين بالمسئولية الموروثة من آبائنا خدام المستح المحلصين ان تحيار واحدا من عده افتراحات تصعها آماهك ، وهي أن درفع الحصار وتستحب وتكف عن مضاهه الصليبين ، فأن لم يفعل آندرياك تحرب بعد بلانه أنام بكون الحكم فيها للسبف بسكم فعيل أندرياك تحرب في ذلك فأن أردت تحيب الصدام بنفديم عدر مقبول فأنهم يحرونك بين عدة أمور تخيار منها واحدا ، وهي اما أن يلمي تنفسك وحها لوحه مع واحد من فوادنا في مبارزه لا يكون فيها سواكما ، فأن تعليب فيها عليه ملكت كل سيء ، وأن هرمك رحلت ونركبا آمنين ، وأما الافتراح الناني فهو أن يحرح تضعيب من فرسانك بقابلون بصعة من فرساننا بماناونهم عددا تحت نفس السروط والا تقابل الجبسان تأجمعهما من الجانبين في معركه تفرر المصر » .

#### \*\*\*

لكن الأمير [ كربوغا ] ازدرى هذه العروض المقدمه المه ، ومل اله على « ما أظن يا بطرسى العزير أن وصع رعمائك الذين أرسلوك الى يسمح لهم بافنراح اختيارات يعرضونها على " ، أو أن يعرضوا على " اخسارا معينا حسب أهوائهم ، دلك لأن بسالما أحير بهم على أن بكونوا في حال لا بملكون معها حرية الاختيار ، بلي

معرص علمهم اما أن يغادروا البلاد ، واما أن سخلوا عن رعبانهم بما يتعق وهواى أنا •

« فاذهب الآن الى هؤلاء العاده الأعبناء الدين أوفدوك ، \_ وقد عم علمهم الآن الوضع الذي هم فيه \_ وقل لهم التي سوف أستبقى عندي منهم كل من هم في رهره السباب من الحسين ليكونوا في حدمة مولاي [ السلطان ] ، أما من سواهم فسوف أجعلهم نهب السيوف كأوراق السحر المسدقطة حتى لا تنبقي منهم من يذكر بهم ، ولولا أني آثرت أن أبركهم يلافون الموت بالجوع القاسي بدلا من فيلهم بالسيف لدككت الأستواز عليهم مسلكهم تحد رمن بعبد ولاستوليت على المدينة عنوه ، فيجنون نمره مسلكهم تحد صريات السبف المنتقم » السبف المنتقل الأستوار عليهم مسلكهم تحد صريات

#### - 17 -

بعد أن عرف بطرس عفلية الأمير كربوعا الدى أرساوه الله ، وأدرك مدى سلوكه المنعطرس الباحم عن اعتداده بما لديه من ثروات لا بمانلها أية نروات أخرى ، وكنف عربه كبرة حده ، أقول بعد أن عرف بطرس ذلك كله استأذبه في الانصراف وعاد الى حماعيه ، فلما بلع المدينة آزاد أن نقصى الى الرعماء الذين بعدوه بالرد الذي حملة المنهم ، وكانب الجموع كلها من الكبار والسعب يناهفون على صماع فحوى الرد وبيجه السعاره ،

وعزم بطرس [ الناسك ] على أن بقدم في حصره الناس جميعا مفريرا مفصلا بكل ما حرى خلال اجتماعه بكربوغا ، وعن مسلك هدا الأمير المنغطرس ، كما فرر أن يسمر الى تهديدانه وكبريائه

( الحروب الصلمينة حـ١-١٠١

وعروره ، لكن جودفروى العطبم حاف أنر دلك على العامه ال هم المتوا بجميع تعاصيل الموضوع ، ذلك أن العامة وفد أنهكنها السدائد المسيمره ، وضعصع بعسبيها براكم الأهوال عليها ، قد يسبيد بها الفزع السديد فننكب على وجهها خوفا ، لذلك قام [ جودفروى ] فاطفا حماسه بطرس ومبعه من الاسترسال وسرد كل ما عنده ، وجذبه بعيدا عن الناس الدين براحموا عليه لسماع ما يقسول ، واقترح عليه ألا يفصل كل ماحدث ، بل عليه أن يقتصر على موجز رد كربوغا ألا وهو تصميم العدو على القتسال ، وأنه يسغى على الصليين أن بصرفوا كل اهنمامهم للاستعداد للحرب .

ومن ثم لم يعرف الماس مما حكاه بطرس الا أن العدو يطلب العمال ، فاحماحت الجميع صعيرهم وكبيرهم رعبة عارمة ولهفة ملحة للحرب ، واعتبطوا أسد العبطة اذ تلفوا هدا الخبر ، وكانت عله ورحنهم هي ثقتهم بالنصر ، حنى كان يخيل للناظر اليهم أنهم سبوا نماما ما كابوا فيه من الصراع ضيه الأهوال النبي كانوا بكابدونها ، وأفصحت وحوههم جميعا على انفاق كلمتهم بأن يكونوا فلما واحدا وفكرا واحدا ، فعودى فيهم أن المعركة واقعهة غدا ، فعادوا بحوامح قد ملأمها العرحة حسى لعد انفصى اللسل دون أن تعمض لهم عن ، سوفا للمعركة ، وجهزوا أستسلحتهم ، وأعدوا حيادهم ، وراحوا ينظفون صدرياتهم الحديدية ومغافرهم ، وهاوا دروعهم ، وشحذوا سيوفهم ، ومن ثم لم يكن عندهم وقت للنــوم أو الركون الى الراحه ، ونادى المبادى بين الجميع أن بخرج كل ذي سلاح وقادر على الفتال عبد نباسير الفجر وقبل شروق الشهمس وينصم الى كتببته ويفف خلف راية فائده المعين له ، فلما بزغ فجر البوم النالي أقام القسس ورجال الدين الخدمة الدينيـــة في كل الكنائس ، وقدموا الفرابين ، ثم دعوا الناس الى الاعتراف بنفس ملؤها التواضع والمذلة كالعادة وحضتوهم على التوبة وتحصين أنفسهم صد رذائل الدنا بنناول الفربان الدى هو دم المسمح ولحمه ، فلما عفروا لهم حطاياهم وبعصوها الى نفوسهم وقاصب الفلوب بمريد من الحب الصادق ، مصى القوم الى الفنال وهم أكبر ثقة من قبل كبلامية وانباع الفائل (١) : « أنا أعطبكم أن نحبوا بعصكم بعضا ، كما أحببكم آنا تحدول النم أنصا تعضكم بعضا ، نهذا يعرف الجميع أنكم تلاميدى ان كان لكم حب بعص لنعض » .

بعد أن تلقى جميع الكنائب الخدمة الدينية ، وغمر الهدو، العلوب ، انهالب عليهم البعمه من السيماء الهالا عجيبا ·

كما ال أولئك الدس كانوا بالأمس واليوم الدى قبله مطروحين كأن قد قارفيهم الحياه ، وقد بلع الضعف منهم مبلعا عجروا معه عن أى شيء حتى عن تحريك حفونهم أو رؤوسهم ، وباخت عليهم الفاقة بكلكها ، وأمصهم الجوع ، حتى راحوا بليمسون الأماكن الحقية عبر عابئين بمكانهم التي كانوا عليها من قبل ، أقول انهم برزوا في هذه اللحطة من بلقاء أنفسهم للعيان ، وتخلصوا من كل خوف وامشقوا أسلحمهم في بطولة كما لو كانت الفوه ديب في أوصالهم من حديد واستردوا اقدامهم الذي اعتادوه وراحوا يستعدون للحرب وكلهم أمل في النصر ، وقل" أن وجد في هذا الحشد الكثيف شخص أيا كار عمره أو ظروفه لم يهني، نفسه للاضطلاع لكل عمل مجبد ، وحملوا كلهم سيلاحهم ، وتننا الجميع بانتصار الصلبيين .

وراح الفسس بطووون بين صفوف العسكر ، وحيث يتجمع الناس ، وعليهم ثبابهم الكهنوتية حاملين الصلبان وصور القديسين في أيديهم ، واعدين القوم بغفران الذنوب ومحو حميع آثام الخطاة ان هم اسمسلوا في القنال في المعركة كحماة للعقدة المسيحية التي

۱۳ ، ۳۵ ، ۳۵ ، ۳۵ ،

verted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ورثوها عن آبائهم ، كما عام الأساففة بارحاء النصبح لأمراء الجيش وقواده أفرادا وجماعات ، وحثوهم على النضال ما أسعمتهم البلاغة الني أعدقيها عليهم السماء ، ومنحوا الباس بركابهم ، واستودعوهم في رعابه الله ، و كان في مقدمة هؤلاء الأساففة حادم المسيح الطوباني أسقف بوى الدى دأت على استاء النصيح والمداومة على الصوم وملازمة الصلاة ، وبر الجميع كرما في احراج الصدقات ، وكان مستعدا على الدوام للنصيحية وعسه من أحل حاطر السيد .

# - 17 -

تحمع الجمع كأنهم رحل واحد أمام باب الجسر وذلك ساعه اسراق صماح النامن والعسرين من يوسه ، بعد أن انتهلوا الى السماء أن نمدهم بالعون ، وأعدوا صفوفهم للمعركة بعد أن سوا للفيالى بطام السير وأسلوبه ، وذلك فبل مغادرتهم المدينة ، وتولى همع العظيم \_ أخو ملك فرنسا \_ أمر الفيلق الأول كفائد له وحامل لراينه ، وجعلوا معه أنستلم دى ريبمونت الجدير بالناء على كل ما يفعيل ، وأشركوا معه أشرافا آخرين تعجز عن ذكر أستمائهم وعددهم •

وعهدوا بالفريق النانى الى روبرت الملقب بالمرريانى كونت فلاندر ، ومعه من ضمهم معسكره من البدايه ، أما روبرت دوق تورماندى فقد وكلوا اليه قيادة العسكر النالث ، وكان معه ابن أخمه الفاضل سمنفن كونت أومال وغيره ممن كانوا في بطانيه من البيلاء . النيلاء .

ted by miles and samps are applied by registered versionly

أما المبحل أدىمار أسفف بوى ، دو الدكر الغالى ، فقسد عاد المجموعة الرابعة الى كانب سسمل على حاصة أنباعه وأنباع كونب بولوز ، وكان [ أديمار ] يحمل حربة السبح المسبح .

وأما رینارد کونب بول مقد کلفوه بآن یفود الفینقین الرابع والحامس ، وکان معه أخوه بطرس دی سنینای ، وکونت جاربیه دی حرای ، وهنری دنس ، وریبولد فون أمرزباخ ، وولتر دومندارد

وأمر الزعماء أن يكون على العملق السادس ربنبالد كرب أورانح ، ولدفيح دى موسيون ، ولامبرت بن كوبون ـى موباج ،

أما حودفروى دوق اللورين دلك الأمر العطم المنحل ، وأحوه الموفر لورد استناس ، فكانا على الكنيبة السابعة ، الذي ربها وفق النظم الحربي .

وأما القسم السامن [ من الجنس ] فكان بقساده بالكريد الفارس المعلم في نبل حلفه وبراعبه في استعمال السلاح ·

وأما القسم الناسع فكان فبه هيج كونت سبب بول ، وابله المحرابة ، ويوماس دى لافر ، وبلدوس دى بورح ، وروبرت س حيرادر ، وريتو دى بوفيه ، وجالو دى شومونت .

وأما الفیلق العاشر فقه عهدوا به الی رونرو کون بیرش. وایفرارد دی بویسیه ، ودروجو دی مونسی ورالت ابن جودفروی وکونون روتو ۰

وقاد الفیلق الحادی عشر کل من ایزورد کونت دیی ، وریمونه ببلیه ، وجاسنون دی بزییه وجیرارد دی روسیلون وولیم آمانجو ۰

verted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version

أما الفيلق النابي عشر وهو أكبر الفيالي جميعا فبؤلف مؤخره الجيش ، وقد عهدوا به الى لورد بوهيموند رعيما وقائدا ، ووكلوا اليه أمر هذه المؤخره كي يساعد القواب الأمامب في اللحظاب الحرجه ، كما عهدوا اليه أن يرعى من فد يشهد علبهم صغط العدو .

واشبهت وطأة المرض بكونت بولوز في هذا الوقت ، فخلفوه وراءهم لحماية المدينة ، اذ لازالت فلعنها في فيضه البرك الذين خيف على المدينة منهم أن يظنوها بلا مدافع بسبب غياب الزعماء ، فيحاولون الاعارة عليها ، ومباغنة من بها من الشيوح العجرة والسناء وغيرهم من أهلها الذين ليس هناك من أحد بحميهم .

ولقد أقام الصليبيون على النل المواجه للقلعة سورا قويا من الأسمنت والحجر ، الى جانب استحكامات اضافية تصبت عليها بعض آلات الرمى ، كما تركوا بها مائنين من الشجعان الأشاوس المدججين بالسلاح للحفاظ عليها .

# - 14 -

حبى رسب فواسا نفسها على هذه الصورة وهنأوا صفوفهم للقبال ، قرر الزعماء بانفاق الآراء أن يسد أمام الجيش بأجمعه وينقدمه كل من هيج العظيم [ أخو ملك فرنسا ] ، وكونس فلاندرر، ودوق نورماندي . أما البغبة فعليهم مراعاة الترنيب المنفق عليه ، وجاءت المشاة أولا ومن بعدهم مباشرة الخبالة كحراس لههم ، وأعلن نداء عام يحذر تحذيرا قاطعها أي شهمص من النجرؤ على مد ناظريه الى الغنائم والاسلاب ، بل يكون الاهنمام منصبا على كل ما فسه تحطيم الأعداء ، حتى اذا ما نم النصر للصليبين ،

ودارب الدائره على العدو ، امكنهم العودة بنفس راصيه لحمع الخنمة .

وقع كربوعا منذ اللحطة الأولى ـ لا سيما بعد رياره بطرس [ الناسك ] له ـ أن لابد من فيام الصليبين بسن عاره فعانه على معسكره ، ومن بم فائه ابعق مع الأنراك الموجودين في الملعة أنه اذا لاحظ أحدهم حماعة الصلبيين وهم يسبعدون للحروح من آية ساعة من ساعات يومهم فعلى اهل البلد المبادره بمواعاه معسكره باشارة اتفق عليها من فبل .

شرع رجالنا منه أول ساعه من النهار في ننظم صفوفهم .

علما لاحظ أنراك الفلعة بحركابهم بادروا فاعطوا الاشاره لمي في

معسكرهم ، فعزم كربوغا على النقدم والحيلولة دون ما بريده ،
وأرسل في الحال نحو ألفي فارس ليصرف نطر فواتنا الموجوده
عند الجسر ويمنعها من مغادره المدينة ، ثم برجلً هؤلاء الرجال
ونزلوا عن ظهور جيادهم ليكون هجومهم اشد عنفا ، ولكي يجدوا
مجالا أوسع لاسنعمال أقواسهم ، فأمكنهم الاسبيلاء على الطريق
البعيد من الجسر ، وأما الصليبيون فقد ربوا صفوفهم ، وورعوا
رجالهم وفق قواعد علم الفنال ، بم فاموا بعد ذلك بفنح البوانة ،
وزحف فبالفهم واحدا بعد احر ، وكاب لا ترال مرابطه في مواضعها
على نفس المسافات الني يفصل بين بعضها والبعص الآحر .

وبينما كانت كنائب العدو التى قدمت لمنع حماعسا من الهجوم تجهد نفسها أنسد الاجهاد لبلوع هذه الغساية . عمد هنج العطم الذى يبولى - كما قلنا - قبادة القيلق الأول بارسال كوكبه من المشاة ورماة الأقواس ، فشنت هجوما عنيها على البرك الذبن حاولوا المقاومة فى بداية الأمر ، لكنهم ما لبنوا أن عجزوا أخيرا عن صد فوايا ، واصطردا إلى القرار على عبر يظام ، فاقيقي هنج أثرهم في

عنف لم يستطيعوا معة الوصول الى جسادهم وامتطائها الا بعد لأى وحهد ، وبسما كانوا لائذبن بأدبال الهرب استسبسل في مهاحمتهم أسبلم دى ريموس الذائع الصيت الذى كان وافضا في الصعف الأول ، وقدم الدلبل الماضع على شلطاعه ، واندفع غير عابىء سلامه حتى صار في وسطهم وقد كسفوه من كل باحسة ولكنه صمد مردبا بعصهم وطاعسا بسبقة فاوب البعض بالآخر ، وأبدى في الفنك بهم كيرا من البسالة التي دلت على قدرته واستلفت الله الأنظار ، وحديث الله اعجاب جميع المحاربين ، فحص ليجيدته هذه العظم ، وروبرت كويت فلاندر ، وروبرت كويت والدوق ، وقد اميلات نفوسهم اعجابا بيطوليه فضموا فوانها بعصها الى قص ، وكروا عني العدو كره استاصلوا بها سأفة من لازال هناك

### - 19 -

من عسكره ، ثم بابعوا اصفاء أنره الى محيمه وكبدوا الماروس حساره

بعجر اللسان عن وصعها ٠

سما كاس فوانيا بغادر المدينة جرى آمر يسنحى المسحمل، ذلك أنه فى اللحظه الني أخذوا فيها ينهيأون للعمل ، وقد صاروا يعسكرهم حارج الباب ، ادا ببعص من رحال العدو الذين دبروا أمر منعهم من الخروج يحرون صرعى ، ويلوذ غيرهم بالفسراد ، وحدث في هذه اللحظة بالذات أن أخذت حبسات النهى اللذيذ تنساقط على الجيش الصلببي ، وكان رذاذا خفيفا لكنه أنعش رجالنا كل الانعاش ، ونزل عليهم بردا وسلاما ، حنى لكأن السلد ذاته هو الذي بمنحهم بركاته وعطفه .

وما كان هذا البدى العاوى المعطر تصييب أحيا الا ويدب العرجة في بدية ، وينسى روحة ، وينبرد قوية بمام الاسترداد ، حتى لكأنه لم يشك قط مشعة ولم ياق صعوبة طوال رحاة الهج ، ولم يقتصر دلك على الرحال وحدهم ، بل ان الحياد دانها عادت يتقوه الله \_ الى ما كانت عليه من الشياط ، على الرعم من الهيا ظلب لبضيعة أيام سالفة لهذا الحدث لا تجد علقا عدا به ، ولم يكن لها من طعام سوى ورق الأسجاد ولحائها ، أما النوم قفد حاوزت سرعيها وصبرها سرعة خيل العدو مع أن عليف حياده كان من السعر والين .

أدى هدا الأمر الى آن بات الأمل في النصر فوياً ، وبعب هدا الندى في حدودنا قوة الحدمالطاغية فكأنه هو المراد بقول الفائل(١)

« اللهم عند حروحك ۰۰۰ الأرض اربعدت ، السمارات اسما فطرت ۰۰۰ مطرا عريرا أنضحت با الله ۰۰۰ مرانك وغو دعى أنت أصلحته »

والوافع أن حبودنا لم بخامرهم آدبي سك في أن الدي بالهم انما هو رحمة الروح القدس قد برلت عليهم ·

#### \*\*\*

ولما أصبحت حميع الكيائب حارج المدينة صممم الرعماء على نشر العسكر حتى الجبال التي تبعد عن أنطاكسة فرابة ميلين، واحتلال السهل بأكمله محافة أن يحول العدو - بأعداده الضخمة - حلسة - او عنوه - بين فواتنا وبين المدينة ، فيكون في ذلك الحطر علينا ، كما أنه يستطبع بهذه الطريقة - كما هي عادته - الاحداق

<sup>(</sup>۱) مرامیر ، ۱۸ ۹ – ۱۰

رجالنا من كل جاس \_ فيقطع حط الرحعة على المتسللين الى المدينة ، واحذ المماميون ينفلمون بنطء حتى لا تحاط صفوفهم بعضها ببعض ، او يختل تظامها ، وقد سناءت الاراده الالهبة أن الصلبين الدين كان بخيل لرائيهم \_ وهم وراء الأسوار \_ أنهم دون خصمهم عددا ، أو بفول أدق أنهم لا سيء مطلقا بالنسبة البه \_ قد صناروا وهم خارجهنا يوارونه عددا ان لم يكونوا أكبر منه حمعا ، وهكذا قان « الواحد الذي بارك الأرغفة الخمسة قراد في يقاناها ريادة جمة بعد أن أكل الجميع حتى سبعوا قد جاء بمعجزه ليست دون هذه المعجزه حين راد عدد هؤلاء الناس ، الذين وهبوا ألفسهم للعمل الصالح في نظره ، وكان ذلك منه بمجيدا لاسمه » •

وكان القسس واللاويون الدين وهبوا أنفسهم للرب يسبرون في ركب من خرجوا للفتهال متسربلين بمسوحهم البيضاء ، ووافعين بأيديهم الصلب المجمد ، كما ظل بالمدبنة طائعة من الكهنه وكانوا كأمالهم مدرين بمسوحهم الكهنوسه ، واعملوا الاسوار ورفعوا أيديهم الى السماء لا يكلون عن الابنهال الى السمد بدموعهم وصلواتهم أن يخلص شعبه الوفى ولا يأذن لمنكريه أن يرثوه .

#### - 44 -

فهم كربوغا من الاشارة التي ظهرت على العلعه ومن مطالعته الهادبين المهزومين من أنطاكية عند زحف رجالنا ان الصليب أخدوا في النقدم ، فدعا الى اجتماع عاجل حضره كناد الرجال في السن وقواد عسكره ، للنشاور في الوضع الذي كان ينطر اليه بازدراء ، ولكنه أصبح يشكل أمرا خطرا حمله على أن بعدوف

erted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version

من هؤلاء العوم النافهين ، الدين سنحر مند فلنل جدا من معدانيم وعددهم الضئيل ، ومن نم سرع في تربيب قوانه ، وتنظيم صفوفه استعدادا للعبال وترولا على نصيحة مستساريه ، واحده نجرته الأنطاكبين بعين الاعتبار واستطاع بكبير من المهاره تنظيم قواته وتربيب صفوفها للعبال ، وأقام حدا فاصلا بارزا بين العبالي التي يتألف منها حرس مقدمته وبين السائرين حلقهم ، وكان من بين يظيمانه الصارمة ما يلي .

هو أنه أرسل باحيه الساحل كبيبه امنازت بكفاءة رجالها وسجاعتهم ، وقد فعل ذلك فبل أن يشغل الصليبيون كل السهل الواصل بين المدينة والجبال ، ويفال ان هذه الكتيبة كانت بقياده قلج أرسلان أمير نيقية المشهور الذي بردد ذكره كثيرا فيما سبق ، وكان الهدف من هذه المناورة هو أنه ادا دارت الدائره على سعب الرب ، واضطروا للهروب ، وجدوا أنفسهم وقد سدت سبل المجاه من خلفهم وقدامهم ، سواء كانوا يريدون العرار الى المحر أو الى المدينة ، وبذلك يقعون بين القوات الى بطاردهم ، وبين الدين يحاولون منعهم من التقدم فنطحهم رحى القيال بين سفها .

ثم أقام كربوغا بقية عسكره على اليمين وعلى السمال ، واصعا كل جماعة نحت قدادة قائدها المخاص ، ونادى فى عسكره أنهم ان أرادوا كسب عطفه عليهم ، فعليهم أن بنذكروا ما عرفوا به على الدوام من الشحاعة العائقة ، وأن يحساربوا خصومهم حربا لا هوادة فيها ، و لايلقوا بالا الى مجهودات قوم لا بدرون ما الحرب ، ولا بزيدون عن أنهم رعاع أنهكتهم المجاعة ، وأعوزهم السلاح ، وقل فى يدهم المال •



ولما احملت فوانسا كل السهل احبلالا أمنوا معه أن يحدق بهم أي حطر أمروا بدق الطبول ايذانا بالزحف ، وسرع العسكر في النقدم شيئا فشيئا نحو صفوف العدو ، بنقدمهم حاملو الراباب ، حتى اذا صاروا فربيين من المارقين قربا أعجز الأخبرين عن رمبهم بالسهام ، اندفعت الى الامام في آن واحد صفوفنا البلائه الأولى ، وقابل رجالها العدو بالسيوف والرماح في الأحباء القريبية ، أما مشانيا وهم رماة الأفواس والمنجييق ، فقد سيقوا كيائب الفرسان ، وراح الحميم ينافس بعصهم بعضا ، وشيوا من الهجوم

ثم جاء العرسان في أعقاب المشاه ، بادلين أفصى الجهد لحماية الطليعة ، وبينما كانت الصفوف الأولى ىبذل قصارى جهدها في القنال ، هب لمعاونيهم من كانوا وراءهم مسيسلين في الهجوم ، فأناروا الطليعه للقبام بأعمال آكس شجاعه وأعطم جرأه ، وهحمت جميع العواب الصلبسة باستمناء المؤخرة - البي بعيادة بوهيموند \_ على العدو وحاربيه في بطولة ، وأسيحر القبل في كبير من البرك ، ودبت الفوضي في صفوف الباقين فركبوا الى الفرار ، وقصى الدوق ووحديه فضاء مبرما على أقرب وحدات العدو اليه ، غير أنه حدب في هده اللحطة أن عاد علج أرسلان بعيلقه الذي كان \_ كما علما من قبل \_ قد فاده منجها ناحية الشياطي، وكر به كره عييفة من الخلف على كتيمة بوهمونه ، وراح برشقها بوابل من السهام الني راحك بتسافط مدارا حبى غطتهم جميعا ، ثم نحبّ قواب قلح أرسلان الأقواس جاببا ويجنب بكنيكايها المألوفة ، وهاجمت بوهيموند بالهراوات والسيوف وكانب الكرة علمه أضرى ما تكون، حنى لم نعد صفوفه قادره على بحمل صغط هدا الهجوم الشرس، فدب الاضطراب في صفوف كنيبنه على الرغم من صموده للعدو ،

أعىف\_ه ٠

erted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered versio

هو وبلة صئيله من رفاقه ، كما أبدى من البسالة العائقه ما هو ممين به كفائد ، على أنه في هذه اللحظة الحرجة اسمجاب الدوق جودفروی لما نودی علبه ، وأسرع بعواله لمساعده بوهيموله ، وكان ممن جاء مع الدوق من الرجال تنكريد القائد المقدام ، وترتب على مجيء هؤلاء الرجال خير كبير ، سلل في بوارن فوانهم مع فوات العدو الذي بلاشي بأسبه مما شجع الصليبيين على ملاحمه ، عير عابئين أن يصمابوا فمجرحون أو يصلون ، فلما رأى الحصم أن فويه لبسبت معادلة لقواننا ، وأدرك أنه لن يستطيع يحمل بأس حصومه أكتر من هدا عمد عسكره الى حيل أحرى ، وكان منها رجوعهم الى مألوف عاديهم ، فأصرموا النار في الرروع ، فيأججت لوجود كميان وفيره من الحسائش الجافة وأكوام العش التي سرعان ما أمسكت بها الديران ، وساعدت على انساع مدى الحريق، وعلى الرعم من أن اللهيب كان بسيطا الا أنه أسفر عن دحان كيف حانق ، فحالت هذه الفيامة بين حيشنا وبين مطاردته العدو بشده ، ذلك لأن ما أباريه أفدام كنير من الرجسال والجسود من العبير والتراب ، أزاغت أبصارهم وكادت ان بعميها ، حسى لم تكد ترى سببتا ، فاغننم العدو وحود هذا الدخان ، وانخذ مبه سمارا استخدمه بمهاره مي نحقيق غرضه ، فهاحم فواننا وفيك بطائفة من مشاينا ، غير أن سرعه عدو جباد العرسان ساعدتهم على تجبب أخطار الدخان الكسيف ، فكروا عائدين الى ساحة المعركة ، وجاءهم الغوث من السماء ، فاسمووا في القتال حتى نجحوا آخر الأمر بفضل تجدد نشاطهم ، في ارغام العدو المارق على الهروب أمام سموعهم الظامئة للانتقام ، ولم يكفوا عن مطاردته ، حنى حملوه ـ وقد اضطرت صفوفه أشه الاضطراب \_ على الارتداد الى حيب يوجه اخوانهم •

كان على معربه من ساحه المعركة واد صغير ، ادا حل الشناء غمره السيل المتدفق من فمة الجبل العالية ، وقد دمكس فواننا من طرد العدو الى ما وراء هذا المجرى المائى ، ولم ينوان رجاله عن بذل أفصى جهدهم فى سبيب أفدامهم فوف نل يعلو هذا السهل فليلا ، وراحوا ينفخون فى الأبواق ، ويدقون الطبول فى محاولة منهم لاستدعاء عساكرهم المستتة هنا وهناك ، ولكن زعماءنا انطلفوا بنعقبونهم دون أن ينوقفوا ولو لحظة واحدة ، وسرعان ما أدركوهم، وبينما كانت المعركة الكبرى دائرة اد أقبل من المؤخرة الدوق جودفروى وبوهيموند وتانكريد وغيرهم من أشراف الرجال ، وقاتلوا كتائب قلج أرسلان واسناصلوا شأفتهم بمعونه الرب

وى هده الأنناء نمكنت الطليعة المؤلف من هيح الكبير ، وروبرت كونت فلاندرز ، وروبرت كونت نورماندى مع الكثيرين ممن يستحفون الذكر الأبدى ، من حمل العسكر المعادى لهم على الهرب ، فاجتاز هؤلاء المحاربون الوادى ، وأزاحوا العدو عنوة من على الجبل ، وأرغموه مرة أخرى على الفراد ، وقد صربت الفوضى أجرانها عليه ، ولم يعد قادرا على احتمال الضغط الذى مارسته القوات الصليبية عليه .

ظل كربوغا منذ بدء القتال بعيدا عن ساحة المعركه مرابطا على تل معين ، وكانت الرسل موصولة الغدو والرواح حاملة له أخبار المعركه ، وبينما كان يترقب في لهفة نتيجة هدا الصراع العام ، اذا نه يطالع ـ فجأة ـ اختلال نطام قواته وتفرقها ، وفراد عسكره على وجوههم في شنى النواحى على غير هدى ، وتفرقهم أيدى سبأ ، فغمره الحزن الممض حين أدرك مدى النكبة التي حلت بهم فنصحه

أساعه بالعمل بكل الوسائل على ما فيه سلامه ، فغادر المعسكر على عجل لائذا بأذيال الفرار غير عابى، مطلعا برجاله ، ولا مسطرا احدا منهم ، وأحد يتبدل على الدوام الجياد على طول الطريق لسيل هسروبه ، حتى بلغ نهر الفرات ، فعبره وهو في حال من الفرع الشديد ، فلما بلغ شاطئه الآخر لم يصدق أنه بلغه سالاً .

حين ساهدت فوات العدو تخلى فائدها عنها وحرمانها من مساعدته اياها ، زايلنها شنجاعنها وبلاشى عزمها ، فاستولى رجالها على كل ما عنروا عليه من الحبل ، وحدوا حذو كبيرهم فأمعنوا في الهروب حتى لا يكونوا طعما لستوف مطارديهم .

ولم يكف رجالسا عن مطاردتهم الا لحوقهم من أن تعق جبادهم تحقيم من طول المطاردة ، بيد أن تاتكريد وشردمة صئيلير معه قصوهم مسافة تلائة أو أربعة أميال ، حتى حالت ساعة العروب فرجعوا بعد أن أوقعوا الفزع الأكبر في فلوبهم .

ابتلت العوة الالهية نعوس هؤلاء الفارين بالحوف ، حسى انهم لم يستطيعوا الصمود لهجمات المعدين عليهم ولا صحدها . اذ يخالون العشرة من رجالنا آلافا مؤلفه ، كما أنهم لم يجدوا أحدا يهديهم ويأخذ بيدهم أنناء هروبهم أماما ، وتوضيح هده الحقيقة أنه ظهر صدف المل القائل (١) .

« ليس حكمة ولا فطنة ولا مشورة نجاه الرب » ٠

وظهر جليا في هذه النجربه ذانها أن قوما أهل مسربة نكاد المجاعة تقضى عليهم يصبحون ذوى بأس سديد ، فادرين بمعونه الرب على هزيمة مسل هذا الجيش الكبير من المحاربين الأقوياء وأن

<sup>(</sup>۱) أمثال ، ۲۱ ، ۲۰ • ۲

ينحقق لهم في معركة واحده فوق كل ما كانوا يأملون ، اذ ينمكنون من دحر حميع فوة المسرف الذي لا يعرف الرب . .

### - 77 -

حين ورع رحالها من المعركة ومتحتهم السماء النصر ، انفلتوا الى مخيمات العلو ووجدوها راحرة بكل ما هو ضرورى وما لا غنى لهم عنه ، وعروا على أحمال كبيره من الأمنعة الشرقية الغالمة التى بلغت من الصحامة فدرا كان من المستحيل معه عدها وبقديرها ، وهي غنائم من الدهب والفضة والجواهر والحرير والملابس الغالية، الى جانب الأدوات المرلبة الرائعة الصبعة ، النفيسة المادة ، كما وجدت هماك أعداد ضحمة من الجياد وفطعان الماشية وأسراب الأغنام ، بالاضافة الى مفادير هائلة من الأطعمة والحبوب ، وكان ما عنموه نبيئا عطيم الوفرة ، حنى لقلد تحير من كانوا حنى الآن مملفين أشد الاملاق مادا يأخذون وماذا يسركون ، واستولوا على خيام العدو وقساطيطة التي كانوا في حاصة ملحة البها ، والإن ما كان لديهم منها من قبل قد فدم العهد به ورث ، وأبلاه هطول المطر الغزير عليها ، مما جعلة في الواقع عير صالح

ثم عادوا الى أنطاكية وفد فاضت أيديهم بالغنائم الجمة ، فكان مما عادوا به مما خلفه الأتراك وراءهم حين فرارهم الاماء والأطفال ، كما استولوا على مخيم القائد العيام ، وهو قطعة من الابداع في الصبعة فد نسبج أغلبه من أحسن أنواع الحرير المتعدد الألوان ، وكان هذا الفسطاط مؤلفها من حجرات دمتد الى جهات

بعيدة ، ويعصُلها بعضها عن بعض الشوارع ، وفيل ان هده الحيمة كانت نسبع لالعين من الرجال لايراجم الواحد منهم فيها الآحسر ولا يصايفه .

رجع الصليبيون الى المدينة محملين بكل ما أصابوه من الغنائم والأسلاب ، وعدوا يومهم هذا يوم فرحة عامرة بسبب النصر الذي أحرروه ، وعادوا ساكرين من جادب يده عليهم بالغلبة التي وافيهم بعد طول انتظار ، وبعدما فاسوه من الكوارث ، وما نرل بهم من المصائب العديدة .

أما النوك الذين لازالب العلعة في أيديهم فعد أدركوا الآن فد حافب الهزيمة بحلفائهم ، ودارت عليهم الدائرة ، ففقدوا كل أمل كان براودهم في نجده نأنيهم من أي مصدد ، وحينذاك أسلموا الفلعة لعاديا الدين خفقت أعلامهم على ساهق أبراجها ، غبر أن الترك اشترطوا عليهم أن بأدنوا لهم بالخروج سيالمين ، لا يعرض لهم أحد بسوء في أنفسهم ، ولا في أولادهم ، ولا فيما ملكت أيديهم .

ومن ثم تم نصر الصليبيين ، واستحوذوا على القلعة برحمة الرب الكبره الساملة ، وأصبح من كانوا بالأمس الدابر في شدة الاملاق والحوع : أغنياء كل الغنى البوم بما ملكته أيدبهم من كل طبب .

لقد مرت علبهم أيام عجاف صاد فيها أصلب الحجاج عودا من أصحاب الأسما الرنانة وذوى الصبت الذائع – ولا نذكر العامة اقول مرت أيام صاد فبها هؤلاء وقد ضاقت بهم الحياة ضيقا اضطروا معه الى الاستجداء ومد أيديهم بالسؤال ، وحسبنا أن نذكر منهم كونت هارتمان – أحد نبلاء المملكة التيوتونية – فقد صحا ذات يوم ليجد نفسه في فقر مدفع ، وأصبح هذا النبيل

العظیم یری المنة الکبری أن ينصف عليه الدوق كل يوم بعبر يجود به عليه من مائدته ·

ونسابهه أبصا « هنرى دينس » ، وكان رجلا فاضلا مرموقا ، اذ كاد \_ من عير مبالغة - أن يهلك جهوعا ، لو لم يستضعه الدوق على مائدته .

وفى أنناء هذا الحصار كابد الدوق دانه مشسقه كبيره فبل المعركة لعدم وجود حيل لديه ، لكنه استطاع بعد لأى ومشفه ، وبعد الله فد ما قد من السماسات جمة الى كوس تولور ، أن يحصل منه على حواد واحد يمضى به الى المعركة ، وكان جود فروى وسواه من الزعماء الآحرين قد أنفقوا هم أيضنا كل ما كانوا قد حاوا به من المنال ، اذ بذلوه في أعصال البر والرحمة ، لاسيما ما كان منها متعلقا بالنغفة العامة .

وهكدا سهدت ساحة المعركه \_ يوم نشبت المعركة \_ رجالا أبطالا دوى حسب يمصون البها مشاه ليس عدهم ظهر يركبونه ، وبعصهم يمعطى الحمير وأمالها من دواب النقل ، ذلك لأنهم كانوا قد أفنوا كل ما معهم من المال ، وأصبحوا النوم مملفين لنس لديهم خبـــل .

غير أن الله كلأهم برحمه قبل عروب سمس ذلك النوم ، فأنزل الهزيمة بالاعداء ، وأعدف على أنباعه المحتاجين من النروة فوق الذي يستهون وقوق ما تتصورون ، ومن الواضح أن هذا كان تكرازا لقصة السامرة الفديمة حين بلع ثمن بنع المكتال من الدقيق الطحين والسعير قطعة واحدة من النقود (١) ، ولكن لم يمس المساء

<sup>(</sup>۱) هذه اشارة الى ما حاء فى البوراه من حبر بيوه الشيع بالرحص فى السامرة ، اذ ورد فى الملوك الثانى · ۱/۷ « وقال النشع اسمعوا كلام الرب ، مكدا قال الرب فى مثل هذا الوقب ، عدا بكون كيلة الدفيق شاقل ، وكيلسا الشاعره » ،

على من لم بكن عنده عبر ما يمسك رمقه الا وقد نوفر له منه ما راد عن حاجته وما يكفى أن يقيم أود الكبرين معه •

ولفد وفعت هده الوقعة في النوم النامن والعشرين من شهر يونيو ١٠٩٨ من مثلاد المسيح .

# - 77 -

لم يكد القادة يعودون من سساحه القسال ويسسب ننى، من السلام والنظام حتى الصرفت همه الجميع للعبايه بالكنائس . وكان أشد القوم احساسا بالمسئولية تجاه هذا الأهسام [أديمار دى موسل] أسمف بوى المعظم ، باعنباره راعي الجيس ، وعاونه بقيه من في الجيس من القسس معاوله صادفة مخلصه ، كما أقبل الناس يمدون بد المساعدة عن طبب حاطر ، وبهذا عادت الكبيسة الرئيسية المهداه الى أمير الحواريين وبفيه كنائس أنطاكية الى مكانها التي كانت عليها في الأصل ، وأقام فيها الفساوسة الذين وهبوا أنفسهم على الدوام للقيام بالخدمات الدينة ،

كان الترك قد دنسوا الأماكن الطاهرة وأحرجوا منها من كان بها من أهل النقوى ، واستخدموا الكنائس استحداما سساتنا . فحولوا بعض هذه الأماكن المقدسة الى اسطبلات للخيل ولغيرها من دواب النقل ، وممارسوا في غيرها أعمالا دسة ، وطمسوا صور القديسين المبجلين التي كانت على جدران هذه المواضع ، واراأوا الرمور الني كانت نقوم مقام الكنب والقراءة لعباد الرب المستصفر وكان ما طمسوه أشناء نبعث النقوى في نفوس البسطاء ، فصب

( الحروب الصلسه حد ١ ) - ٤١٩

الترك عصبهم على هده الاسياء كما لو كاس أحياء يسهسون ، فراحوا يساءون عبونهم ، ويحدعون أبوفها ، ويطمسون هذه الصور بالطس ويلونونا بالفادورات ، وبهدمون المدابح ، ويدسون هبكل الرب بفعالهم المسسكرة ، فانفق الاجماع حينداك على أن بعود رجال الدين في لحطيم لممارسه الأعصال التي كانت مناطه بهم من فبل في الكنائس ، وأن تحمع المال ليعسوا به المحاربين في سينل الرب ، وأن بؤحد ما عنوا من دهب العليو وقصنه فيصبعون من ذلك السمدانات والصلبان وكؤوس الفرابين ، ويرسم عليها صور مستمرة من الكناب المفدس ، ويستحدم في كل ما هو ضروري ولازم للحدمة في الكنيسة ، كما فدموا الأقمسة الحريرية لصنع الملابس الكهوية وأغطته المدابح ،

وأعبد البطرك «يوحما» الصادق الابمان الى أبرسسه ، وكان فد كابه من العذاب على أيدى النرك دمد معسدم الصلبيين ما يعجر اللسان عن وصفه -

أما المدن المجاوره الى كامت سمع بوجود كنائس كدرائيه بها فقد نصبوا أساقفة يرعونها ، كما وجدوا ... من ناحية آخرى ... أنه لبس من اللائق احتيار أو برسبم بطرك لاسنى فى الوف الذى كال ١٠٠ ساعل هذا المكان الموفر لا يزال على قند الحياه ، ودلك تحاسبا من وجود النبن يسغلان نفس الكرسى فى وقت واحد ، مما يعتبر محالفة صريحة لفوانين الآباء المقدسيين وفرارايهما النبطيمية ، على أنه قبل انقضاء عامين غادر البطرك يوجنا بمحض اراديه أنطاكية ، ومضى ال الهسطنطيية ، وذلك ادراكا منه أنه لن يكون فادرا ... كيونانى .. على أن يحيكم بقعالية على اللاين ، فلما غادرها احتمع رحال الدين والنبعب واخباروا بطركا آخر لهم فلما غادرها احتمع رحال الدين والنبعب واخباروا بطركا آخر لهم هو بريارد أسفف « أرناح » من أهل فالنسيا وهو الذى صاحب أسقف يوى فى هذه الحملة كاشيين له .

nverted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

نم امنىل الجميع للعهد الدى فطعوه على أنفسهم فى البدايه الا وهو أن مكون السلطة والحكم فى أطاكية لبوهيموند ، فعقلوا ما انفقوا عليه ، ولم يشد عنهم سوى كونت تولور ، الذى احتفظ بالبوابة الملاصفة للجسر وبجميع الأبراح المتصلة بها ، وأقام فيها حامية من رجالة نتولى أمر حراستها .

على أنه بعد معادرة الكونت لأنظاكية عمد بوهيموند الى طرد حدد [ ريموند ] من هناك ، وأخل حامية من رحاله محلهم لحراسيها ، واستولى على المكان كما سيرى حبر دلك فيما بعد .

ولعد حلم حاصه رجال بوهموند عليه لعبا بعظيما الا وهو « الأمير » ، الدى أصبح مند هذه اللحطة لقبا لصاحب أطاكنه لا يشاركه فيه أحد غيره ٠



# هنا ينتهى الكماب السادس

● بهذا ينتهى الجزء الأول من الترجمة العربية لكتاب الأعمال التلى تم انجازها فيما وراء البحاد أو تاريخ الحروب الصليبية تأليف وليم الصورى ، ويلبه الجزء الثانى متضمنا الكتاب السابع حتى الثانى عشر •



#### nverted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version

# الفهرس

الصفحه										وع	لوض	l <b>i</b>	
٥	•		•		•	•	•	•	•			ا) مدېم	ک
٩	•	•	•	•	•	•	•	•	٠	<u>ج</u> ـم	المر	<b>مدمـ</b> ه	4
44	•	•	•	•	•	•	•	.ی	لصور	يم ا	ت وا	ولفا	
77		•	•	•	٠	•	•	•	٠	• -	الكببر	ار ىخە	ı
50	•				•	•	•		•	•		کامهٔ س	-
: V	•	•	•	٠	•	•	•	٠	•	•	٠.	لتمهيه	į
	٠. ر	لقدمر	ب ا.	ں بہ	حلاد	لاســ	ىھب	حية	لسما	.1: 6	الأول	لكتاب	1
	باب	ــا:	، جم	- مع	لرحم	فی ا	بدأ	ب ط	ساسس	ی ۱۱.	. بطر س	9	
٥٧											خسري		
	الى	حف	لی تز	الأو	لسية	الص	حمله	ں ال	بموت	ي : .	النان	لكتاب	1
179											لفسط		
												لكتاب	ţ
175											لص		
												لكتاب	1
729	•	•	•	•	•	•	•	لاكية	اند	مسار	ى -=	ؤ	
۲-۷	•	•	•	بلالها	واح	کیه	أنطا	صار	: -	مس	الخا	لكتاب	i
77	٠.	مجر	ىر الم	اليص	ىن .	لبب	ة الص	اصرة	: ميح	دس	السا	لكتاب	ŧ
ساب ا													

- ۱ ... مصطفی کامل فی محکمة التاریخ د۰ عبد العظیم رمضان
  - ۲ \_ علی ماهر

اعداد : رشوان محمود جاب الله

٣ ـ ثوره يولبو والطبقة العاملة

اعداد : عبد السلام عبد الحليم عامر

- النبارات الفكرية في مصر المعاصرة د. محمد نعمان جلال

- عارات أوربا على الشواطى المصرية فى العصور الوسطى
   عليه عبد السميع
  - ٦ ـ هؤلاء الرجال من مصر ج ١ .
     لعی الطیعی
    - ۷ صلاح الدين الأيوبي
       د عبد المنع ماجد

د محمد انیس

۸ ــ رؤیه الجسرسی الأزمة الحساه الفكریة
 د۰ علی برگات

٩ ــ صفحات مطویه من ماریخ الرعیم مصطفی کامل

١٠ ــ نوفىق دباب ملحمة الصحافة الحزبية محمود قوزى

- ۱۱ ــ مائه شحصه مصراه وشحصية الم
  - ۱۴ ـ هدی سعراوی وعصر النبویر د۰ نبیل راغب
- ۱۳ ـ اكدوبه الاستعمار الصرى للسودان د. عبد التظيم رمضان
  - د۱ ـ مصر فی عصر الولاه د۰ سیده اسمایل کاسف
  - ۱۰ ـ المسسر فون والباريخ الاسلامي د على حسن الحربوطلي
- ۱٦ فصول من باريخ حركه الإصلاح الاحتماعي في مصر د. حلمي أحمد شلبي
  - ۱۷ ـ القساء السرعى في مشر في العصر العنماني د٠ معتمد نصر فرمنان
    - ۱۸ ـ الموارى في مجتمع الناصرة المناوكية د. على السياء متحدود
    - ۱۹ ـ مصر المديدة وفصة بوحيد العطرين د٠ أحمد محمود صابون
- ١٠ ــ المراسلات السراة بين سعد رعلول وعند الرحمن فيمى
   د٠ محمد أنسن
  - ۲۱ ـ النصوف في مصر ابان العصر العثماني ح ۱
     توفيق الطويل
    - ۲۲ \_ بطراب فی باریخ مصر جمال بدوی

- ٢٢ \_ النصوف في مصر آبان العصر العثماني جـ٣ بوفيق الطويل
  - ۲۱ ـ الصحافة الوفدية د نجوي كامل
  - ۲۵ ــ المحتمع الاستلامی
     درجمه : د۰ عبد الرحیم مصطفی
  - ۲٦ ـ باريخ الفكر البريوى في مصر الحديثة د منعيد استماعيل على
    - ۲۷ ـ فنح العرب لمصر حا ١ رجمة : محمد فريد أبو حديد
    - ۲۸ ــ فنح العرب لحر جـ ۲
       ترجمة : محمد فرید ابو حدید
      - ۲۹ ـ مصر فی عصر الاحسیدین د • سیدة اسماعیل کاشف
        - ۳ ـ الموطفون في مصر
           د حلمي أحمد شبليي
        - ۳۱ ـ خمسون شحصية وشيحصية شكرى القاضي
        - ۳۲ \_ عؤلاء الرجال من مصر جـ٣ لعـي الطبعي
    - ۳۲ مصر وفصایا الحبوب الافریقی در خالد الکوهی
    - ۳۵ ـ نارىخ العلامات المصربة المعربية
       د• يونان لبيب رزق

- ۲۰ ـ اعلام الموسيهى المصريه عبر ۱۵۰ سنة
   عباد الحميد توفيق زكى
- ٣٦ ـ المجمع الاسلامى والعرب ح ٢ نرجمة : د أحمد عبد الرحيم مصطفى
  - ٣٧ \_ الشبح على يوسف تأليف: د. سليمان صالح
- ۳۸ ـ فصدول من باریخ مصر الاقتصادی والاجتماعی فی
   العصر العثمانی
   د عبد الرحیم عبد الرحمن عبد الرحبم
  - ٣٩ \_ فصة احتلال محمد على لليونان د جميل عبيد
  - ٤٠ الأسلحة الفاسدة
     د٠ عبد المنعم الدسوقي الجميعي
    - - ٤٢ ــ تكوين مصر عبر العصور
         محمد شفيق غبريال
        - ٤٣ \_ رحلة في عقول مصرية
           ابراهيم عبد العزيز
- ٤٤ ــ الأوقاف والحباة الافتصادية في مصر في العصر
   العنماني
  - د ٠ محمد عفيفي





هذا الكتاب ، تاريخ الحروب الصليبية ، عمل علمى كبير للويليم الصورى الذى يعبرفه طلاب الدراسات التاريخية كاحد اعظم المصادر فى تاريخ هذه الحروب ، وهو يعالج المفترة المتى امتدت من عام ١٠٩٤ – ١٩٨٤ والفترة التي تلبها اى على مدى قرن ونصف من الزمان والتي اخذت تتدفق فيها الهجرات الشعبية المسلحة المنسريلة بمسوح الدين والصليب ، وهي التي عرفت ياسم الحملات الصليبية .

وهذه الترجمة سعوف تصدر في أربعة مجلدات .. هذا أولها ... اثبت فيها الاستاذ الدكتور حسن حبشى مكانت العلمية وتفرد بقدر عظيم من الدقة التي ترسم للجيل الجديد من المؤرخاين الطريق للوصول إلى الاستاذية بمعناها الصحيح .



1.